بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين

تأليف

عبدالله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله

الإهداء

- إلى كل من يهمه أمر المسلمين.
- إلى العلماء ورثة الأنبياء في التعليم والدعوة إلى هذا الدين.
- إلى الخطباء والدعاة والمرشدين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بتربية أجيالهم تربية إسلامية صحيحة.
- إلى الشباب المسلم الحريص على ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته.
- إلى من يحب سعادة نفسه وفوزها ونجاتها.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى – عز وجل – أن ينفع به من قرأه أو سمعه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ومن أسباب الفوز لديه بجنات النعيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(1)

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربِّه – صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فبناء على ما أوجبه الله ورسوله من التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة الخير وكراهية الشر لكل مسلم؛ فقد جمعتُ في هذه الرسالة ما أمكن جمعه مما يفيد المسلمَ في دينه ودنياه وآخرته، ويذكره بما له وما عليه من واجبات ومستحبَّات، وفي مقدمة ذلك ما يتَّصل بالعقيدة الإسلامية؛ فهي الأساس الذي يرتكز عليه العمل، وقد جمعت فيها مجموعة مباركة، ثم ما يتَّصل بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يتَّصل بالأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية السامية، وبذلت جهدي في الحصول على الكلمات الجامعة المختصرة المفيدة النافعة، جمعت في هذا الكتاب من ذلك ما تفرَّق في غيره ما يزيد على مائة موضوع، وذكرت خلاصة أعمال اليوم والليلة المشروعة للمسلم، والدعوات المستجابة، والأعمال المكفِّرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة، وذكرت أسباب السعادة، وأسباب المغفرة، وأسباب العذاب، وأسباب شرح الصدر، وما ينجي من عذاب الله – تعالى – وجمعت نصائح وفتاوى وفوائد عديدة، وما يتصل بفصل الشتاء وفصل الصيف، وخلاصة طبقات المكلفين في الدار الآخرة.

وهي مستفادة من كلام الله – تعالى – وكلام رسوله ρ وكلام العلماء المحققين، ونسبت كل قول إلى قائله، وخرجت الأحاديث، وذكرت أرقام الآيات غالبًا، وذكرت ما يتصل بالعلم والتربية والسيرة النبوية وبعض المعاملات، وسميته:

"**بهجة الناظرين فيما يصـــلح الدنيا والدين**"، وأرجو أن يكون اسمًا موافقًا لمســـماه، ولفظًا مطابقًا لمعناه.

وليعلم أن مصـــالح الدنيا والدين إنما تنال بمحبة الله ورســـوله، وامتثال ما أمر الله به ورســـوله، والانتهاء عما نهى الله عنه ورســـوله ρ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71]، وقال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـــالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وما كان في هذا الكتاب من صـــواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشـــيطان، وأرجو ممن اطَّلع عليه أن يدعو لي ولوالدي بالمغفرة والرحمة والجنة؛ ليقول له الملك: آمين ولك بمثل؛ كما رواه مسلم في صحيحه، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفع به كاتبه وقارئه وســـامعه، وأن يجعله خالصًـــا لوجهه الكريم، ومن أســـباب الفوز لديه بجنات النعيم، وهو حســـبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصـــلوات الله وســـلامه على خير خلقه وأنبيائه نبينا محمد، وعلى آله وأصـــحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

3- من هدي النبوة

قال ρ:

1- ((حق المسلم على المسلم ستٌّ: إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبْه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتَّبعه))؛ رواه مسلم.

2- ((سبعة يظلِّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله - تعالى - ورجلٌ قلبُه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعتْه امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضتْ عيناه))؛ متفق عليه.

3- ((اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))؛ متفق عليه، والموبقات: المهلكات.

4- ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله، إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود))؛ متفق عليه.

5- ((لن تقوم الساعة حتى ترَوا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناسَ إلى محشرهم))؛ رواه مسلم.

6- ((عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الأبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء - يعني: الاستنجاء، والبراجم: عقد الأصابع ومعاطفها -))، قال الراوي: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة؛ رواه مسلم.

صدق رسول الله ρ وفَّقنا الله للتمسك بسنته، والاهتداء بهديه، وأدخلَنا في شفاعته، وأوردنا حوضه، وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

التوحيد والعقائد

4- عقيدة الفرقة الناجية

اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، هو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقَدَر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ρ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل يؤمنون بأنَّ الله ليس كمثلِه شيء، وهو السميع البصير، فلا ينفُون عنه ما وصف به نفسه، ولا يُحَرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يُكَيِّفون ولا يمثِّلون صفاتِه بصفات خلقِه؛ لأنه - سبحانه - لا سميَّ له، ولا كفو له، ولا ندَّ له، ولا يُقاس بخلْقه - سبحانه وتعالى.

وقد جمع فيما وصف وسمى به نفسَه بين النفْي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءتْ به المرْسلون؛ فإنه الصِّراط المستقيم، وقد دخل في هذا الأصْل الكبيرِ جميعُ ما في الكتاب والسنة من تفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يُنَزَّه عنه، ودخل في ذلك الإيمانُ باستوائِه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، ورؤية المؤمنين له في الآخرة، كما تواترتْ بذلك النصوص، وبأنه قريبٌ مجيب، وما ذُكر في الكتاب والسنة مِن قُربه ومعيَّته لا ينافي ما ذُكِر من عُلُوِّه وفوقيَّته؛ فإنه - سبحانه - ليس كمثْلِه شيء في جميع نعوتِه.

ومنَ الإيمان بالله وكُتُبه الإيمانُ بأن القرآن كلام الله، منَزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلَّم به حقيقةً.

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبيُّ ρ مما يكون بعد الموت من أحوال البرزخ، فيؤمنون بفتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، والبعث بعد الموت، والحوض، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك.

وتؤمن الفرقة الناجية بالقدَر خيره وشره، والإيمان بالقدَر على درجتَيْن، كل درجة تتضَمَّن شيئَيْن:

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله - تعالى - عَلِم ما الخلقُ عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً وأبدًا، وعَلِم جميع أحوالهم مِن الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كَتَب في اللَّوْح المحفوظ مقاديرَ الخلائِق.

والدرجة الثانية: مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لَم يكن، لا يكون في مُلْكه ما لا يريد، والعبادُ هم الفاعلون لطاعتهم ومعاصيهم، والله خالقُهم، وخالق قُدرتهم وإرادتهم.

ومِن أصول الفرقة الناجية: أن الدين والإيمان قولٌ وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يُكَفِّرُون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، ويقولون: إنه مؤمن ناقِصُ الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ρ ويَقبلون ما جاء في الكتاب والسنَّة من فضائلهم ومناقِبهم ومراتِبهم، ويُحِبُّون أهلَ بيت رسول الله ρ ويتولَّوْنهم، ويتولَّوْن أزواجَ رسول الله ρ أمهاتِ المؤمنين، ويتبرَّؤُون من طريقة الروافض، الذين يبغضون الصحابة ويسبُّونهم، وطريقة النواصب الذين يُؤذُون أهل البيت بقولٍ أو عمل، ويمسكون عما شَجَر بين الصحابة، وأن لهم منَ الفضائل والسوابق ما يُوجب مغفرةَ ما صدَر منهم - رضي الله عنهم وأرضاهم.

ويُصَدِّقون بكرامات الأولياء، وما يُجري اللهُ على أيديهم مِن خوارق العادات، ويتَّبعون آثار رسولِ الله ρ ظاهرًا وباطنًا، ويدْعون إلى كلِّ خُلُق جميل، وينْهَوْن عن كل خُلُق رذيل، وهم في ذلك كلِّه متَّبِعُون للكتاب والسنة، فنسأل الله - تعالى - أن يجعلَنا منهم، وألاَّ يزيغَ قلوبنا بعد إذْ هدانا، وأن يهبَ لنا مِن لدنه رحمة، إنه هو الوَهَّاب[1].

(فصل)

ومن صفات الله - تعالى -: أنَّه متكلِّم بكلامٍ يسمعه منه مَن شاء مِن خلقه، سمِعه موسى - عليه السلام - منه من غير واسطة، وسمعه منه جبريلُ - عليه السلام - ومَن أذن له مِن ملائكته ورسله، وأنه - سبحانه - يُكلِّم المؤمنين في الآخرة ويُكلِّمونه، ويأذن لهم فيزورونه؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، وقال - سبحانه -: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 253]، وقال - سبحانه -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

ومِن كلام الله - سبحانه -: القرآن العظيم، وهو كتابُ الله المبين، وحبْلُه المتين، وصراطه المستقيم، وتنْزيل ربِّ العالمين، نَزل به الرُّوح الأمين، على قلْب سيد المرسلين، بلسانٍ عربي مبين، مُنَزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سُوَر محكمات، وآيات بَيِّنات، وحروف وكلمات، مَن قرأه فأعربه فله بكلِّ حرْف عشرُ حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متْلُوٌّ بالألسنة، مَحفوظ في الصدور، مسموعٌ بالآذان، مكتوبٌ في المصاحف، فيه مُحكَم ومتشابِه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي؛ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

---

1 مقتطفات من "العقيدة الواسطية"، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله تعالى.

واتَّفق المسلمون على عدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن مَن جحد من القرآن سورةً أو آية أو كلمةً أو حرفًا متَّفقًا عليه - أنه كافر.

والمؤمنون يَرَوْن ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويُكَلِّمهم ويكلمونه؛ قال - تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23]، وقال - تعالى -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15]؛ يعني: الكفار، فلما حجب أولئك في حال السخط، دلَّ على أن المؤمنين يرَوْنه في حال الرِّضا، وإلا لم يكنْ بينهما فرقٌ، وقال النبي ρ: ((إنكم ترَون ربَّكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته))؛ حديث صحيح، متفق عليه.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئيِّ بالمرئي؛ فإنَّ الله - تعالى - لا شبيه له ولا نظير.

ومِن صفات الله - تعالى - أنه الفعَّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن سُلطانه، ولا يصدر إلاَّ عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خطَّ في اللوح المسطور، أراد ما العالَم فاعلوه، ولو عصمهم لَمَا خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلَق الخلْق وأفعالهم، وقدر أرْزاقهم وآجالهم، يهْدي مَن يشاء برحمته، ويضل مَن يشاء بحكمته، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]، قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجَّةً لنا في ترْك أوامره، واجتناب نواهيه؛ بل يجب أن نؤمنَ ونعلم أن لله الحجةَ علينا، بإنزال الكُتُب، وبعْثة الرُّسل؛ قال الله - تعالى -: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، ونعلم أنَّ الله - سبحانه - ما أمر ونهى إلا المستطيعَ للفِعْل والتَّرْك، وأنه لَم يُجبرْ أحدًا على معصية، ولا اضطره إلى ترْك طاعة؛ قال الله - تعالى -: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقال - تعالى -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وقال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 17]، فدلَّ على أنَّ للعبد فعلاً وكسبًا، يُجْزَى على حسَنِه بالثواب، وعلى سيِّئِه بالعقاب، وهو واقِعٌ بقضاء الله وقدَره.

والإيمان: قول باللسان، وعمَل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبي ρ وصحَّ به النَّقْلُ عنه، فيما شهدْناه أو غاب عنا، نعلم أنه حقٌّ وصِدْق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولَم نطلعْ على حقيقة معناه؛ مثل: حديث الإسراء والمعراج، وكان يقظة لا منامًا، فإنَّ قريشًا أنكرتْه وأكبرتْه، ولَم تكنْ تنكر المنامات، ومن ذلك أشراط

الساعة؛ مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى - عليه السلام - فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخُرُوج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صحَّ به النَّقْل.

وعذاب القبْر ونعيمه حقٌّ، وقد استعاذ النبيُّ ρ منه، وأمر به[2] في كل صلاة، وفتنة القبر حقٌّ، وسؤال مُنكَر ونكير حقٌّ، والبَعْث بعد الموت حقٌّ، وذلك حين يَنْفُخ إسرافيل - عليه السلام - في الصُّور؛ ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[3] [يس: 51].

ويُحْشَر الناسُ يوم القيامة حُفاةً عراة غرلاً - غير مختونين - بُهْمًا - ليس معهم شيء - فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ ρ ويحاسبهم الله - تبارك وتعالى - وتُنْصَب الموازين، وتُنشَر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأَيْمان والشمائل؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا[4] * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: 7 -12]، والميزان له كفَّتان، ولسانٌ يوزن به أعمال العباد؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 102، 103]، ولنبينا محمدٍ ρ حوضٌ في القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبَن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، مَن شرب منه شرْبة لَم يظمأ بعدها أبدًا.

والصراط حقٌّ تجوزه الأبرار، ويزلُّ عنه الفجَّار، ويشفع نبينا ρ فيمن دخل النارَ من أمَّته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحِمًا، فيدخلون الجنة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والملائكة شفاعاتٌ؛ ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28]، ولا تنفع الكافرَ شفاعةُ الشافعين.

والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان، فالجنة دار أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلَّدون؛ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[5] [الزخرف: 74، 75].

ويؤتى بالموت في صورة كبْش أملح، فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يُقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار، خلود ولا موت.

2 أي: بالاستعاذة من عذاب القبر.

(3) الأجداث: القبور، وينسلون: يسرعون.

(4) الثبور: الهلاك.

(5) مبلسون: آيسون من كل خير.

ومحمد رسول الله ρ خاتمُ النبيين، وسيد المرسلين، لا يصحُّ إيمان عبد حتى يؤمنَ برسالته، ويشهد بنُبوته، ولا يُقْضَى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعتِه، ولا يدخل الجنةَ أمةٌ إلا بعد دُخُول أمته، صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمامُ النبيين وخطيبُهم، وصاحبُ شفاعتهم، أمَّتُه خيرُ الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء – عليهم السلام.

ولا نجزم لأحدٍ من أهْل القبلة بجنةٍ ولا نار، إلا مَن جزم له الرسولُ ρ لكنَّا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء، ولا نُكَفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنْبٍ، ولا نُخرجه عن الإسلام بعمَل[6] ونرى الحج والجهاد ماضيَيْنِ مع كلِّ إمام، برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ومن السنَّة تولِّي أصحاب رسول الله ρ ومحبتهم، وذِكْر محاسنهم، والترحُّم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذِكْر مساويهم، وما شجر بينهم[7]، واعتقاد فضْلهم، ومعرفة سابقتهم – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – قال – تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

ومن السنة الترَضِّي عن أزواج رسول الله ρ أمهات المؤمنين، المطهرات المبَرَّآت من كل سوء – رضي الله عنهن.

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين، برهم وفاجرهم، ما لَم يأمروا بمعصية الله؛ فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن السنَّة هجْران أهل البدَع، ومباينتهم، وترْك الجِدال والخُصُومات في الدِّين، وترْك النظَر في كُتُب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامِهم، وكل محدثة في الدِّين بدْعة، وكل متَسَمٍّ بغير الإسلام والسنةِ

(6) تعليق الألوكة: "تلكَ العبارةُ مذكورةٌ في كتابِ: "لُمعةُ الاعتقاد الهادي إلى سبيلِ الرشاد" لابنِ قدامةَ المقدسيِّ. وقولُهُ: "ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهلِ القبلةِ بذنْبٍ"؛ أيْ: مَا لَمْ يَستحلَّه، فأهلُ السنةِ والجماعةِ لا يكفِّرونَ بذنبٍ، مَا لَمْ يَستحلَّهُ الفاعلُ؛ أيْ: يَعْتَقِدُ أنَّهُ حلالٌ؛ لأنهُ ردٌّ لحكمِ اللهِ – جلَّ وعلا .

والحاصلُ: أنهمْ لا يُكَفِّرونَ مرتكبَ الكبيرةِ، مثلُ: آكلِ الربا، والزاني، والسارقِ، وشاربِ الخمرِ، والعاقِّ لوالديْهِ... إلى آخره. والمقصودُ بالذنبِ: مَا دونَ الشركِ والكفرِ باللهِ — تعالى —.

فلمْ يُكَفِّروا بكلِّ ذنبٍ، كما فعلتِ الخوارجُ.

وقوله ((ولا نُخْرِجُهُ عن الإسلامِ بِعَمَلٍ))، أي كبيرة – كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما فعلت الخوارج

وليسَ معناهُ: أنَّ أهلَ السنةِ والجماعةِ، لا يُكَفِّرونَ بنواقِضِ الإسْلامِ العمليةِ، كالسجودِ للصنمِ، ودعاءِ غيرِ اللهِ، والحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، وغيرِ ذلكَ مِنَ النواقضِ العمليةِ للإسلامِ..

(7) شجر بينهم؛ أي: اختلف الأمر بينهم.

مُبتدعٌ؛ "نسـأل الله أن يعصـمَنا من البدَع والفتنة، ويحيينا على الإسـلام والسـنَّة، ويجعلنا ممن يتَّبع رسول الله ρ ويحشرنا في زُمرته بعد الممات برحمته وفضله، آمين"[8].

فصل

أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ρ أولها: الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة برًّا أو فاجرًا، والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيِّه محمد ρ غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخيرٍ أتى به إلا من شهد له النبيُّ ρ والكف عما شجر بين أصحاب النبي ρ – وأفضل الخلق بعد رسول الله ρ – أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم أجمعين – ونترحم علي جميع أزواج النبي ρ وأولاده وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا[9].

(8) مختارات من "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد"، لشيخ الإسلام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قُدامة المقدسي، المتوفَّى سنة 620هـ.

(9) من كتاب "الكبائر"، للذهبي ص 150 - 151.

5- توحيد الأنبياء والمرسلين[10]

وهذا هو التوحيد الحقيقي الصحيح، وهو الذي لا يصدق على مسماه سواه، فإنه الاعتراف بتوحيد الباري، بكل صفة كمال وجمال وجلال، ومجد وحَمْد، وعظمة وكبرياء، والعمل بمقتضى هذا مِنَ التعظيم الكامل لله، والحب التام والخُضُوع له، وإخلاص العمل له؛ فهو نوعان: علمي اعتقادي، وعملي.

وقدَّم المصنِّف الاعتقادي؛ لأنَّ التوحيد العملي يَتَفَرَّع عنه، ويقوى بقُوَّته، ولأنه أكبر البراهين على توحيد الإلهية، ووجوب إفراد الباري بالعبادة؛ ولأنَّ مُعظم الخلاف مع أهْل الكلام الباطل في هذا النَّوع.

وهذا النوع مبنيٌّ على أصلَيْن عظيمين؛ أحدهما: تنْزيه الباري وتقْديسه عما لا يليق بجلاله، وما يُنافي كماله، وحاصِلُ هذا النوع يعود إلى تنْزيه الله عن مُشاركة أحد مِنَ المخلوقين لله في شيء مِن صفات كمالِه، أو في حقٍّ مِن حُقُوقه وخصائصِه، وإلى حفْظ صفات كماله عن أمور ثلاثة: عن تشْبيهها بصفات المخلوقين، أو نفْيها عن الله، أو نفي بعض معانيها، فيعلم أن له الكمالَ المطْلَق الذي لا يُمكن التَّعْبير عن عظمته وكُنهه، وأن له مِن ذلك الكمالِ غايتَه ومنتهاه وأكمله؛ فهو المنَزَّه عن الشريك والظهير، والعوين والشفيع بلا إذنه، وهو الذي لم يلدْ ولَم يولد ولم يكنْ له كفُوًا أحَد، وهو المنَزَّه عن السِّنة والنَّوم، والموت والتَّعَب واللغوب، وأن يغيب عن سمعه أو بصره أو علمه شيءٌ، وهو المنَزَّه عن كلِّ ما يُنافي كمالَه وعظمته وجلاله.

(فصل)

في النوع الثاني وهو: الثبوتي

وهذا النوع هو المقصود الأعظم، وما مضى وسيلةٌ وتتميم وحِفْظ لهذا النوع؛ فإن جميع ما يُنَزَّه الله عنه، فإنما ذلك لأجل ثبوت ضده، وهذا النوع مبناه على إثبات جميع صفات الله الموجودة في الكتاب والسنة والأسماء الحسنى ومعانيها على وجهها، والتفقُّه في معرفة معانيها، والتحقُّق بها تصديقًا ومعرفة وتعبُّدًا بها، وكلَّما قويتْ هذه الأمورُ قوي التوحيدُ في القلب؛ حتى يكون في قلوب العارفين الرَّبانيين أعظمَ مِنَ الجبال الرواسي، وأطْيَب وأحلى وألذ مِن كلِّ اللذات.

وذلك بإثبات أنه (العلي الأعلى) بكلِّ وجهٍ واعتبار؛ علو الذات، وعلو القدْر، وعلو القَهْر، فعلوُّ الذات هو أنه مستوٍ على عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مُطَّلع على أحوالهم،

---

(10) من توضيح الكافية الشافية "نونية ابن القيم"، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - ص (84 - 99).

مشاهِد لهم، مدَبِّر لأُمُورهم الظاهرة والباطنة، متكلِّم بأحكامه القدَرية، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعيَّة.

وأما علو القدر، فهو أن صفاته كلها صفات كمال، وله مِن كل وصْف ونعْت أكمله وغايته.

وأما علو القهر، فهو قهْرُه - تعالى - لجميع المخلوقات، فالعالَمُ العلوي والسفلي كلهم خاضعون لعظَمته، مفتَقِرون إليه في كل شُؤونهم.

ومن أسمائه العظيمة: (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن)، وقد فسَّرها ρ تفسيرًا كاملاً واضحًا؛ فقال: ((أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء))(11)؛ ففَسَّر كلَّ اسم بكلِّ معْناه، ونفى عنه كل ما يُضاده، فمهما قدَّر المقدِّرون، وفرض الفارضون من الأوقات السابقة المتسلسلة إلى غير نهاية، فالله قبل ذلك، وكل وقتٍ لاحق مهما قدر وفرض، فالله بعد ذلك.

ولهذا لا يستحق اسم (واجب الوجود) إلا هو، فمِن خصائصه أنه لا يكون إلا مَوْجُودًا كاملاً، فلا يُشاركه في وجوب الوجود أحد، فوُجُوب وجوده بنعوته الكاملة في جميع الأوقات، وهو الذي أوْجَد الأوقات وجميع الموجودات، وكلها مستندة في وُجُودها وبقائها إلى الله، فالأول والآخر يتضمنان إحاطته بجميع الأزْمنة وجميع المخلوقات من كلِّ وجْه، والظاهر والباطن يقْتضيان إحاطته بجميع الأمكنة، وأنها تنتهي إلى الله في العلوِّ والقُرْب، ولا مُنافاة بين الأمرَيْن في حقِّه - تعالى - لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فهو العليُّ في دنوِّه، القريب في علوِّه.

ومن أسمائه الحسنى: (الكبير، العظيم، الجليل)، وهو الذي له كلُّ عظمة وكبرياء وجلال، ومعاني العظمة نوعان؛ أحدهما: أنه متَّصف بصفات المجد والعظمة والكبرياء، الثاني: أنه يستحق أن يعظَّمَ غاية التعظيم، ويخضع العبادُ لجلالِه وكبريائه، وإخلاص المحبة والعبودية له، ومِن كمال عظمته تنْزيهه عن كلِّ صفة نقْص، وتقديسه عن أن يُماثله أحدٌ مِن خلْقه.

ومن أسمائه: (الجليل، الجميل)، وما أحسن الجمع بينهما؛ فإن "الجليل" مَن له صفات الجلال والكبرياء والعظمة، و"الجميل" مَن له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وجمال المخلوقات بأَسْرها من آثار جَماله، وهو الذي أعطاهم الجمال، فمُعطي الجمال أحقُّ بالجمال، وهو جميل في أسمائه؛ لأنها كلها حُسنى، وجميل في صفاته؛ إذ كلها صفات كمال، وجميل في أفعاله، فلا أحسن منه حكمًا ولا وصفًا.

(11) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

ومن أسمائه العظيمة: (الحميد، المجيد)؛ فالحمد: كثرة الصفات والخيرات، والمجد: عظمة الصفات وسَعتها، فهو الحميدُ لكثْرة صفاته الحميدة، المجيد لعظمتها وعظمة مُلكه وسلْطانه، فهو يُقارب الجمع بين الجليل والجميل.

ومِن أسمائه الحسنى: (السميع، البصير)، الذي يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنُّن الحاجات، فالسرُّ عنده علانية، والبعيد عنده قريب، ويرى دبيبَ النملة السوداء في جوف الصخور في الليالي المظلمة، وجريان القوت في أعضائها وعُرُوقها الدقيقة الضئيلة، وسريان المياه في أغصان الأشْجار والنبات، ويرى خيانات الأعيُن، وما هو في أخفى الأمكنة.

ومن أسمائه الحسنى: (العليم)، الذي أحاط علمُه بكل شيء، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الواجبات والممتنعات والجائزات، وما في أقطار العالَم العلوي والسفلي، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

وهو - تعالى - لَم يزل ولا يزال (متكلِّمًا) بكلماته الكونية والشرعية، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]، صدقًا في الأخبار، وعدلاً في أوامرها ونواهيها، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27]، وكلامه - تعالى - نوعان: نوع بلا واسطة، كما كلَّم موسى وآدمَ وحواء ومحمدًا ليلة المعراج، ويكلم عباده في الآخرة وفي الجنة، ونوع بواسطة أنبيائِه ورسله.

ومن أسمائه: (القوي، العزيز، المتين، القدير)، ومعانيها مُتقارِبة، تقْتَضِي كمال قوتِه وعظمته وكبريائه، فلا يملك الخلْق نفعَه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، وكمال اقتداره على جميع الموجودات والمعْدُومات، وأنَّ جميع العالَم طوْع قُدرته ومشيئته، يَتَصَرَّف فيها بما يشاء وكيف يشاء؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: 65]، وهي عزة الامتناع والقوة والقهر والغلبة، كلها قد كملتْ لله الواحد القهار من جميع الوجوه.

ومن أسمائه: (الغني) بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا يحتاج إلى أحد من خلْقه بوجْه من الوُجُوه، فكلُّ المخلوقات مُفتقِرة إليه في إيجادها، وإعدادها، وإمدادها في أُمُور دينها ودنياها، في جلْب المنافع ودفْع المضار، وهو الذي أغناها وأقناها، ومِن كمال غناه أنه لَم يتخذْ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكنْ له كُفُوًا أحد، ومِن سعة غناه أن جميع الخيرات والعطايا والنِّعَم في الدُّنيا والآخرة والنعيم المقيم مما لا

عين رأتْ، ولا أُذُن سَمِعَتْ، ولا خطر على قلْب بشَر، قطرةٌ مِن بحر غناه وجُوده وكرمه، فهو الغنيُّ بذاتِه، المستغني عن جميع مخلوقاتِه، المغني لعباده، بما أدرَّه عليهم من الخيرات، وأنزله منَ البركات.

ومن أسمائه الحسنى: (الحكيم)، وهو الذي يضع الأُمُور مواضعها اللائقة بها، وله الأحكام الشرعية، والأحكام القدرية، وله الحكمة في شَرْعه، والحكمة في قدره، فأحكامه الشرعية هي ما جاءتْ به الرُّسل، وهي متعلق رضاه ومحبته، ومناط أمْره ونَهْيه، والأحكام الكونية القدرية وهي جميع التدابير - جليلها وصغيرها - الواقعة في العالَم العلوي والعالَم السفلي، وقد يجتمع في حقِّ المؤمن الحكمان إذا أطاع الله، وقد ينفرد الحكم القدري في وجودِ ما وُجد من المعاصي والمباحات، ولذلك يقال: مَن وافق الحكمَ الشرعي فقد وافق رضا الله - تعالى - ومحبته، فإن الله يحب المؤمنين والمتقين والصابرين، ومَن وافق حكمه القدري فقط، فإن كان معصية فله الذم والعقوبة؛ لمخالفته لأمر الله، وتجرُّئه على معاصيه، وإن كان مباحًا فلا له ولا عليه، ولكن قد يفوته من الخير ما هو بصَدد فعله.

والقضاء صفة لله، والله لا يوصَف إلا بكلِّ وصْفٍ جميل، والمقضي فعل الإنسان وصنعته، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم ومباح، فلذلك وجب التفصيل في الرضا بالقضاء، فالرضا بنفس ما يقدره ويرضاه - بقطع النظر عن فعل العبد - لازم، والرضا بالمقضي الذي هو فعل العبد فيه تفصيل بحسبه؛ إن كان خيرًا تعيَّن الرضاء به، وإن كان شرًّا تعين عدم الرضاء، فأحكام الربِّ القدرية والشرعية، وكذلك أحكام الجزاء، كلها متضمنٌ لها اسمُه (الحكيم)، وهو الذي له الحُكم بين عباده الذي لا حاكم إلا هو بالحق والعدل والحمد.

وأما الحكمة فهي: وضْـعُ الأشـياء مواضـعها، وتنزيلها منازلها اللائقة بها، وهو - تعالى - قد أتقن ما صـنعه، وأحسـن ما شـرعه، فالمخلوقاتُ كلها والشـرائعُ مشـتملات على الحِكَم والغايات الحميدة، كما أنها في نفسِـها في غاية الإحكام، فمِن أجَلِّ الغايات في ذلك أنه خَلَق الخلْق، وشرع الأمر؛ ليُعرَف بأسمائه وصـفاته، وليُعْبَد وحده لا شـريك له، ويُحمَد ويُشـكَر ويُثْنى عليه، ويُخلص له الدين، وكذلك ليبتليَ عباده أيهم أحسـن عملاً، وليجازيهم بأعمالهم؛ خيرها وشـرها، فالحكيمُ هو الحاكم بين عباده، في أقداره، وشـرائعه، وجزائه، وكون أحكامه في نفسـها جاريةً على الحكم والحق في أصلها وفرعها، وغاياتها وثمراتها، وتفصيل هذه الجمل كثير جدًّا.

(فصل)

ومن أسمائه: (الحليم، الحي، الستار، الصبور، العفو)، وكلُّ هذه الأسماء تتعلَّق بجرائم العباد وذنوبهم؛ فإنه - تعالى - الجوَاد المطلق مِن جميع الوجوه والاعتبارات، فكما أنه الجوَادُ بإعطاء الخيرات،

ونيل المواهب والهبات والبركات؛ فإنه الجوَاد بالحلْم عن العاصين، والسترْ على المخالفين، والصبْر على المحاربين له ولرسله المبارزين، والعفو عن الذنوب.

فالعبادُ يُبارزونه بالعظائم وبما يغضبه، وهو - تعالى - يُسدي إليهم النِّعَم، ويَصْرف عنهم النِّقَم، كأنهم لم يعصوه، ويعافيهم ويرزقهم كأنهم لم يزالوا يشْكُرونه، وكذلك لا يزالون مقيمين على ما يوجب أخذهم بالعقوبات المتنَوِّعة، وهو يُمهلهم ليتوبوا، ويذكرهم ليُنِيبُوا، والعبد يُجاهره بالمخالفات، والرب يستحي مِن فضيحته، ويسدل عليه ستْره القدَري، وستْره الشرعي: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: 45]، هذا مع كمال غناه عنهم، وكمال قُدرته عليهم، ونهاية حاجتهم وفَقْرهم إليه، واضطرارهم إليه في كلِّ لحظة ونَفَس.

وفي الحديث الصحيح: ((لا أحد أصبر على أذًى سمِعه منَ الله؛ يجعلون له الولَد، وهو يعافيهم ويرزقهم))، وفي الصحيحَيْن مرفوعًا: ((قال الله - تعالى -: كذَّبَني ابن آدم ولَم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك؛ أما تكذيبه إياي فقوله: إنَّ لي ولدًا، وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولَم يكنْ له كفُوًا أحدٌ، وأما شتمه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته))، هذا وهو - تعالى - يسمع ما يقولون، ويعلم ما تُكنُّ صدورهم وما به يَتَفَوَّهُون، وهو يُلاطفهم بنعَمِه، ويتَحَبَّب إليهم بكرمه، فيا ويح المعرضين عنه، ماذا حُرِموا من الخيرات؟ ويا سعادة المنقطعين إليه، ماذا ادّخر لهم من الألطاف والكرامات؟ ويا بؤس العاصين، ما أقل حياءهم! وأعظم شقاءهم! وأشد جرأتهم!

(فصل)

ومن أسمائه الحسنى: (الشهيد، والرقيب)، وهو المطَّلِع على ما في الضمائر، وأكَنَّتْه السرائر، ولحظته العيون، وما اختفى في خبايا الصدور، فكيف الأقوال والأفعال الظاهرة؟ ومقام الإحسان الذي هو مقام "المراقبة": التعبد لله بهذَيْن الاسمَيْن الكريمين، وحفظ الخواطر أن تُساكن ما لا يحب الاطلاع عليه.

ومن أسمائه: (الحفيظ)، وهو يَتَضَمَّن شيئين: حفظه على العباد جميع ما عملوه بعلمه، وكتابته، وأمره الكرام الكاتبين بحفْظه، وحفظه لعباده من جميع المكاره والشرور، وأخص من هذا حفْظه لخواص عباده الذين حفظوا وصيته، وحفظوه بالغيب بحفظ إيمانهم من النقْص والخلل، وحفظهم وحمايتهم من الخطل والزَّلل، وحفظه عليهم دينهم ودنياهم؛ قال النبي ρ ((احفظِ الله يحفظْك))[12]؛ أي: احفظ أوامرَه بالامتثال، ونواهيَه بالاجتناب، وحُدُوده لا تتعدها، يحفظْك في دينك ودنياك.

(12) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ومن أسمائه الحسنى: (اللطيف)، الذي لطف علمُه حتى أدرك الخفايا والخبايا، وما احتوتْ عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه وأصفيائه، فيسَّرهم لليُسرى، وجنبهم العُسرى، وسَهَّل لهم كل طريق يوصل إلى مَرْضاته وكرامته، وحفظهم مِن كلِّ سببٍ ووسيلة توصل إلى سخطِه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشْعرون بها، وقَدَّر عليهم أمورًا يكرهونها لينيلهم ما يُحبون، فلطف بهم في أنفسهم، فأجراهم على عوائده الجميلة، وصنائعه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم، لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح، فاللطيف مُقارب لمعاني الخبير الرَّؤُوف الكريم.

ومن أسمائه: (الرفيق) في أفعالِه وشرعه، ومَن تأمَّل ما احتوى عليه شرعه منَ الرِّفْق، وشرع الأحكام شيئًا بعد شيء، وجريانها على وجْه السداد واليُسْر، ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة؛ إذ خلق الخلق أطوارًا، ونقلهم من حالة إلى أخرى لحِكَمٍ وأسرار لا تُحيط بها العقول، وهو - تعالى - يُحب من عباده أهلَ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وييسر من جرى على ما يحبه أمورَه كلها.

والرفق منَ العبد لا يُنافي الحزم، فيكون رفيقًا في أمورِه متأنيًا، ومع ذلك لا يفوِّت الفرَص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضتْ.

ومن أسمائه: (المجيب) لجميع الداعين، وإجابة خاصة للمضطرين، وأخص من ذلك إجابته للمحبِّين الخاضعين لعظمته، المنكسرة قُلُوبهم من أجله، فإجابته - تعالى - عامة للمخلوقات بَرها وفاجرها، بإعطائهم ما سألوه بلسان المقال، وما احتاجوه بلسان الحال؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34]، والإجابة المذكورة أسبابها في الكتاب والسنة كإجابته للمضطرين وللمحبين، والوالد لولده، والمسافر والمريض، ونحوهم.

ومن أسمائه (المغيث)، وهو المنْقِذ منَ الشدائد الفادحة والكروب؛ ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 63].

ومن أسمائه الحسنى: (الجواد، الكريم، الوهاب)، الذي عمَّ بِجُوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمةٍ فمنه، وهو الذي إذا مسَّهُم الضرُّ فإليه يرجعون، وبه يَتَضَرَّعون، فلا يخلو مَخْلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ عليهم من الأساليب المقتضية لجُوده وكرمه، وأعظمُها تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية والمالية، وتحقيقها باتِّباع محمد ρ في الحركات والسكنات.

فصل

ومن أسمائه الحسنى (الودود) بمعنى الوادّ، وبمعنى المودود، فهو المحبوب لأنبيائه ورسله وأتباعهم محبة لا يُشبهها ولا يُماثلها شيءٌ منَ المحابِّ، كما أن محبوبهم ليس كمثله شيء في كماله، فلا يرون كمالاً لهم ولا صلاحًا ولا فلاحًا إلا بمحبة ربِّهم، ومحبتُه في قلوبهم أحلى من كلِّ شيء، وألذُّ من كل شيء، وأقوى من كل شيء، وبقوة محبته قاموا بعبوديته الظاهرة والباطنة، وروح العبودية هي المحبة، وهو الذي وضع هذه المحبةَ في قلوبهم فأحبوه، وكل مَن كانتْ محبته أكمل كانتْ عبوديته لله أقوى وأتم، يحبون ربهم لذاته، ويُحبونه لما قام به منْ صفات الكمال ونُعُوت الجلال والجمال، ويحبونه لما يغذوهم به مِن نِعَمِه الظاهرة والباطنة، وخصوصًا أكبر النعم، وهي نعمة الإسلام الخالص، والإيمان الكامل، وهو - تعالى - يحبهم لكمال إحسانه، وسعة برِّه؛ بل حبهم لله - تعالى - محفوف بحُبَّيْن منه لهم: حب وضعه في قُلُوبهم، فانقادوا له طَوْعًا، واطمأنَّتْ به قُلُوبهم، ثم أحبهم جزاء حبهم، وكمل لهم محبته، والفضْل كله منه، والمنَّة لله أولاً وآخرًا، فمَن تقَرَّب منه شبرًا تقَرَّب الله منه ذراعًا، ومَن تقَرَّب منه ذراعًا تقرَّب منه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه الله هرْولة، كما نطق به الصادِقُ المصدوق.

ومن أسمائه الحسنى: (الشكور)، وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقِي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً؛ بل يُضاعفه أضعافًا مضاعفة، بغير عدٍّ ولا حساب.

ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبْد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجبٌ بمقتضى أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحقَّ على نفسه؛ كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله - تعالى.

ومن أسمائه الحسنى: (الغفور، الغفار، التواب)، الذي يغفر ذنوب التائبين، الغفَّار لِمَنْ تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى، الرجاع لعباده بالخيرات، وحلول البركات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، وتوبة العبد محفوفة بتوبتَيْن مِن ربه: تاب عليه أولاً، فأقبل بقلبه على التوبة والإنابة والرجوع، ثم تاب عليه ثانيًا بالقبول والجزاء الإحسان.

فصل

ومن أسمائه الحسنى: (الصمد)، وهو الذي صمدت له المخلوقات بحاجاتها وملمَّاتها الدقيقة والجليلة؛ وذلك لكمال عظمته، وسعة جُوده وسلطانه، وعظمة صفاته.

ومن أسمائه: (القهار، الجبار)، وهو القويُّ العزيز الذي قهر المخلوقات كلَّها، ودانتْ له الموجودات بأَسْرها، ومن لوازم قهره أنه يقتضي أنه كامل الحياة والعلم والقدرة، والجبارُ بمعنى القهار، وبمعنى أنه

يَجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويَجبر القلوبَ المنكَسِرة مِن أجله، ويجبر عبده المؤمن بإصلاح حاله، وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى المتكبِّر عن كل نقص وسوءٍ ومثال.

ومن أسمائه: (الحسيب)، بمعنى الرقيب، المحاسِب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدْل والفضل، وبمعنى الكافي عبدَه همومَه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيبُ للمتوكلين؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]؛ أي: كافيه أمور دينه ودنياه.

وهو (الرشيد)، وهو الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مُرْشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلْق بما شرعه على ألسنة رسله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له، وأخلص عمله، أرشده إلى جميع مصالحه، ويسَّره لليسرى، وجنَّبه العُسْرى.

ومن أسمائه: (الحكَم، العدل)، الذي إليه الحكم في كل شيء، فيحكم - تعالى - بشرْعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، منَ الطرُق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيهم بأحكام القضاء والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمتُه، ويضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة.

فصل

ومن أسمائه: (القُدُّوس والسلام)، وهو المعظم المقدس عن كلِّ عيب، السالم مِن كلِّ نَقْص، ومن أن يكون له مثل أو كفو أو نديد أو سَمِي؛ وذلك لكماله وكمال أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ومن أسمائه: (الفتاح)، وفتحه نوعان: فتح بأحكامه القدرية والشرعية والجزائية، وهو حكمه بين عباده، يشرع الشرائع، ويسن لعباده الأحكام والوسائل والطرق التي يهتدون بها إلى جميع منافعهم ومصالحهم، ويحكم بين الرُّسُل وأتباعهم وبين أعدائهم، فيكرم الرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، ويهين أعداءهم، ويكون هذا أكبر دليل على أن هؤلاء على الحق، وأولئك على الباطل.

والنوع الثاني: فتحه لعباده الرحمة والبركات؛ قال - تعالى -: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 2]، ويفتح لعبده المؤمن أبواب المعارف، وحلاوة الإيمان، وسرور اليقين، وسهولة الطاعات، وتيسير القربات، اللهمَّ افتح علينا فتوحك على العارفين.

ومن أسمائه: (الرزاق) لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متَمَتِّع برزقه، مغمور بكرَمه، ورزقه نوعان: أحدهما الرِّزق النافع الذي لا تبعة فيه، وهو موصل للعبد إلى

أعلى الغايات، وهو الذي على يد الرسول ρ بهدايته وإرشاده، وهو نوعان أيضًا: رِزْق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح؛ فإن القلوب لا تصلح ولا تفلح ولا تشبع حتى يحصلَ لها العلمُ بالحقائق النافعة، والعقائد الصائبة، ثم التحقق بالأخلاق الجميلة، والتنَزُّه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيلٌ بالأمر على أكمل وجْه؛ بل لا طريق لها إلا من طريقه.

والنوع الثاني: أن يغنيَ الله عبده بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه، والأول هو المقصود الأعظم، وهذا وسيلة إليه ومعين له، فإذا رَزَقَ اللهُ العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه، فقد تمَّت أموره، واستقامتْ أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحتْه النصوص النبوية، واشتملتْ عليه الأدعية النافعة.

وأما النوع الثاني: وهو إيصال الباري جميع الأقوات التي تتغذى بها المخلوقات؛ برها وفاجرها، المكلفون وغيرهم، فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال، وهذا فصل النزاع في مسألة: هل الحرام يسمى رزقًا أم لا؟ فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعة فيه، فلا يدخل فيه الحرام، فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه، فلا يريد به إلا الرزق النافع في الدين والبدن، وهو النوع الأول، وإن أريد به مطلق الرزق، وهو النوع الثاني، فهو داخل فيه، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ومثل هذا يُقال في النعمة والرحمة ونحوها.

ومن أسمائه الحسنى: (النور)، فالنور وصْفه العظيم، فأسماؤه حسنى، وصفاته أكمل الصفات، وأفعاله – تعالى – رحمة وحمد وحكمة، وهو نور السموات والأرض، وبنوره استنارتْ قلوب المؤمنين، وبنوره استنارتْ جنات النعيم، وحجابه نور، لو كشفه لأحرقتْ سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان: نور حسي كنورِ الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات، المدرك نورها بالأبصار، والثاني: نور معنوي، وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإنَّ لها نورًا في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة، ومواجيد الإيمان، وحلاوة الطاعة، وسرور المحبة، وهذا النور هو الذي يمنع صاحبه من المعاصي ويجذبه إلى الخير، ويدعو إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ρ: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، اللهُمَّ أعطني نورًا، وزدني نورًا»[13].

وهذا النور الذي يعطيه الله عبدَه أعظمُ منَّة منه عليه، وهو أصْـــل الخير، وهذا النور مهما قَوِيَ فإنه مخلوق، فإياك أن تضـــعف بصـــيرتك، ويَقِلَّ تمييزك وعلمك، فتظن هذا النور نور العيان،

(13) رواه مسلم.

ومشاهدة القلب لنوع الذات المقدسة؛ وإنما هو نور المعرفة والإيمان، ويبتلى بهذا بعض الصوفية الذين تَرِد عليهم الواردات القوية، فيقع منهم من الشطح والخطل ما ينافي العلمَ والإيمان، كما أن كثيف الطبع، جافي القلب قد تراكمتْ عليه الظلمات، وتوالتْ عليه الغفلات، فلم يكن له من هذا النور حظٌّ ولا نصيب؛ بل ربما ازدرى من سفاهة عقله وقلة وجده هذه الأحوالَ، وزهد فيها، فمتى منَّ الله على العبد بمعرفة صحيحة متلقَّاة من الكتاب والسنة، وتفقَّه في أسماء الله وصفاته وتعبد لله بها، واجتهد أن يحقق مقام الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، ولهج بذكر الله - تعالى - استنار قلبُه، وحصل له من لذة المعرفة، ومواجيد الإيمان أعظم اللذات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فصل

ومن أسمائه الحسنى: (المقَدِّم والمؤخِّر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع)، من أسمائه الحسنى ما يؤتى به مفردًا، ويؤتى به مقرونًا مع غيره، وهو أكثر الأسماء الحسنى، فيدل ذلك على أنَّ لله كمالاً من إفراد كلٍّ منَ الاسمين فأكثر، وكمالاً من اجتماعهما أو اجتماعها.

ومن أسمائه ما لا يؤتى به إلا مع مقابلة الاسم الآخر؛ لأنَّ الكمال الحقيقي تمامه وكماله من اجتماعهما، وذلك مثل هذه الأسماء، وهي متعلِّقة بأفعاله الصادرة عن إراداته النافذة، وقدرته الكاملة، وحكمته الشاملة، فهو - تعالى - المقدِّم في الزمان والمكان والأوصاف الحسية، والمقدم في الفضائل والأوصاف المعنوية، والمؤخِّر لمن شاء في ذلك، المعطي من شاء من القوة والقوى الحسية والعقل والمعارف والكمالات المتنوعة، المانع لمن يشاء ممن لا يستحق ذلك، وهو - تعالى - النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكَوْنيَّة وللأسباب التي جعلها موصلة إلى مسبباتها، فإن الله - تعالى - جعل مقاصد للخلق وأمورًا محبوبة في الدين والدنيا، وجعل لها أسبابًا وطرقًا، وأمر بسلوكها، ويسَّرها لعباده غاية التيسير، فمن سلكها أوصلتْه إلى المقصود النافع، ومن تركها أو ترك بعضها، أو فوَّت كمالها، أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب فلا يلومنَّ إلا نفسَه، وليس له حجة على الله، فإن الله أعطاه السمع والبصر والفؤاد والقوة والقدرة، وهداه النجدين، وبيَّن له الأسباب والمسببات، ولم يمنعه طريقًا يوصل إلى خيرٍ ديني ولا دنيوي، فتخلفه عن هذه الأمور يوجب أن يكون هو الملومَ عليها، المذموم على تركها.

واعلم أن صفات الأفعال التي منها هذه الأسماء كلها متعلِّقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها قائمة بالله، والله متَّصف بها،

وآثارها ومقتضياتها جميع ما يصدر عنها في الكون كله من التقديم والتأخير، والنفع والضر، والعطاء والحرمان، والخفض والرفع، لا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينيِّها ودنيويِّها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال، لا كما ظنَّه أهلُ الكلام الباطل: أن الفعلَ هو عين المفعول، وأنه لم يقم بالله منها وصْف، فهذا مخالفٌ للعقل والنقل، وقول متناقِض في نفْسه، فإنَّ الآثار تدل على المؤثر، كما أنَّ الوصف يدلُّ على الأثر، فهما شيئانِ متلازِمان لا ينفَكُّ أحدهما عن الآخر، دلَّ الكتابُ والسنة والعقلُ على ذلك، فمَن فرَّق بينهما فأثبت المفعول ونفى الفعل، فقوله غير معقول ولا منقول.

واعلم أن الأفعال الاختيارية للباري نوعان: نوع متعلِّق بذاته المقدسة؛ كالاستواء على العرش، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، والمجيء والإتيان ونحوها، ونوع متَعلِّق بالمخلوقات؛ كالخلق والرزق، والعطاء والمنْع، وأنواع التدابير الكونيَّة والشرعيَّة، والله أعلم.

فصل

أسماء الله كلها حسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق، والحمد المطلق، وكلها مشتَّقة من أوصافها، فالوصْفُ فيها لا ينافي العَلَميَّة، والعلمية لا تُنافي الوصْف، ودلالتها ثلاثة أنواع:

دلالة مطابقة: إذا فسَّرنا الاسم بجميع مدلوله.

ودلالة تضمُّن: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ودلالة التزام: إذا اسْتَدْلَلْنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها.

فمثلاً: (الرحمن)، دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابقة، وعلى أحدهما دلالة تضمن؛ لأنها داخلة في الضِّمن، ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمةُ إلا بثبوتها؛ كالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، ونحوها دلالةُ التزام.

وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكْر وتأمُّل، ويتفاوَت فيها أهلُ العلم، فالطريقُ إلى معرفتها أنك إذا فهمتَ اللفظ، وما يدل عليه من المعنى، وفهمته فهمًا جيدًا، ففكر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه، وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية، فدلالاتها الثلاث كلها حجة؛ لأنها معصومة مُحكمة.

فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين
وذكر أقسام المُلْحدين

وهذا الفصْل في نفي الإلحاد في أسماء الله وصفاته من تمام إثبات صفات الكمال، وتفرُّد الرب بنعوت العظَمة والجلال، فعلى العبد المؤمن أن يحقِّقها علمًا وتعبُّدًا لله بها، ونفيًا للإلحاد فيها، وحقيقةُ الإلحاد فيها هو الميْل بها عن الاستقامة؛ إما بإثبات المشارَكة فيها لأحد من الخلْق، كإلحاد المشركين

الذي اشتَقّوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يَصْلح إلا لله؛ كتسميتهم اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز، ومناة منَ المنَّان، وكل مُشْرك تعلَّق بمخلوقٍ اشتقَّ لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما برَّر له عبادته.

وأعظم الخلق إلحادًا طائفة الاتحادية، الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكلُّ اسمٍ مَمْدُوح أو مذموم يُطلق على الله عندهم - تعالى الله عن قَوْلهم علوًّا كبيرًا.

وإما نفي صفات الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها، كما فعل الجهمية، ومن تفرَّع عنهم.

وإما بِجَحْدها وإنكارها رأسًا، إنكارًا لوجود الله كما فعل زنادقة الفلاسفة، فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم، ويَمَّمُوا طُرُق الجحيم.

فصل في النوع الثاني

من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المعطِّلين

وهذا النوع يُسمى توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وهو: إفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة، وحقيقة هذا التوحيد هو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشره، والتقرُّب إلى الله بمعرفة ذلك وفهمه واعتقاده؛ فإنه أصلُ التوحيد وأساسه، ثم القيام التام بعبودية القلْب، وهو قوة الإنابة إلى الله، بمحبته، وخوفه، ورجائه، وسائر أعمال القلوب، ثم القيام بالصلاة فرضها ونفلها، والزكاة والصدقة، والصيام والحج، والعمرة والجهاد في سبيل الله بالقول والفعل، وأداء حقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحبة، وترك ما يكرهه الله ورسوله من المحرَّمات والمكروهات، وإخلاص ذلك كله لله - تعالى - فكلُّ هذا داخلٌ في عبادة الله وتوحيده، ولا يتم ذلك إلا بتكميلها بالصِّدق، وهو الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه وأحسنها، وأن تكونَ موافِقة لمرضاة الله، وما شرعه رسوله، فهذه الثلاث - الإخلاص، والمتابعة، والصِّدْق - مَن اجتمعتْ له تَمَّ له هذا التوحيد؛ فإنَّ الإخلاص ينفي الشِّركَ الأكبر الجلي، وهو صرْف نوعٍ من العبادة لغَيْر الله، واتخاذ نِدّ مع الله، وكمال الإخلاص ينفي الشرك الأصغر في الألفاظ، ووسائل الشرك، والصِّدق ينفي الكسل والفتور ونقصان العمل، والمتابعة تنفي البدَع القولية الاعتقادية، والبدَع الفعلية، فبهذا يتَحقَّق التوحيد، وكمال هذا بتكميل محبة الله، وتقديمها على كل محبة، ومحبة ما يُحبه الله، وكراهة ما يَكْرهه الله من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة.

1 - 2 وبراهين هذا التوحيد أقوى البراهين: براهينه العلم بتفرُّد الرب بالربوبية والعظمة والكبرياء والسلطان، وأنه ما بالعباد من نعمة ظاهرة وباطنة إلا منه، وهو الذي يأتي بالحسَنات، ويدفع

السيئات، وهو المنفِّس لكُرَب المكروبين، وإغاثة المضطرين، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

3 - 4 ومن براهينه أن جميع الكتب السماوية وجميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - دعَوا إلى توحيده، وإخلاص العمل له، وأنه مرْكوز في عُقُول جميع العقلاء - التي لَم تغيِّرْها العقائد الباطلة - وجوبُ عبادته وحده لا شريك له، ووجوب حمده وشكره وإخلاص العمل له.

5 - ومن براهينه معرفة أوصاف ما عُبِدَ من دونه من جميع المخلوقين، وأنه ليس فيهم من خصائص الإلهية شيء؛ بل هم ناقصون فقراء عاجزون؛ ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 5، 6].

فنسأل الله الكريمَ الوهاب أنْ يملأ قلوبنا مِن معرفته ومحبته وإخلاص الدِّين له، وأن يكملَ لنا توحيده بقوة الإنابة إليه، والشوق إلى لقائه، والتلذُّذ بخدمته، واللهج بذكره، وأن يُحبِّب إلينا الإيمان، ويزينه في قلوبنا، ويكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلنا من الراشدين؛ إنه جواد كريم.

6- الطريق إلى العلْم بـ(أنه لا إله إلا الله)

قال - تعالى -: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]، العلْم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته؛ بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عينٍ على كلِّ إنسان، لا يسقط عن أحد كائنًا من كان؛ بل كلٌّ مضطرٌّ إلى ذلك، والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها - بل أعظمها -: تدبُّر أسمائه وصفاته وأفعاله الدَّالَّة على كماله وعظمته وجلاله؛ فإنها توجب بذْل الجُهد في التألُّه له، والتعبُّد للرب الكامل، الذي له كل حَمْد ومَجْد، وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه - تعالى - هو المنْفرد بالخَلْق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرِد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنِّعَم الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلُّق القلب به، ومحبته والتألُّه له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنِّعَم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإنَّ هذا داعٍ إلى العلم بأنه - تعالى - وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبِدَتْ من دون الله، واتُّخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا ينصرون مَن عبَدَهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير، أو دفْع شر؛ فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله، وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتِّفاق كُتُب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلْق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقًا وعقولاً ورأيًا وصوابًا وعلمًا - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيُّون - قد شَهِدُوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله منَ الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه، فهذه الطرُق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها، عند تأمُّل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعتْ وتواطأتْ، واتفقتْ وقامتْ أدلة للتوحيد مِن كلِّ جانب؟! فهناك يرسُخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد؛ بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تُزلزله الشُّبَهُ والخيالات، ولا يزداد على تَكرار الباطل والشبه إلا نموًّا وكمالاً.

هذا، وإن نظرْت إلى الدليل العظيم والأمر الكبير - وهو تدبُّر هذا القرآن العظيم، والتأمُّل في آياته - فإنه الباب الأعظم إلى العلْم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره[14].

7- شُرُوط "لا إله إلا الله"

1 - الأول: العلم بمعناها بأنه لا معبود بحقٍّ إلا الله، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهِل بمدلولها.

2 - الثاني: اليقين المنافي للشك؛ لأنَّ من الناس من يقولها، وهو شاكٌّ فيما دلَّتْ عليه من معناها.

3 - الثالث: الإخلاصُ المنافي للشرك، فإن لم يخلص أعماله كلها لله، فهو مُشرك شركًا ينافي الإخلاص.

4 - الرابع: الصِّدْق المنافي للنفاق؛ لأن المنافقين يقولونها، ولكنهم لَم يطابق ما قالوه ما يعتقدونه، فصار قولهم كذبًا لِمُخالفة الظاهر للباطن.

5 - الخامس: القَبُول المنافي للرد؛ لأن منَ الناس مَن يقولها مع معرفة معناها، ولكن لا يقبل ممن دعاه إليها، إما كبرًا أو حسدًا، أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول، فتجده يُعادي أهل الإخلاص، ويُوالي أهل الشِّرك ويحبهم، والمرء مع مَن أحب يوم القيامة.

6 - السادس: الانقياد المنافي للترْك؛ لأن منَ الناس من يقولها، وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها؛ من الولاء والبراء، والعمل بشرائع الإسلام، ولا يلائِمُه إلا ما وافق هواه، أو تحصيل دنياه، وهذه حال كثير من الناس.

7 - السابع: المحبة المنافية للبُغض، فتجب محبة الله بكلِّ القلب، وإرضاؤه بكل الجهد.

8 - الثامن: مِن شروط لا إله إلا الله: الكفر بما يعبد مِن دون الله؛ قال ρ: ((مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ مالُه ودمه، وحسابه على الله - عز وجل))[15]، فلا بد لعصمة الدم والمال مع قول: لا إله إلا الله، من الكفر بما يعبد من دون الله كائنًا من كان[16].

8- محبة الله - أسبابها - علاماتها - نتائجها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، وبعدُ:

(14) من "تفسير ابن سعدي"، جـ 7، ص 166 - 167، ط 1.

(15) رواه مسلم في صحيحه.

(16) انظر "مجموعة التوحيد"، ص 172.

فإن من واجبات الإيمان ولوازمه محبةَ الله - تعالى - ومحبة رسوله، ومحبة عباده المؤمنين، ومحبة ما يُحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح، وتوابع ذلك، وبُغضَ ما يبغضه الله من الكفر والفُسوق والمعاصي، وبُغض أعداء الله منَ الكفَرة والمشركين والعُصاة والملْحدين، فالحبُّ في الله، والبُغض في الله، والموَالاة في الله، والمعاداة في الله - أوثقُ عُرى الإيمان، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله - تعالى - والمرءُ مع مَن أحب يوم القيامة، كما وردت السُّنة بذلك، فمحبةُ الله - تعالى - ورسوله ρ مقدَّمةٌ على محبة الأولاد والأموال والنفوس؛ قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، أمر الله نبيَّه ρ أن يتوعَّد مَن أحب أهلَه وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه، فآثرها - أو بعضها - على فعل ما أوْجَبه الله عليه من الأعمال التي يُحبها الله - تعالى - ويرضاها؛ كالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: أي انتظروا ماذا يحل بكم مِن عقابه، والوعيد لا يقع إلا على فرْضٍ لازم، وحتْم واجبٍ؛ وفي الصحيحَيْن عن أنس: أنَّ رسول الله ρ قال: ((والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه مِن ولده، ووالده، والناس أجمعين))، وفي الصحيحَيْن أيضًا: أن عمر بن الخطاب τ قال: يا رسول الله، والله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء، إلا من نفسي، فقال: ((لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك))، فقال: والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال: ((الآن يا عمر)).

ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعةٌ لمحبة الله - جل وعلا - لازمة لها، فإنَّ الرسول إنما يُحَب مُوافقةً لمحبة الله له، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتِّباعه، فمَن ادعى محبة النبي بدون متابعته، وتقديم قوله على قول غيره، فقد كذَب؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 47]، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الله ورسوله، فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبته ρ على الأنفُس والأولاد والآباء والخلْق كلهم، فما الظن بمحبة الله - عز وجل؟ وقد جعل النبي ρ تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان، ومن علامات وُجود حلاوة الإيمان في القلوب؛ ففي الصحيحين عن أنس عن النبي ρ قال: ((ثلاث مَن كنَّ فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار))، قال النووي: معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمُّل المشاق، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفِعْل طاعته، وترْك مُخالفته، وكذلك الرسول ρ قال ابن رجب - رحمه

الله -: ومحبة الله - سبحانه - على درجتَيْن؛ أحدهما: فرْض لازم، وهي أن يحب الله - سبحانه - محبة توجِب له محبة ما فرَضه الله عليه، وبُغض ما حرَّمه عليه، ومحبة رسوله المبلِّغ عنه أمْرَه ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق، والرِّضا بما بلَّغَه عن الله من الدِّين، وتلقي ذلك بالرِّضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان لله - عز وجل - وبُغض الكفار والفجَّار لله - عز وجل - وهذا القدْر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومَن أخلَّ بشيء منه، فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك؛ قال الله - تعالى -:﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وكذلك ينقص مِن محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك، فإنَّ المحبة الواجبة تقتضي فِعل الواجبات، وترْك المحرَّمات، ولهذا المعنى كان الحبُّ في الله والبُغض في الله مِن أصول الإيمان. ا. هـ[17].

وخرَّج التِّرمذي مِن حديث معاذ بن أنس الجهني، عن النبي ρ قال: ((مَن أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانه))؛ وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه: ((وأنكح لله))، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، وخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: "مَن أحب لله، وأبغض لله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمان، وإن كثرتْ صلاتُه وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارتْ عامة مؤاخاة الناس على أمْر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا"؛ أي: لا ينفعهم بل يضرهم، كما قال - تعالى -: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67].

قال في "فتح المجيد": "فإذا كانت البلوى قد عمَّت في هذا في زمن ابن عباس خير القرون، فما زاد الأمْر بعد ذلك إلا شِدة، حتى وقعت الموالاة على الشرْك والبدَع، والفسُوق والعصيان، وقد وقع ما أخبر به ρ بقوله: ((بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ))[18]، فلا بد من إيثار ما أحبَّه الله من عبده وأراده، على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه، ويوالي فيه ويُعادي فيه، ويتابع رسوله ρ وبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله، التي هي من كمال التوحيد، وبين المحبة مع الله، التي هي محبة الأنداد من دون الله، لما يتعلَّق في قُلُوب المشركين مِن الإلهية، التي لا تجوز إلا لله وحده، قال ابن رجب - رحمه الله -: الدرجة الثانية منَ المحبَّة لله درجة السابقين المقرَّبين، وهي أن ترتقي المحبةُ إلى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهَة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرِّضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلِم النفوسَ منَ المصائب، إلى أن قال: فقد

(17) من كتاب "استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس"، لابن رجب.

(18) رواه مسلم.

تبيَّن بما ذكرناه: أنَّ محبة الله إذا صدقتْ أوجبتْ محبةَ طاعته وامتثالها، وبُغض معصيته واجتنابها، وأما الأسباب التي تستجلب بها محبة ربِّ الأرباب، فمِن ذلك:

1 - معرفة نِعَم الله على عباده، التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى؛ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34]، وقد جُبلت القلوب على محبة مَن أحسن إليها، والحب على النِّعَم من جملة شكر المنْعم، ولهذا يقال: إن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

2 - ومن الأسباب أيضًا: معرفة الله - تعالى - بأسمائه وصفاته وأفعاله، فمَن عرف الله أحبَّه، ومَن أحب الله أطاعه، ومَن أطاع الله أكرمه، ومَن أكرمه الله أسكنه في جِواره، ومَن أسكنه في جواره فطُوبى له.

3 - ومِن أعظم أسباب المعرفة الخاصة: التفكُّر في مَلكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، وفي القرآن شيءٌ كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته، وجلاله وكماله وكبريائه، ورأفته ورحمته، وبطشه وقهْره وانتقامه، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، فكلَّما قويتْ معرفة العبد بالله، قويتْ محبته له ومحبته لطاعته، وحصلتْ له لذَّة العبادة من الصلاة والذِّكْر وغيرهما على قدر ذلك.

4 - ومن الأسباب الجالبة لمحبَّة الله - عز وجل - مُعامَلة الله بالصِّدق والإخلاص، ومُخالفة الهوى؛ فإن ذلك سبَب لفَضْل الله على عبده، وأن يمنحه محبته.

5 - ومن أعظم ما تستجلب به المحبة: كثرة ذِكر الله - تعالى - فمَن أحب شيئًا أكثر من ذكره، وبذكر الله تطمئنُّ القلوب، ومِن علامة المحبة لله دوام الذِّكْر بالقلْب واللسان.

6 - ومن أسباب محبة الله لعبده: كثرة تلاوة القرآن الكريم، بالتدبُّر والتفكُّر، ولا سيما الآيات المتضمنة لأسماء الله وصفاته، وأفعاله الباهِرة، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له.

7 - ومن أسباب المحبة تذكُّر ما ورد في الكتاب والسنة مِن رؤية أهل الجنة لربهم، وزيارتهم له، واجتماعهم يوم المزيد، فإن ذلك تستجلب به المحبة لله - تعالى[19].

وذكر ابن القيم - رحمه الله - أن الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده ومحبة العبد لربه عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبُّر لمعانيه، وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله - تعالى - بالنوافل بعد الفرائض، كما في الحديث القدسي: ((ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه))[20].

(19) انظر المرجع السابق ص 22 - 30.

(20) رواه البخاري.

الثالث: دوام ذكْره على كل حال باللسان، والقلب، والعمل، والحال، فنصيبه منَ المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار محابِّه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مُطالعة القلْب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مُشاهدة بره وإحسانه ونعَمه الظاهرة والباطنة.

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلْوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالَسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايِب ثمرات كلامهم، ولا تتكلَّم إلا إذا ترجَّحَتْ مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مُباعدة كل سبب يحول بين القلْب وبين الله - عزَّ وجل - فمِن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب. ا هـ[21].

هذا، ومن علامات المحبة الصادقة لله ولرسوله: التزام طاعة الله، والجهاد في سبيله، واستحلاء الملامة في ذلك، واتِّباع رسوله؛ قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وصف - سبحانه - المحبِّين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة على المؤمنين، والمراد بها: لِين الجانب والرأفة والرحمة للمؤمنين، وخفْض الجناح لهم؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يُحِبُّون أحبابه، ويعودون عليهم بالعطف والرحمة.

الثاني: العزَّة على الكافرين: والمراد بها الشِّدة والغلْظة عليهم، كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: 9]، وهذا يرْجع إلى أنَّ المحبين له يبغضون أعداءَه، وذلك مِن لوازم المحبة الصادقة.

الثالث: الجهاد في سبيل الله، وهو مُجاهَدة أعدائه بالنفس واليد، والمال واللسان، وذلك أيضًا مِن تمام مُعاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة.

(21) "مدارج السالكين"، جـ3، ص17 - 18.

الرابع: أنهم لا يَخافون لَوْمة لائم، والمراد أنهم: يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال، ولا يُبالون في الله لومةَ مَن لامهم في شيء إذا كان فيه رضا ربهم، وهذا مِن علامات المحبة الصادقة: أن المحب يشتغل بما يرضى به حبيبه ومولاه، ويستوي عنده مَن حمده في ذلك أو لامه.

الخامس: مُتابعة الرَّسول ρ وطاعته، واتباعه في أمره ونهيه، وقد قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: 24]، والمراد: أن الله لا يوصل إليه إلا عن طريق رسوله ρ باتِّباعه وطاعته.

قال ابن رجب: ومحبة الرسول على درجتين:

إحداهما: فرْض، وهي المحبة التي تقتضي قَبول ما جاء به الرسول ρ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرِّضا، والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتِّباع له، فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه منَ المحرَّمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه، بحسب القُدرة، فهذا القدر لا بُدَّ منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل: وهي المحبة التي تقتضي حُسن التأسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسنَّته في أخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوُّعاته، وأكْله، وشُربه، ولباسه، وحُسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة والراقية، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذِكْره، وكثرة الصلاة والسلام عليه، لما سكن في القلب من محبته، وتعظيمه، وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداءُ به في زُهده في الدنيا الفانية، والاجتزاء باليسير منها، والرغبة في الآخرة الباقية. ا هـ[22].

ومِن علامات محبة الله ورسوله: أن يحبَّ ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويؤثِر مرْضاته على ما سواه، وأن يسعى في مرضاته ما استطاع، وأن يبعدَ عما حرَّمه الله، ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسولَه ρ ويمتثل أمره، ويترك نهيه، كما قال – تعالى –: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، فمَن آثر أمرَ غيرِه على أمْرِه، وخالف ما نهى عنه، فذلك علَمٌ على عدم محبته لله ورسوله؛ فإنَّ محبة الرسول مِن لازم محبة الله – كما تقدم – فمَن أحب الله وأطاعه، أحب الرسول وأطاعه، ومحبة الله تستلزم محبةَ طاعته؛ فإنه يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولا بد.

ومِن لازم محبة الله أيضًا: محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده؛ فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان، ومَن أحب الله – تعالى – أحب فيه، ووالى أولياءه، وعادى

(22) من كتاب "استنشاق نسيم الأنس".

أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه، ونصر أنصاره، وكلما قويتْ محبة العبد لله في قلبه، قويتْ هذه الأعمالُ المترتّبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد العبد.

هذا، وقد نهى الله – سبحانه – عن موالاة أعدائه في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن، وأخبر أن موالاتهم تُنافي الإيمانَ بالله وكُتبه ورسله واليوم الآخر، وأنها سبب للفِتنة والفساد في الأرض، وأن من والاهم ووادَّهم فليس من الله في شيء، وأنه من الظالمين الضالين عن سواء السبيل، وأنه مستوجب لسخط الله، وأليم عقابه في الآخرة؛ والآيات في هذا كثيرة، منها: قول الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾ إلى قوله – تعالى –: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:1].

2 – قوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...﴾ [المائدة: 51][23].

فمَن أطاع الرسول ووحَّد الله، لا يجوز له موالاةُ ومحبة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب؛ قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23]، وفي النص على الأقارب دليلٌ على أن مُصارمة من سواهم من الكفار مطلوبة بطريق الأَوْلى والأحرى، وقال – تعالى –: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

قال البغوي – رحمه الله تعالى –: أخبر الله أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار، وأن مَن كان مؤمنًا لا يُوالي مَن كفر، وإن كان مِن عشيرته.

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة: أخبر – سبحانه وتعالى – أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرًا، فمَن واد الكفار فليس بمؤمن؛ ا. هـ، وقال – تعالى –: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: 113]، والركون: هو المحبة والميل بالقلب.

إذا عُلم تحريم مُوالاة أعداء الله – تعالى – وموادتهم، فليعلم أيضًا أنَّ الأسباب الجالبة لِموالاتهم وموادتهم كثيرة جدًّا، ومن أقربها وسيلةً مساكنتُهم في الديار، ولا سيما في ديارهم الخاصة بهم، ومخالطتهم في الأعمال، ومجالستهم ومُصاحبتهم وزيارتهم، وتولي أعمالهم، والتزيي بِزيِّهم والتأدُّب بآدابهم، وتعظيمهم بالقوْل والفعل، وكثيرٌ مِن المسلمين واقعون في ذلك!

(23) انظر: كتاب "تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران"، للشيخ حمود بن عبدالله التويجري.

وقد وردتْ أحاديثُ كثيرةٌ بالنهي عما فيه تعظيم لأعداء الله - تعالى - فمِن ذلك بداءتهم بالسلام، ومصافحتهم، والترحيب بهم، والقيام لهم، وتصديرهم في المجلس، والتوسيع لهم في الطريق؛ لما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة τ: أنَّ رسول الله ρ قال: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريقٍ فاضطروهم إلى أضيقه»[24].

وقد ورد النهيُ عن مجامَعة المشركين ومساكنتهم في ديارهم؛ لأنَّ ذلك من أعظم الأسباب الجالبة لموالاتهم ومحبتهم، والأحاديث في ذلك كثيرة؛ منها قوله ρ: «مَن جامع المشركَ وسكن معه، فإنه مثله»[25]، وعن النبي ρ قال: «لا تساكنوا المشركين ولا تُجامعوهم، فمَن ساكنهم أو جامعهم، فهو مثلهم»، وقوله ρ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»[26].

فليتأمل المسلمون الساكنون مع أعداء الله - تعالى - هذه الأحاديثَ، وليعطوها حقَّها من العمل؛ فقد قال الله – تعالى -: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 17، 18]، فالحب في الله والبغضُ في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله – من أهم أمور الدِّين، وأوثق عُرى الإيمان، وأفضل الأعمال عند الله، وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحْبه وسلم.

---

(24) رواه مسلم.

(25) رواه أبو داود ورواه الترمذي.

(26) رواه أبو داود والترمذي.

9- أسماء الله الحسنى[27]

قال الله – تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]، أخبر – تعالى – أن له أسماء، وأنها حسنى، دالة على صِفات كماله، وعظيم جلاله، وأمرَنا أن نسأله وندْعوه بها، فيدعى في كلِّ مطلوب بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: "اللهُم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتُب عليَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف"، ونحو ذلك، وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: ((إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة))[28].

ومراتب إحصائها ثلاثة:

1 – إحصاء ألْفاظها وعددها.

2 – فَهْم معانيها ومَدْلولها.

3 – دعاء الله بها، فيسأل لكلِّ مطلوب بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، كقولك: "يا عليم علمني، ويا رزاق ارزقني، ويا غفور اغفر لي"، كما تقدم، ومثال الأسماء الحسنى: "الرحمن الرحيم – السميع البصير – العزيز الحكيم – الحليم العظيم – العلي الكبير – الحي القيوم".

وأركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة: "وهي إيمانُنا بالاسم، وبما دلَّ عليه منَ المعنى، وبما تعلَّق به من الآثار، فنؤمن بأنه عليمٌ ذو علْم عظيم، محيط بكلِّ شيء، قدير ذو قُدْرة عظيمة، ويقدر على كلِّ شيء، رحيم ذو رحمةٍ عظيمة، ورحمتُه وسِعَتْ كلَّ شيء، وهكذا سائر الأسماء الحسنى".

وإحصاء أسماء الله الحسنى والعلم بها أصْل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات القدرية والشرعية صادرة عن أسماء الله وصفاته، ولهذا كانتْ في غاية الإحكام والصلاح والنفْع.

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

1 – تسْمية الأصنام بها كما يفعلُه المشركون؛ حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

2 – تسميته – تعالى – بما لا يليق بجلاله؛ كتسمية النصارى له: أبًا.

3 – وصفه – تعالى – بالنقائص؛ كقول اليهود: "إن الله فقير"، وقولهم: إنه استراح، وقولهم: "يد الله مغلولة" – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

4 – تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها؛ كقول من يقول في (السميع البصير): سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

---

(27) انظر: "بدائع الفوائد"، لابن القيم ج 1، ص 161 – 170، و"القواعد الحسان لتفسير القرآن"، لابن سعدي، ص 110.

(28) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

5 - تشْبيه صفاته بصفات خلقة - تعالى الله عن قولهم -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]؛ من رسالة "سؤال وجواب في أهم المهمات"، للشيخ عبدالرحمن السعدي.

10- صفة الإيمان بالله على وجْه التفصيل[29]

إننا نُقر ونعترف بقلوبنا وألسنتنا أنَّ الله واجبُ الوجود، واحدٌ أحَد، فرد صمد، لم يلدْ ولم يولد، ولم يكنْ له كفوًا أحد، متفرِّد بكلِّ صفة كمال ومجْد، وعظمة وكبرياء وجلال، وأن له غايةَ الكمال الذي لا يقْدر الخلائقُ أن يحيطوا بشيء من صفاته، وأنه الأول الذي ليس قبْله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهِرُ الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار؛ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وأنه العليم بكل شيء، القدير على كل شيء، السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على مقتضى الحاجات، البصير بكلِّ شيء، الحكيم في خلقه وشرعه، الحميد في أوصافه وأفعاله، المجيد في عظمته وكبريائه، الرحمن الرحيم الذي وسعتْ رحمتُه كل شيء، وعمَّ بجودِه وبرِّه ومواهبه كل موجود، المالك الملك لجميع الممالك، فله - تعالى - صفة الملك، والعالم العلوي والسفلي كلهم مماليك وعبيد لله، وله التصرُّف المطلق، وهو الحي الذي له الحياة الكاملة المتضمِّنة لجميع أوصافه الذاتيَّة، القَيُّوم الذي قام بنفسه وبغيره، وهو متَّصف بجميع صفات الأفعال[30]، فهو الفعَّال لِمَا يريد، فما شاء كان، وما لَم يشأ لَم يكنْ.

ونشْهد أنَّ ربنا الخالق البارئ المصَوِّر، الذي أوجد الكائنات، وأتقن صنعها، وأحسن نظامها، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، المعبود الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، فلا نخضع ولا نذل ولا نتوجه إلا لله الواحد القهار، العزيز الغفار، فإياه نعبد، وإياه نستعين، وله نرجو ونخشى، نرجو رحمته، ونخشى عدله وعذابه، لا رب لنا غيره فنسأله وندعوه، ولا إله لنا سواه نؤمله ونرجوه، وهو مولانا في إصلاح ديننا ودنيانا، وهو نِعْم المولى ونعم النصير، الدافع عنَّا جميع السوء والمكاره، فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك.

---

(29) من رسالة "سؤال وجواب في أهم المهمات"، للشيخ عبدالرحمن السعدي.

(30) تعليق الألوكة: أي التي وردت بها الأدلة الشرعية.

11- شهادة الحق

1 – أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأشهد أن الجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور[31].

2 – رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولاً ρ [32].

3 – آمنتُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره[33].

4 – لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير[34].

5 – آمنت بالله وحده، وكفرتُ بالجِبْت والطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى، لا انفصام لها، والله سميع عليم.

6 – اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلْتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنت.

اللهم أحْيِنا على هذه الشهادة، وأَمِتْنا عليها، واحشُرنا مع أهلِها، إنك على كل شيء قدير.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحْبه أجمعين.

---

(31) من شهد هذه الشهادة أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، كما في الحديث الصحيح المتفق عليه.

(32) من رضي بذلك ذاق طعم الإيمان، وغُفر له ذنبه، ووجبتْ له الجنة، وكان حقًّا على الله أن يرضيه، كما في الأحاديث الصحيحة، التي رواها مسلم وغيره.

(33) وهذه أصول الإيمان الستة، التي لا ينفع بدونها.

(34) وهذه كلمة الإخلاص، مَن قالها عن علم ويقين، وصدق وإخلاص، ومحبة وانقياد وقبول لها، ولما دلت عليه، وجبت له الجنة، وحرَّمه الله على النار، فهذه الكلمة لا يعْدلها شيء.

بسم الله الرحمن الرحيم

12- العبودية في الإسلام حقيقتها وشمولها

سُئل شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - عن قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: 21]، فما العبادة؟ وما فروعها؟ وهل مجموع الدِّين داخل فيها أو لا؟ وهل هي أعلى المقامات في الدُّنيا والآخرة أو فوقها شيء؟ وما حقيقة العبودية؟

فأجاب - رحمه الله -: الحمدُ لله رب العالمين، العبادة اسمٌ جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة، فالصلاة والزكاة، والصوم والحج، وصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك - من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدِّين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعَمه، والرِّضا بقضائه، والتوكُّل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك - هي من العبادة.

وذلك أنَّ العبادة هي الغاية المحبوبة لله، والمرضيَّة له، وهي التي خلق الخلق لها؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: 23]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم، وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، فالدِّين كلُّه داخل في العبادة، وقد ثبت في الصحيح: أن جبريل - عليه السلام - لما أتى النبيَّ ρ في صورة أعرابي، فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأخبره بذلك، ثم قال في آخر الحديث: ((هذا جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم))[35]، فجعل هذا كله من الدِّين، والدين يتضمَّن معنى الخُضوع والذُّل، يُقال: دنته فدان؛ أي: ذللته فذلَّ، ويُقال: ندين الله، وندين لله؛ أي: نعبده، ونطيعه، ونخضع له، والعبادة أصل معناها: الذل، أيضًا يُقال: طريق معبَّد؛ أي: مذلَّل قد وطئتْه الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تَتَضَمَّن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمَّن غاية الذُّل لله بغاية المحبة، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله - تعالى - بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبة

(35) رواه مسلم.

والخضوع التام إلا اللهُ، وكل ما أحب لغير الله، فمحبته فاسدة، وما عظم لغير الله فتعظيمه باطل، فهو - سبحانه - رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلِّب قلوبهم، ومصرِّف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق لكل شيء ومدبِّره ومسخِّره إلا هو، فإذا عرَف العبدُ أن الله ربه وخالقه، وأنه مُفتقر إليه ومحتاج إليه، عرف العبودية المتعلِّقة بربوبية الله، وهذه العبادة متعلِّقة بالألوهية لله - تعالى - ولهذا كان عنوان التوحيد: «لا إله إلا الله»، بخلاف مَن يُقرُّ بربوبية الله، ولا يعبده أو يعبد معه إلهًا آخر، فالإله هو الذي يألهه القلبُ بكمال الحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، ونحو ذلك، وهذه العبادة هي التي يُحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفَيْنَ من عباده، وبها بعث رسله، وأنزل كتبَه، ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكَر بحسب الإمكان، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك، كما يزيل الإنسان الجوعَ الحاضر بالأكْل، ويدفع به الجوع المستقبل.

وكذلك إذا آن أوان البرد دفعه باللباس، وكذلك كل مطلوب يرفع به مكروهًا، فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله، العابدين لله، وكل ذلك من العبادة، وكل ما أمر الله به عبادَه من الأسباب فهو عبادة، والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصِّراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودُها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألا يعبد إلا الله.

الثاني: ألا يعبد إلا بما شرع وأمر، لا يعبد بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدَع، إذا تبيَّن ذلك فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلَّما ازداد العبدُ تحقيقًا للعبودية، ازداد كمالُه، وعلتْ درجتُه، وكلما ازداد القلبُ حبًّا لله، ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبًّا وحرية مما سواه، والقلبُ فقير إلى الله من جهتَيْن؛ من جهة العبادة، وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل، فهو دائمًا مفتقر إلى حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

فالعبد مفتقَر إلى الله من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود، ومن حيث هو المسؤول المستعان به، المتوكل عليه، فهو الله الذي لا إله غيره، وهو ربه الذي لا رب له سواه، ولا تتم عبوديته لله إلا بهذَيْن: العبادة والاستعانة، فأكملُ الخلْق وأعلاهم وأفضلهم وأقربهم إلى الله أتمُّهم عبوديةً لله من هذا الوجه، وهذا هو حقيقة دين الإسلام، الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو أن يستسلمَ العبدُ لله لا لغيره، فالمستسلم لله ولغيره مشرِك، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، وكل مَن استكبر عن عبادة الله، فلا بد أن يعبد غيره ويذل له، ولن يستغني العبد عن جميع المخلوقات،

إلا بأن يكون الله هو مولاه، الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكَّل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه، ولا يوالي إلا مَن والاه، ولا يُعادي إلا مَن عاداه، ولا يحب إلا الله، ولا يبغض شيئًا إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله.

فكلما قَوِيَ إخلاصُ حبِّه ودينه لله، كملتْ عبوديتُه لله، واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تكمل براءته من الكفر والشرْك والكِبر.

والدِّين الحق هو تحقيق العبودية لله بكلِّ وجه، وتحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدْر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبدِه، وبقدر نقْص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير الله كانتْ فيه عبودية لغيره بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونٌ ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله، وهو المشروع، وهذا الأصل أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيقُ الدين، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وإليه دعا الرسول ρ وعليه جاهد، وبه أمر، وفيه رغَّب، وهو قطب الدِّين الذي تدور عليه رحاه، وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، وألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدَع، كما قال – تعالى –: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وذلك تحقيق الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، ففي الأولى: ألا نعبد إلا إياه، والثانية: أن محمدًا هو رسولُه المبلغ عنه، فعلينا تصديق خبره، وطاعة أمره، وقد بَيَّنَ لنا الرسولُ ρ ما نعبد اللهَ به، ونهانا عن مُحْدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، فالحلالُ ما أحلَّهُ الله ورسوله، والحرامُ ما حرَّمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، وقد هدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فأخلصوا دينهم لله، وأنابوا إلى ربهم، وأحبوه ورجَوْه، وخافوه وسألوه، ورغبوا إليه، وفوضوا أمرهم إليه، وتوَكَّلوا عليه، وأطاعوا رسله، وعظَّموهم ووقروهم، وأحبوهم ووالَوْهم، واتبعوهم واقتفَوْا آثارهم، واهتدَوْا بهداهم، وذلك هو دين الإسلام، الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، وهو حقيقةُ العبادة لله رب العالمين، فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه، ويكمله لنا، ويميتَنا عليه، وسائر إخواننا المسلمين، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[36].

(36) انظر: "رسالة العبودية"، لشيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة – رحمه الله تعالى.

13- عقيدة أهل السنة

من نظم أبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني البغدادي، المولود في شوال سنة 432، والمتوفى في جمادى الآخرة 510(37).

قال الإمام الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" 9/ 190: "أنشدَنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أنشدنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد لنفسه:

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الخَلِيطِ المُنْجِدِ = وَالشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ
وَالنَّوْحَ فِي أَطْلالِ سُعْدَى إِنَّمَا = تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ
وَاسْمَعْ مَقَالِي إِنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصًا = يَوْمَ الحِسَابِ وَخُذْ بِهَدْيِي تَهْتَدِ
وَاقْصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَفَوْتُ مُوَفَّقًا = نَهْجَ ابْنِ حَنْبَلِ الْإِمَامِ الأَوْحَدِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ = وَالتَّابِعِينَ إِمَامِ كُلِّ مُوَحِّدِ
ذِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ الأَصِيلِ وَمَنْ حَوَى = شَرَفًا عَلَا فَوْقَ السُّهَا وَالْفَرْقَدِ
وَاعْلَمْ بِأَنِّي قَدْ نَظَمْتُ مَسَائِلاً = لَمْ آلُ فِيهَا النُّصْحَ غَيْرَ مُقَلِّدِ
وَأَجَبْتُ عَنْ تَسْآلِ كُلِّ مُهَذَّبٍ = ذِي صَوْلَةٍ عِنْدَ الجِدَالِ مُسَوَّدِ
هَجَرَ الرُّقَادَ وَبَاتَ سَاهِرَ لَيْلِهِ = ذِي هِمَّةٍ لا يَسْتَلِذُّ بِمَرْقَدِ
قَوْمٌ طَعَامُهُمُ دِرَاسَةُ عِلْمِهِمْ = يَتَسَابَقُونَ إِلَى الْعُلَا وَالسُّؤْدُدِ
قَالُوا: بِمَا عَرَفَ الْمُكَلَّفُ رَبَّهُ؟ = فَأَجَبْتُ: بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ الْمُرْشِدِ
قَالُوا: فَهَلْ رَبُّ الخَلَائِقِ وَاحِدٌ؟ = قُلْتُ: الْكَمَالُ لِرَبِّنَا الْمُتَفَرِّدِ
قَالُوا: فَهَلْ لِلَّهِ عِنْدَكَ مُشْبِهٌ؟ = قُلْتُ: الْمُشَبِّهُ فِي الْجَحِيمِ الْمُوصَدِ
قَالُوا: فَهَلْ تَصِفُ الْإِلَهَ؟ أَبِنْ لَنَا = قُلْتُ: الصِّفَاتُ لِذِي الجَلَالِ السَّرْمَدِي
قَالُوا: فَهَلْ تِلْكَ الصِّفَاتُ قَدِيمَةٌ؟ = كَالذَّاتِ قُلْتُ: كَذَاكَ لَمْ تَتَجَدَّدِ
قَالُوا: فَأَنْتَ تَرَاهُ جِسْمًا مِثْلَنَا؟ = قُلْتُ: الْمُجَسِّمُ عِنْدِيَ كَالْمُلْحِدِ
قَالُوا: فَهَلْ هُوَ فِي الْأَمَاكِنِ كُلِّهَا؟ = فَأَجَبْتُ: بَلْ فِي الْعُلُوِ مَذْهَبُ أَحْمَدِ
قَالُوا: فَتَزْعُمُ أَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟ = قُلْتُ: الصَّوَابُ كَذَاكَ أَخْبَرَ سَيِّدِي
قَالُوا: فَمَا مَعْنَى اسْتِوَاهُ؟ أَبِنْ لَنَا = فَأَجَبْتُهُمْ: هَذَا سُؤَالُ الْمُعْتَدِي
قَالُوا: النُّزُولُ؟ فَقُلْتُ: نَاقِلُهُ لَنَا = قَوْمٌ تَمَسُّكُهُمْ بِشَرْعِ مُحَمَّدِ

---

(37) انظر ترجمته في "المنتظم"، لأبي الفرج ابن الجوزي، 9/ 190، وفي "مختصر الحنابلة"، لابن أبي يعلى ص 409، و"الذيل على طبقات الحنابلة"، لابن رجب 1/ 143.

قَالُوا: فَكَيْفَ نُزُولُهُ؟ فَأَجَبْتُهُمْ: = لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِ

قَالُوا: فَيُنْظَرُ بِالْعُيُونِ؟ أَبِنْ لَنَا = فَأَجَبْتُ: رُؤْيَتُهُ لِمَنْ هُوَ مُهْتَدِي

قَالُوا: فَهَلْ لِلَّهِ عِلْمٌ؟ قُلْتُ: مَا = مِنْ عَالِمٍ إِلاَّ بِعِلْمِ مُعَلِّمِي

قَالُوا: فَيُوصَفُ أَنَّه مُتَكَلِّمٌ؟ = قُلْتُ: السُّكُوتُ نَقِيصَةُ الْمُتَوَحِّدِ

قَالُوا: فَمَا الْقُرْآنُ؟ قُلْتُ: كَلاَمُهُ = لاَ رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ[38]

قَالُوا: الَّذِي نَتْلُوهُ؟ قُلْتُ: كَلاَمُهُ = لاَ رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُسَدَّدِ

قَالُوا: فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ؟ فَقُلْتُ: مَا = مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الإِلَهِ الأَمْجَدِ

قَالُوا: فَهَلْ فِعْلُ الْقَبِيحِ مُرَادُهُ؟ = قُلْتُ: الإِرَادَةُ كُلُّهَا لِلسَّيِّدِ

لَوْ لَمْ يُرِدْهُ لَكَانَ ذَاكَ نَقِيصَةً = سُبْحَانَهُ عنْ أنْ يُعَجِّزَهُ الرَّدِي

قَالُوا: فَمَا الإِيمَانُ؟ قُلْتُ مُجَاوِبًا: = عَمَلٌ وَتَصْدِيقٌ بِغَيْرِ تَبَلُّدِ

قَالُوا: فَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ؟ = قُلْتُ: الْمُوَحِّدُ قَبْلَ كُلِّ مُوَحِّدِ

حَامِيهِ فِي يَوْمِ الْعَرِيشِ[39] وَمَنْ لَهُ = فِي الْغَارِ يَسْعَدُ يَا لَهُ مِنْ مُسْعَدِ

خَيْرُ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ كُلِّهِمْ = ذَاكَ الْمُؤَيَّدُ قَبْلَ كُلِّ مُؤَيَّدِ

قَالُوا: فَمَنْ صِدِّيقُ أَحْمَدَ؟ قُلْتُ: مَنْ = تَصْدِيقُهُ بَيْنَ الْوَرَى لَمْ يُجْحَدِ

قَالُوا: فَمَنْ تَالِي أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟ = قُلْتُ: الإِمَارَةُ فِي الإِمَامِ الأَزْهَدِ

فَارُوقُ أَحْمَدَ وَالْمُهَذَّبُ بَعْدَهُ = نَصَرَ الشَّرِيعَةَ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

قُالُوا: فَثَالِثُهُمْ، فَقُلْتُ مُسَارِعًا: = مَنْ بَايَعَ الْمُخْتَارُ عَنْهُ بِالْيَدِ

صِهْرُ النَّبِيِّ عَلَى ابْنَتَيْهِ وَمَنْ حَوَى = فَضْلَيْنِ فَضْلَ تِلاَوَةٍ وَتَهَجُّدِ

أَعْنِي: ابْنَ عَفَّانَ الشَّهِيدَ وَمَنْ دُعِي = فِي النَّاسِ: "ذُو النُّورَيْنِ" صِهْرَ مُحَمَّدِ

قَالُوا: فَرَابِعُهُمْ؟ فَقُلْتُ مُبَادِرًا: = مَنْ حَازَ دُونَهُمُ أُخُوَّةَ أَحْمَدِ

زَوْجُ الْبَتُولِ وَخَيْرُ مَنْ وَطِئَ الحَصَى = بَعْدَ الثَّلاَثَةِ وَالْكَرِيمُ الْمَحْتِدِ

أَعْنِي: أَبَا الْحَسَنِ الإِمَامَ وَمَنْ لَهُ = بَيْنَ الأَنَامِ فَضَائِلٌ لَمْ تُجْحَدِ

فَعَلَيْهِمُ وَعَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ = صَلَوَاتُ رَبِّهِمُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

قَالُوا: أَبَانَ الْكَلْوَذَانِيُّ الهُدَى = قُلْتُ: الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مُؤَيِّدِي

---

38 الذي عليه أهل السنة والجماعة: أنَّ كلام الله قديم النَّوع، حادث الآحاد.

39 أي: يوم بدر، وقد أقام الصَّحابة للنبي ρعريشًا، لازمه فيه صديقه وصاحبه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه.

14- من عقائد أهل السنة والجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة الإمام ابن أبي داود، المتوفَّى سنة 310 هـ

قال الإمام أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث – رحمه الله تعالى –:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى = وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي = أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلاَمُ مَلِيكِنَا = بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلاَ تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلاً = كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَصَحَّحُوا
وَلاَ تَقُلِ: الْقُرْآنُ خَلْقٌ قُرَائِهِ = فَإِنَّ كَلاَمَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ
وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً = كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ = وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا = بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ = فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ = وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ = بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ = فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ: أَلاَ مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا = وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لاَ يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ = أَلاَ خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ = وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الاَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ = عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ لِلْخَيْرِ يَمْنَحُ
وَإِنَّهُمُ لَلرَّهْطُ لاَ شَكَّ فِيهِمُ = عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ = وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمِ = وَلاَ تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ = وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ = دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

وَلاَ تُنْكِرَنْ جَهْرًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا = وَلاَ الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ[40]
وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ = مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ = كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ = وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ وَاضِحُ
وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاَةِ وَإِنْ عَصَوْا = فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
وَلاَ تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ = مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيفْضَحُ[41]
وَلاَ تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ = أَلاَ إِنَّمَا المرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ[42]
وُقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ = وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً = بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ = فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
وَلاَ تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ = فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا ما اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ = فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

تمت

40 منكر ونكير فاتنا القبر، ثبَّتَنا الله بالقول الثابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة.

41 رأي الخوارج أنَّهم يكفرون المسلم بفعل المعاصي.

42 المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

15 - الحبُّ في الله والبُغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعدُ:

فإنَّ مِن واجبات الإيمان ولوازمه محبةَ الله - تعالى - ومحبَّة رسوله ρ ومحبة المؤمنين - ومحبة ما يُحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح وتوابع ذلك، وبغض ما يبغضه الله ورسوله من الكفْر والشرك والفسوق والمعاصي، وبُغض أعداء الله ورسوله من الكفرة والمشركين، واليهود والنصارى، والعصاة والملحدين، فالحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله، أوثَقُ عُرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله تعالى، والمرءُ مع من أحب يوم القيامة، كما وردت السنة بذلك، فمحبة الله - تعالى - ورسوله ρ مُقدَّمة على محبة الأولاد والأموال والنفوس؛ قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

ومِن لازم محبَّة الله ورسولِه عداوةُ المشركين والكافرين، وقد أوجب الله ذلك، وحرم موالاتهم وشدد فيها، ورتَّب على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله، فإنهم لا يُوالونهم، بل يعادونهم، كما أخبر الله عن خليله إبراهيم والذين معه أنهم: ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: 4]، وقال - تعالى -: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

فنهى الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن مَن تولاَّهم فهو منهم؛ أي: مَن تولَّى اليهود فهو يهودي، ومَن تولَّى النصارى فهو نصراني، وكذلك من تولى المشركين فهو مشرك، ثم أخبر - تعالى - أن الذين في قلوبهم مرض؛ أي: شك في الدين وشبهة، يسارعون في الكفر قائلين: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾؛ أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين قالوا: نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيتسلَّطون علينا، فيأخذون أموالنا، ويشردوننا من بلداننا، وهذا هو ظن السوء بالله، الذي ظنه المنافقون؛ لأنه ظنّ غير ما يليق بالله وحكمته ووعده الصادق، وقد قال الله فيهم: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: 6]، فإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد نهى المؤمن عن موالاة

أبيه وأخيه اللذين هما أقرب الناس إليه، إذا كان دينهما غير الإيمان، وبيَّن أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين، فهو ظالم، فكيف بِمَن تولى الكافرين الذي هم أعداء له ولآبائه ولدينه؟ أفلا يكون هذا ظالمًا؟ بلى والله، إنه لمن أظلم الظالمين، وبين - تعالى - أن المحبوبات الثمانية المتقدِّمة، وهي: الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة، والأموال المكتسبة، والتجارة، والمساكن، لا تكون عذرًا في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفًا على أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله أو عشيرته أو مخافته على زوجاته، فإن الله قد سدَّ على الخلق باب الأعذار، فمحبة الله ورسوله توجِب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية، وتقديمها عليها، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73].

فتبيَّن أنَّ موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدِّين، بترْك واجباته، وارتكاب مُحرماته، والخروج عن شرائعه، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال، وقال - تعالى -: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: 89]، فأخبر - تعالى - عن الكفار: أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا، ثم نهى أهل الإيمان عن موالاتهم، حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام.

وكيف يدَّعي رجل محبة الله، وهو يحب أعداءه كما قيل:

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيبِ وَتَدَّعِي = حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

شَرْطُ المَحَبَّةِ أَنْ تُوافِقَ مَنْ تُحِبْـ = ـبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلا عِصْيَانِ

فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعْ خِلا = فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ

فالحب في الله والبغض في الله أصلٌ عظيم من أصول الإيمان؛ ولهذا جاء في الحديث: ((أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله))[43]، ولذلك أكثر الله من ذِكره في القرآن؛ قال - تعالى -: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: 28]، فنهى الله المؤمنين أن يوالوا الكافرين، ومَن يفعل ذلك فليس من ولاية الله في شيء، فإن موالاة الولي ومُوالاة عدوه متنافيان؛ ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، فرخَّص في موالاتهم إذا خافوهم، فلم يُحسنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم، فحينئذٍ تجوز المعاشَرة ظاهرًا، والقلب مطمئن بالإيمان والعداوة والبغضاء للكافرين؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]، وقال – تعالى -: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

(43) رواه الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس.

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22]، فنفى - سبحانه وتعالى - الإيمان عمن هذا شأنه، ولو كانت مودته ومحبته لأبيه وأخيه وابنه، فكيف بغيرهم؟ أخبر - سبحانه - أنه لا يوجد مؤمن يوادُّ كافرًا، فمَن واد الكفَّار فليس بمؤمن.

وحاصل ما تقدَّم: أن الله - سبحانه وتعالى - نهى عن موالاة الكفار، وأخبر أنَّ مَن تولاهم فهو منهم، وأخبر النبي ρ: ((أنَّ مَن أحب قومًا حُشر معهم)).

ويُفهم مما تقدَّم مِن أدلة الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور مَن فعلها تعرَّض للوعيد بمسيس النار:

أحدها: التولِّي العام.

الثاني: المودَّة والمحبَّة الخاصة.

الثالث: الرُّكون القليل؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 74، 75]، فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق - صلوات الله وسلامه عليه - فكيف بغيره؟!

الرابع: مداهنتهم ومداراتهم؛ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

السادس: تقريبهم في الجلوس.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

الثامن: استعمالهم في أمْر مِن أُمُور المسلمين إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك.

التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

العاشر: مُجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة.

الثاني عشر: الإكرام العام.

ثالث عشر: استئمانهم وقد خونهم الله.

رابع عشر: معاونتهم في أمورهم، ولو بشيء قليل؛ كـ"بري القلم"، و"تقريب الدواة والقرطاس" ليكتبوا ظلمهم.

خامس عشر: مناصحتهم.

سادس عشر: اتباع أهوائهم.

سابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

ثامن عشر: الرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتَّزَيِّي بزيهم، فإن مَن تشبه بقوم فهو منهم(44).

تاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيمٌ لهم؛ كتسميتهم سادات وحكماء.

العشرون: السُّكنى معهم في ديارهم؛ كما قال ρ: ((مَن جامع المشركين وسكن معهم، فإنهم مثلهم))(45)، فجعل ρ في هذا الحديث مَن اجتمع معهم وخالَطهم وسكن معهم مثلَهم، فكيف بِمَنْ أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم(46)؟ اللهُم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتَدين.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فصل

اعلم - أيها المسلم -: أن الإنسان إذا أظْهر للمشركين الموافَقة على دينهم خوفًا منهم، ومداراة لهم، ومُداهنة لدفع شرهم - فإنه كافرٌ مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة، واستقوى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصر والمال، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها، بعد أن كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟! فإنَّ هذا لا يَشُك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله - تعالى - ولرسوله ρ ولا يستثنى من ذلك إلا المكرَه، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر وإلا قتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللِّسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أن مَن تكلَّم بالكفر هازلاً أنه يكفُر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا أو طمعًا في الدنيا؟

وإليك بعض الأدلة على ذلك:

قال - تعالى -: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية [البقرة: 217]، فأخبر - تعالى - أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين، حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يُرَخِّص في موافقتهم خوفًا على النفس والمال والحرمة، بل أخبر أن من وافقهم بعد أن

(44) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان.

(45) رواه أبو داود.

(46) انظر: "مجموعة التوحيد"، ص 186 - 187.

قاتلوه ليدفع شرَّهم أنه مرتد، فكيف بمَن وافقهم من غير قتال؟ إنه أولى بعدم العذر، وإنه كافر مرتد، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 149]، فأخبر - تعالى - أن المؤمنين إنْ أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إنْ فعَلُوا ذلك صاروا منَ الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وقال - تعالى -: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: 80]، فذكر الله - تعالى - أن موالاة الكفار - وهي: محبتهم ومصادقتهم - موجبة لسخط الله والخلود في العذاب الأليم، وأن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي ρ وما أنزل الله، ثم أخبر أن سبب ذلك كونُ كثير منهم فاسقين؛ أي: خارجين عن طاعة الله ورسوله.

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: 113]، فذكر - تعالى - أن الركون إلى الظلَمة، وهو: الميل إليهم من الكفار والظالمين، موجبٌ لمسيس النار، ولم يُفرِّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم دينًا ورأيًا حسنًا؟

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]، فأخبر - تعالى - أن مَن تولَّى أعداء الله ولو كانوا أقرباء، فقد أخطأ الطريق المستقيم، وخرج عنه إلى الضلالة، فأين هذا ممن يدَّعي أنه على الصراط المستقيم، ثم يُوالي الكافرين واليهود والنصارى؟ فإن هذا تكذيب لله، ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم من ولاية الكفار، ومن استحل محرمًا فقد كفر(47).

16 - من أصول الإيمان

الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ρ نبيًّا ورسولاً، كما في الأحاديث النبويَّة الآتية.

قال ρ:

1 - ((ذاق طعم الإيمان مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا))(48).

---

(47) انظر: "مجموعة التوحيد"، ص 192 - 208.

(48) رواه مسلم، وأحمد، والترمذي.

2 – ((مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وجبتْ له الجنة))[49].

3 – ((مَن قال حين يسمع النداء (الأذان): أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، غُفر له ذنبه))[50].

4 – ((مَن قال حين يمسي وحين يصبح: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، ثلاثًا، كان حقًّا على الله أن يرضيه))[51].

هذه أحاديثُ نبويةٌ شريفة صحيحة عن النبي ρ في فضل الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ρ نبيًّا، والرضا ناتج عن القلب، فلا بد مع قولها من اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، فالرِّضا بالله ربًّا يقتضي محبته، وخوفه، ورجاءه، وإخلاص العبادة له، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومحبة من أطاعه، وبُغض مَن عصاه، ومحبة ما أمر به، وبُغض ما نهى عنه.

والرِّضا بالإسلام دينًا يَتَضَمَّن العمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، والقيام بأركانه وشرائعه الظاهرة والباطنة، القوليَّة والاعتقاديَّة والعمَليَّة، في العبادات والمعاملات، والأخلاق والآداب، وتحكيمه في كل شيء.

والرِّضا بمحمد ρ نبيًّا يَتَضَمَّن الإيمان به ومحبته، وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، واعتقاد أنه عبد لا يُعبَد، ورسول لا يكذب، بل يُطاع ويتبع، شرَّفه الله بالعبودية والرسالة، فمَن أطاع الله ورسوله، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، وصدَّق خبره، وحكَّم شرعه، وطبق تعاليم الإسلام أمرًا ونهيًا واعتقادًا ودعوة، فهو الذي ذاق طعْم الإيمان وحلاوته، ووجبتْ له الجنة، وغفر له ذنبه، وكان حقًّا على الله أن يرضيه، وذلك فضْلُ الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضْل العظيم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

17 – نداء للإيمان بالله والرجوع إليه

أيها المسلمون المفرطون في جنْب الله، آن لكم أن تتوبوا إلى الله ربكم، الذي خلقكم ورزقكم من الطيبات، وأسبغ عليكم نِعَمَه ظاهرة وباطنة، والذي سوف يميتكم ثم يبعثكم ويجازيكم جزاء يوافق ما قدَّمتموه من عمل، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، آن لكم أن ترجعوا إلى الله قبل أن يخترمكم هاذم اللذات، ومفرِّق الجماعات، وقاطع الآمال، آن لكم أن تذرفوا الدموع أسفًا وندَمًا على ما أسلفتموه من تفريط وإهمال في دين الله، فوالله إن أحدكم لا يدري إذا أصبح أيمسي أم لا يمسي؟

(49) رواه مسلم.

(50) رواه مسلم وغيره.

(51) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، والطبراني في "الكبير".

وإذا أمسى لا يدري أيصبح أم لا يصبح؟ ثم يقدم على ما قدَّم من عمل، إن كان صالحًا فقد فاز، وإن كان غير ذلك فذلك الخسران المبين؛ قال الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24]، وقال – عز وجل –: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: 54 – 56]، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 18 – 20]، واعلموا أن الله – تعالى – لم يخلقنا عبثًا، وإنما خلقنا لعبادته وحده لا شريك له؛ قال – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقال – عز وجل –: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

واعلموا أن الله – سبحانه – لما خلقنا لعبادته لم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا أفضل الرسل نبيه محمدًا ρ كما أرسل إلى كل أمَّة رسولَها، وأنزل عليه القرآن، أفضل الكتب؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وقد بلَّغ ρ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فلا خير إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وسيأتي يوم القيامة شهيدًا بالبلاغ، كما يأتي كلُّ نبي قبله شهيدًا على أمته كذلك، فلا حجة لأحدٍ على الله من بعد الرسل، قال – تعالى –: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41].

آن لكم أن تعرفوا أنَّ ما حل بأهل الجاهلية من عداء وخوف، وفقر وفرقة ودمار، إنما هو بسبب بعدهم عن الوحي، وانغماسهم في الشهوات والأهواء، حتى عبدوا الأصنام وتحاكموا إلى الطاغوت، وآن لكم أن تعرفوا أن ما ناله أصحابُ رسول الله ρ والتابعون لهم بإحسان من ألفة وتحاب، وأمْن وغنى واجتماع، ويُمن وبركة، وعز وسيادة، وسعادة في الدنيا والآخرة، إنما هو بسبب تمسُّكهم بكتاب الله وسنة رسوله ρ.

ولقد آن لكم أن تعرفوا أن ما حل بالمسلمين وبحكَّامهم اليوم من فرقة وسوء تفاهُم، وضعف وتسليط عدو، إنما هو بسبب بُعدهم، وبسبب غفلتهم عن كتاب الله وسنة رسوله ρ إلا من شاء الله، وإن كان القراء اليوم فيهم أكثر عددًا من القرَّاء في زمن الصحابة – رضي الله عنهم – فإن الفرق بين الفريقين: أنَّ الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا إذا تعلَّم أحدُهم عشر آيات من كتاب الله،

لم يتجاوزهن حتى يتعلمَ معانيهن والعمل بهن، أما كثيرٌ من القراء اليوم، فهم يقرؤون القرآن كله، ولكنهم لا يعملون به؛ بل إنهم بعيدون عنه كل البعد؛ بدليل عدم تخلُّقهم بخلقه، وعدم انقيادهم لأوامره، مما أدَّى بهم إلى ما هم فيه مِن شر وبُعد عن الحق - فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - إذا عرفتم ذلك فاعلموا أنه لا نجاة لنا ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ρ رجوعًا صادقًا منبعثًا من القلوب، تكون عاقبته عملنا بهما في جميع أمورنا الدينية والدنيوية، فهذا وحده طريق النجاة والفلاح والسعادة في الدارين؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]، وقال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]، ويقول النبي ρ: ((تركْتُ فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدًا؛ كتاب الله، وسنة نبيه))(52).

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

أيها الإنسان، "هذا أوانُ التوبة وعمل الصالحات، وهجر المحرمات، فتُب إلى الله قبل أن تباغتك المنية، فما هي إلا أيام قلائل أو ساعات أو دقائق، ثم ترْحل إلى الدار الآخرة، فتودع في اللحد وحيدًا، لا يرافقك والدٌ ولا ولد، ولا زوجة ولا صديق ولا مال، إنما ترهن بعملك، فإن كان خيراً فلك النعيم والأنس والهناء، وإن كان شرًّا فلك العذاب والوحشة والشقاء"؛ يقول الله - تعالى - مخبرًا عن نار جهنم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71، 72]، فوُرُود الناس هذا هو مُرُورهم يوم القيامة على الصراط المنصوب على متْن جهنم، وهو أدَقُّ من الشعرة، وأَحَدّ من السيف، وأحر من الجمر، يجتازه الناس على قدر أعمالهم، فالمتقون يجتازونه، وينْجون من الوقوع في النار، والمجرمون يقيدهم إجرامهم، فيخرون في نار جهنم، ويكردسون فيها.

إذا كانت النار هي المورد، فأين لنا - يا عباد الله - النجاة إلا بتقوى الله وطاعته والرجوع إليه؟ قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33][53].

(52) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

53 انتهى من كتاب "الإرشاد إلى طريق النجاة"، للشيخ عبدالرحمن الحماد العمر، ص 6 - 9.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

18 - الإيمان بالقدَر

أ - حكمه: واجب، وهو أحد أصول الإيمان الستة؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].

ب - صفته: أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ الله لَم يكن، وأن ما أصابك لَم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ج - مراتب القدر أربع:

1 - علم الله بالأشياء قبل كونها.

2- كتابته لها قبْل خلْق السموات والأرض.

3 - مشيئته لها.

4 - خلقه لها، وإيجاده وتكوينه.

جمعها الشاعر بقوله:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلاَنَا مَشِيئَتُهُ = كَذَاكَ خَلْقٌ وَإِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

د - وأنواع التقادير أربعة:

1 - التقدير السابق في علم الله، وكتابته في اللوح المحفوظ.

2 - التقدير العمري في بطن الأم للرزق، والأجل، والعمل، والسعادة، والشقاوة.

3 - التقدير الحولي في ليلة القدر، يُقَدَّر فيها ما يكون في السنة.

4 - التقدير اليومي لكلِّ ما يحدُث؛ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29].

وكل هذه التقادير كتفصيل للقدر السابق، وهو لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتّكال عليه؛ بل يوجب الخوف والجد والاجتهاد والمواظَبة على العمل الصالح[54].

قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11]، وقال بعض السلَف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم، وقال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ

(54) انظر: "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، لابن القيم، ص 19 - 42 - 50.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 22، 23].

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

19- مِنَ الإيمان بالله الصبرُ على أقدار الله

الحمد لله الذي وعد الصابرين أجرهم بغير حساب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام الصابرين، وسيد الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد قال الله - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، قال بعض السلَف: هو الرجلُ تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم، وقال - تعالى -: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]، وقال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: 22، 23].

وفي الحديث الصحيح: ((والصبر ضياء))[55]، وللبخاري ومسلم مرفوعًا: ((وما أُعْطِيَ أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر))، وقال عمر بن الخطاب τ: ((خير عيش أدْركناه بالصبر))[56].

والصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخُّط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، كخمش الوجوه، وشق الثياب عند المصيبة، والصَّبْر يكون بالله ولله ومع الله، فالصبْر بالله هو الاستعانةُ به - سبحانه - فهو وحده المعين على الصبر؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 127]، والصبرُ لله هو أن يكونَ الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه، والتقرُّب إليه، كما قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22].

والصبر مع الله: هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها، يتوجه معها أين توجهتْ، فهذا معنى كونه صابرًا مع الله؛ أي: قد

(55) رواه أحمد ومسلم.

(56) رواه البخاري.

جعل نفسه وقفًا على أوامر الله ومحابِّه، والصبر نصف الإيمان، فإنه مركب من صبر وشكر، كما قال بعض السلف: الإيمان نصفان: فنصف صبر، ونصف شكر(57).

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له، فلا إيمان لمن لا صبر له.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على فرائض الله فلا يضيعها، وصبر عن محارمه فلا يرتكبها، وصبر على أقضيته وأقداره فلا يتسخطها، ومن استكمل هذه المراتب الثلاث فقد استكمل الصبر والإيمان، ولذة الدنيا والآخرة ونعيمهما، والفوزُ والظفر فيهما لا يوصل إليه إلا على جسر الصبر، كما لا يصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط، فلا يُنال دينٌ ولا دنيا إلا بالصبر، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]، وإذا تأملت مراتب الكمال المكتسَب في العالم رأيتها كلها منوطة بالصبر، وإذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبه عليه، ويدخل تحت قدرته رأيته كله من عدم الصبر، فالشجاعة والعفة والجود والإيثار كلها صبر ساعة، وأكثر أسقام البدن والقلب إنما تنشأ عن عدم الصبر، فما حُفظتْ صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر، ولو لم يكن في الصبر إلا معية الله مع أهله، فإن الله مع الصابرين، ومحبتُه لهم، فإن الله يحب الصابرين، ونصرُه لأهله، فإن النصر مع الصبر، وأنه خير لأهله؛ ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126]، وأنه سبب الفلاح والفوز، كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200](58).

وقال - تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 - 157]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها))(59).

أيها المسلم الكريم:

---

(57) انظر: "مدارج السالكين"، لابن القيم - رحمه الله - ص 157 جـ2.

(58) انظر: "زاد المعاد"، لابن القيم، جـ4، ص 333، بتحقيق الأرناؤوط.

(59) رواه مسلم.

العبدُ في تنقُّلاته في هذه الحياة وأطواره فيها لا يخلو مِن حالتَيْن: إما أن يحصل له ما يحب ويندفع عنه ما يكره، فوظيفته في هذه الحالة الشكر والاعتراف، أن ذلك من نعم الله عليه، فيعترف بها باطنًا، ويتحدث بها ظاهرًا، ويستعين بها على طاعة الله، وهذا هو الشاكر حقًّا.

الحالة الثانية: أن يحصل للعبد المكروه أو يفقد المحبوب، فيحدِث له همًّا وحزنًا وقلقًا، فوظيفته الصبر لله، فلا يتسخَّط ولا يضجر ولا يشكو للمخلوق ما نزل به؛ بل تكون شكواه لخالقه - سبحانه وتعالى - ومن كان في الضراء صابرًا، وفي السراء شاكرًا، فحياته كلها خير، وبذلك يحصل على الثواب الجزيل، ويكتسب الذِّكر الجميل؛ قال ρ: ((عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابتْه سراءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له))(60).

والخير الحاصل للشاكرين هو الزيادة؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، والخير الحاصل للصابرين، هو الأجر والثواب، والمغفرة والرحمة.

أيها المسلم الكريم:

متى أصابك مكروه في بدنك أو مالك أو حبيبك، فاعلم أن الذي قدَّره حكيم عليم، لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا يقدر شيئًا سُدى، وأنه - تعالى - رحيم قد تنوعتْ رحمته على عبده، يرحمه فيعطيه، ثم يرحمه فيوفِّقه للشكر، ويرحمه فيبتليه، ثم يرحمه فيوفقه للصبر، فرحمة الله متَقَدِّمة على التدابير السارَّة والضارة ومتأخرة عنها، ويرحمه أيضًا بأن يجعل ذلك البلاء مُكَفِّرًا لذنوبه وآثامه، ومنمِّيًا لحسناته، ورافعًا لدرجاته، ومَن استكمل مراتب الصَّبر والشكر، فهو الكامل في كل أحواله، وإذا أصيبَ العبدُ بمصيبة فآمن بالقدر، ولجأ إلى الصبر والاحتساب، خفَّتْ وطأتُها، وهانتْ مشقتها، وتم له أجرها، وكان منَ الفُضلاء الكرام، وذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم(61).

روى البخاري ومسلم، عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ρ عاد سعدَ بن عبادة، ومعه عبدُالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنهم - فبكى رسول الله ρ فلما رأى القومُ بكاء رسول الله ρ بكوا، فقال: ((ألا تسمعون، إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم))، وفي الصحيحين، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ρ رفع إليه ابن ابنته، وهو في الموت، ففاضتْ عينا رسول الله ρ فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ((هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما

---

(60) رواه مسلم.

(61) انظر: "الرياض الناضرة"، لابن سعدي، ص 57 - 59.

يرحم الله من عباده الرحماء))، وفي صحيح البخاري، عن أنس τ: أن رسول الله ρ دخل على ابنه إبراهيم، وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ρ تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: ((يا ابن عوف، إنها رحمة))، ثم أتبعها بأخرى، فقال: ((إن العين لتدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لَمَحْزُونون)).

أما الذي منعه الشرع عند المصائب فهو التسَخُّط والجزع والندب، وهو تعداد محاسن الميت، والنياحة، وهي رفع الصوت بذلك، كما نهى عن لطم الخدود، وشق الجيوب، وحلق الشعور عند المصيبة، وهو من كبائر الذنوب؛ حيث تبرأ رسول الله ρ من فاعله؛ فقد قال - عليه الصلاة والسلام -: ((ليس منَّا مَن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))[62]، وفي الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري τ: أن رسول الله ρ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة، فالصالقة: هي التي ترفع صوتها بالنياحة عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة: هي التي تشق ثيابها عند المصيبة، وكل هذا حرام باتِّفاق العلماء.

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد، قال: أرسلت إحدى بنات رسول الله ρ للرسول تدْعوه وتخبره: أن ابنًا لها في الموت، فقال - عليه الصلاة والسلام - للرسول: ((ارجع إليها فأخبرها أنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمُرْها فلتصبر ولتحتسب)).

قال النووي - رحمه الله -: فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب والصبر عند النوازل كلها، والهموم والأسقام وغير ذلك من الأغراض، ومعنى قوله ρ: ((إن لله ما أخذ)): أن العالم كله ملك لله، لم يأخذ ما هو لكم؛ بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(62) رواه البخاري في صحيحه.

20- أُصُول نافعة جامعة في مسائل المصائب والمحن

1 - أن ما يصيب المؤمنين من الشرور دون ما يُصيب الكافرين.

2 - أن ما يصيب المؤمنين مقْرون بالرِّضا والاحتساب، فإنْ فاتهم ما يُريدون، فمعولهم على الصبر والاحتساب، وذلك يخفِّف البلاء بلا ريب.

3 - أن المؤمن محمول عنه بحسب طاعته وإخلاصه، ووجود حقائق الإيمان في قلبه؛ بحيث لو كان شيء منه على غيره لعجز عن حمله، وهذا مِن دفع الله عن عبده المؤمن.

4 - أنَّ محبة الله إذا تمكَّنَتْ في القلب كان أذى المحب في رضا محبوبه مستحلى غير مسخوط.

5 - أن ما يصيب الكافرَ والفاجر من العز وتوابعه مقرون بضده.

6 - أن ابتلاء الله لعبده المؤمن كالدواء، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيتْ أهلكتْه أو نقصت ثوابه.

7 - أن ذلك من الأمور اللازمة للبشر.

8 - أن لله في ذلك حِكَمًا عظيمة معروفة.

9 - أن ذلك من الابتلاء والامتحان الذي يظهر به الصادق مِنَ الكاذب.

10 - أن الإنسان مدني بالطبع، ولا بد من الاختلاط واختلاف التصوُّرات والإرادات التي تنشأ عنها كثير مِنَ الأكدار، والمؤمن مأمورٌ أن يقومَ بوظيفته فيها، وذلك مما يُهَوِّن المصيبة.

11 - أنَّ البلاء الذي يصيب العبد لا يخرج عن أربعة أقسام؛ إما أن يكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب، والناس مُشتركون في حُصُولها، فغَيْر المؤمن التقي يلقى منها أعظم مما يلقى المؤمن، كما هو مشاهَد(63).

(63) انظر: "إغاثة اللهفان"، لابن القيم، ج 2، ص 187 - 193.

الطهارة والصلاة

21- فضل الوضوء

قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى قوله - تعالى -: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6].

1- وعن أبي هريرة τ قال: سمعتُ رسول الله ρ يقول: ((إن أمَّتي يُدْعون غرًّا محجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرَّتَه، فليفعل))؛ متفق عليه.

2- وعن عثمان بن عفان τ قال: قال رسول الله ρ : ((من توضأ فأحسن الوضوء، خرجتْ خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره))؛ رواه مسلم.

3- وعن أبي هريرة τ: أن رسول الله ρ قال: ((إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمنُ - فغسل وجهَه، خرج من وجهه كلُّ خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، فإذا غسل يديه، خرج كل خطيئة كان بطشتْها يداه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه، خرجتْ كل خطيئة مشتْها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يَخرُج نقيًّا من الذنوب))؛ رواه مسلم.

4- وعنه أن رسول الله ρ قال: ((ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟))، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط))؛ رواه مسلم.

5- وعن عمر بن الخطاب τ عن النبي ρ قال: ((ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوءَ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتحتْ له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخل من أيِّها شاء))؛ رواه مسلم، وزاد الترمذي: ((اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين)).

فالوضوء طهارة ونظافة، والله يحبُّ التوابين ويحب المتطهرين، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

22 – فوائد السواك ومنافعه

قال الشيخ أبو بكر الجراعي الحنبلي:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا = فَكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ حَبَانَا

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَبَدَا = عَلَى النَّبِيِّ المصْطَفَى مُحَمَّدَا

وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ = القَانِتِينَ فِي دُجَى الظَّلاَمِ

* * *

وَبَعْدُ فَالسِّوَاكُ مِنْ عُرْجُونِ = مَنْدُوبٌ اوْ أَرَاكٍ اوْ زَيْتُونِ

وَشِبْهُ هَذَا مَا عَدَا المِضِرَّا = كَفَاكَ رَبِّي ضَرَرًا وَشَرَّا

كَذَاكَ عُودٌ قَدْ غَدَا مُفَتَّتَا = عِنْدَ السِّوَاكِ مَنْعُهُ لَقَدْ أَتَى

فَظَاهِرُ القَوْلِ تَسَاوَتْ فَضْلاً = وَفِي احْتِمَالٍ الأَرَاكُ أَوْلَى

بِإِصْبَعٍ هَلْ يَحْصُلُ المرَادُ = أَوْ خِرْقَةٍ إِنْ عُدِمَ الأَعْوَادُ

أَوْ يَحْصُلاَنِ مُطْلَقًا قَدْ قَالُوا = أَوْ لاَ تَسْمَعْ إِنَّهَا أَقْوَالُ

وَتَحْصُلُ السُّنَّةُ إِذْ ذَاكَ إِذَا = بِقَدْرِ مَا أَزَالَهُ مِنَ الأَذَى

* * *

وَهْوَ مُؤَكَّدٌ لَدَى انْتِبَاهِ = ثُمَّ القِرَاءَةْ فِي كِتَابِ اللَّهِ

كَذَا الصَّلاَةُ مَعْ تَغَيُّرِ الفَمِ = ثُمَّ الوُضُوءُ وَالدُّخُولُ فَاعْلَمِ

أَعْنِي إِلَى المنْزِلِ يَا إِمَامِي = وَاجْعَلْهُ شِبْرًا وَاسْتَمِعْ كَلاَمِي

وَبِاليَمِينِ اقْبِضْ أَوِ اليَسَارِ = فَعِنْدَنَا فِيهِ الخِلاَفُ جَارِي

وَفَوْقَهُ ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّرُوا = وَتَحْتَهُ الإِبْهَامُ ثُمَّ الخِنْصَرُ

ابْدَأْ بِهِ بِالجَانِبِ اليَمِينِ = عَرْضًا عَلَى الأَسْنَانِ لِلتَّبْيِينِ

كَذَا عَلَى اللَّثَةِ وَاللِّسَانِ = عَلَيْهِ طُولاً يَا أَخَا البَيَانِ

مَسْنُونَةٌ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ = إِلاَّ الصِّيَامَ بَعْدَمَا زَوَالِ

فَإِنَّ فِيهِ الخُلْفَ فِي الكَرَاهَةِ = مَعَ الإِبَاحَةْ يَا أَخَا النَّبَاهَةِ

وَجَاءَ الاسْتِحْبَابُ عَنْ إِمَامِ = وَهْوَ اخْتِيَارُ العَالِمِ الهُمَامِ

وُجُوبُهُ نُفِيْ عَنِ الإِنْسَانْ = إِلاَّ النَّبِيَّ المصْطَفَى العَدْنَانْ

فَإِنَّ فِيهِ الخُلْفَ فِي الوُجُوبِ = هَذَا كَذَاكَ سَائِرُ الشُّعُوبِ

البَيْهَقِيُّ قَدْ رَوَى مَرْفُوعَا = يَكُونُ خَلْفَ أُذْنِهِ مَوْضُوعَا

أَمَّا أَبُو دَاوُدَ حَقًّا قَدْ وَقَفْ = هَذَا عَلَى زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ وُقِفْ
فَاحْرِصْ عَلَيْهِ كَيْ تَنَالَ أَجْرَا = مَعْ رِضَا مَوْلاَكَ فهُوَ أَحْرَى

* * *

فَوَائِدُ السِّوَاكِ يَا إِخْوَانِي = بِهِ تَزُولُ صُفْرَةُ الأَسْنَانِ
يُطَهِّرُ الأَفْوَاهَ يُرْضِي الرَّبَّا = يُسَهِّلُ النَّزْعَ وَيُبْطِي الشَّيْبَا
يُحَسِّنُ الصَّوْتَ يُذَكِّي الفِطْنَةَ = يَزِيدُ فِي العَقْلِ يُصِيبُ السُّنَّةَ
بِهِ تَقَوَّى لَثَةُ الأَسْنَانِ = يَزِيدُ فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ
يُحِدُّ أَبْصَارًا يَزِيدُ أَجْرَا = يُطَيِّبُ النَّكْهَةَ يَنْفِي الفَقْرَا
يُزِيلُ أَيْضًا حُفْرَةَ الأَسْنَانِ = وَيَقْطَعُ السَّوْدَاءَ فِي الأَبْدَانِ
يُنْقِي الدِّمَاغَ يَا أَخَا الإِحْسَانِ = وَتَحْصُلُ القُوَّةُ لِلأَبْدَانِ
صُلْبًا قَوِيًّا يُذَكِّرُ الشَّهَادَهْ = عِنْدَ المَمَاتِ لامْرِئٍ اعْتَادَهْ
يَنْفِي عَذَابَ القَبْرِ وَالصُّدَاعَا = رُطُوبَةَ الأَجْسَادِ وَالأَوْجَاعَا
مَلاَئِكُ اللَّهِ لَهُ مُصَافِحَهْ = حِينَ تَرَى الأَنْوَارَ فِيهِ لاَئِحَهْ
يُقَطِّعُ البَلْغَمَ يَطْرُدُ المَنَامْ = يُحَصِّلُ العَوْنُ بِهِ عَلَى الدَّوَامْ
أَيْضًا يَكُونُ يَا أَخِي مُصَحِّحَا = لِمِعْدَةِ الآكِلِ ذَاكَ وَاضِحَا
بِهِ الصَّلاَةُ فُضِّلَتْ سَبْعِينَا = رَوَاهُ أَحْمَدٌ لَنَا يَقِينَا
وَيَهْزِمُ العَدُوَّ فِي الضِّرَابِ = وَفَّقَكَ الرَّحْمَنُ لِلصَّوَابِ
وَذَكَرُوا فِي لَفْظِهِ المَنَافِعْ = تَرْكُ السِّوَاكِ يَنْبَغِي يَا سَامِعْ
لِرَمَدٍ أَوْ عَطَشٍ أَوْ تُخْمَةِ = أَوْ خَفَقَانٍ قَدْ أَتَى أَوْ لَقْوَةِ[64]
أَوْ لِسُعَالٍ قَدْ عَرَضْ أَوْ قَيْءِ = وَقَاكَ رَبِّي ضُرَّ كُلِّ شَيْءِ
فَذِي ثَلاَثُونَ مِنَ الفَوَائِدْ = مَعْ خَمْسَةٍ لَقَدْ أَتَتْ زَوَائِدْ
فَاسْمَعْ هَدَاكَ اللَّهُ ذِي المَقَالَهْ = لِنَاظِمِهَا مِنْ رَبِّهِ الإِقَالَهْ
يَسْأَلُ مَوْلاَهُ مُجِيبَ الدَّاعِي = هُوَ نَجْلُ زَيْدٍ نَسَبُهُ جَرَاعِي
يُدْعَى أَبَا بَكْرٍ خُوَيْدِمَ السُّنَنْ = وَقَاهُ مَوْلاَهُ مُضِلاَّتِ الفِتَنْ
مَعْ جُمْلَةِ الأَصْحَابِ وَالإِخْوَانِ = السَّالِكِينَ مَنْهَجَ الإِيمَانِ
وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ = ثُمَّ صَلاَةُ اللَّهِ مَعْ سَلاَمِ

64 اللقوة: داء يصيب الوجه، يعوج منه الشدق إلى جانب العنق.

عَلَى النَّبِيِّ سَيِّدِ الأَنَامْ = وَالآلِ وَالصَّحْبِ لَهَا خِتَامْ

مَا نَاحَتِ الوَرْقُ عَلَى الأَفْنَانِ = وَحَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى الأَوْطَانِ[65]

65 من كتاب "الفواكه العديدة في المسائل المفيدة"، للشيخ أحمد المنقور، جـ1، ص 30 - 32.

23- رسالة في الوضوء والغسل والصلاة

بقلم/ الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

شعبان - 1397هـ

رسالة في الوضوء والغسل والصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الخلق أجمعين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى الله - تعالى - محمد بن صالح العثيمين: هذه رسالة صغيرة في الوضوء والغسل والصلاة، على حسب ما جاء في الكتاب والسنة.

الوضوء:

الوضوء: طهارةٌ واجبة من الحدث الأصغر، كالبول، والغائط، والريح، والنوم العميق، وأكل لحم الإبل.

وكيفية الوضوء:

1- أن ينوي الوضوء بقلبه بدون نطق بالنية؛ لأن النبي ρ لم ينطق بالنية في وضوئه، ولا صلاته، ولا شيءٍ من عباداته؛ ولأن الله يعلم ما في القلب؛ فلا حاجة أن يخبر عمَّا فيه.

2- ثم يسمي فيقول: "بسم الله".

3- ثم يغسل كفَّيه ثلاث مرات.

4- ثم يتمضمض ويستنشق بالماء ثلاث مرات.

5- ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، من الأُذن إلى الأذن عرضًا، ومن منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحية طولاً.

6- ثم يغسل يديه ثلاث مرات من رؤوس الأصابع إلى المرفقين، يبدأ باليمنى ثم اليسرى.

7- ثم يمسح رأسه مرة واحدة، يبلُّ يديه ثم يمرها من مقدم رأسه إلى مؤخره، ثم يعود إلى مقدمه.

8- ثم يمسح أذنيه مرة واحدة، يُدخِل سبَّابتيه في صماخيهما، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما.

9- ثم يغسل رجليه ثلاث مرات من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، يبدأ باليمنى ثم اليسرى.

الغسل:

الغسل: طهارة واجبة من الحدث الأكبر، كالجنابة، والحيض.

وكيفية الغسل:

1- أن ينوي الغسل بقلبه بدون نطق بالنية.

2- ثم يسمي فيقول: "بسم الله".

3- ثم يتوضأ وضوءًا كاملاً.

4- ثم يحثي الماء على رأسه، فإذا أرواه أفاض عليه ثلاث مرات.

5- ثم يغسل سائر بدنه.

التيمم:

التيمم: طهارة واجبة بالتراب بدلاً عن الوضوء والغسل لمن لم يجد الماء، أو تضرَّر باستعماله.

وكيفية التيمم:

أن ينويه عمَّا تيمم عنه من وضوء أو غسل، ثم يسمي، ثم يضرب الأرض أو ما يتصل بها من الجدران، ويمسح وجهَه وكفيه.

الصلاة:

الصلاة: عبادة ذات أقوال وأفعال، أولها التكبير، وآخرها التسليم.

وإذا أراد الصلاة، فإنه يجب عليه أن يتوضأ إن كان عليه حدَثٌ أصغر، أو يغتسل إن كان عليه حدث أكبر، أو يتيمم إن لم يجد الماء أو تضرر باستعماله، وينظِّف بدنه وثوبه ومكان صلاته من النجاسة.

وكيفية الصلاة:

1- أن يستقبل القبلة بجميع بدنه، بدون انحراف ولا التفات.

2- ثم ينوي الصلاة التي يريد أن يصلّيها بقلبه بدون نطق بالنية.

3- ثم يكبر تكبيرة الإحرام فيقول: "الله أكبر"، ويرفع يديه إلى حذو منكبيه عند التكبير.

4- ثم يضع كف يده اليمنى على ظهر كف يده اليسرى فوق صدره.

5- ثم يستفتح فيقول: "اللهم باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقّني من خطاياي كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد".

أو يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك".

6- ثم يتعوذ فيقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

7- ثم يبسمل ويقرأ الفاتحة فيقول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 1- 7]، ثم يقول: "آمين"؛ يعني: اللهم استجب.

8- ثم يقرأ ما تيسر من القرآن، ويطيل القراءة في صلاة الصبح.

9- ثم يركع؛ أي: يحني ظهره تعظيمًا لله، ويُكبر عند ركوعه، ويرفع يديه إلى حذو منكبيه، والسنة أن يهصر ظهره ويجعل رأسه حياله، ويضع يديه على ركبتيه مفرجتي الأصابع.

10- ويقول في ركوعه: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإن زاد: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، فحَسَنٌ.

11- ثم يرفع رأسه من الركوع قائلاً: "سمع الله لمن حمده"، ويرفع يديه حينئذٍ إلى حذو منكبيه، والمأموم لا يقول: سمع الله لمن حمده، وإنما يقول بدلها: "ربنا ولك الحمد".

12- ثم يقول بعد رفعه: "ربنا ولك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعد".

13- ثم يسجد خشوعًا لله السجدة الأولى، ويقول عند سجوده: "الله أكبر"، ويسجد على أعضائه السبعة: الجبهة مع الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، ويجافي عضديه عن جنبيه، ولا يبسط ذراعيه على الأرض، ويستقبل برؤوس أصابعه القبلةَ.

14- ويقول في سجوده: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات، وإن زاد: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، فحسن.

15- ثم يرفع رأسه من السجود قائلاً: "الله أكبر".

16- ثم يجلس بين السجدتين على قدمه اليسرى، وينصب قدمَه اليمنى، ويضع يدَه اليمنى على طرف فخذه الأيمن مما يلي ركبته، ويقبض منها الخنصر والبنصر[66]، ويرفع السبابة ويحركها عند دعائه، ويجعل طرف الإبهام مقرونًا بطرف الوسطى كالحلقة، ويضع يده اليسرى مبسوطة الأصابع على طرف فخذه الأيسر مما يلي الركبة.

17- ويقول في جلوسه بين السجدتين: "رب اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، واجبرني، وعافني".

18- ثم يسجد خشوعًا منه السجدة الثانية كالأولى فيما يُقال ويفعل، ويكبر عند سجوده.

19- ثم يقوم من السجدة الثانية قائلاً: "الله أكبر"، ويصلي الركعة الثانية كالأولى فيما يُقال ويفعل، إلا أنه لا يستفتح فيها.

---

66 هذه الصفة إنما تشرع في التشهد خاصة، ولعل ذكرها هنا سهو.

20- ثم يجلس بعد انتهاء الركعة الثانية قائلاً: "الله أكبر"، ويجلس كما جلس بين السجدتين سواء.

21- ويقرأ التشهد في هذا الجلوس، فيقول: "التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال"، ثم يدعو ربَّه بما أحب من خير الدنيا والآخرة.

22- ثم يسلم عن يمينه قائلاً: "السلام عليكم ورحمة الله"، وعن يساره كذلك.

23- وإذا كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية وقف عند منتهى التشهد الأول، وهو: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، ثم ينهض قائمًا قائلاً: "الله أكبر"، ويرفع يديه إلى حذو منكبيه حينئذٍ.

25- ثم يصلي ما بقي من صلاته على صفة الركعة الثانية، إلا أنه يقتصر على قراءة الفاتحة[67].

26- ثم يجلس متوركًا، فينصب قدمه اليمنى، ويُخرِج قدمه اليسرى من تحت ساق اليمنى، ويُمكِّن مقعدته من الأرض، ويضع يديه على فخذيه على صفة وضعهما في التشهد الأول.

27- ويقرأ في هذا الجلوس التشهد كله.

28- ثم يسلم عن يمينه قائلاً: "السلام عليكم ورحمة الله"، وعن يساره كذلك.

أشياء مكروهة في الصلاة:

1- يُكره في الصلاة الالتفاتُ بالرأس أو بالبصر؛ فأما رفعُ البصر إلى السماء، فحرامٌ.

2- ويكره في الصلاة العبث والحركة لغير الحاجة.

3- ويكره في الصلاة استصحاب ما يشغل؛ كالشيء الثقيل، والملون بما يلفت النظر.

4- ويكره في الصلاة التخصر، وهو وضع اليد على الخاصرة.

أشياء مبطلة للصلاة:

1- تبطل الصلاة بالكلام عمدًا، وإن كان يسيرًا.

2- وتبطل الصلاة بالانحراف عن القِبلة بجميع البدن.

3- وتبطل الصلاة بخروج الرِّيح من دبره، وبجميع ما يوجِب الوضوءَ أو الغسل.

---

67 وإن قرأ غيرها معها فلا بأس.

4- وتبطل الصلاة بالحركات الكثيرة المتوالية لغير ضرورة.

5- وتبطل الصلاة بالضحك، وإن كان يسيرًا.

6- وتبطل الصلاة إذا زاد فيها ركوعًا، أو سجودًا، أو قيامًا، أو قعودًا متعمدًا ذلك.

7- وتبطل الصلاة بمسابقة الإمام عمدًا.

أشياء من أحكام سجود السهو في الصلاة:

1- إذا سها في صلاته، فزاد فيها ركوعًا أو سجودًا، أو قيامًا أو قعودًا، فإنه يسلِّم منها ثم يسجد للسهو سجدتين ويسلم أيضًا.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فقام إلى ركعة خامسة، ثم ذَكَر أو ذُكِّر، فإنه يرجع بدون تكبير، ويجلس فيقرأ التشهد الأخير ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم، وكذلك لو لم يعلم بالزيادة إلا بعد فراغه منها، فإنه يسجد للسهو سجدتين ويسلم.

2- إذا سلم قبل تمام صلاته ناسيًا، ثم ذَكر أو ذُكِّر في وقت قريب، بحيث يبني آخر الصلاة على أولها، فإنه يتم ما بقي من صلاته، ثم يسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فسها فسلَّم في الركعة الثالثة، ثم ذَكر أو ذُكِّر، فإنه يأتي بالرابعة ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم، فإن لم يذكر إلا بعد زمن طويل، فإنه يعيد الصلاة من أولها.

3- إذا ترك التشهدَ الأول أو غيرَه من واجبات الصلاة نسيانًا، فإنه يسجد سجدتين للسهو قبل السلام، ولا شيء عليه، فإنْ ذكره قبل مفارقة محلِّه أتى به، ولا شيء عليه، وإن ذكره بعد مفارقة محله وقبل وصوله إلى ما يليه، رجع إليه فأتى به.

مثاله: إذا نسي التشهد الأول، فقام إلى الثالثة حتى استتم قائمًا، فإنه لا يرجع، ويسجد للسهو سجدتين قبل السلام، وإن جلس للتشهد ونسي أن يتشهد، ثم ذكر قبل أن يقوم، فإنه يتشهد ويكمل الصلاة، ولا شيء عليه، وكذلك لو قام ولم يجلس وذكر قبل أن يستتم قائمًا، فإنه يرجع ويتشهد ويكمل الصلاة، لكن ذَكَرَ أهلُ العلم أنه يسجد للسهو سجدتين من أجل النهوض الذي زاده في صلاته، والله أعلم.

4- إذا شكَّ في صلاته: هل صلى ركعتين أو ثلاثًا؟ ولم يترجح عنده أحد الطرفين - فإنه يبني على اليقين، وهو الأقل، ثم يسجد سجدتين للسهو قبل السلام ويسلم.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فشك في الركعة الثانية: هل هي الثانية أو الثالثة؟ ولم يترجح عنده أحدهما - فليجعلها الثانية وليكمل عليها، ثم يسجد قبل السلام سجدتين ويسلم.

5- إذا شك في صلاته: هل صلى ركعتين أو ثلاثًا؟ وترجح عنده أحد الطرفين - فإنه يبني على ما ترجح عنده، سواء كان الأقل أم الأكثر، ويسجد للسهو سجدتين بعد السلام ويسلم.

مثاله: إذا كان يُصلي الظهر، فشك في الركعة الثانية: هل هي الثانية أو الثالثة؟ وترجح عنده أنها الثالثة - فليجعلها الثالثة وليكمل عليها ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم.

وإذا كان الشك بعد فراغه من الصلاة، فإنه لا يلتفت إليه إلا أن يتيقَّن، وإذا كان كثير الشكوك، فإنه لا يلتفت إلى الشك؛ لأنه من الوسواس.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

حرر في 15 شعبان سنة 1397 هـ.

24- الصلاة

قال الله – تعالى –: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: 31].

أخي المسلم:

الصلاة هي أعظم فريضة بدنية، وهي ركن من أركان الإسلام، ولا إسلام بدونها؛ فهي عموده، وتركُها كفرٌ وردَّة؛ يقول النبي ρ : ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر))[68].

وعلى هذا فالعلماء يقولون: من ترك الصلاة عمدًا يُستتاب، فإنْ تاب وإلا يُقتل، ولا يكفَّن، ولا يصلَّى عليه، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، والصلاة هي الملجأ، فكان رسول الله ρ يلجأ إليها في وقت الشدة إذا نزلتْ بالمسلمين نازلةٌ، وكان يقول: ((أرِحنا بها يا بلال))؛ رواه أبو داود.

وتكاليف الحياة لا يتحمَّلها إلا المحافظون على الصلاة؛ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 19 - 23].

وإذا فقدتْ أمَّةٌ الصلاةَ، فقد فقدتْ دينَها كلَّه؛ ((آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة))[69]، والصلاة هي آخر وصية للرسول ρ قبل موته: ((الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت أيمانكم))[70].

واحذر التساهلَ في الصلاة، فتسقطَ من عين الله، كما أنها الفريضة الوحيدة التي فُرضت في السماء، فحافِظ عليها – يا أخي – بشروطها وأركانها وواجباتها، واطمئنَّ فيها، وأدِّها بخشوع، وحافِظْ عليها في المسجد؛ فإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية.

أيها الأخ المسلم، مُرْ أولادَك بالصلاة، وعوِّدهم عليها منذ الصغر؛ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، ((مُرُوهم بالصلاة لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشر))[71].

أخي المسلم، أولادُك أمانة في عنقك، وأنت المسؤول عنهم أمام الله؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 27، 28].

68 رواه أحمد وأهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

69 رواه الطبراني في "الكبير" عن شداد بن أوس، ورمز السيوطي لحسنه.

70 رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

71 الحديث رواه أحمد وأبو داود.

أخي المسلم، تذكَّر قول الله الواحد القهار عن أهل النار في القرآن: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 42، 43].

أخي المسلم، تعاهَدْ جيرانك، ومُرهم بالصلاة؛ فالجار يتعلَّق بجاره يوم القيامة إذا لم يأمره بالمعروف وينهَه عن المنكر - حفِظَك الله، وجعلنا وإياك من المقيمين الصلاة، وتوفانا جميعًا على الإسلام.

عبدالله الجلالي

25- كيفية صلاة النبي ρ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

أما بعد، فهذه كلمات موجزة في بيان صفة صلاة النبي ρ أردتُ تقديمها إلى كل مسلم ومسلمة؛ ليجتهد كلُّ من يطَّلع عليها في التأسي به ρ في ذلك؛ لقوله ρ : ((صلُّوا كما رأيتموني أصلي))؛ رواه البخاري، وإلى القارئ بيان ذلك:

1- يسبغ الوضوء، وهو أن يتوضأ كما أمره الله؛ عملاً بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، وقول النبي ρ : ((لا تُقبل صلاة بغير طهور))؛ رواه مسلم.

2- يتوجَّه المصلِّي إلى القبلة، وهي الكعبة، أينما كان، بجميع بدنه، قاصدًا بقلبه فعلَ الصلاة التي يريدها من فريضةٍ أو نافلة، ولا ينطق بلسانه بالنية؛ لأن النطق باللسان غير مشروع، بل بدعة؛ لكون النبي ρ لم ينطق بالنية ولا أصحابه - رضي الله عنهم - ويجعل له سترة يصلي إليها إن كان إمامًا أو منفردًا، واستقبال القبلة شرط في الصلاة، إلا في مسائل مستثناة معلومة موضحة في كتب أهل العلم[72].

3- يكبر تكبيرة الإحرام قائلاً: الله أكبر، ناظرًا ببصره إلى محل سجوده.

4- يرفع يديه عند التكبير إلى حذو منكبيه، أو إلى حيال أذنيه.

5- يضع يديه على صدره، اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعد؛ لثبوت ذلك عن النبي ρ

.

6- يسنُّ أن يقرأ دعاء الاستفتاح، وهو: اللهم باعِد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من خطاياي كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي

72 لا تصح الصلاة إلى غير القبلة، إلا لعاجز عن استقبالها لخوف أو غيره، وللمتنفل على الراحلة في السفر يصلي إلى أي جهة توجَّه.

بالماء والثلج والبرد، وإن شاء قال بدلاً من ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك، وإن أتى بغيرهما من الاستفتاحات الثابتة عن النبي ρ فلا بأس، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة؛ لأن ذلك أكمل في الاتِّباع، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ويقرأ سورة الفاتحة؛ لقوله ρ : ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ويقول بعدها: آمين، جهرًا في الصلاة الجهرية، وسرًّا في السرية، ثم يقرأ ما تيسر له من القرآن، والأفضلُ أن يقرأ بعد الفاتحة في الظهر والعصر والعشاء من أوساط المفصل، وفي الفجر من طواله، وفي المغرب تارة من طواله، وتارة من قصاره؛ عملاً بالأحاديث الواردة في ذلك عن النبي ρ .

7- يركع مكبرًا رافعًا يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، جاعلاً رأسه حيال ظهره، واضعًا يديه على ركبتيه، مفرِّقًا أصابعه، ويطمئن في ركوعه ويقول: سبحان ربي العظيم، والأفضل أن يكررها ثلاثًا أو أكثر، ويستحب أن يقول مع ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي.

8- يرفع رأسه من الركوع رافعًا يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، قائلاً: سمع الله لمن حمده، إن كان إمامًا أو منفردًا، ويقول حال قيامه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أما إن كان مأمومًا، فإنه يقول عند الرفع: ربنا ولك الحمد، إلى آخر ما تقدم، وإن زاد كل واحدٍ منهم - أعني: الإمام والمأموم والمنفرد -: أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ - فهو حسن؛ لثبوت ذلك عنه ρ ، ويستحب أن يضع كلٌّ منهما يديه على صدره كما فعل في قيامه قبل الركوع؛ لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ρ من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد - رضي الله عنهما.

9- يسجد مكبرًا واضعًا ركبتيه قبل يديه إذا تيسَّر له ذلك، فإن شقَّ عليه قدَّم يديه قبل ركبتيه، مستقبلاً بأصابع رجليه القبلةَ، ضامًّا أصابعَ يديه، مادًّا لها، ويكون على أعضائه السبعة: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، وبطون أصابع الرجلين، ويقول: سبحان ربي الأعلى، ويسنُّ أن يقول ذلك ثلاثًا أو أكثر، ويستحب أن يقول مع ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ويكثر من الدعاء؛ لقول النبي ρ : ((أما الركوع، فعظِّموا فيه الرب، وأما السجود، فاجتهدوا في الدعاء؛ فقمنٌ أن يستجاب لكم))؛ رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود، ويسأل ربَّه من خير الدنيا والآخرة، سواء كانت الصلاة فرضًا أو نفلاً، ويجافي عضديه عن جنبيه، وبطنَه عن فخذيه، وفخذيه

عن ساقيه، ويرفع ذراعيه عن الأرض؛ لقول النبي ρ : ((اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدُكم ذراعيه انبساطَ الكلب))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

10- يرفع رأسه مكبرًا، ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها، وينصب رجله اليمنى، ويضع يديه على فخذيه وركبتيه، ويقول: رب اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني، وعافني واجبرني، ويطمئن في هذا الجلوس؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

11- يسجد السجدة الثانية مكبرًا، ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى.

12- يرفع رأسه مكبرًا، ويجلس جِلْسة خفيفة كالجِلْسة بين السجدتين، وتسمى جلسة الاستراحة، وهي مستحبَّة، وإن تركها فلا حرج، وليس فيها ذِكر ولا دعاء، ثم ينهض قائمًا إلى الركعة الثانية، معتمدًا على ركبتيه إن تيسَّر ذلك، وإن شق عليه اعتمد على الأرض، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسَّر له من القرآن بعد الفاتحة، ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى.

13- إذا كانت الصلاة ثنائية؛ أي: ركعتين، كصلاة الفجر، والجمعة، والعيد - جلس بعد رفعه من السجدة الثانية، ناصبًا رجله اليمنى، مفترشًا رجله اليسرى، واضعًا يده اليمنى على فخذه اليمنى، قابضًا أصابعه كلها، إلا السبابة فيشير بها إلى التوحيد، وإن قبض الخنصر والبنصر من يده، وحلق إبهامها مع الوسطى، وأشار بالسبابة، فحسنٌ؛ لثبوت الصِّفتين عن النبي ρ ، والأفضل أن يفعل هذا تارة، وهذا تارة، ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى وركبته، ثم يقرأ التشهد في هذا الجلوس، وهو: ((التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم يقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد)).

ويستعيذ بالله من أربع، فيقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين، فلا بأس، سواء كانت الصلاة فريضة أو نافلة؛ لعموم قول النبي ρ في حديث ابن مسعود لما علَّمه التشهد: ((ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو))، وفي لفظ آخر: ((ثم ليختر من المسألة ما شاء))، وهذا يعم جميعَ ما ينفع العبدَ في الدنيا والآخرة، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

14- إن كانت الصلاة ثلاثية كالمغرب، أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء، قرأ التشهد المذكور آنفًا مع الصلاة على النبي ρ ثم نهض قائمًا معتمدًا على ركبتيه، رافعًا يديه إلى حذو منكبيه أو

أذنيه، قائلاً: الله أكبر، ويضعهما – أي: يديه – على صدره كما تقدم، ويقرأ الفاتحة فقط، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة عن الفاتحة في بعض الأحيان، فلا بأس؛ لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ρ من حديث أبي سعيد τ ثم يتشهَّد بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء كما تقدَّم ذلك في الصلاة الثنائية، ثم يسلم عن يمينه وشماله، ويستغفر اللهَ ثلاثًا، ثم يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلالِ والإكرام، قبل أن ينصرف إلى الناس، إن كان إمامًا، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ويسبح اللهَ ثلاثًا وثلاثين، ويحمده مثل ذلك، ويكبِّره مثل ذلك، ويقول تمام المائة: لا الله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويقرأ آية الكرسي، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، بعد كل صلاة، ويستحب تَكرار هذه السُّور الثلاث ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب؛ لورود الأحاديث بها عن النبي ρ ، وكلُّ هذه الأذكار سنة وليست بفريضة، ويشرع لكل مسلم ومسلمة أن يصلي قبل الظهر أربعَ ركعات وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين، وبعد العشاء ركعتين، وقبل صلاة الفجر ركعتين، الجميع اثنتا عشرة ركعة، وهذه الركعات تسمى الرواتب؛ لأن النبي ρ كان يحافظ عليها في الحضر، أما في السفر فكان يتركُها، إلا سنة الفجر والوتر، فإنه كان – عليه الصلاة والسلام – يحافظ عليهما حضرًا وسفرًا، والأفضلُ أن تُصلَّى هذه الرواتبُ والوتر في البيت، فإن صلاَّها في المسجد، فلا بأس؛ لقول النبي ρ : ((أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والمحافظة على هذه الركعات من أسباب دخول الجنة؛ لقول النبي ρ : ((من صلى اثنتي عشرة ركعة في يومه وليلته تطوعًا، بنى الله له بيتًا في الجنة))؛ رواه مسلم في صحيحه.

وإن صلى أربعًا قبل العصر، واثنتين قبل صلاة المغرب، واثنتين قبل صلاة العشاء، فحسنٌ؛ لأنه صح عن النبي ρ ما يدلُّ على ذلك.

والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

الرئيس العام لإدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

نصيحة لمن يتخلف عن أداء الصلاة مع الجماعة

أخي المسلم، أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يمدَّك بتوفيقه، وأن يسعفك بتأييده، وأن يجعلك من سعداء الدنيا والآخرة، وأن يجعلك ممن إذا أنعم عليه شَكَر، وإذا ابتُلي صَبَر، وإذا أذنب استغفر، وأن يعينك على ذِكره وشكره وحسْن عبادته.

أخي الكريم، يؤسفني، ويحزُّ في نفسي، ويؤلم قلبي إصرارُكم على التخلُّفِ عن أداء الصلاة مع الجماعة في المسجد، على الرغم من أنكم تتمتَّعون بالصحة والعافية، والعقل والسمع والبصر، والعلم والمعرفة، وغير خافٍ عليكم أنكم مخلوقون للعبادة، والصلاةُ أمُّ العبادات، وتعلمون أن الصلوات الخمس واجبةٌ على كل مسلم بالغٍ عاقل، غيرَ المرأةِ الحائض والنفساء، وأنها تجب على كل حالٍ، في الصحة والمرض، والإقامة والسفر، والأمن والخوف على قدر الاستطاعة؛ قال ρ: ((صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك))؛ رواه البخاري وأهل السنن، وزاد النسائي: ((فإن لم تستطع فمستلقيًا)) ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.

وغير خافٍ عليك أنه يجب على الرجل المسلم أداءُ الصلاة في أوقاتها مع الجماعة في المساجد التي بُنيتْ لأجلها، وشرع الأذان لأجلها؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: 36]، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: 18]، وتعلم أن الصلاة تكفِّر الذنوبَ والآثام، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وأن تارك الصلاة محكومٌ بكفره، وقتله، وعدم تزويجه المرأة المسلمة، وأنه إذا مات كافرًا بترك الصلاة لا يُغسَّل، ولا يكفَّن، ولا يصلَّى عليه، ولا يدفَن في مقابر المسلمين، إلا من تاب، تاب الله عليه وهو التواب الرحيم، والرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل.

وتعلم أن الحياة محدودة، والأنفاس معدودة، وأن الموت يأتي فجأة، وليس بعد الموتِ إلا الجنةُ في نعيمٍ أبدي، أو النارُ في عذاب سرمدي - أعاذنا الله والمسلمين منها - ومن أسباب دخول النار تركُ الصلاة؛ قال - تعالى -: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 42، 43]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ [إبراهيم: 31]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 34، 35].

اللهم اجعلنا وجميع المسلمين من المحافظين على الصلوات، المكرمين بنعيم الجنات، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

27- الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها، وعلاج الوسوسة

الحمد لله الذي جعل الصلاةَ عمادَ الدين، وصلةً قوية بين الله وعباده المؤمنين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن الخشوع هو الخضوع والتذلُّل والسكون، قال الله – تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1، 2]؛ أي: قد فاز وسعد ونجح المؤمنون المصلُّون، ومن صفاتهم أنهم ﴿فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، والخشوع في الصلاة هو: حضور القلب فيها بين يدي الله – تعالى – محبةً له وإجلالاً، وخوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، مستحضرًا لقُربه، فيسكن لذلك قلبُه، وتطمئن نفسُه، وتسكن حركاتُه، متأدبًا بين يدي ربِّه، مستحضرًا جميعَ ما يقوله ويفعله في صلاته من أولها إلى آخرها، فتزول بذلك الوساوسُ والأفكار، والخشوعُ هو روح الصلاة، والمقصود الأعظم منها؛ فصلاةٌ بلا خشوعٍ كبدنٍ ميت لا روح فيه.

وأصلُ الخشوع خشوعُ القلب، الذي هو مَلِك الأعضاء، فإذا خشع القلبُ خشعتِ الجوارحُ كلُّها، ولما رأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث في صلاته، قال: لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه[73]، وليس للعبد من صلاته إلا ما عَقَل منها، وحضر قلبُه فيها، والشيطانُ يريد من العبد ألاَّ يصلِّيَ ليكونَ من أصحاب النار، فإذا صلى حالَ بينه وبين نفسه، يوسوس له، ويشغله عن صلاته حتى يبطلها أو ينقصها، وفي الحديث: ((إن العبد ليصلي الصلاةَ، ولا يُكتب له إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها، حتى بلغ عشرها))[74].

وقد أرشد النبي ρ الذي هو بأمَّتِه رؤوف رحيم – أرشد إلى سلاحٍ قوي يكافح به العدو، فإذا خرج المسلم من بيته إلى المسجد أو إلى غيره، أرشده أن يقول: ((بسم الله، آمنتُ بالله، اعتصمتُ بالله، توكَّلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله))، إذا قال ذلك، يقال له: هُديتَ وكُفيتَ ووُقيتَ، ويتنحى عنه الشيطان[75]، فإذا دخل المسجد يقول: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، إذا قال ذلك، قال الشيطان: عُصم مني سائر اليوم))؛ حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد[76].

وإذا دخل في صلاته مستحضرًا عظمةَ ربِّه، وحضوره بين يديه، يقول بعد دعاء الاستفتاح: ((أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم))، ثم بعد ذلك يتفكَّر المصلي فيما يقوله ويفعله

73 "شرح السنة"، ج3/ ص261.

74 رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه؛ "الترغيب والترهيب"، ج1/ ص305.

75 رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم؛ "الأذكار"، للنووي، ص24.

76 كتاب "الأذكار"، ص33.

ويسمعه من الإمام، إذا كان مأمومًا فجهر الإمام بالقراءة، استمع لقراءته، فإذا أسرَّ اشتغل المأموم بالقراءة.

ومن مظاهر الخشوع في الصلاة: قبضُ اليد اليمنى على كوع الشمال، والنظرُ إلى موضع سجوده، وعدمُ رفع بصره إلى السماء، وعدم الالتفات يمينًا أو شمالاً، وعدمُ الحركة والعبث والاشتغال بالملابس وغيرها، وعدمُ فرقعة الأصابع أو تشبيكها؛ فكلُّ هذا ينافي الخشوع.

قال ابن عباس: "ركعتانِ في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلة والقلبُ ساهٍ"[77]، وقال سلمان الفارسي: "الصلاة مكيالٌ، فمن وفَّ وُفِّي له، ومن طفَّف، فقد علِمتم ما قال الله في المطففين"[78]، وفي الحديث: ((أسوأ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته؛ وهو الذي لا يتم ركوعَها ولا سجودَها، ولا القراءةَ فيها))[79]، وفي الحديث: ((إن الله يَنصبُ وجهَه لوجه عبده في صلاته، ما لم يلتفت))[80]، والالْتفات المنهيُّ عنه في الصلاة قسمان: الْتفاتُ القلب عن الله - تعالى - إلى غيره، والْتفات البصر، وكلاهما منهيٌّ عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده، ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفتَ بقلبه أو بصرِه، أعرض الله عنه[81].

وقد سئل النبي ρ عن الالتفات في الصلاة، فقال: ((هو اختلاسٌ يختلسه الشيطانُ من صلاة العبد))[82]، وفي رواية: ((إياك والالتفاتَ في الصلاة؛ فإنه هَلَكة))[83].

إن الرجل منَّا إذا أراد أن يقابل مَلِكًا أو رئيسًا، تجمَّلَ لمقابلته، وأقْبل عليه بكليَّته وسمعه وبصره، وإن المصلِّي يقف أمام الله مَلِك الملوك، يناجيه بكلامه، وهو يراه ويسمعه، ويعلم سرَّه وعلانيته، فليراقبْه بالخشوع والخضوع، والمحبة والخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.

إن الصلاة بقيامها وركوعها، وسجودِها وأذكارها، وجميعِ حركاتها - عبادةٌ لله تعني الانقيادَ الكامل، والطاعةَ التامة، والاستسلامَ لله ربِّ العالمين، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه مدى الحياة، وفي جميع الأزمنة والأمكنة.

---

77 "شرح السنة"، ج3/ ص261.

78 المصدر السابق في نفس الصفحة، وأخرجه البيهقي في "سننه"، ج2/ ص261.

79 رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه؛ "الترغيب والترهيب"، ج3/ ص299.

80 رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح؛ "الترغيب والترهيب"، ج1/ ص333.

81 "الوابل الصيب"، ص26, وانظر: "الترغيب والترهيب"، ج1/ ص333.

82 رواه البخاري ومسلم، وانظر: المصدر السابق ص27.

83 رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: صحيح؛ "الترغيب والترهيب"، ج1/ ص335.

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه: "الوابل الصيب من الكلم الطيب": "والناس في الصلاة على مراتبَ خمسةٍ:

إحداها: مرتبة الظالم لنفسه المفرِّط، وهو الذي نَقَصَ من وضوئها ومواقيتها، وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها؛ لكن قد ضيع مجاهدةَ نفسه بالوسوسة؛ فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهَدَ نفسه في دفْع الوساوس والأفكار، فهو مشغول في مجاهدة عدوِّه؛ لئلا يسرق من صلاته؛ فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمَلَ حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها؛ لئلا يضيع منها شيءٌ؛ بل همُّه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبَه ووضعه بين يدي ربه - سبحانه وتعالى - ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وتعظيمه، كأنه يراه ويشاهدُه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضلُ وأعظم مما بين السماء والأرض.

فالقِسم الأول: معاقَب، والثاني: محاسَب، والثالث: مكفَّر عنه، والرابع: مثاب، والخامس: مقرَّب من ربه؛ لأن له نصيبًا ممن جُعلتْ قرة عينه في الصلاة فاستراح بها، كما كان رسول الله ρ يقول: ((أرِحْنا يا بلال بالصلاة))[84]، ويقول: ((جُعلت قرة عيني في الصلاة))[85]، ومن قَرَّتْ عينُه بالصلاة قرَّتْ عينُه بالله، ومن قرتْ عينه بالله قرتْ به كلُّ عين، ومن لم تقرَّ عينُه بالله تقطعتْ نفسُه على الدنيا حسرات، وإنما يقوى العبدُ على حضوره في الصلاة، واشتغاله فيها بربه، إذا قهر شهوتَه وهواه، وإلا فقلبٌ قد قهرتْه الشهوةُ، وأسَرَه الهوى، ووجد الشيطان فيه مقعدًا تمكن فيه، كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟!"[86] انتهى.

وقال بعض العلماء: يحتاج المصلِّي إلى أربع خصال حتى تُرفع صلاته: حضور قلب، وشهود عقل، وخضوع أركان، وخشوع الجوارح، فمَن صلى بلا حضور قلب، فهو مصلٍّ لاهٍ، ومن صلى بلا شهود عقل، فهو مصلٍّ ساهٍ، ومن صلى بلا خضوع الأركان، فهو مصلٍّ جافٍ، ومن صلى بلا خشوع الجوارح، فهو مصلٍّ خاطئٌ، ومن صلى بهذه الأركان، فهو مصلٍّ وافٍ[87].

---

84 ذكره ابن القيم في "زاد المعاد"، ج1/ ص136، ورواه أبو داود عن سالم بن أبي الجعد.

85 رواه الطبراني في "الكبير" عن المغيرة بن شعبة؛ "الجامع الصغير"، ج1/ ص144.

86 "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ص30- 31.

87 "شرح الأربعين النووية"، للنووي، ص15، من مجموعة الحديث.

وقال ρ لمن طلب منه موعظةً وجيزة: ((صلِّ صلاةَ مودِّع))[88]؛ أي: إذا صليتَ فأكمل صلاتَكَ كأنها آخر صلاة تصلِّيها في حياتك، والخشوع في الصلاة حالةٌ تخضع وتطمئن فيها الجوارحُ بأعمال الصلاة، ترافقها أذكارٌ صادرة عن ذهن حاضر متدبِّر، وتواكبها خواطرُ تقوم بالفؤاد منفعلة بمهابة الله وإجلاله، ومشاعرُ متَّجهة إليه في القنوت والإخبات.

ولا تتم صلاةٌ بغير خشوع مهما كانتْ ملتزمة بالمظهر المسنون، أو انضبطتْ فيها الحركات الآلية، أو تم كلامُ اللسان، والخشوع حالة لا تتيسَّر إلا لمن تعهَّد نفسه بالتزكية، ورطَّب لسانه بذِكر الله في كل حين، وألان فؤادَه باستشعار هيبة ربِّه؛ حتى تفجرتْ في نفسه ينابيعُ الإيمان، وعرف طمأنينة اليقين، فصار يحسن العبادة كأنه يرى الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16]، وقد فسَّر النبي ρ الإحسانَ بأنْ ((تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك))[89].

والخشوع تكاملٌ بين معانٍ مختلفة، من التوجُّه إلى الله، ومن التجرُّد له عما سواه، واستشعار جلال الله وعظمته، والتذلُّل له، والخضوع والاستكانة بين يديه، ولا بد من استحضار هذا الشعورِ الكامل لدى كلِّ قول أو عمل من إجراءات الصلاة؛ فالخشوع قيامُ القلب بين يدي الربِّ بالخضوع والذلِّ.

وأجمع العارفون على أن الخشوع محلُّه القلب، وثمرتُه على الجوارح؛ فالخاشعون هم الخاضعون لله والخائفون منه، وفسر الخشوع في الصلاة بأنه جمْعُ الهمة لها، والإعراضُ عما سواها، وهذا الخشوع وسيلةٌ لتنمية مَلَكة حصر الذهن، التي لها أكبر الأثر في نجاح الإنسان في هذه الحياة، وقد علق فلاح المصلِّين بالخشوع في صلاتهم؛ فدلَّ على أن من لم يخشع في صلاته، فليس من أهل الفلاح[90].

ومما يبطل الصلاةَ: الكلامُ العمد، والضحكُ، والأكلُ والشرب، وكشفُ العورة، والانحرافُ عن جهة القبلة، والعبثُ الكثير، وحدوثُ النجاسة.

ومما يعصم من الشيطان: التعوذُ بالله منه، ومخالفتُه، والعزم على عصيانه، وكثرة ذِكر الله – تعالى – قال ρ: ((رأيتُ رجلاً من أمتي قد احتوشتْه الشياطين، فجاء ذِكرُ الله، فطرد الشيطانَ عنه))[91].

---

88 رواه أحمد؛ "بهجة قلوب الأبرار"، لابن سعدي، ص190.

89 رواه مسلم.

90 "مدارج السالكين"، 121/1، و126.

91 رواه أبو موسى المديني، وقال: حديث حسن؛ "الوابل الصيب"، ص110.

أخي المسلم، حافِظ على صلواتك الخمس بشروطها وأركانها، وواجباتها وخشوعها، وسننها ومكملاتها؛ حتى يحفظَك الله بها، وقد شبَّهها رسول الله ρ في محْوِها للخطايا بالنهر الجاري الذي يغتسل منه العبدُ كلَّ يوم خمسَ مراتٍ، فيذهب ما فيه من الأوساخ والأدران، قال: ((فكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا))[92]، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 34، 35].

اللهم اجعلنا وجميع المسلمين من المحافظين على الصلوات، المكرمين بنعيم الجنات، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

28- الصلاة والطهارة لأهل الأعذار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة فيما يجب على المرضَى في طهارتهم وصلاتهم؛ فإن للمريض أحكامًا تخصُّه في ذلك؛ لما هو عليه من الحال التي اقتضتِ الشريعةُ الإسلامية مراعاتَها؛ فإن الله - تعالى - بعث نبيَّه محمدًا ρ بالحنيفية السمحة، المبنيَّة على اليسر والسهولة؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقال - تعالى -: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال - تعالى -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16]، وقال النبي ρ: ((إن الدين يسر))[93]، وقال ρ: ((إذا أمرتُكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم))[94].

وبناء على هذه القاعدة الأساسية؛ خفَّف الله - تعالى - عن أهل الأعذار عباداتهم بحسب أعذارهم؛ ليتمكَّنوا من عبادة الله - تعالى - بدون حرج ولا مشقة، والحمد لله رب العالمين.

92 الحديث متفق عليه.

93 رواه البخاري والنسائي.

94 رواه البخاري ومسلم بلفظ: ((وما أمرتكم به، فأتوا منه ما استطعتم)).

الطهارة

1- يجب على المريض أن يتطهَّر بالماء، فيتوضأ من الحدث الأصغر، ويغتسل من الحدث الأكبر.

2- فإن كان لا يستطيع التطهرَ بالماء؛ لعجزه، أو خوفه من زيادة المرض أو تأخر برئه، فإنه يتيمم.

3- كيفية التيمم أن يضربَ الأرض الطاهرة بيديه ضربةً واحدة، فيمسح بهما وجهَه، ثم يمسح كفَّيه بعضهما ببعض، فإن لم يستطع أن يتيمم بنفسه يمِّمه شخصٌ آخر، فيضرب الشخص الأرضَ الطاهرة بيديه، ويمسح وجه المريض وكفيه، كما لو كان لا يستطيع أن يتوضأ بنفسه، فيوضِّئه شخصٌ آخر.

4- ويجوز أن يتيمم من الجدار، أو من شيء آخر طاهر له غبار، فإن كان الجدار ممسوحًا بشيء من غير جنس الأرض كالبوية، فلا يتيمم منه إلا أن يكون له غبار.

5- إذا لم يكن جدار ولا شيء غيره له غبار، فلا بأس أن يوضع تراب في منديل أو إناء ويتيمم منه.

6- إذا تيمم لصلاة وبقي على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى، فإنه يصلِّيها بالتيمم الأول ولا يعيد التيمم؛ لأنه لم يزل على طهارته، ولم يوجد ما يبطلها.

7- يجب على المريض أن يطهر بدنَه من النجاسات، فإن كان لا يستطيع صلَّى على حاله، وصلاتُه صحيحة ولا إعادة عليه.

8- يجب على المريض أن يطهر ثيابه من النجاسات، أو يخلعها ويلبس ثيابًا طاهرة، فإن لم يستطع، صلَّى على حاله، وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

9- يجب على المريض أن يصلي على شيء طاهر، فإن كان على فراش نجس، غسَلَه أو أبدله بفراش طاهر، أو فرش عليه شيئًا طاهرًا، فإن لم يستطع، صلى على ما هو عليه، وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه.

الصلاة

1- يجب على المريض أن يصلي صلاةَ الفريضة قائمًا، ولو منحنيًا أو معتمدًا على جدار، أو عمودٍ، أو عصا.

2- فإن كان لا يستطيع الصلاة قائمًا، صلى جالسًا، والأفضل أن يكون متربِّعًا في موضع القيام والركوع، ومفترشًا في موضع السجود.

3- فإن كان لا يستطيع الصلاة جالسًا، صلَّى على جنبه متوجِّهًا إلى القبلة، والجنب الأيمن أفضلُ من الجنب الأيسر، فإن لم يتمكن من التوجُّه إلى القبلة، صلى حيث كان اتجاهه ولا إعادة عليه.

4- فإن كان لا يستطيع الصلاة على جنبه، صلى مستلقيًا، رِجلاه إلى القبلة، والأفضل أن يرفع رأسه قليلاً ليتَّجه إلى القبلة، فإن لم يستطع أن تكون رجلاه إلى القبلة، صلى حيث كانت ولا إعادة عليه.

5- يجب على المريض أن يركع ويسجد، فإن لم يستطع أومأ بهما برأسه، ويجعل السجود أخفضَ من الركوع، فإن استطاع الركوع دون السجود، ركع حال الركوع، وأومأ بالسجود، وإن استطاع السجود دون الركوع، سجد حال السجود، وأومأ بالركوع.

6- فإن كان لا يستطيع الإيماء برأسه في الركوع والسجود، أشار بطرْفه - أي: بعينه - فيغمض قليلاً للركوع، ويغمض أكثر للسجود، وأما الإشارة بالإصبع كما يفعله بعض المرضى، فليس بصحيح، ولا أعلم له أصلاً من الكتاب والسنة، ولا من أقوال أهل العلم.

7- فإن كان لا يستطيع الإيماء بالرأس، ولا الإشارة بالعين، صلَّى بقلبِه، فينوي الركوع والسجود والقيام والقعود بقلبه، ولكل امرئٍ ما نوى.

8- يجب على المريض أن يصلي كلَّ صلاة في وقتها بحسب استطاعته، على ما سبق تفصيله، ولا يجوز أن يؤخِّرها عن وقتها.

9- فإن شقَّ عليه فعلُ كل صلاة في وقتها، فله الجمعُ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، جمع تقديم، أو جمع تأخير حسبما يتيسر له، إن شاء قدَّم العصر مع الظهر، وإن شاء أخَّر الظهر مع العصر، وإن شاء قدم العشاء مع المغرب، وإن شاء أخر المغرب مع العشاء، أما الفجر فلا تجمع لما قبلها ولا لما بعدها؛ لأن وقتها منفصل عما قبلها وعما بعدها؛ قال الله - تعالى -: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78][95].

كتب ذلك الفقير إلى الله - تعالى - محمد الصالح العثيمين في 1400/1/14هـ.

29- مزايا الصلاة على سائر العبادات

وللصلاة من المزايا ما ليس لغيرها من سائر العبادات، فمنها:

1- أن الله - سبحانه وتعالى - تولَّى فرضيتَها على رسوله ρ بمخاطبته له ليلة المعراج، من غير

---

95 انظر: "المغني"، لابن قدامة مع "الشرح الكبير"، 2/85- 88.

واسطة المَلَك جبرائيل كسائر العبادات.

2- أن الصلاة أكثر الفرائض ذِكرًا في القرآن الكريم، فتارة يخصها بالذِّكر، وتارة يقرنها بالزكاة، وتارة يقرنها بالصبر، وتارة يقرنها بالنسك، وتارة يفتتح بها أعمال البِر ويختتمها بها، كما في آيات سورة المعارج، وكما في أول سورة "المؤمنون".

3- أن الصلاة أول ما أوجَبَ الله على عباده من العبادات العملية؛ فإن وجوبها قبل وجوب الزكاة والصيام والحج.

4- أن وجوبها عامٌّ على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والغني والفقير، والمقيم والمسافر، والصحيح والمريض، فلا تسقط الصلاةُ عنه ما دام عقلُه ثابتًا.

5- أنها أول ما يُحاسَب عليه العبدُ يوم القيامة، وآخر ما يفقده من دينه.

6- أنها قوام الدين وعماده، فلا يستقيم دين إلا بها؛ كما في الحديث: ((رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة))، فمتى سقط العمود ذهب الدين، والحديث رواه الترمذي وصححه.

7- أن الرسول ρ اهتم بها اهتمامًا عظيمًا؛ فهي آخر ما أوصى به أُمَّتَه عند مفارقته الدنيا، جعل يقول: ((الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكم))؛ رواه أحمد وغيره.

8- أن الله أوجبها في اليوم والليلة خمس مرات، بخلاف غيرها من بقية الأركان.

وبالجملة فأمرُ الصلاة عظيم، وشأنها كبير؛ فقبول سائر الأعمال موقوفٌ على فعلها، فلا يقبل الله من تاركِها صومًا ولا حجًّا، ولا صدقة ولا جهادًا، ولا شيئًا من الأعمال، فيجب على المسلمين جميعًا الاعتناءُ بها، والمحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة في المساجد؛ ليفوزوا بعظيم الأجر والثواب المرتَّب عليها، وليَسلَموا من الإثم والعقاب المعدّ لمن ضيّعها؛ قال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18].

وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 34، 35].

اللهم اجعلنا وجميع المسلمين من المحافظين على الصلوات، المكرمين بنعيم الجنات.

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تنبيه:

انظر هذه المزايا في كتاب "الصلاة"، لابن القيم - رحمه الله تعالى - ص 12- 13.

30- الأذكار الواردة بعد السلام من الصلاة

1- أستغفر الله ثلاثًا؛ رواه مسلم وغيره.

2- اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام؛ رواه مسلم وغيره.

3- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ (متفق عليه)، مرة بعد كل صلاة، وعشر مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب.

4- لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ رواه مسلم.

5- لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون؛ رواه مسلم.

6- اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد؛ متفق عليه.

7- اللهم أعنِّي على ذِكرك وشكرك وحسن عبادتك؛ رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

8- ربِّ أجرني من النار، سبع مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب فقط؛ رواه أبو داود بإسناد حسن.

9- سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ثلاثًا وثلاثين مرة، ثم يقول: لا إله إلا الله... إلخ؛ رواه مسلم.

10- قراءة آية الكرسي: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ إلخ؛ رواه النسائي، الآية رقم 255 من سورة البقرة.

11- قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مرة بعد كل صلاة، وثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة العصر؛ رواه أهل السنن الأربعة.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخي المسلم، حافظْ على هذه الأذكار بعد كل صلاة؛ ليحفظك الله بها، وفَّقك الله لكل خير، وحفظك من كل سوء، وجعلك مباركًا أينما كنت، وأعانك على ذِكره وشكره وحسن عبادته.

31- صلاة الجمعة وخطبتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لقد شرع الله للمسلمين الاجتماعَ في يوم الجمعة؛ لأداء صلاة الجمعة في المسجد الجامع، يجتمع فيه سكانُ الحي، فيتعارفون ويتآلفون، ويسلِّم بعضهم على بعض، وتتكوَّن فيما بينهم أسبابُ المحبة والإخاء والمودة، وجعل الله الجمعةَ إلى الجمعة كفارةً لما بينهما إذا اجتُنبتِ الكبائر، وشرع للإمام بهذا

الاجتماع أن يخطب بهم خطبةً تناسب الحال، وتعالج المشاكلَ الحادثة في أثناء الأسبوع الماضي؛ لذا ينبغي للخطباء – وفَّقهم الله – أن يراعوا المناسبات في خطبهم؛ ليكون لها وقعٌ وفائدة ملموسة.

وقد أوجب الله على المؤمنين الإنصاتَ والاستماع للخطبة، وحرَّم الكلام والإمامُ يخطب؛ ليتجه السمع والبصر، والعقل والفكر إلى الخطبة، فيتأثر السامع بما يسمع من أمرٍ ونهي، ووعدٍ ووعيد، وترغيبٍ وترهيب، وحلالٍ وحرام؛ لهذا ينبغي للخطيب أن ينتهز الفرصةَ في الدعوة إلى الله، والحث على فعل الواجبات والمستحبَّات، وترْك المحرَّمات والمكروهات، وأن يشيد بمحاسن الإسلام، وشُعب الإيمان، وحقوق المسلم على أخيه المسلم، وأن يذكِّر بأحكام العبادات والمعاملات ما يحلُّ منها وما يحرم، والعقائد والأخلاق والآداب الإسلامية، وأن يُعنى بالتحذير من المعاصي المتفشية بين الناس حتى استحلَّها أكثرهم، وخصوصًا كبائر الذنوب التي ورد فيها حدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو لُعِنَ فاعلُها، أو ورد فيها وعيد بالنار، أو نفي إيمان؛ كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والربا، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين.

والجمعة تجمع أقوامًا قد لا يحضرون الصلاةَ في المساجد إلا يوم الجمعة، فهي فرصة ثمينة للإمام والمأمومين، كما ينبغي للخطباء مراعاةُ هدي النبي ρ في خُطَبه، وكان إذا خطب احمرَّتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتد غضبُه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم أو مسَّاكم.

قال ابن القيم – رحمه الله – في "زاد المعاد في هدي خير العباد" ج1: "وكان مدارُ خطبه ρ على حمْد الله، والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذِكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين مواقع رضاه، وموارد غضبه، فعلى هذا كان مدار خطبه، وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجةُ الناس، ويكثر الذكر، ويقصد الكلمات الجوامع، وكان يقول: ((إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته – مئنةٌ من فقهه؛ فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة))[96]، وكان يعلِّم أصحابَه في خطبته شرائعَ الإسلام وقواعدَه، ويأمرهم وينهاهم إذا عرض له أمرٌ أو نهي، كما أمر الداخلَ وهو يخطب أن يصلي ركعتين، ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك، وأمَرَه بالجلوس، وكان يفتتح خطبَه بالحمد، ويختتمها بالاستغفار، وكان كثيرًا ما يخطب بالقرآن"[97].

هذا، وبالنظر إلى أن أكثر الخطباء لا يستطيعون إنشاءَ الخطب؛ فإنني أقترح على وزارة الحج والأوقاف ورئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: أن يكلِّفوا لجنة من ذوي الكفاءة والعلم والمعرفة والقدرة، بتأليف خطب تناسب العصر الحاضر، ثم تطبع وتوزع على الخطباء؛

---

96 رواه أحمد ومسلم.

97 انظر هدي النبي ρفي خطبه في "زاد المعاد"، لابن القيم، 186/1، و425.

عملاً بقول الله – تعالى –: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 2].

والله ولي التوفيق.

خصائص يوم الجمعة

كان من هدْي النبي ρ تعظيمُ هذا اليوم وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره؛ منها:

1- أنه ρ يقرأ في فجره بسورتي ألم تنزيل (السجدة)، وهل أتى على الإنسان.

2- استحباب كثرة الصلاة فيه على النبي ρ .

3- صلاة الجمعة، التي هي من آكدِ فروض الإسلام.

4- الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكَّد جدًّا.

5- التطيب فيه، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع.

6- السواك فيه، وله مزية على السواك في غيره.

7- التبكير لصلاة الجمعة، وفيه فضلٌ عظيم.

8- أن يشتغل بالصلاة، والذِّكر، والقراءة حتى يخرج الإمام.

9- الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوبًا.

10- قراءة سورة الكهف في يومها.

11- أنه لا يُكره فعل الصلاة في يومها وقتَ الزوال.

12- قراءة سورتي الجمعة والمنافقين، أو سبح والغاشية في صلاة الجمعة.

13- أنه يوم عيد متكرر في كل أسبوع.

14- أنه يستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها.

15- أنه يُستحب فيه تجميرُ المسجد؛ أي: تطييبه بالبخور.

16- أنه لا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعةُ بعد دخول وقتها.

17- أن للماشي إلى الجمعة بكل خطوة أجرَ سنة صيامها وقيامها؛ لحديث عبدالله بن عمرو، وقال المنذري: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وحديث أوس بن أوس بمعناه.

18- أن يوم الجمعة يوم تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب.

19- أن جهنم توقد كلَّ يوم إلا يوم الجمعة.

20- أن فيه ساعة الإجابة، التي لا يُسأل اللهُ فيها شيئًا إلا أعطاه؛ لحديث أبي هريرة، وفيه:

((لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله فيها شيئًا، إلا أعطاه إياه))[98].

21- أن في يوم الجمعة صلاةَ الجمعة، التي خصت من بين سائر الصلوات المفروضة بخصائصَ لا توجد في غيرها.

22- أن فيه الخطبةَ، التي يقصد بها الثناء على الله - تعالى - وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، والوصية بتقوى الله - تعالى.

23- أن يوم الجمعة يُستحب أن يتفرغ فيه للعبادة.

24- أنه في الأسبوع كالعيد في العام.

25- أن للصدقة فيه مزيةً على سائر الأيام.

26- أنه يوم يتجلَّى الله فيه لأوليائه المؤمنين في الجنة.

27- أنه فسر (الشاهد) الذي أقسم الله به في كتابه العزيز بيوم الجمعة.

28- أنه اليوم الذي تفزع منه السمواتُ والأرض، والجبال والبحار، والخلائق كلها، إلا الإنس والجن.

29- أنه اليوم الذي ادَّخره الله لهذه الأمَّة، وأضلَّ عنه أهلَ الكتاب قبلهم.

30- أنه خيرة الله من أيام الأسبوع، كما أن شهر رمضان خيرتُه من شهور العام.

31- أن الموتى تدنو أرواحُهم من قبورهم، فيعرفون زوارهم، ومن يمر بهم، ويسلم عليهم.

32- أنه يُكره إفراد يوم الجمعة بالصوم.

33- أن يوم الجمعة يوم تذكير الناس بالمبدأ والمعاد، والثواب والعقاب؛ فهو يوم الاجتماع شرعًا في الدنيا، وقدرًا في الآخرة، وفي مقدار انتصافه وقت الخطبة والصلاة يكون أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم؛ كما ثبت ذلك عن ابن مسعود من غير وجه[99].

33- تغسيل الميت وتكفينه

1- **فضل تغسيل الميت وتكفينه**: عن أبي رافع τ قال: قال رسول الله ρ: ((من غسَّل ميتًا فكتم عليه، غَفَرَ الله له أربعين كبيرة، ومن حفر لأخيه قبرًا حتى يجنَّه، فكأنما أسكنه مسكنًا حتى يبعث))؛ رواه الطبراني في "الكبير"، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ولفظه: ((من غسَّل ميتًا فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتًا، كساه الله من

---

98 رواه البخاري ومسلم.

99 انظر: "زاد المعاد في هدي خير العباد"، لابن القيم، 1/100- 106.

سندسٍ وإستبرق في الجنة، ومن حفر لميت قبرًا فأجنه فيه، أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة))[100].

2- **حكم تغسيل الميت وتكفينه:** غسْل الميت وتكفينه فرضُ كفاية على من علِم به من المسلمين، إذا قام بهما من يكفي سقط الإثمُ عن الباقين.

3- **من يتولى تغسيل الميت:** يشترط أن يكون مسلمًا، وينبغي أن يكون ثقة أمينًا، عالمِا بأحكام الغسل، ثم إن كان الميتُ رجلاً، تولى تغسيلَه الرجالُ، ولا يجوز للنساء تغسيلُه، إلا الزوجة؛ فلها أن تغسل زوجها، وإن كان الميت امرأة، تولى تغسيلَها النساء، ولا يجوز للرجال تغسيلُها، إلا الزوج؛ فله أن يغسل زوجته، وإن كان الميت صغيرًا دون سبع سنين، فلكلٍّ من الرجال والنساء تغسيلُه.

4- **صفة الماء الذي يغسل به:** يشترط أن يكون الماء طهورًا مباحًا، والأفضل أن يكون باردًا، إلا عند الحاجة لإزالة وسخ على الميت، أو في شدة برد، فلا بأس بتسخينه.

5- **مكان تغسيل الميت:** يكون التغسيل في مكان مستورٍ عن الأنظار ومسقوفٍ، من بيت، أو خيمة، ونحوها، إن أمكن.

6- **ما يُفعل بالميت قبل التغسيل:** يُستر ما بين سُرَّته وركبته وجوبًا، ثم يُجرَّد من ثيابه، ويوضع على سرير الغسل منحدرًا نحو رجليه؛ لينصب عنه الماء وما يخرج منه.

7- **من يحضر التغسيل:** يحضره الغاسل، ومن يُعينه على الغسل، ويُكرَه لغيرهم حضورُه.

8- **صفة التغسيل:** ينبغي أولاً: أن يرفع الغاسل رأسَ الميت إلى قرب جلوسه، ثم يمر يده على بطنه ويعصره برفق؛ ليخرج منه ما هو مستعدٌّ للخروج، ويكثر صبَّ الماء حينئذٍ ليذهب بالخارج، ثم يلف الغاسل على يده خرقةً خشنة، فينجي الميت، وينقي المخرج بالماء، ثم ينوي التغسيل ويسمي، ويوضِّئه كوضوء الصلاة، إلا في المضمضة والاستنشاق، فيكفي عنهما مسحُ الغاسل أسنان الميت ومنخريه بإصبعيه مبلولتين، أو عليهما خرقة مبلولة بالماء، ولا يدخل الماء فمه ولا أنفه، ثم يغسل رأسه ولحيته برغوة سدر أو صابون، ثم يغسل ميامنَ جسده؛ صفحة عنقه اليمنى، ثم يده اليمنى وكتفه، ثم شق صدره الأيمن، وجنبه الأيمن، وفخذه الأيمن، وساقه وقدمه الميامن، ثم يقلبه على جنبه الأيسر، فيغسل شقَّ ظهره الأيمن، ثم يغسل جانبه الأيسر كذلك، ثم يقلبه على جنبه الأيمن، فيغسل شق ظهره الأيسر، ويستعمل السدر مع الغسل أو الصابون، ويستحب أن يلفَّ على يده خرقةً حالَ التغسيل.

---

100 انظر: "الترغيب الترهيب"، للمنذري (5/ 299).

9- **عدد الغسلات**: إن حصل الإنقاء، فالواجبُ غسلةٌ واحدة، والمستحبُّ ثلاثُ غسلات، وإن لم يحصل الإنقاء، زاد في الغسلات حتى ينقى إلى سبع غسلات، ويستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافورًا؛ لأنه يصلب بدن الميت، ويطيبه، ويبرده، فلأجل ذلك يجعل في الغسلة الأخيرة؛ ليبقى أثره.

10- **ما يُفعل بالميت بعد التغسيل**: يُنشف بثوب ونحوه، ويُقص شاربُه، وتُقلم أظفارُه إن طالتْ، ويؤخذ شعر إبطيه، ويجعل المأخوذ معه في الكفن، ويضفر شعر رأس المرأة ثلاثة قرون ويسدل من ورائها.

11- **ما يفعل بالميت إذا تعذر غسله**: من تعذَّر غسلُه؛ لعدم الماء، أو خيف تقطُّعُه بالغسل كالمجذوم والمحترق، أو كان الميت امرأةً مع رجال ليس فيهم زوجها، أو رجلاً مع نساء ليس فيهن زوجته، فإن الميت في هذه الأحوال يُيمَّم بالتراب، بمسح وجهه وكفيه من وراء حائل على يد الماسح، وإن تعذَّر غسل الميت، غسل ما أمكن غسله منه، ويمم عن الباقي.

12- **ما يشرع في حق الغاسل بعد الغسل**: يستحب لمن غسل ميتًا أن يغتسل، وليس ذلك بواجب.

أحكام التكفين

1- **صفة الكفن**: يشترط أن يكون ساترًا، ويستحب أن يكون أبيضَ نظيفًا، سواء كان جديدًا - وهو الأفضل - أو غسيلاً.

2- **مقدار الكفن**: الواجب ثوبٌ يستر جميعَ الميت، والمستحب تكفين الرجل في ثلاث لفائف، وتكفين المرأة في خمسة أثواب: إزار، وخمار، وقميص، ولفافتين، ويكفَّن الصغير في ثوب واحد، ويباح في ثلاثة أثواب، وتكفن الصغيرة في قميص ولفافتين، ويُستحب تجميرُ الأكفان بالبخور، بعد رشها بماء الورد ونحوه؛ لتَعلق بها رائحةُ البخور.

3- **صفة تكفين الرجل**: تبسط اللفائف الثلاث بعضها فوق بعض، ثم يؤتى بالميت مستورًا وجوبًا بثوبٍ ونحوه، ويوضع فوق اللفائف مستلقيًا، ثم يؤتى بالحنوط - وهو الطِّيب - ويجعل منه في قطن بين أليتي الميت، ويُشَدُّ فوقه خرقة، ثم يجعل باقي القطن المطيَّب على عينيه ومنخريه، وفمه وأذنيه، وعلى مواضع سجوده: جبهته وأنفه، ويديه، وركبتيه، وأطراف قدميه، ومغابن البدن: الإبطين، وطي الركبتين، وسُرَّته، ويجعل من الطِّيب بين الأكفان، وفي رأس الميت، ثم يرد طرف اللفافة العليا من الجانب الأيسر على شقه الأيمن، ثم طرفها الأيمن على شقه الأيسر، ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك، ويكون الفاضل من طول اللفائف عند رأسه أكثرَ مما عند رجليه، ثم يجمع الفاضل عند رأسه، ويرده على وجهه، ويجمع الفاضل عند رجليه، فيرده على رجليه، ثم يعقد على اللفائف؛ لئلا تنتشر، وتحل العقد في القبر.

4- **صفة تكفين المرأة**: تكفن المرأة في خمسة أثواب: إزار تؤزر به، ثم تلبس قيمصًا، ثم تخمر بخمار على رأسها، ثم تلف بلفافتين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

الشيخ صالح الفوزان العبدالله

34- أحكام الصلاة على الميت

فضلها: عن أبي هريرةَ τ قال: قال رسول الله ρ: ((من شهد الجنازةَ حتى يصلَّى عليها، فله قيراطٌ، ومن شهدها حتى تدفن، فله قيراطان))، قيل: وما القيراطان؟ قال: ((مثل الجبلين العظيمين))؛ متفق عليه.

حكمها: فرض كفاية؛ إذا فعلها البعض، سقط الإثمُ عن الباقين، وتبقى في حق الباقين سُنة،

وإن تركها الكلُّ، أثِمُوا.

شروطها: النية، واستقبال القبلة، وستر العورة، وطهارة المصلِّي والمصلَّى عليه، واجتناب النجاسة، وإسلام المصلي والمصلى عليه، وحضور الجنازة إن كان بالبلد، وكون المصلي مكلَّفًا.

أركانها: القيام فيها، والتكبيرات الأربع، وقراءة الفاتحة، والصلاة على النبي ρ والدعاء للميت، والترتيب، والتسليم.

سننها: رفع اليدين مع كل تكبيرة، والاستعاذة قبل القراءة، وأن يدعوَ لنفسه وللمسلمين، والإسرار بالقراءة، وأن يقف بعد التكبيرة الرابعة وقبل التسليم قليلاً، وأن يضع يده اليمنى على يده اليسرى، والالتفات على يمينه في التسليم.

صفتها: يقوم الإمام والمنفرد عند صدر رجل ووسط امرأة، ويقف المأموم خلف الإمام، ويُسن جعلُهم ثلاثة صفوف، ثم يكبر للإحرام، ويتعوَّذ بعدها مباشرة، فلا يستفتح، ويسمي ويقرأ الفاتحة، ثم يكبِّر ويصلي بعدها على النبي ρ مثل الصلاة عليه في تشهد الصلاة، ثم يكبر ويدعو للميت بما ورد، ومنه: اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكَرنا وأنثانا، إنك تعلم منقلبنا ومثوانا، وأنت على كل شيء قدير، اللهم من أحييتَه منا فأحيه على الإسلام والسُّنة، ومن توفيتَه منا فتوفَّه عليهما، اللهم اغفر له وارحمه، وعافِه واعف عنه، وأكرِمْ نُزُلَه، وأوسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الذنوب والخطايا كما ينقَّى الثوبُ الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذْه من عذاب القبر وعذاب النار، وأفسِحْ له في قبره ونوِّر له فيه.

وإن كان المصلَّى عليه أنثى، قال: اللهم اغفر لها، بتأنيث الضمير، وإن كان المصلَّى عليه صغيرًا، قال: اللهم اجعله ذخرًا لوالديه، وفرطًا، وأجرًا، وشفيعًا مجابًا، اللهم ثقِّل به موازينهما، وأعظِم به أجورهما، وألحقْه بصالح سلف المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقِه برحمتك عذابَ الجحيم، ثم يكبِّر ويقف بعدها قليلاً، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

ومن فاته بعضُ الصلاة على الجنازة، دخل مع الإمام فيما بقي، ثم إذا سلم الإمام قضى ما فاته على صفته، وإن خشي أن ترفع الجنازة تابَعَ التكبيراتِ - أي: بدون فصل بينها - ثم سلم، ومن فاتتْه الصلاةُ على الميت قبل دفنه، صلى على قبره.

ومن كان غائبًا عن البلد الذي فيه الميت، وعلِم بوفاته، فله أن يصلي عليه صلاة الغائب بالنية، وحملُ المرأة إذا سقط ميتًا، وقد تم له أربعة أشهر فأكثر، صُلِّيَ عليه صلاة الجنازة، وإن كان دون أربعة أشهر، لم يصلَّ عليه، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

الشيخ صالح الفوزان

رسالة المسجد

إن من أجلِّ الأعمال وأعظمِها منزلةً عند الله: عمارةَ المساجد - بيوت الله، وأحب البقاع إليه - عمارة حسيَّة: بالبناء، والترميم، والتنظيف، وعمارة معنوية: بالصلاة فيها، وتلاوة القرآن، والذِّكر، والدعاء ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: 36]، التي جعلت عمارتها من أبين الأدلة على صدق الإيمان: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ...﴾ الآية [التوبة: 18].

لقد أشاد الإسلام بفضل عمارة المساجد، وما تعُود به زيارتها على النفوس من أثرٍ فعَّال، وأضافها الله - تعالى - إلى نفسه إضافةَ تشريف؛ فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، ولا غرابة؛ فعمارة المساجد كالمرآة الصافية لعكس أحوال الناس، وبيان مدى رغبتهم في الخير، وبزيارة المسلمين لها في اليوم والليلة خمسَ مرات، يتضح المؤمنُ من المنافق؛ يقول رسول الله ρ: ((إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان))[101]، ويقول عبدالله بن مسعود: "ولقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلا منافقٌ معلوم النفاق، أو مريض"[102].

فالمساجد مزارات ضيوف الله، وحقٌّ على المزور أن يُكرِم من زاره، وهو - تعالى - أكرمُ الأكرمين، ومن المساجد تصعد الأعمالُ الصالحة، وفيها تنزل الرحمات، كيف لا؟! والمساجد مدارسُ لتعليم الدِّين، وتهذيبِ النفوس، وتقويمِ الأخلاق، وصقلِ العقائد وإنارتها، مدارسُ لتلاوة كتاب الله، ومصحَّاتٌ لأمراض القلوب، التي هي أخطر من أمراض الأجسام.

إن عمارة المساجد من أبرز أعمال البِر، الذي يخلد بعد صاحبه، ويُبقي له الذِّكرَ الحسن، والثناء الجميل، والأجر العظيم[103].

وقال الشاعر:

وَخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيهِ وَحِلْيَةٍ = تَحَلَّيْتَهَا ذِكْرُ الإِلَهِ بِمَسْجِدِ

وأحد السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله: رجلٌ قلبه معلَّق بالمساجد، والمؤمنون بالله واليوم الآخر أعطَوُا المساجدَ حقَّها من العناية بها، وعمروها وتعلَّقت بها قلوبُهم؛ وذلك لفضلها، وعظيم شأنها عند الله، ثم عند المسلمين، الذين ما كانت لهم معاهدُ، ولا مدارس، ولا أنديةٌ، إلا المساجد، وفيها يقومون واقفين بين يدي الله، مذعنين له بالعبودية كلَّ يوم وليلة خمس مرات، وقد

101 رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

102 رواه مسلم.

103 "أحاديث الجمعة"، 130/1، للشيخ عبدالله بن حسن القعود.

ألصق الشريفُ منهم كتِفَه بالضعيف، واحتكَّ جسمُه بجسمه قيامًا وركوعًا، وسجودًا وقعودًا، لا يتقدَّم أحدٌ على أحد، ولا يستأثر مسلمٌ على آخر بمكان أو نظام يخصه، إلا العلماء وأولو الأحلام والنهى، فيقدَّمون لمراقبة الإمام والأخْذ عنه، ولما قد يقع قبل الصلاة أو بعدها من مبادلة الرأي والشورى، التي جعلها الله للمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

وقد كان للمساجد عند أهلها من التقدير ما نشاهد آثارَه اليوم باقيةً فينا، فكم أكثروا منها وزيَّنوها، وحبسوا عليها من الأوقاف العظيمة ما يقوم بشأن الأئمة والمؤذنين فيها، وفرشها ومطاهرها، وسرجها ومجامرها، ومكاتبها المعدة للمعلمين والمتعلمين!

ولكن بعض الناس اليوم - وللأسف الشديد - أهملوا المساجد وتركوها، وظنُّوا أنها لا تُبنى إلا للضعفاء، والمرضى، والشيوخ، والعميان، ومن لا حاجة له بالدنيا، ناسين أن آباءهم الأوَّلين، وسلفهم الصالحين، ما كانوا يبايعون الأئمةَ إلا فيها، ولا يُخرِجون الجيوش الفاتحين إلا منها، ولا يطلبون العِلم إلا بين جدرانها، فكانوا إذا حزَبَهم الأمرُ، اجتمعوا له في المسجد، وتشاوروا فيه، وللعلماء في المساجد المجالسُ العامرة بمختلف العلوم، وفي مقدمتها القرآنُ وتفسيره والسنة المطهرة؛ وبسبب ذلك تنزل السكينة، وتغشى الرحمة، وتحف الملائكة، ويَذكر الله القارئين والذاكرين فيمن عنده، فلو رجع لبيوت الله ما كانت عليه من إقامة الشعائر، واجتماع المسلمين فيها، لتعلَّقتْ بها قلوب كثيرٍ من الذين أعرضوا عنها واستخفوا بشأنها[104].

ومن عمارة المساجد: صونُها عما لا يليق بها من الأقوال، والأفعال، والنجاسات، والروائح الكريهة، والأوساخ المؤذية، وذلك من تعظيمها، وفي حديث جابر بن عبدالله عن النبي ρ قال: ((من أكَلَ البصل والثوم والكراث، فلا يقربنَّ مسجدَنا؛ فإن الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم))؛ متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وقال عمر بن الخطاب τ: "ثم إنكم - أيها الناس - تأكلون شجرتين، لا أراهما إلا خبيثتين: هذا البصل، والثوم؛ لقد رأيتُ رسولَ الله ρ إذا وجد ريحَهما من رجلٍ في المسجد، أمر به فأُخرج إلى البقيع، فمَن أكلهما، فليُمتْهما طبخًا"[105]؛ رواه مسلم في صحيحه.

قال العلماء: وإذا كانت العلة في إخراجه من المسجد أنه يتأذَّى به الناس، ففي القياس أن كلَّ من تأذَّى به جيرانُه في المسجد، بأن يكون ذرب اللسان، سفيهًا عليهم، أو كان به رائحة قبيحة لا

104 "إصلاح المجتمع"، ص52.
105 "الترغيب والترهيب"، 1/188.

تفارقه لسوء صناعته، أو عاهة مؤذية كالجذام أو شبهه، وكل ما يتأذى به الناس، كان لهم إخراجُه ما كانت العلة موجودةً فيه، حتى تزول، وكذلك يجتنب مجتمعَ الناس حيث كان لصلاةٍ أو غيرها، كمجالس العلم، والولائم، وما أشبهها من أكل الثوم والكراث؛ لأن ذلك مما يتأذى به.

وقال ρ للذي بال في المسجد: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذِكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن)) أو كما قال؛ متفق عليه.

وقال لمعاوية بن الحكم السلمي: ((إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن)) أو كما قال ρ [106].

وقد أمر ρ بتنظيف المساجد وتطييبها، وصونِها عمَّا لا يليق بها، فقال: ((جنِّبوا مساجدَكم صبيانَكم ومجانينكم، وشراءكم وبيعكم، وخصوماتِكم، ورفْعَ أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسَلَّ سيوفِكم، وجمروها في الجُمع، واجعلوا على أبوابها المطاهر))؛ رواه ابن ماجه من حديث واثلة بن الأسقع.

وروى ابن ماجه أيضًا وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، قال: ((خصالٌ لا تنبغي في المسجد: لا يتَّخذ طريقًا، ولا يشهر فيه سلاح، ولا ينبض فيه بقوس، ولا ينشر فيه نبل، ولا يمر فيه بلحم نيء، ولا يضرب فيه حد، ولا يقتص فيه أحد، ولا يتَّخذ سوقًا)).

وقد جمع بعض العلماء في تعظيم المساجد وحرمتها خمسَ عشرةَ خصلةً، فقال:

من حرمة المسجد أن يسلِّم الداخل وقت الدخول إن كان القوم جلوسًا، وإن لم يكن في المسجد أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وأن يركع ركعتين قبل أن يجلس، وألا يشتري فيه ولا يبيع، ولا يسلّ فيه سيفًا ولا سهمًا، ولا يطلب فيه ضالة، ولا يرفع فيه صوتًا بغير ذِكر الله، ولا يتكلم فيه بأحاديث الدنيا، ولا يتخطى رقاب الناس، ولا ينازع في المكان، ولا يضيق على أحد في الصف، ولا يمر بين يدي مصلٍّ، ولا يبصق ولا يتنخم ولا يتمخط فيه، ولا يفرقع أصابعه، ولا يعبث بشيء من جسده، وأن ينزه من النجاسات والصبيان والمجانين وإقامة الحدود، وأن يكثر ذِكر الله - تعالى - ولا يغفل عنه، فإذا فعل هذه الخصال، فقد أدى حقَّ المسجد، وكان المسجد حرزًا له من الشيطان الرجيم[107].

وقد قال رسول الله ρ: ((مَن بنى لله مسجدًا قدر مفحص قطاة، بنى الله له بيتًا في الجنة))[108]،

106 رواه مسلم بلفظ: ((إن هذه الصلاة...)) إلخ.

107 "تفسير القرطبي"، 12/267- 269.

108 رواه البزار والطبراني في "الصغير" وابن حبان في صحيحه.

وهذا المثال من النبي ρ يدلُّ على أن من ساعَدَ في بنيان مسجدٍ ولو بشيء قليل، بحيث تكون حصتُه من المسجد هذا المقدارَ، وهو مفحص القطاة - استحقَّ هذا الثواب الجزيل، فمن بنى مسجدًا لله، أو تسبَّب في بنيانه بنيَّةٍ صالحة خالصة لله، فقد شارك المصلِّين في صلواتهم، والمتعبِّدين في عباداتهم، ما دام أثرُ هذا البناء موجودًا إلى يوم القيامة، وذلك فضل الله، والدال على الخير كفاعله.

فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون؛ ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: 20].

اللهم اجعلنا من المحافظين على الصلوات، المكرمين بنعيم الجنات، وصلى الله على محمد.

36- من آداب المساجد[109]

1- يُسنُّ الدعاء حين التوجُّه إلى المسجد بما ورد، ومنه أن يقول: ((بسم الله، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله))؛ رواه أصحاب السنن.

ومحله عند الخروج من البيت لأي جهة.

2- يسن لمن أراد دخولَ المسجد تقديمُ رجله اليمنى، ويقول: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك))، وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى، ويقول: ((بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم))؛ رواه مسلم وغيره.

3- يستحب السعي إليها، والجلوس فيها؛ قال ρ: ((من غدا إلى المسجد أو راح، أعدَّ الله له في الجنة نُزلاً كلما غدا أو راح))؛ متفق عليه.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان))، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 18]؛ رواه الترمذي وحسنه.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((المسجد بيت كل تقي))؛ رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، والبزار، وقال: إسناده حسن.

---

109 انظر: "تفسير القرطبي"، 264/12، و"فقه السنة"، 1/ 246، و"تفسير ابن كثير" (ص292) ط3، "الاستقامة" ج3.

4- من حرمة المسجد أن يسلم وقت الدخول إن كان القوم جلوسًا، وإن لم يكن في المسجد أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وعليه أن يكثر من ذِكر الله - تعالى - ولا يغفل عنه.

5- يستحب أن يركع ركعتين قبل أن يجلس؛ ((إذا دخل أحدُكم المسجد، فليركع ركعتين قبل أن يجلس))؛ رواه مسلم والبخاري.

6- تجب صيانة المساجد من الأقذار والروائح الكريهة؛ ففي الحديث: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذِكر الله، وقراءة القرآن))؛ رواه مسلم، وفيه أيضًا: ((مَن أكَلَ الثوم والبصل والكراث، فلا يقربنَّ مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم))؛ رواه مسلم.

وقال العلماء: إنه يقاس على ذلك صيانتُها من الأقوال السيئة؛ فكلُّ من تأذى به جيرانه في المسجد، بأن يكون ذرب اللسان سفيهًا، لهم إخراجُه من المسجد.

7- يستحب تنظيفُها وتطييبُها؛ فعن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي ρ أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تنظَّف وتطيَّب؛ رواه أحمد والترمذي وصححه، وفي الحديث: أن كنس غبار المسجد مهورُ الحور العين؛ رواه الطبراني في "الكبير".

8- كراهة نشد الضالة، والبيع والشراء، والشِّعر الذي يشتمل على هجاء مسلم، أو مدح ظالم، أو فيه فحش.

قال ابن عمر τ: "نهى رسول الله ρ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تُنشد فيه الأشعارُ، وأن تنشد فيه الضالة، ونهى عن التحلُّق قبل الصلاة يوم الجمعة"؛ رواه أهل السنن الأربعة، وحسنه السيوطي.

9- يحرم رفعُ الصوت على وجهٍ يشوش على المصلِّين، ولو بقراءة، ويستثنى من ذلك دروس العلم.

10- يكره السؤال في المساجد، إلا لضرورة ودون إيذاء لأحد أو كذب.

11- يباح الأكل والشرب والنوم في المسجد؛ قال ابن عمر τ: "كنا في زمن رسول الله ρ ننام في المسجد"؛ رواه أحمد وغيره.

12- يكره اتخاذ المسجد طريقًا، إلا لحاجة، ويكره البصق والمخاط، والكتابةُ على الجدران، وتخطِّي رقاب الناس، والمنازعة في المكان، والتضييق على أحد في الصف، والمرورُ بين يدي المصلي، وتشبيك الأصابع وفرقعتها، وقد ورد ((أن التشبيك من الشيطان)).

13- تُستحب إنارة المساجد؛ قال - عليه الصلاة والسلام - لتميم الداري لما نور مسجد رسول الله: ((نورتَ الإسلام، نوَّر الله عليك في الدنيا والآخرة))[110].

كتبها/ الأستاذ عبدالرحمن بن محمد العرفج

110 ذكره القرطبي في "تفسيره"، 274/12.

37- الزكاة

قال الله – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34 – 35].

وقال – تعالى –: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180].

وقال ρ: ((مَن آتاه الله مالاً، فلم يؤدِّ زكاتَه، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ له زَبِيبَتَان يطوقه، ثُمَّ يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا كَنْزك أنا مالك))؛ متَّفق عليه، وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: "إنَّ رسول الله ρ قال: ((أمرت أن أقاتلَ الناس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلاَّ بحقِّها وحسابهم على الله)).

أخي المسلم، الزَّكاة فريضةٌ من فرائض الإسلام، وهي أحدُ أركانِه، دَلَّ على وجوبها الكتابُ والسنَّة والإجماع، فمن أنكر وجوبها، فهو كافر مرتد... ومن بَخِلَ بها، فهو معرَّض لعقوبةٍ عظيمة يَوْمَ تصفَّح له أمواله صفائِحَ من نار، ويحمى عليها في نار جهنم، ويكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بَرَدَت أعيدت له في يوم كان مِقْداره خمسين ألف سنة، حتَّى يقضي الله بين العباد.

والزَّكاة تجبُ في أموالٍ مَخصوصة منها الذَّهب والفِضَّة، "وعُملتنا اليومَ تعتبر ذهبًا أو فِضَّة إذا بلغت نصابًا"، وهو "56 ريالاً سُعُوديًّا"، والواجب فيها ربع العشر؛ أي: في كل أربعين ريالاً ريالٌ واحد.

وكذلك تجب الزكاة في عروض التِّجارة من العقارات والأراضي والبيوت المعدَّة للبيع وسائر السِّلع، واشترط في كلِّ ما سبق أن يحول عليه الحول إلاَّ ربح التجارة، فحوله حولُ أصله، وعلى هذا لو ملك إنسان ألفَ ريال، وعلى رأس الحول صار ألفين، فيزكِّي عن الألفين جميعًا.

أخي المسلم، إنَّنا نرشدك إلى الطريقة السليمة التي تتخلَّص بها من شرِّ المال ومسؤوليته في الآخرة، وذلك بأن تحدد يومًا في كل سنة تُحصي جميعَ أموالك: النقود والعقارات المعدة للتجارة، وسائر الأشياء التي ليست من حاجاتك الخاصَّة، ثُمَّ تقدر قيمتها بما تساويه حقيقة دون نقص، ثُمَّ تحسم ما عليك من ديون حالَّة، ثم تخرج ربع عشر الباقي.

أخي المسلم، ربَّما تكثُر الزكاة أمامك؛ بسبب كثرة ممتلكاتك، فاحذر أن يخدعك الشيطانُ، فتبخل بما آتاك الله من فَضْلِه، أو تنقص مما أوجبه الله عليك، فيكون هذا المال وبالاً عليك ومصيبة يوم القيامة.

أخي المسلم، وفقنا الله وإيَّاك لأداء ما أوجب علينا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالله الجلالي

38- نصيحة في الزكاة

من محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ إلى مَن يبلغه من المسلمين، وفَّقني الله وإياهم إلى صراطه المستقيم، آمين، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإنِّي أحمد الله رب العالمين، وأصلِّي وأسلم على رسول الله خاتم النبيين، نصح أمته، وقال فيما صحَّ عنه: ((الدِّين النصيحة))[111]، وأنزل الله عليه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، ثم إنَّ الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النُّصح والتذكير بفريضة الزَّكاة، التي تساهل بها بعضُ الناس وغفلوا عنها، مشتغلين بتدبير أموالهِم عن فريضة من فرائض الدِّين، وركن من أركان الإسلام يكفُر جاحده، وتقاتَل الطائفةُ الممتنعة من أدائه، ولقد ذكر الله في كتابه الزكاةَ مقرونةً بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43] وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة: 5].

وأمر - تعالى - رسوله بأخذها حيث يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، وجاء الوعيد الشديد على من بَخِلَ بها وقصَّر فيها؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34 - 35]، وفي الحديث الصَّحيح: ((ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقَّها، إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كُلَّما بَرَدَت أعيدت له في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتَّى يُقضى بين العباد))[112]، وفي الصَّحيح: ((من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ له

111 رواه مسلم، "رياض الصالحين"، ص124.

112 متفق عليه، "الترغيب والترهيب"، 56/2.

زبيبتان يطوق به يوم القيامة، ثُمَّ يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنْزك))؛ متَّفق عليه[113].

ولا يخفى ما مَنَّ الله به على عباده من نعمة المال، ولا سيما في هذا الزَّمن الذي تكاثرت فيه المصالح والخيرات، واتَّسعت فيه أسباب الرِّزق، وتضخمت فيه أموالُ كثيرٍ من الناس، وما الأموالُ إلا ودائع في أيدي الأغنياء، وفتنة وامتحان لهم من الله؛ لينظرَ أيشكرون أم يكفرون؟

ومن شُكرها وقَيْدِ النعمة: أداءُ زكاتها، والصَّدقة على الفقراء والمساكين، والإنفاق مما استخلفهم الله فيه؛ قال – تعالى –: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7]، ومن الحكمة في تشريع الزَّكاة: مواساة الأغنياء لإخوانهم الفُقراء، فلو قام الأغنياء بهذه الفريضة حقَّ القيام، وصرفوا الزكاة مصرفها الشرعي، لحصل للفقراء والمساكين ما يكفيهم، ولا يَحتاجون معه إلى غيره.

أمَّا إذا منع الأغنياء ما أوجب الله عليهم من فريضة الزكاة، فإنه ينشأ من هذا أضرار ومفاسد كثيرة، من تعريض العبد نفسَه للعذاب العظيم، وكراهة الله والناس له، وتسبب لإهلاك المال وانتزاع البَرَكة منه؛ ففي الحديث: ((ما خالطت الزَّكاة مالاً قطُّ إلا أهلكته))[114]، ومن ظلم للفقراء والمساكين وإيصال الضرر إليهم، ودعوة لهم إلى ارتكاب شتَّى الحيل في الحصول على لقمة العيش، والتعرُّض للوقوف في المواقف الحرجة، والإلحاح في السُّؤال؛ بل ربَّما اضطرتهم فاقتُهم وشِدَّة الحاجة إلى السَّرقة والإقدام على بعض الجرائم؛ لما يقاسونه من آلام الفقر والمسكنة، التي لو أحسَّ بها الغنيُّ يومًا من الدهر، لتغيرت نظرته إليهم، ولعَرَف عظيم نعمة الله عليه.

وإذا كان في الزَّكاة مصلحةٌ للفقراء والمساكين، وبهم ضرورة إليها، فإنَّ فيها مصلحة لأرباب الأموال، وبهم ضرورة إلى أدائها من تطهيرٍ وتزكية لهم، وبُعد عن البخل المذموم، وقرب من فعل الكرم والجود، واستجلاب للبركة والزِّيادة والنَّماء، وحفظ للمال ودفع للشرور عنه؛ ولهذا قال ρ: ((من أدَّى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شرُّه))؛ رواه الطبراني، وابن خزيمة في صحيحه، وعن أنس τ قال: "أتى رجل من تميم رسولَ الله ρ فقال: يا رسول الله، إنِّي ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة، فأخبرني كيف أصنع؟ وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ρ: ((تخرج الزَّكاة من مالك، فإنَّها طُهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حقَّ المسكين والجار والسائل))"؛ رواه أحمد.

---

113 المصدر السابق، ص61.

114 رواه البزار والبيهقي بلفظ: ((إلا أفسدته))، "الترغيب والترهيب"، 63/2.

وعن الحسن τ: أنَّ رسول الله ρ قال: ((حصِّنوا أموالكم بالزَّكاة، وداووا مرضاكم بالصَّدقة، واستقبلوا أمواجَ البلاء بالدُّعاء والتضرُّع))؛ رواه أبو داود في "المراسيل" - وكان الرسول ρ يدعو لمن جاء بالزَّكاة، فتارة يقول: ((اللهم بارك له))، وتارة يقول: ((اللهم صلِّ عليه))[115].

هذا؛ ولقد تولَّى الله قسمة الزكاة بنفسه، وجزَّأها إلى ثمانية أجزاء، أمَّا الأشياء التي تجب فيها الزكاة، فهي أربعة أصناف:

1 - الخارج من الأرض كالحبوب والثمار.

2 - وبهيمة الأنعام.

3 - وعروض التِّجارة.

4 - والذهب والفضة.

وقد تجب في غيرهنَّ، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصابٌ محدَّد، لا تجب الزكاة فيما دونه، فنصابُ الحبوب والثِّمار خمسة أَوْسُقٍ، وأدنى نصاب الغنم أربعون شاةً، وأدنى نصاب الإبل خمسٌ، وأدنى نصاب البقر ثلاثون، ونصاب الفضة مائتا درهم، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، فإذا ملك الإنسان نصابًا من الذَّهب، وقدرُه أَحَدَ عَشَرَ جنيهًا ونصف جنيه تقريبًا من الجنيهات السُّعودية، ومثله من الجنيه الإفرنجي، أو ملك نصابًا من الفِضَّة، وقدره ستة وخمسون ريالاً عربيًّا تقريبًا، وحال عليه الحول - وجبت فيه الزَّكاة ربع العشر.

وكذلك الأوراق التي كَثُرَت في أيدي الناس، وصار التعامُل بها أكثر من غيرها، فإذا ملك الإنسان منها ما يقابل نصابًا من الفضة، وحال عليها الحول، فإنَّه يُخرج منها زكاتَها ربعَ عُشْرِها، أمَّا العُرُوض - وهي ما اشتراها الإنسان للربح - فإنها تُقوَّم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها.

وإذا كان للإنسان دَين على أحد، فإنه يزكّيه إذا قبضه، فإن كان الدين على مليء، فالأفضلُ أن يزكيه عند رأس الحول، وله أنْ يؤخر زكاته حتَّى يقبضه، ويجب إخراج الزَّكاة في بلد المال إلاَّ لعذر شرعي، ولا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب، ولا يَجوز صرفها لغير أهلها الثمانية الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ [التوبة: 60] والزكاة حق الله، فلا تجوز المحاباة بها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعًا، أو يدفع ضرًّا.

115 عن عبدالله بن أبي أوفى قال: "كان رسول الله ρإذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: ((اللهم صلِّ عليهم))، فأتاه أبي بصدقته، فقال: ((اللهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى))"؛ متفق عليه؛ "بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار"، 494/1.

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون، وتذكَّروا ما أوجب الله عليكم من الزَّكاة، وما يقاسيه الفقراء والمساكين من ويلات الفقر والفاقة، وبادروا إلى إخراجِ زكاةِ أموالكم، طيبة بها نفوسكم، خالصة لوجه الله، لا منَّ فيها ولا أذى، ولا رياء ولا سُمعة، واغتنموا الفُرصة قبل فوات الأوان؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254]، جعلني الله وإيَّاكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونفعنا بهذه الذِّكرى، وهدانا جميعًا إلى طريق الحق والخير والفلاح، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

في يوم الجمعة 10 رمضان المبارك 1375

39- بحوث هامة حول الزكاة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نَبِيَّ بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فإنَّ الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النُّصح والتَّذكير بفريضة الزَّكاة التي تساهل بها الكثيرُ من المسلمين، فلم يُخرِجوها على الوجه المشروع، مع عِظَمِ شأنها، وكونها أحد أركان الإسلام الخمسة، التي لا يستقيم بناؤه إلا عليها؛ لقول النبي ρ: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))؛ متفق على صحته.

وفرض الزَّكاة على المسلمين من أظهر محَاسِنِ الإسلام ورعايته لشؤون معتنقيه؛ لكثرة فوائدها، ومسيس حاجة الفقراء المسلمين إليها، فمن فوائدها: تثبيتُ أواصر المودة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حبِّ مَن أحسنَ إليها، ومنها تطهير النَّفس وتزكيتها والبُعد بها عن خُلُق الشح والبُخل؛ كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله - تعالى -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، ومنها تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذوي الحاجة، ومنها استجلابُ البركة والزِّيادة والخَلَف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]، وقول النبي ρ في الحديث الصَّحيح: ((يقول الله - عزَّ وجلَّ -: يا ابن آدم، أنفق، ننفق عليك))[116] إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وقد جاء الوعيدُ الشديد في حقِّ من بَخِلَ بها أو قصر في إخراجها؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34 - 35]، فكلُّ مال لا تؤدَّى زكاته، فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة؛ كما دلَّ

116 متفق عليه، "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان"، 203/1.

على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ρ أنه قال: ((ما من صاحب ذهب ولا فِضَّة لا يؤدي حقَّها، إلاَّ إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائحُ من نار، فأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنَّم، فيُكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بَرَدَت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتَّى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار))[117]، ثم ذكر النبي ρ صاحبَ الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها، وأخبر أنه يُعذب بها يوم القيامة، وصحَّ عن رسول الله ρ أنه قال: ((من آتاه الله مالاً، فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ له زَبِيبَتَان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك))، ثم تلا النبي ρ هذه الآية: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180]؛ متفق عليه.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذَّهب والفضة، وعروض التجارة، ولكلٍّ من هذه الأصناف الأربعة نصابٌ محدود لا تَجب الزَّكاة فيما دونه، فنصابُ الحبوب والثمار خمسة أَوْسُقٍ، والوَسْقُ ستون صاعًا بصاع النبي ρ فيكون مقدار النِّصاب من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع بصاع النبي ρ وهو أربع حفنات بيدي الرَّجل المعتدل الخلقة إذا كانت يداه مملوءتَيْن، وأمَّا نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم، ففيه تفصيل مبيَّن في الأحاديث الصَّحيحة عن رسول الله ρ وفي استطاعة الرَّاغب في معرفته سؤالُ أهلِ العلم عن ذلك، ولولا قصد الإيجاز، لذكرناه لتمام الفائدة.

وأمَّا نصاب الفضة، فمائة وأربعون مثقالاً، ومقداره بالدِّرهم العربي السُّعودي ستة وخمسون ريالاً، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيهًا، وثلاثة أسباع الجنيه، والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصابًا منهما، أو من أحدهما، وحال عليه الحول، والربح تابع للأصل، فلا يحتاج إلى حول جديد كما أنَّ نتاج السائمة تابعٌ لأصله، فلا يَحتاج إلى حول جديد إذا كان أصلُه نصابًا، وفي حكم الذهب والفضة والأوراق النقديَّة التي يتعامل بها الناس اليوم، سواء سميت درهمًا أم دينارًا، أم دولارًا أم غير ذلك من الأسماء، إذا بَلَغت قيمتها نصابَ الفضة أو الذَّهب، وحال عليها الحول، وَجَبَت فيها الزكاة.

ويلتحق بالنقود حليُّ النساء من الذهب والفضة خاصَّة إذا بلغت النصاب المتقدم، وحال عليها الحول، فإنَّ فيها الزكاة، وإن كانت مُعدَّة للاستعمال أو العارية في أصحِّ قَوْلَي العلماء؛ لعموم قول النبي ρ: ((وما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها، إلا إذا كان يوم القيام صفِّحت له

117 رواه البخاري ومسلم، "الترغيب والترهيب"، 2/56 - 57.

صفائح من نار))... إلخ الحديث المتقدم، ولما ثبت عنه ρ أنه رأى بيد امرأة سوارين من ذهب، فقال: ((أتُعطين زكاة هذا؟)) قالت: لا، قال: ((أيسرُّك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟))، فألقتهما، وقالت: هما لله ولرسوله؛ أخرجه أبو داود والنَّسائي بسند حسن، وثَبَتَ عن أمِّ سَلَمَة - رضي الله عنها - أنَّها كانت تلبس أوضاحًا من ذهب، فقالت: يا رسول الله، أَكَنْزٌ هو؟ فقال ρ: ((ما بلغ أن يُزَكَّى فزُكِّي، فليس بكنز))[118]، مع أحاديث أخرى في هذا المعنى.

أمَّا العروض - وهي السِّلع المعدَّة للبيع - فإنَّها تقوَّم في آخر العام، ويخرج ربع عشر قيمتها، سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أم أكثر أم أقل؛ لحديث سمرة قال: "كان رسول الله ρ يأمُرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع"؛ رواه أبو داود.

ويدخل في ذلك الأراضي المعدَّة للبيع، والعمارات، والمكائن الرَّافعة للماء، وغير ذلك من أصناف السِّلع المعدة للبيع، أمَّا العمارات المعدة للإيجار لا للبيع، فالزَّكاة في أجورها إذا حال عليها الحول، أمَّا ذاتها فليس فيها زكاة؛ لكونِها لم تعدَّ للبيع، وهكذا السيارات الخصوصيَّة و"التكاسي" ليس فيها زكاة إذا كانت لم تعدَّ للبيع، وإنَّما اشتراها صاحبها للاستعمال، وإذا اجتمعَ لصاحب سيارة الأجرة أو غيره نقود تبلغ النِّصاب، فعليه زكاتُها إذا حال عليها الحول، سواء كان أعدَّها للنفقة أم للتزوُّج، أم لشراء عقار أم لقضاء دَين، أم غير ذلك من المقاصد؛ لعمومِ الأدلة الشَّرعية الدالة على وجوب الزَّكاة في مثل هذا، والصحيح من أقوال العلماء أنَّ الدَّين لا يمنع الزكاة؛ لما تقدم، وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزَّكاة عند جمهور العلماء، إذا بَلَغت النِّصاب، وحال عليها الحول، ويَجب على أوليائهم إخراجُها بالنيَّة عنهم عند تمام الحول؛ لعموم الأدلَّة، مثل قول النبي ρ في حديث معاذ لَمَّا بعثه إلى أهل اليمن: ((إنَّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تُؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم))[119].

والزَّكاة حقُّ الله، لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يَجلب الإنسانُ بها لنفسه نفعًا أو يدفع ضرًّا، ولا أن يَقِيَ بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة، بل يَجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها؛ لكونِهم من أهلها، لا لغرض آخر، مع طيب النَّفس بها والإخلاص لله في ذلك؛ حتى تبرأ ذمته، ويستحق جزيل المثوبة والخلف.

---

118 أخرجه الحاكم، وقال: "صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، وأخرجه أبو داود في باب: الكنز ما هو؟"؛ "الإلمام بأحاديث الأحكام"، ص224.

119 رواه البخاري ومسلم، "الإلمام بأحاديث الأحكام"، ص217.

وقد أوضح الله - سبحانه - في كتابه الكريم أصنافَ أهل الزَّكاة؛ فقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]، وفي خَتْمِ هذه الآية الكريمة بهذين الاسمين العظيمين تنبيهٌ من الله - سبحانه - لعباده على أنه - سبحانه - هو العليم بأحوال عباده، ومن يستحقُّ منهم الصدقة، ومن لا يستحق، وهو الحكيم في شرعه وقدره، فلا يضع الأشياء إلاَّ في مواضعها اللاَّئقة بها، وإن خَفِيَ على بعض الناس بعض أسرار حكمه؛ ليطمئن العباد لشرعه ويسلموا لحُكمه، والله المسؤول أن يوفقنا والمسلمين للفقه في دينه، والصدق في معاملته، والمسابقة إلى ما يُرضيه، والعافية من موجبات غضبه، إنَّه سميع قريب، وصلَّى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الصيام

40- فضل شهر الصيام

1- عن أبي هريرة τ قال: كان رسول الله ρ يُبَشِّر أصحابَه، يقول: ((قد جاءَكم شهر رمضان، شهر مبارك، كَتَب الله عليكم صيامه، فيه تُفتَح أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، مَن حُرِم خيرَها، فقد حُرِم))؛ رواه أحمد والنسائي.

2- وعن عبادة مرفوعًا: ((أتاكم رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدُّعاء، ينظُر الله إلى تنافُسكم فيه، ويباهي بكم ملائكتَه، فأَروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حُرم فيه رحمةَ الله))؛ رواه الطبراني، ورواته ثقات.

3- وعن أبي هريرة τ عن رسول الله ρ قال: ((أُعطيتْ أمتي في شهر رمضان خمس خصال، لَم تُعطها أمة قبلهم: خُلُوف فم الصائم أطيبُ عند الله مِن ريح المسك، وتسْتَغْفِر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله - عزَّ وجَلَّ - كل يوم جنته، ثم يقولُ: يوشك عبادي الصالحون أن يُلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصِيروا إليكِ، وتصفَّد فيه مرَدة الجن، فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه، ويغفر لهم في آخر ليلة))، قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: ((لا، ولكن العامل إنما يوفَّى أجره إذا قضى عمله))؛ رواه أحمد[120].

4- وعن سلمان τ قال: خطبَنا رسولُ الله ρ في آخر يوم من شعبان، فقال: ((يا أيها الناس، قد أظلَّكُم شهرٌ عظيم مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، جعل الله صيامَه فريضة، وقيام ليله تطوعًا، مَن تَقرَّبَ فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمَن أدَّى فريضة فيما سواه، ومَن أدَّى فيه فريضة، كان كمَن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبرُ ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه الرزق، مَن فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء))، قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، قال رسول الله ρ: ((يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائمًا على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة ماء، ومن سقى صائمًا سقاه الله - عز وجل - من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، وهو شهر أولُه رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فاستَكْثِروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربَّكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما؛ أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم،

---

120 انظر هذه الأحاديث في "الترغيب والترهيب"، للمنذري 2/214 - 222، وانظر: "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل" 9/ 225 - 235.

فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار))؛ رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

5- وفي الصَّحيحينِ، عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: ((كل عَمَل ابن آدم له، الحسَنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله - تعالى -: إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به؛ ترَك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولَخُلُوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك)).

واعلم أنه لا يتم التقرُّب إلى الله - تعالى - بترْك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام، إلا بعد التقرُّب إليه بترك ما حرَّم الله عليه في كل حال: من الكذب، والظلم والعدوان على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ ولهذا قال ρ: ((من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه وشرابه))؛ رواه البخاري.

وسرُّ هذا: أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلاَّ بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات، ثم تقرَّب إلى الله بترْك المباحات، كان بمثابة مَن يترك الفرائض ويتقرَّب بالنوافل، وإن نوى بأكْله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام، كان مُثابًا على ذلك، كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنهار التقوِّي على العمل، كان نومه عبادة، وفي حديث مرفوع: ((نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله مضاعَف، ودعاؤه مستجاب، وذنبه مغفور))[121].

فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابرٌ، وفي ليله طاعمٌ شاكر، ومن شرط ذلك: أن يكون فطره على حلال، فإن كان فطره على حرام، كان ممن صام عما أحل الله وأفطر على ما حرم الله، ولم يُستجب له دعاء.

واعلم أنَّ المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان: جهادٌ لنفسه بالنَّهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذَين الجهادين، ووَفَّى بحقوقهما، وصبر عليهما - وُفِّيَ أجرَه بغير حساب.

شهر رمضان تكثُر فيه أسباب المغفرة والغفران، فمن أسباب المغفرة فيه: صيامه وقيامه، وقيام ليلة القدْر، ومنها: تفطير الصوَّام، والتخفيف عن المملوك، ومنها: الذِّكر، وفي حديث مرفوع: ((ذاكرُ الله في رمضان مغفورٌ له، وسائلُ الله فيه لا يخيب))[122]، ومنْها: الاستغفار (طلب المغفرة)، ودعاء

121 رواه البيهقي عن عبدالله بن أبي أوفى، ورمز السيوطي لضعفه، "الجامع الصغير" ج2/ص188.

122 رواه الطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "شعب الإيمان".

الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره، وفي حديث أبي هريرة: ويُغفر فيه إلا لمن أبى، قالوا: يا أبا هريرة، ومَن يأبَى؟ قال: يأبى أن يستغفر الله.

ومنها: استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

لما كثرت أسباب المغفرة في رمضان، كان الذي تَفُوتُه فيه المغفرة محرومًا غاية الحرمان، متى يُغفر لِمَن لم يُغْفَر له في هذا الشهر؟ متى يُقبل مَن رُدَّ في ليلة القدر؟ متى يصلح من لا يصلح في رمضان؟

كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: اللهم قد أظلَّنا شهر رمضان وحضر، فسلِّمه لنا وسلِّمنا له، وارزقنا صيامَه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط، وأعِذْنا فيه من الفِتَن، كانوا يدْعون الله ستة أشهر: أن يبلِّغهم رمضان، ثم يدْعونه ستة أشهر أن يتقبَّله منهم، كان من دعائهم: اللهم سلِّمني إلى رمضان وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً.

(انتهى ملخَّصًا من "وظائف شهر رمضان"؛ للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، الملَخَّص من "لطائف المعارف"؛ لابن رجب).

مِن آداب الصيام

واعلموا أنه لا يتم الصوم إلا باستكمال ستة أمور:

الأول: غضُّ البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يُذَم ويُكره.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان، والغيبة والنميمة، والكذب.

الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مُحَرَّم أو مكروه.

الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثام.

الخامس: ألا يستكثِرَ من الطعام.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطربًا بين الخوف والرجاء؛ إذ ليس يدري أيقبل صيامه فهو من المقرَّبين، أو يردّ عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن ذلك في آخر كل عبادة[123].

اللهُمَّ اجعلنا ممَّن صام الشهر، واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب - تبارك وتعالى - آمين يا رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

41- نبذ في الصيام

123 "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين" ص59 - 60.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه نُبَذ في الصيام وحكمه، وأقسام الناس فيه، والمفطِرات، وفوائد أخرى على وجه الإيجاز:

1- الصيام: هو التعبد لله - تعالى - بترك المفطِّرات من طُلُوع الفجر إلى غروب الشمس.

2- صيام رمضان أحد أركان الإسلام العظيمة؛ لقول النبي ρ: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام))؛ متفق عليه.

أقسام الناس في الصيام:

1- الصوم واجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر مقيم.

2- الكافر لا يصوم، ولا يجب عليه قضاء الصوم إذا أسلم.

3- الصغير الذي لم يبلغ لا يجب عليه الصوم، ولكن يؤمر به ليعتاده.

4- المجنون لا يجب عليه الصوم، ولا الإطعام عنه، وإن كان كبيرًا، ومثله المعتوه الذي لا تمييز له، والكبير المهذري الذي لا تمييز له.

5- العاجز عن الصوم لسبب دائم كالكبير والمريض مرضًا لا يرجى برؤه، يُطعم عن كل يوم مسكينًا.

6- المريض مرضًا طارئًا يُنتظر برؤه، يفطر إن شقَّ عليه الصوم، ويقضي بعد برئه.

7- الحامل والمرضع إذا شق عليهما الصوم من أجل الحمل أو الرضاع، أو خافتا على ولديهما، تفطران وتقضيان الصوم إذا سهل عليهما وزال الخوف.

8- الحائض والنفَساء لا تصومان حال الحيض والنفاس، وتقضيان ما فاتهما.

9- المضطر للفطر لإنقاذ معصوم من غرَق أو حريق، يفطر لينقذه ويقضي.

10- المسافر إن شاء صام وإن شاء أفطر، وقضى ما أفطره، سواء كان سفره طارئًا، كسفر العمرة، أم دائمًا كأصحاب سيارات الأجرة (التكاسي والمرسيدس)، فيفطرون إن شاؤوا ما داموا في غير بلدهم.

مفطرات الصيام

1- لا يفطر الصائم إذا تناول شيئًا من المفطِّرات ناسيًا، أو جاهلاً، أو مكرهًا؛ لقول الله - تعالى -: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]، وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5].

فإذا نسي الصائم فأكل أو شرب، لَم يفسد صومه لأنه ناسٍ، ولو أكل أو شرب يعتقد أن الشمس قد غربت، أو أن الفجر لَم يطلع، لَم يفسد صومه؛ لأنه جاهل، ولو تَمَضْمَض فدخل الماء إلى حلقه بدون قصد، لم يفسد صومه؛ لأنه غير متعمد، ولو احتلم في نومه لم يفسد صومه؛ لأنه غير مختار.

2- المفطِّرات ثمانية، وهي:

(أ) **الجماع**: وإذا وقع في نهار رمضان من صائم يجب عليه الصوم، فعليه مع القضاء كفارةٌ مغلظة، وهي عتق رقبة، فإن لَم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.

(ب) إنزال المني يقظة باستمناء، أو مباشرة، أو تقبيل، أو ضم، أو نحو ذلك.

(ج) الأكل والشرب، سواء كان نافعًا أو ضارًّا كالدخان.

(د) حقن الإبر المغذية التي يُستغنى بها عن الطعام؛ لأنها بمعنى الأكل والشرب، فأما الإبر التي لا تغذي، فلا تفطر، سواء استعملها في العضلات أم في الوريد، وسواء وجد طعمها في حلقه أم لم يجد.

(هـ) حقن الدم: مثل أن يحصل للصائم نزيف فيحقن به دم تعويضًا عما نزف منه.

(و) خروج دم الحيض والنفاس.

(ز) إخراج الدم بالحجامة ونحوها: فأما خروج الدم بنفسه كالرعاف، أو خروجه بقلع سن ونحوه، فلا يفطر؛ لأنه ليس حجامة ولا بمعنى الحجامة.

(ح) القيء إن قصده، فإن قاء من غير قصد لم يفطر.

فوائد

1- يجوز للصائم أن ينوي الصيام وهو جُنُب، ثم يغتسل بعد طلوع الفجر.

2- يجب على المرأة إذا طهرتْ في رمضان من الحيض أو النفاس قبل الفجر أن تصوم، وإن لَم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر.

3- يجوز للصائم قلعُ سنِّه، ومداواة جرحه، والتقطير في عينيه أو أذنيه، ولا يفطر بذلك ولو أحس بطعم القطور في حلقه.

4- يجوز للصائم أن يتسوَّك في أول النهار وآخره، وهو سُنة في حقه كالمفطرين.

5- يجوز للصائم أن يفعل ما يخفِّف عنه شدة الحر والعطش، كالتَّبَرد بالماء والمكيف.

6- يجوز للصائم أن يبخ في فمه ما يخفف عنه ضيق التنفس الحاصل من الضغط أو غيره.

7- يجوز للصائم أن يبل بالماء شفتيه إذا يبستا، وأن يَتَمَضمَض إذا نشف فمه، من غير أن يتغرغر بالماء.

8- يُسن للصائم تأخير السحور قبيل الفجر، وتعجيل الفطور بعد غروب الشمس، ويفطر على رطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى ماء، فإن لم يجد فعلى أي طعام حلال، فإن لم يجد نوى الفطر بقلبه حتى يجد.

9- يُسن للصائم أن يكثر من الطاعات، ويجتنب جميع المنهيات.

10- يجب على الصائم المحافظة على الواجبات، والبُعد عن المحرمات، فيصلي الصلوات الخمس في أوقاتها، ويؤدِّيها مع الجماعة إن كان من أهل الجماعة، ويترك الكذب والغيبة والغش والمعاملات الربويَّة، وكل قول أو فعل محرَّم؛ قال النبي ρ: ((من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه وشرابه))؛ رواه البخاري.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: الفقير إلى الله تعالى

محمد الصالح العثيمين

في 16 شعبان سنة 1401هـ

42- فضل صيام رمضان وقيامه، مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى مَن يراه من المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيلَ أهل الإيمان، ووفقني وإياهم للفقه في السنة والقرآن، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فهذه نصيحة موجزة تتعلق بفضل صيام رمضان وقيامه، وفضل المسابقة فيه بالأعمال الصالحات، مع بيان أحكام مهمة قد تخفَى على بعض الناس.

ثبت عن رسول الله ρ أنه كان يُبَشِّر أصحابَه بمجيء شهر رمضان، ويخبرهم – عليه الصلاة والسلام – أنه شهر تُفتح فيه أبواب الرحمة وأبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتغلُّ فيه الشياطين، ويقول ρ: ((إذا كان أول ليلة من رمضان، فتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وغلِّقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب، وصفِّدت الشياطين، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاءُ من النار وذلك كل ليلة))[124]، ويقول – عليه الصلاة والسلام –: ((جاءكم شهر رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، فيباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقيَّ من حُرم فيه رحمة الله))[125]، ويقول – عليه الصلاة والسلام –: ((من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه))[126]، ويقول – عليه الصلاة والسلام –: ((يقول الله – عز وجل –: كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به؛ ترَك شهوته وطعامه وشرابه مِن أجْلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولَخُلُوفُ فم الصائم أطْيب عند الله من ريح المسْك))[127].

والأحاديث في فضل صيام رمضان وقيامه وفضل الصوم كثيرةٌ، فينبغي للمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة، وهي ما مَنَّ الله به عليه من إدراك شهر رمضان، فيسارع إلى الطاعات، ويحذر السيئات،

---

124 رواه الترمذي، وقال: حديث غريب، وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي، ورواه النسائي والحاكم بنحو هذا اللفظ، وقال: صحيح على شرطهما؛ "الترهيب والترغيب" ج2/ص220.

125 رواه الطبراني، ورواته ثقات، المصدر السابق، ص222.

126 رواه البخاري ومسلم.

127 رواه البخاري ومسلم.

ويجتهد في أداء ما افترض الله عليه، ولا سيما الصلوات الخمس؛ فإنها عمود الإسلام، وهي أعظم الفرائض بعد الشهادتين، فالواجب على كل مسلم ومسلمة المحافَظةُ عليها، وأداؤها في أوقاتها بخشوع وطمأنينة، ومِن أهم واجباتها في حقِّ الرجال أداؤها في الجماعة في بُيُوت الله التي أذِن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه؛ كما قال – عز وجل –: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، وقال – تعالى –: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وقال – عز وجل –: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى أن قال – عز وجل –: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 1- 11].

وقال النبي ρ: ((العهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن ترَكَها فقد كفَر))[128].

وأهم الفرائض بعد الصلاة أداء الزكاة؛ كما قال – عز وجل –: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: 5]، وقال – تعالى –: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56]، وقد دل كتاب الله العظيم وسنةُ رسوله الكريم، على أنَّ مَن لَم يُؤَدِّ زكاة ماله يعَذَّب به يوم القيامة.

وأهم الأُمُور بعد الصلاة والزكاة صيامُ رمضان، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة المذكورة في قول النبي ρ ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت))[129].

ويجب على المسلم أن يصون صيامَه وقيامه عما حرَّم الله عليه من الأقوال والأفعال؛ لأنَّ المقصود بالصيام هو طاعة الله – سبحانه – وتعظيم حرماته، وجهاد النفس على مخالَفة هواها في طاعة مولاها، وتعويدها الصبر عمَّا حرَّم الله، وليس المقصود مجرَّد ترك الطعام والشراب وسائر المفطِّرات؛ ولهذا صحَّ عن رسول الله ρ أنه قال: ((الصيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني صائم))[130]، وصح عنه ρ أنه قال: ((من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه))[131].

128 رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، "رياض الصالحين" ص492.

129 متفق عليه.

130 متفق عليه.

131 رواه البخاري.

فعُلِم بهذه النصوص وغيرها أنَّ الواجب على الصائم الحذَر من كلِّ ما حرم الله عليه، والمحافظة على كل ما أوجب عليه، وبذلك يرجى له المغفرة والعتق من النار، وقبول الصيام والقيام.

أمور قد تخفى على بعض الناس

وهناك أمور قد تخفى على بعض الناس؛ منها: أن الواجب على المسلم أن يصوم إيمانًا واحتسابًا، لا رياء، ولا سمعة، ولا تقليدًا للناس، أو متابعة لأهله أو أهل بلده؛ بل الواجب عليه أن يكون الحامل له على الصوم هو إيمانه بأن الله قد فرض عليه ذلك، واحتسابه الأجر عند ربه في ذلك.

وهكذا قيام رمضان، يجب أن يفعلَه المسلم إيمانًا واحتسابًا، لا لسبب آخر؛ ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام –: ((مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه))[132].

ومنَ الأُمُور التي قد يخفَى حُكمُها على بعض الناس: ما قد يَعرِض للصائم من جراح، أو رعاف، أو قيء، أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره، فكلُّ هذه الأمور لا تفسد الصوم، لكن مَن تعمَّد القيء فسد صومُه؛ لقول النبي ρ: ((مَن ذرعه القيءُ فلا قضاء عليه، ومَن استقاء فعليه القضاء))[133].

ومن ذلك ما قد يعرض للصائم من تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر، وما يعرض لبعض النساء من تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طُلُوع الفجر، إذا رأتِ الطُّهرَ قبل الفجر، فإنه يلزمها الصوم، ولا مانع من تأخيرها الغسلَ إلى ما بعد طلوع الفجر، ولكن ليس لها تأخيرُه إلى طُلُوع الشمس؛ بل يجب عليها أن تغتسل وتصلي الفجر قبل طلوع الشمس، وهكذا الجُنُب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طُلُوع الشمس؛ بل يجب عليه أن يغتسل ويصلِّي الفجر قبل طلوع الشمس، ويجب على الرجل المبادرة بذلك؛ حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة.

ومن الأُمُور التي لا تفسد الصومَ تحليلُ الدم، وضرب الإبر غير التي يقصد بها التغذية، لكن تأخير ذلك إلى الليل أولى وأحوط إذا تيسَّر ذلك؛ لقول النبي ρ: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))[134]، وقوله – عليه الصلاة والسلام –: ((مَن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه))[135].

---

132 متفق عليه.

133 رواه الخمسة، وأعله أحمد، وقواه الدارقطني، "بلوغ المرام" ص156.

134 رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، "الأربعون النووية" حديث رقم11.

135 متفق عليه.

ومن الأُمُور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس: عدمُ الاطمئنان في الصلاة؛ سواء كانت فريضة أم نافلة، وقد دلَّت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ρ على أنَّ الطمأنينة ركنٌ من أركان الصلاة، لا تصحُّ الصلاة بدونه، وهي الركود في الصلاة والخشوع فيها، وعدم العجلة، حتى يرجع كل فقار إلى مكانه، وكثير من الناس يُصَلِّي في رمضان صلاة التراويح صلاة لا يعقلها، ولا يطمئنُّ فيها؛ بل ينقرها نقرًا، وهذه الصلاة على هذا الوجه باطلة، وصاحبها آثم غير مأجور.

ومن الأُمُور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس: ظنُّ بعضهم أن التراويح لا يجوز نقصها عن عشرين ركعة، وظنُّ بعضهم أنه لا يجوز أن يزاد فيها على إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، وهذا كله ظنٌّ في غير محله؛ بل هو خطأ مخالف للأدِلَّة.

وقد دلَّت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ρ على أن صلاة الليل موسَّع فيها، فليس فيها حد محدود، ولا تجوز مخالفته؛ بل ثبت عنه ρ أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة[136]، وربما صلى ثلاث عشرة، وربما صلى أقل من ذلك في رمضان وفي غيره، ولما سُئل ρ عن صلاة الليل، قال: ((مثنى مثنى، فإذا خشي أحدُكم الصبحَ صلى ركعة واحدة، توتر ما قد صلى))؛ متَّفق على صحته.

ولَم يُحدد ركعات معيَّنة، لا في رمضان ولا في غيره؛ ولهذا صلى الصحابة – رضي الله عنهم – في عهد عمر τ في بعض الأحيان ثلاثاً وعشرين ركعة، وفي بعضها إحدى عشرة ركعة، كل ذلك ثبت عن عمر τ وعن الصحابة في عهده[137].

وكان بعض السَّلَف يُصَلِّي في رمضان ستًّا وثلاثين ركعة، ويوتر بثلاث، وبعضهم يصلي إحدى وأربعين، ذَكَر ذلك عنهم شيخُ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيرُه من أهل العلم، كما ذكر – رحمه الله – أنَّ الأمر في ذلك واسع، وذكر أيضًا أنَّ الأفضل لمن أطال القراءة والركوع والسجود أن يُقَلِّل العدد، ومَن خَفَّف القراءة والركوع والسجود زاد في العدد، هذا معنى كلامه – رحمه الله.

ومَن تأمَّل سنّته ρ علم أن الأفضل في هذا كله هو صلاة إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة في رمضان وغيره؛ لكون ذلك هو الموافق لفِعْل النبي ρ في غالب أحواله؛ ولأنه أرفَق بالمصلِّين، وأقرب إلى الخشوع والطمأنينة، ومَن زاد فلا حرج ولا كراهة كما سبق، والأفضل لِمَن صلى مع الإمام في قيام رمضان

---

136 متفق عليه.

137 رواه مالك في "الموطأ"، ج1/ص138.

ألا ينصرف إلا مع الإمام؛ لقول النبي ρ: ((إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف، كَتَبَ الله له قيام ليلة))[138].

ويشرع لجميع المسلمين الاجتهاد في أنواع العبادة في هذا الشهر الكريم، من صلاة النافلة، وقراءةِ القرآن بالتدبُّر والتعقل، والإكثار من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والاستغفار، والدعوات الشرعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله - عز وجل - ومواساة الفُقراء والمساكين، والاجتهاد في برِّ الوالدَيْن، وصلة الرَّحِم، وإكرام الجار، وعيادة المريض، وغير ذلك من أنواع الخير؛ لقوله ρ في الحديث السابق: ((ينظر الله إلى تنافُسكم فيه، فيباهي بكم ملائكتَه، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإنَّ الشَّقي مَن حُرِم فيه رحمة الله))، ولقوله ρ في الحديث السابق: ((يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر))، ولِما رُوي عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: ((مَن تَقَرَّب فيه بِخَصْلة من خصال الخير، كان كَمَنْ أَدَّى فريضة فيما سواه، ومن أَدَّى فيه فريضةً كان كمَن أدَّى سبعين فريضة فيما سِواه))[139]؛ ولقولِه - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: ((عمرة في رمضان تعدل حجة - أو قال: - حجة معي))[140].

والأحاديث والآثار الدالة على شرعية المسابقة والمنافَسة في أنواع الخير في هذا الشهر الكريم كثيرةٌ، والله المسؤول أن يوفِّقنا وسائر المسلمين لكلِّ ما فيه رضاه، وأن يتَقبَّل صيامنا وقيامنا، ويُصلح أحوالنا، ويعيذنا جميعًا من مضلاَّت الفتن، كما نسأله - سبحانه - أن يصلح قادة المسلمين، ويجمع كلمتهم على الحق؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

43- مِن فوائد الصِّيام

فرَض الله الصيام على الأمة الإسلامية رحمةً بها، وإحسانًا إليها؛ ليُكَفِّر به سيئاتِهم، ويرفع به درجاتِهم، ويضاعِف به حسناتِهم، ولِما فيه من فوائدَ عظيمةٍ تعود على الفرد والمجتمع، لا يحيط بها قلمُ كاتب، أو تعبيرُ بليغ، وإنما يتكلم الإنسان في ذلك بحسب ما بلغه، فالصيامُ بعد كونه ركنًا من أركان الإسلام، وعبادةً من أبلغ العبادات وأهمها - فيه امتثالٌ لأمر الله، وطلبٌ لرضاه، وتعرُّضٌ

138 رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي "مشكاة المصابيح" ج1/ص406، وهو الحديث رقم (1298).

139 رواه ابن خزيمة في "صحيحه" ج3/ص191 - 192.

140 رواه البخاري ومسلم وغيرهما؛ "الترغيب والترهيب" ج2/ص305.

لفضله، فهو من أكبر الدروس العملية التي تُعِدُّ الصائمَ الصادق للتقوى؛ فهو مُرَبٍّ للإرادة، ومُرَوِّضٌ للروح، يغرس في نفس المؤمن ملَكَةَ الصبر على الطاعات، والصبر عن المخالَفات، والصبر على أقدار الله المؤلِمة، من مرضٍ، أو فقر، أو شدة تنزل بالعبد، إذا أخلَص النِّيَّة فيه لله - تعالى.

وبهذه المناسبة، فإنَّني أنصح إخواني المسلمين الصائمين الذين ابتُلوا بشُرب الدخان، الضار بصحتهم وأبدانهم وأموالهم، ودينهم ودنياهم وآخرتهم، أن يتسلوا عنه بالصوم، وأن يتركوه لله؛ فإنَّ مَن ترَك شيئًا لله، عوَّضه الله خيرًا منه، وألا يصوموا عن الحلال ثم يفطروا على الحرام.

نسأل الله لنا ولهم وللمسلمين عمومًا العصمةَ والعافية والتوفيق والهداية.

والصوم طُهرة وزكاة للجسَد، يُطَهِّر الإنسانَ من الذنوب، ويزيل عنه آثارَ الشح والبخل والخُيَلاء، ويُطَهِّر جسمَه من آفات فضلات الأطعمة والأشربة، وفي الحديث الشريف: ((لكلِّ شيء زكاة، وزكاة الجسَد الصوم))؛ رواه ابن ماجه.

ومِن فوائد الصَّوم الاجتماعيَّة: المساواةُ فيه بين الأغنياء والفُقَراء، والخاصَّة والعامَّة، وفي مُشارَكة الأغنياء للفُقراء في الجُوع إشعارٌ لهم بلزوم العطف عليهم، وأداء حقوقهم التي فرَضَها الله في أموالهم إلى الفقراء.

ففي الصَّوم إعلامُ الغني بحال الفقير، وإشعار الطاعم الكاسي بالجائع العاري، وفي هذا ما فيه من الخير الكثير للناس أجمعين.

وفي الصوم تنظيم الأمة في المعيشة، وإشعار بوحدة المسلمين، وجمْع شملِهم على الحق والهدى، فجميعُ المسلمين يمسكون عن الطعام والشراب في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، إذا كانوا في إقليم واحد، لا يَتَقَدَّم أحد منهم على أحد، ولا يتأخر عنه.

وفي الصوم يتَمَثَّل الصدق والأمانة في العبادة؛ لأنه أمرٌ موكول إلى نفس الصائم وأمانته وعفته وشرفه، ولا رقيب عليه فيه إلا الله - تبارك وتعالى - لذا فقد جَعَلَ الله عملَ العبدِ له الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلاَّ الصيامَ، فقد اختَصَّه لنفسه، ولا يعلم مقدارَ ثواب الصيام إلا اللهُ؛ قال ρ: ((قال الله - تعالى -: **كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به**))؛ متفق عليه.

وللصوم فوائدُ صحيةٌ؛ فإن المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وقد قال كثير من الأطباء: إنَّ في الصوم أمانًا من كثير من الأمراض المزمنة، ولا سيما السل والسرطان الجلدي والدملي، وأمراض

المعدة، وفي الحديث: ((**صوموا تصِحُّوا**))؛ رواه الطبراني في "الأوسط"، ورواته ثقات(141)؛ فهو يحفظ الصحة، ويذيب الفضلات المؤذية.

ومن فوائد الصيام: أنه يضيق مجاريَ الدم، التي هي مجاري الشيطان، فإنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوسُ الشيطان، وتنكسر حدةُ الشهوة والغضَب.

وبالصوم تعرف نِعَم الله عليك معرفةً صحيحة؛ فإن الشيء لا يعرف حقًّا إلا عند فَقْدِه.

وبالصوم تعرف ضعفك وحاجتك إلى ربك، ومَن عرَف ضعفه واحتياجه زالتْ عنه الكبرياء الكاذبة، فيعرف قدره، ورحم الله امرأً عرَف قدره.

وفي الصوم تشبُّهٌ بالروحانيين من ملائكة الله المقرَّبين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، يُسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يأكلون ولا يشربون.

وبالصيام يزيد الإيمان، ويستعين العبد على كثير من العبادات، من صلاة وقراءة، وذكر وصدقة، ودعاء واستغفار وتوبة، ويردع النفس عن الوقوع في الأمور المحرَّمة، فهو من أعظم الحسنات المذهِبة للسيئات، فهو جامِع لمصالِح الدين والدنيا والآخرة، وذلك فضْل الله يُؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

44- فضل تلاوة القرآن الكريم في رمضان وغيره

الحمد لله الذي أنزَل على عبده الكتاب تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ:

فإنه يتأكد على المسلم الراجي رحمة ربِّه، الخائف من عذابه، أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم في رمضان وغيره؛ تقرُّبًا إلى الله - تعالى - وطلَبًا لمرضاته، وتعَرُّضًا لفضله وثوابه؛ فإنَّ القرآن الكريم خيرُ كتاب، أنزل على أشرف رسول، إلى خير أمة أُخرجتْ للناس، بأفضل الشرائع وأسمحها، وأسماها وأكملها.

أنزل القرآن لكي يقرأَه المسلمُ ويتدبره، ويتفكر في معانيه، وأوامره ونواهيه، ثم يعمل به، فيكون حجة له عند ربه، وشفيعًا له يوم القيامة.

---

(141) انظر: "الصيام في الإسلام"، للشيخ محمد محمود الصواف، ص 13، 14، و"لطائف المعارف"، لابن رجب ص163، و"الرياض الناضرة"، لابن سعدي، ص 15.

وقد تكَفَّلَ الله لمن قرأ القرآن وعمِل بما فيه ألاَّ يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، بقوله – تعالى –: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ [طه: 123]، ولْيحذر المسلمُ من الإعراض عن تلاوة كتاب الله وتدبره والعمل بما فيه، وقد توَعَّد الله المعْرضين عنه بقوله – تعالى –: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: 100] وبقوله – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

وفي فضْل القرآن: قال الله – تعالى –: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقال – تعالى –: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15 – 16]، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، وقال رسول الله ρ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))؛ رواه البخاري في صحيحه، وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه))؛ رواه مسلم، وقال ρ: ((يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورةُ البقرة وآل عمران، تحاجَّانِ عن صاحبهما))؛ رواه مسلم، وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿ألم﴾ حرف؛ بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وقال ρ: ((يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها))؛ رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به، مع السفَرة الكرام البَرَرة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ، له أجران))؛ متفق عليه.

والمراد بالسَّفَرة: الرسل من الملائكة، والبَرَرَة: المطيعون لله – تعالى – ويتتعتع: يتردد في قراءته (له أجران): أجر القراءة، وأجر المشَقَّة.

وقال ρ: ((لا حسَد إلا في اثنتَين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))؛ متفق عليه.

والآناء: الساعات، والمراد بالحسد هنا: الغبطة، وهي تَمَنِّي مثل ما للغيْر.

فاحْرِص – أيها المسلم – وفَّقك الله لما يرضيه على تعلُّم القرآن وتلاوته بنية خالصة لله – تعالى – واحرص على تعلُّم معانيه والعمل به؛ لتنال ما وعد الله به أهل القرآن من الفضل العظيم، والثواب الجسيم، والدرجات العلا، والنعيم المقيم، فقد كان أصحاب رسول الله ρ إذا تعلَّموا عشر آيات من

كتاب الله - تعالى - لَم يتجاوزوهن حتى يتعلَّموا معانيهن والعمل بهن.

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن؛ كما قال - تعالى -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : 185]، وفي الصحيحين عن ابن عباس: أن رسول الله ρ كان يلتقي هو وجبريل في رمضان في كل ليلة، فيدارسه القرآن.

فدلَّ على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرْض القرآن على مَن هو أحفظ له منه، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفيه فضل الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته؛ قال رسول الله ρ: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السكينة، وغشيتْهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذَكَرهم الله فيمن عنده))؛ رواه مسلم.

وفي حديث ابن عباس المتقدم: أن المدارسة بين النبي ρ وبين جبريل كانت ليلاً، فدلَّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمّل: 6].

ويستحب قراءة القرآن على أكمل الأحوال متطهرًا، مستقبل القبلة، متحريًا بها أفضل الأوقات؛ كالليل، وبعد المغرب، وبعد الفجر، وتجوز القراءة قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، وماشيًا وراكبًا؛ لقوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : 191] والقرآن أعظم الذكر.

ثم اعلم - أيها المسلم - أنَّ تلاوة القرآن التي ينتفع بها صاحبُها هي التلاوة المصحوبة بالتدَبُّر والتفهُّم لمعانيه وأوامره ونواهيه، بحيث إذا مرَّ القارئ بآية يأمره الله فيها بأمر ائتَمَر به وامتَثَلَه، وإذا مر بآية ينهاه الله فيها عن شيء، انتهى عنه وترَكه، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل الله ورجا رحمته، وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذ بالله وخاف من عقابه، فهذا الذي يتدبَّر القرآن ويعمل به، يكون حجة له، أما الذي لا يعمل به، فإنه لا ينتفع به ويكون حجة عليه؛ قال الله - تعالى -: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [ص: 29].

اللهم اجعلنا وجميع المسلمين من أهل القرآن، الذين هم أهلُكَ وخاصتك يا أرحم الراحمين، واجعله حجَّة لنا لا حجة علينا يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

متى أنزل القرآن؟ ولماذا أنزل؟

ابتدئ بإنزال القرآن الكريم على النَّبي ρ في ليلة القدر من رمضان؛ كما قال – تعالى –: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185]، وقال – تعالى –: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، وكان في ذلك مزيد فضْل لرمضان؛ حيث خص بإنزال القرآن فيه.

أنزل القرآن لكي يقرأَه المسلمون، ويتعلموا معانيه، ويعرفوا ما فيه من أوامر فيمتثلوها، ونواهٍ فيجتنبوها، وأحكامٍ فيُطبِّقوها، وأخبارٍ فيصدقوها، وما فيه من وعْد بالثواب فيرجوه، ومن وعيد بالعقاب فيخافوه، وبذلك يتحقَّق إيمانُهم، ويتمُّ إسلامُهم، ويستحقون الثواب العظيم، ويَسلَمون من العذاب الأليم، فالقُرآن حجَّة لك إن عملتَ به، وحجة عليك إن لَم تعمل به.

فتقرَّب – أيها المسلم – إلى الله – تعالى – بتلاوة كتابه آناء الليل والنهار، فمَن قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وتقرب إليه بفهم كلامه، ومعرفة معانيه، وأوامره ونواهيه، وأحكامه وحدوده، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، فقبيحٌ بشخص يقرأ كلامًا لا يعرف معناه، لو أتاك خطاب من صديق لك لَم تطمئنَّ نفسُك حتى تقرأه، وتعرف معناه، فكيف بكلام ربك الذي فيه سعادتُك ونجاتك؟! ثم إذا قرأتَه وعرفتَ معناه، وجب عليك أن تعمل به في جميع شؤونك؛ امتثالاً لأمر ربك، وطَلَبًا لمرضاته وثوابه الكريم، وخوفًا من سخطه وعقابه الأليم، فقد تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة بقوله – تعالى –: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 123]، فإذا قصر المسلم في قراءة القرآن، أو قصَّر في العمل به، فقد هجرَه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30].

وفي فضل القرآن قال الله – تعالى –: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، وقال ρ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))؛ رواه البخاري، وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلاَّ نزلتْ عليهم السكينةُ، وغشيتْهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذَكَرَهُم الله فيمَن عنده))؛ رواه مسلم، وقال: ((اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه))؛ رواه مسلم.

وفضائل كلام الله وفوائده لا تُحصى، اللهم اجعلنا وجميع المسلمين من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، يا أرحم الراحمين، واجعله حجة لنا لا حجة علينا، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على محمد.

من آداب الصائم

أيها المسلم الكريم، اعلم - وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه - أن للصوم آدابًا، تجب مراعاتُها والعمل بها في الصوم والإفطار، وإلاَّ لَم يَكُن للصائم من صومه إلاَّ الجوع والعَطَش.

1- فمنها: غض البصر عن النظر المحرَّم إلى العورات، وإلى النساء اللاتي لسن من محارمك؛ لأنَّ المرأة عَوْرة وفِتْنة؛ قال - تعالى -: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[142]، وقال - تعالى -: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[143].

2- صون السمع عن الإصغاء إلى كل ما يحرم أو يكره؛ لأن الإنسان مسؤول عن سمعه، كما هو مسؤول عن بصره - كما في الآية السابقة - وقائل القبيح والمستمع إليه شريكانِ في الإثم.

3- حفظ اللِّسان عن النُّطق بالفُحش والبهتان، فيجب أن يجتنب الصائم الكذبَ والغيبة والنميمة، والخصومة والسب والشتم، وأن يلزم الصمت، أو الاشتغال بما يقربه إلى الله من تلاوة القرآن، وذكر الله، ودعاء واستغفار، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فكلُّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذِكر الله وما والاه من طاعة الله.

4 - حِفْظ البَطْن من أن يدخله حرام أكلاً أو شربًا، وفي الحديث: ((**لا يدخل الجنة لَحْمٌ نبت من سحت**))؛ رواه ابن حبان في صحيحه، والسحت: الحرام.

فالمسلم يصوم عن الحلال ابتغاء مرضاة الله، فأولى به أن يمتنع عن الحرام الذي به هلاكه، فلا يحل لمسلم الغشُّ في المعاملة، أو إنفاق السلعة بالأيمان الكاذبة، كما يحرم على المسلم المعامَلة بالرِّبا الذي حرمه الله ولعن فاعله.

5 - حفظ الفرْج عن الحرام، قال ρ: ((**مَن يضمن لي ما بين لحييه**))؛ يعني: اللسان، ((**وما بين رجليه**))؛ يعني: الفرج، ((**أضمن له الجنة**))؛ رواه البخاري في صحيحه.

---

(142) سورة النور آية 30.

(143) سورة الإسراء آية 36.

6، 7- صون اليد والرجل عن تناوُل الحرام، والمشي إليه؛ فإنك مسؤول عن ذلك كله، والواقع أن صيانة الجوارح عن الآثام مطلوب في كل وقت وعلى كل حال، إلا أن ذلك يتأكَّد على الصائم أكثر من غيره؛ لئلا يبطل صومه، ويذهب أجره، فإذا صان جوارحه عن الآثام من الكلام المحرَّم، والنظَر المحرم، والاستماع المحرم، والأكل والشرب المحرم، والمشي أو البطش المحرم، كمل أجرُه، وقبل صومُه، وكان من الذين رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة مأواهم، نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا منهم أجمعين.

45- صيام يوم عاشوراء

قال - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم في صحيحه: ((**أفضل الصوم بعد رمضان شهرُ الله المحرم**))، وسُئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: ((**يُكفِّر السنة الماضية**))؛ رواه مسلم، ولما قدم النبي - عليه الصلاة والسلام - المدينةَ مهاجرًا، وجد اليهودَ يصومون يوم عاشوراء، فقال: ((**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**))، قالوا: هذا يوم عظيم، نجَّى الله فيه موسى وقومَه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله؛ فنحن نصومه، قال - عليه الصلاة والسلام -: ((**نحن أحق بموسى منكم**))، **فصامه، وأمر بصيامه**، وقال: ((**لئن بقيت إلى قابل لأصومَنَّ التاسع والعاشر**))، وفي لفظ: ((**صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده، خالفوا اليهود**)) وفي رواية: ((**صوموا يومًا قبله، ويومًا بعده**))(144).

فينبغي للمسلم أن يصوم الأيام الثلاثة: اليوم التاسع والعاشر والحادي عشر؛ ليحصل على فوائد متعدِّدة:

الأولى: أنه يُكتب له أجر صيام الشهر كله؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، وكان النبي ρ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويأمُر بها.

الثانية: أن صوْم هذا الشهر أفضل الصوم بعد رمضان، كما نصَّ عليه الحديثُ المتَقَدِّم.

الثالثة: مخالفة اليهود بصوم التاسع والحادي عشر مع العاشر.

الرابعة: الاقتداء بالنبي ρ فقد صامه وأمر بصيامه، رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس.

الخامسة: أنه يُكَفِّر ذنوب سنة كاملة، والمراد بها الصغائر بشرْط اجتناب الكبائر.

والصوم من حيث هو أجرُه غير محصور وغير محدود، قال ρ: ((**كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة**

---
(144) رواه أحمد ومسلم وأصله في الصحيحين.

بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله – تعالى –: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به))(145)؛ وذلك لأن الصيام من الصبر، وقد قال الله – تعالى –: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: 10]، والصوم في الشتاء غنيمة باردة؛ نهار قصير بارد، وأجر بلا تعب، كما أن الصوم في الصيف من أفضل الأعمال.

(قصة موسى مع فرعون): وخلاصتها أن موسى – عليه السلام – لَمَّا خرج بجنوده، أتْبَعه فرعون وقومه، فلما تراءى الجمعانِ، وأقبل موسى بقومه نحو البحر، وأقبل عليهم فرعون وقومه، قال أصحاب موسى: إنا لمدركون، فأوحى الله إلى موسى أن اضربْ بعصاك البحر، فضرَبَه فانفلق اثنا عشر طريقًا، بعدد الفِرَق، فلمَّا دَخَلَه موسى وقومه وخرجوا منه، أتبعه فرعون وقومه، فلما تكاملوا فيه، أمره الله فانطبق عليهم، فصارتْ أجسامهم للغرق، وأرواحهم للنار والحرق، قال الله – تعالى –: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾(146)، وصاروا عبرة لمن اعتبر، وتلك عاقبة الذنوب والمعاصي؛ قال – تعالى –: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(147) قيل له: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾(148)، فلفظه البحر ميتًا؛ ليتحققوا أنه مات بعد أن كان يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾(149) ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(150)، وهكذا تكون عاقبةُ الظُّلم والطغيان، ولَعَذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سئل عن يوم عاشوراء، فقال: ما رأيتُ رسولَ الله ρ صام يومًا يتحرى فضْله على الأيام، إلا هذا اليوم؛ يعني: يوم عاشوراء، ويوم عاشوراء له فضِيلةٌ عظيمة، وحُرمة قديمة، وصومه لفضله كان معروفًا بين الأنبياء – عليهم السلام – وقد

(145) متفق عليه.

(146) سورة غافر، آية: 46، وهذه الآية من أدلة عذاب القبر، ويكون للنفس والبدن جميعًا باتِّفاق أهل السنة والجماعة؛ انظر: "شرح العقيدة الطحاوية"، ص 348.

(147) سورة يونس، آية: 90.

(148) سورة يونس، آية: 91 - 92.

(149) سورة النازعات، آية: 24.

(150) سورة القصص، آية: 38.

صامَه نوح وموسى – عليهما السلام – وقد كان أهل الكتاب يصومونه، وكذلك قريش في الجاهلية كانت تصومه، وكان للنبي ρ في صيامه أربع حالات:

الأولى: أنه كان يصومه بمكة، ولا يأمر الناس بالصوم؛ ففي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ρ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه، فترك صوم عاشوراء، فمَن شاء صامه، ومَن شاء أفطره.

الثانية: أن النبي ρ لَمَّا قدم المدينة، رأى صيام أهل الكتاب له، وتعظيمهم له، وكان يحب موافقتهم فيما لَم يؤمر به، فصامه وأمر الناس بصيامه، وحثَّ عليه، حتى كانوا يصوِّمونه أطفالهم، كما في الصحيحين عن ابن عباس وغيره.

الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان، ترك النبي ρ أمْرَ الصحابة بصيام عاشوراء وتأكيده فيه، وقد سبق حديث عائشة في ذلك، وأكثر العُلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد.

الرابعة: أن النبي ρ عزم في آخر حياته على ألا يصومَه مفردًا؛ بل يضم إليه يومًا آخر؛ مخالفةً لأهل الكتاب في صيامه، قال ابن القيم – رحمه الله –: فمراتب صومه ثلاثة: أكملها أن يصام قبله يومٌ وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر، وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم، وكان طائفة من السلَف يصُومُون يوم عاشوراء في السفر منهم ابن عباس، وقالوا: رمضان له عدة من أيام أخر، وعاشوراء يفوت، ومن أعجب ما ورد في عاشوراء: أنه كان يصومه الوحش والهوام والنمل، ومن فضائلِه أنه يوم تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على آخرين، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن علي τ عن النبي ρ وفيه حث على تجديد التوبة النصوح إلى الله – تعالى – في يوم عاشوراء، ورجاء قبول التوبة، فمن تاب فيه إلى الله – عز وجل – من ذنوبه، تاب الله عليه[151].

اللهم تب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، ووفقنا لما تحب وترضى، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه أجمعين.

الحج

46- كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة

أحسن ما يؤدي به المسلمُ مناسكَ الحج والعمرة أن يؤديَهما على الوجه الذي جاء عن رسول

(151) انظر: "لطائف المعارف"، لابن رجب، ص 45 - 53، و"زاد المعاد"، لابن القيم، ج 1، ص 349.

الله ρ لينال بذلك محبةَ الله ومغفرته: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31].

وأكمل صفةٍ في ذلك التمتعُ لمن لم يَسُقِ الهدْي؛ لأن النبي ρ أمر به أصحابَه وأكَّده عليهم، وقال: ((لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت، ما سقت الهدي، ولأحللت معكم)).

والتمتع: أن يأتي الحاج بالعمرة كاملة في أشهر الحج، ويحل منها، ثم يحرم بالحج في عامه.

العمرة

1- إذا أردتَ الإحرام بالعمرة، فاغتسل كما تغتسل من الجنابة - إن تيسَّر لك - ثم البس ثياب الإحرام إزارًا ورداء (والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير متبرجة بزينة)، ثم قل: لبيك عمرة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ومعنى لبيك: أجبتك إلى ما دعوتني إليه من الحج والعمرة وغيرهما من طاعتك.

2- فإذا وصلتَ إلى مكة، فطُفْ بالبيت سبعة أشواط طواف العمرة، تبتدئ من الحجر الأسود وتنتهي إليه في كل شوط، ثم صلِّ ركعتين خلف مقام إبراهيم، قريبًا منه إن تيسر أو بعيدًا.

3- فإذا صليت الركعتين، فاخرج إلى الصفا واسْعَ بين الصفا والمروة سبع مرات سعي العمرة، تبتدئ بالصفا وتختم بالمروة، ذهابك سعية، ورجوعك سعية.

4- فإذا أتممت السعي، فقصر شعر رأسك.

وبذلك تمت العمرة، ففك إحرامك والبس ثيابك.

الحج

1- إذا كان اليوم الثامن من ذي الحجة، فأحرم بالحج، فاغتسل - إن تيسر لك - والبس ثياب الإحرام، ثم قل: لبيك حجًّا، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

2- ثم اخرج إلى مِنًى، وصلِّ بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، كل صلاة في وقتها، تجعل الرباعية ركعتين.

3- فإذا طلعت الشمس في اليوم التاسع من ذي الحجة، فسِرْ إلى عرفة وصلِّ بها الظهر والعصر جمعَ تقديم على ركعتين ركعتين، وامكث فيها إلى غروب الشمس، وأكثرْ من الذِّكر والدعاء هناك مستقبل القبلة.

4- فإذا غربتِ الشمس، فسِرْ من عرفة إلى مزدلفة، وصلِّ بها المغرب والعشاء والفجر، ثم امكث فيها للدعاء والذِّكر إلى قرب طلوع الشمس.

وإن كنت ضعيفًا لا تستطيع مزاحمة الناس عند الرمي، فلا بأس أن تسير إلى منى في آخر الليل.

5- فإذا قرب طلوع الشمس، فسر من مزدلفة إلى منى، فإذا وصلتَ إليها فاعمل ما يلي:

(أ) ارم جمرة العقبة - وهي أقرب الجمرات إلى مكة - بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الأخرى، وكبِّر مع كل حصاة.

(ب) اذبح الهدي وكُلْ منه ووزّع على الفقراء.

(جـ) احلق رأسك (والمرأة تقصر منه بقدر أنملة).

تعمل هذه الثلاثة مبتدئًا بالرمي، ثم الذبح، ثم الحلق إن تيسر، وإن قدمتَ بعضها على بعض فلا حرج.

وبعد أن تعمل هذه الثلاثة تحل التحللَ الأول، فتلبس ثيابك، ويحل لك جميع محظورات الإحرام إلا النساء.

6- ثم انزل إلى مكة وطفْ طواف الإفاضة طواف الحج، واسع بين الصفا والمروة سعي الحج. وبهذا تحل التحلل الثاني، ويحل لك جميعُ محظورات الإحرام حتى النساء.

7- ثم اخرج بعد الطواف والسعي إلى منى، فبِتْ فيها ليلتي إحدى عشرة واثنتي عشرة.

8- ثم ارم الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر بعد الزوال، تبتدئ بالأولى - وهي أبعدهن عن مكة - ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة، كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات، تكبِّر مع كل حصاة، وتقف بعد رمي الأولى والثانية للدعاء مستقبل القبلة، ولا يجزئ الرمي في هذين اليومين قبل الزوال.

9- فإذا أتممتَ الرمي في اليوم الثاني عشر، فإن شئتَ أن تتعجل فاخرج من منى قبل غروب الشمس، وإن شئت أن تتأخر - وهو أفضل - فبت في منى ليلة الثالث عشر وارم الجمرات الثلاث في يومها بعد الزوال كما رميتها في اليوم الثاني عشر.

10- فإذا أردت الرجوع إلى بلدك، فطف عند سفرك بالكعبة طواف الوداع سبعة أشواط، والحائض والنفساء ليس عليهما طواف وداع.

زيارة المسجد النبوي في المدينة المنورة

1- تتوجَّه إلى المدينة قبل الحج أو بعده بنيَّة زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه؛ لأن الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام(152).

---

(152) **(تنبيه)** ليس الذهاب إلى المدينة المنورة وزيارة قبر النبي ρ واجبًا ولا شرطًا في الحج؛ بل هي مستحبة في حق من زار مسجد الرسول ρ أو كان قريبًا منه.

2- فإذا وصلت إلى المسجد، فصلِّ فيه لله - تعالى - ركعتين تحية المسجد، أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت.

3- ثم اذهب إلى قبر النبي ρ فقفْ أمامه وسلِّم عليه قائلاً: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلَّى الله عليك وجزاك عن أمتك خيرًا.

ثم اخطُ عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام أبي بكر، وسلِّم عليه قائلاً: السلام عليك يا أبا بكر خليفة رسول الله ρ ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا.

ثم اخط عن يمينك خطوة أو خطوتين لتقف أمام عمر، وسلم عليه قائلاً: السلام عليك يا عمر أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا.

4- واخرج إلى مسجد قباء متطهرًا وصلِّ فيه.

5- واخرج إلى البقيع وزرْ قبر عثمان τ فقف أمامه، وسلم عليه قائلاً: السلام عليك يا عثمان أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيرًا، وسلم على مَن في البقيع مِن المسلمين.

6- واخرج إلى أُحد وزر قبر حمزة τ ومن معه من الشهداء هناك، وسلم عليهم، وادعُ الله - تعالى - لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان.

فائدة: يجب على المحرِم بحج أو عمرة ما يلي:

1- أن يكون ملتزمًا بما أوجب الله عليه من شرائع دينه؛ كالصلاة في أوقاتها مع الجماعة.

2- أن يتجنب ما نهى اللهُ عنه من الرفث والفسوق والعصيان ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة : [illegible]].

3- أن يتجنب أذية المسلمين بالقول أو الفعل عند المشاعر أو غيرها.

4- أن يتجنب جميع محظورات الإحرام.

أ) فلا يأخذ شيئًا من شعره أو ظفره، فأما نقش الشوكة ونحوه، فلا بأس به وإن خرج الدم.

ب) ولا يتطيب بعد إحرامه في بدنه أو ثوبه، أو مأكوله أو مشروبه، ولا يتنظف بصابون مطيب، فأما ما بقي من أثر الطيب الذي تطيب به عند إحرامه، فلا يضر.

ج) ولا يقتل الصيد، وهو الحيوان البري الحلال المتوحش أصلاً.

د) ولا يباشر لشهوة بلمس أو تقبيل أو غيرهما، وأشد من ذلك الجماعُ.

هـ) ولا يعقد النكاح لنفسه ولا غيره، ولا يخطب امرأة لنفسه ولا غيره.

و) ولا يلبس القفازين، وهما شراب اليدين، فأما لف اليدين بخرقة، فلا بأس به.

وهذه محظورات على الذَّكر والأنثى، ويختص الرجل بما يلي:

(أ) لا يغطي رأسه بملاصق، فأما تظليله بالشمسية وسقف السيارة والخيمة وحمل العفش عليه، فلا بأس به.

(ب) لا يلبس القميص ولا العمائم ولا البرانس ولا السراويل ولا الخفاف، إلا إذا لم يجد إزارًا فليلبس السراويل، أو لم يجد نعلين فليلبس الخفاف.

(ج) لا يلبس ما كان بمعنى ما سبق، فلا يلبس العباءة ولا الطاقية ولا الفنيلة ونحوها.

ويجوز أن يلبس النعلين، والخاتم، ونظارة العين، وسماعة الأذن، وأن يلبس الساعة في يده أو يتقلدها في عنقه، ويلبس الهميان والمنطقة، وهما ما تجعل فيه النفقة.

ويجوز أن يتنظف بغير ما فيه طيب، وأن يغسل ويحكَّ رأسه وبدنه، وإن سقط بذلك شعر بدون قصد، فلا شيء عليه.

والمرأة لا تلبس النقاب، وهو ما تستر به وجهها منقوبًا لعينيها فيه، والسُّنةُ أن تكشف وجهها إلا أن يراها رجال غير محارم لها، فيجب عليها ستره في حال الإحرام وغيرها.

والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم فضيلة الشيخ

محمد الصالح العثيمين

47- أسئلة وأجوبة في الحج والعمرة

س1: ما حكم الحج وما الدليل؟

ج1: واجب وركن من أركان الإسلام، والدليل قوله – تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ﮧﮨ]، وقوله ρ: ((إن الله فرض عليكم الحج، فحجُّوا)) رواه مسلم[153].

س2: على من يجب الحج؟

ج2: يجب الحج على كل مسلمٍ، بالغ، عاقل، حر، مستطيع.

س3: ما هي شروط وجوبه؟

ج3: شروط وجوب الحج خمسة، وهي:

(1) الإسلام.

(153) رواه مسلم "مختصر صحيح مسلم"، جـ1 ص 171.

(2) والعقل.

(3) والبلوغ.

(4) والحرية.

(5) والاستطاعة.

س4: ما حكم حج الصبي الذي لم يبلغ؟

ج4: حج الصبي يصحُّ ويثاب عليه، ولا يجزيه عن حَجة الإسلام، فإذا بلغ فعليه أن يحج حجة أخرى.

س5: هل الحج واجب على الفور، أو على التراخي، مع الدليل؟

ج5: الحج واجب على الفور إذا تمت شروط وجوبه؛ لقوله - تعالى -: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[154] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[155] وقوله: ρ ((تعجلوا إلى الحج - يعني: الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له))؛ رواه أحمد.

س6: ما حكم حج من لم يصلِّ؟

ج6: لا يصح حج من لم يصلِّ؛ لأن أركان الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، فمن آمن بها عمل بها كلها، ومن ترك واحدًا منها مع القدرة بطلَتْ وفسدت كلُّها، والصلاة من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له، فلا دين لمن لا صلاة له، والصلاة عمود الدين الإسلامي الذي يقوم عليه، وهي شعار المسلم، وتكفِّر الذنوب، فأولى بمن لا يصلي أن يتوب إلى الله - تعالى - ويصلي باستمرار ثم يحج.

س7: ما الذي ينبغي لمن أراد الحج؟

ج7: ينبغي له:

أولاً: أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا بعد ترك المعاصي، والندم على ما فات منها، والعزم على عدم العودة إليها في المستقبل.

ثانيًا: أن يختار لحجه نفقةً طيبة من مال حلال؛ لأن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا.

ثالثًا: أن يصحب في سفره الأخيارَ من أهل العلم والطاعة والفقه في الدين؛ ليرشدوه وينفعوه.

رابعًا: أن يحفظ جوارحه ولسانه عن الكلام المحرَّم، والنظر المحرم، والسماع المحرم.

س8: ما هو الحج المبرور الذي وُعد صاحبُه بالمغفرة والجنة؟

---

(154) سورة المائدة، الآية 48.

(155) سورة آل عمران، الآية 133.

ج8: الحج المبرور هو المقبول الذي لا يخالطه معصية، بأن يأتي الحاج فيه بالواجبات والمستحبَّات، ويترك المحرَّمات والمكروهات، ويحج كما شرع الله وكما حج رسولُ الله ρ .

س9: ما هو دعاء السفر؟

ج9 الله أكبر – ثلاثًا – سبحان الله – ثلاثًا – سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى – اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد[156].

س10: ما الذي يقوله المسافر إذا نزل منزلاً؟ ولماذا؟

ج10: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق – إذا قال ذلك لم يضره شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك[157].

س11: ما حكم ترْك الحج مع القدرة، مع الدليل؟

ج 11: حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، وقد يكون كفرًا؛ لقول الله – تعالى –: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[158]، وفي الحديث: ((من استطاع الحج فلم يحج، فليمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا))؛ رواه الترمذي والبيهقي.

س12: اذكر شيئًا من فضائل الحج؟

ج12: من فضائل الحج ما ثبتتْ به الأحاديث الصحيحة عن النبي ρ مثل: قوله ρ: ((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))[159]، وقوله ρ: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه))[160]، وقوله ρ: ((تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبثَ الحديد والذهب والفضة))[161]، وقوله ρ: ((الحُجاج والعمار وفدُ الله، إن دعَوْه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم))؛ رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

---

(156) رواه مسلم وغيره "رياض الصالحين" ص 459.

(157) رواه مسلم (المصدر السابق 463).

(158) سورة آل عمران، الآية 97.

(159) متفق عليه.

(160) متفق عليه.

(161) رواه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

س13: ما هي خصائص البيت الحرام؟

ج13: من خصائص هذا البيت:

(1) أن الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد(162).

(2) أنه أفضل بقاع الأرض.

(3) أنه قبلة المسلمين أحياء وأمواتاً في مشارق الأرض ومغاربها.

(4) وجوب الحج إليه.

(5) أن قصده يكفِّر الذنوب والآثام، وليس لقاصده ثواب دون الجنة إذا اتقى الله - تعالى - وبر وصدق.

(6) أن من دخله كان آمنًا.

(7) أنه يؤاخذ فيه على الهم بالسيئات؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(163).

(8) تحريم قطع شجره الأخضر.

(9) تحريم قتل صيده.

س14: ما الذي يشرع لمن وصل إلى الميقات في الحج أو العمرة؟

ج14: يشرع له أن يتجرَّد من المخيط إذا كان رجلاً، وإن يغتسل ويتنظف ويتطيب، ثم ينوي الإحرام، ويلبس الثياب للإحرام، ويتلفظ بما نوى فيقول: لبيك عمرة، أو لبيك عمرة وحجًّا، أو لبيك حجًّا.

س15: ما الأشياء المحرَّمة على المحرِم بحج أو عمرة؟

ج15: يحرم عليه عشرة أشياء، هي:

(1) أخذ الشعر من الرجل والمرأة.

(2) تقليم الأظافر.

(3) الطِّيب.

(4) لبس الثوب المخيط إذا كان رجلاً.

(5) تغطية الرأس بالنسبة للرجل، والوجه للمرأة إذا لم يرها أجنبي.

(6) قتل صيد البر.

---

(162) رواه أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح "الترغيب والترهيب" ج2 ص 337.

(163) سورة الحج، الآية 25.

(7) عقد النكاح له أو لغيره.

(8) الجماع، وهو يفسد الحج إذا كان قبل التحلل الأول.

(9) المباشرة فيما دون الفرج؛ كالقبلة، والنظر لشهوة.

(10) قطع شجر الحرم ونباته الرطب.

وهذا عام للمحرم وغيره.

س16: ما الذي يفعل الحاج إذا وصل إلى البيت الحرام؟

ج16: يطوف طواف العمرة سبعة أشواط، ثم يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين، ثم يخرج إلى المسعى، فيبدأ بالصفا ويختم بالمروة سبعة أشواط، ثم يقصر من شعر رأسه، ثم يلبس ثيابه العادية إلى اليوم الثامن من ذي الحجة.

س17: اذكر صفة الحج باختصار؟

ج17: يحرم الحاج في اليوم الثامن من ذي الحجة من مكة أو قربها من الحرم، ثم يذهب إلى منى فيبيت بها ويصلي بها خمس صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، فإذا طلعت الشمس من اليوم التاسع سار إلى عرفة وصلى بها الظهر والعصر جمع تقديم قصرًا، ثم يجتهد في الدعاء والذكر والاستغفار إلى أن تغرب الشمس، فإذا غربت سار إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء حين وصوله، ثم يبيت بها إلى أن يصلي الفجر، فيذكر الله - تعالى - ويدْعوه إلى قبيل طلوع الشمس، ثم يسير منها إلى منى فيرمي جمرة العقبة ثم يذبح الهدي، وهو شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة، ثم يحلق رأسه ثم يذهب إلى مكة فيطوف طواف الحج[164]، ثم يرجع إلى منى، ثم يبيت بمنى تلك الليالي؛ أي: ليلة الحادي عشر والثاني عشر من شهر ذي الحجة، ويرمي الجمرات الثلاث بعد زوال الشمس، كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات، يبدأ بالصغرى - وهي البعيدة من مكة - ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة، فإذا انتهت تلك الأيامُ وأراد السفر لم يسافر حتى يطوف بالبيت طواف الوداع سبعة أشواط، إلا المرأة الحائض والنفساء فلا وداع عليهما.

س18: اذكر أركان الحج؟

ج18: أركان الحج أربعة، وهي:

(1) الإحرام.

(2) والوقوف بعرفة.

---

(164) ويصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين، ويسعى بين الصفا والمروة إن كان متمتعًا أو مفردًا، أو قارنًا ولم يكن سعى بعد طواف القدوم.

(3) وطواف الإفاضة.

(4) والسعي بين الصفا والمروة.

س19: ما هي واجبات الحج؟

ج19: واجبات الحج سبعة، وهي:

(1) الإحرام من الميقات المعتبر.

(2) والوقوف بعرفة إلى الليل.

(3) والمبيت بمزدلفة.

(4) والمبيت بمنى.

(5) والحلق أو التقصير لشعر الرأس، والحلق أفضل.

(6) ورمي الجمار.

(7) وطواف الوداع.

س20: ما أركان العمرة وواجباتها؟

ج20: أركان العمرة ثلاثة، وهي:

(1) الإحرام.

(2) والطواف.

(3) والسعي.

وواجباتها شيئان:

(أ) الإحرام من الميقات.

(ب) والحلق أو التقصير.

س21: ما هي سنن الحج؟

ج21: من سنن الحج:

(1) الاغتسال عند الإحرام.

(2) والتلبية.

(3) وطواف القدوم بالنسبة للمفرد أو القارن.

(4) والمبيت بمنى ليلة عرفة.

(5) والرَّمَل والاضطباع في طواف القدوم.

س22: ما حكم من ترك ركنًا أو واجبًا أو سنة في الحج؟

ج22: حكم من ترك ركنًا لم يصح حجُّه إلا به، ومن ترك واجبًا جَبَره بدم، ومن ترك سنة فحجه صحيح وليس عليه شيء.

س23: ما حكم فيمن فعل محظورًا من محظورات الإحرام عامدًا أو جاهلاً أو ناسيًا؟

ج23: من فعل محظورًا جاهلاً أو ناسيًا، فلا حرج عليه ولا فدية، ومن فعل محظورًا غير الجماع وقتل الصيد، فهو مخير بين ثلاثة أشياء: صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة، أما في الصيد فجزاء مثل ما قتل من النعم[165]، وفي الجماع (بدنة)[166].

س24: ما حكم الحج بالمال الحرام؟

ج24: الذي يحج بالمال الحرام حجُّه غير صحيح، ويعيد الحج بعد التوبة النصوح.

زيارة المسجد النبوي

س25: ما حكم زيارة المسجد النبوي؟

ج25: زيارة المسجد النبوي سُنة، والصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام؛ رواه مسلم وغيره.

س26: ما حكم زيارة قبر النبي ρ؟

ج26: السفر لأجل ذلك غير جائز؛ لقوله ρ: ((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى))[167]، وأما من كان بالمدينة من المقيمين فيها والزائرين للمسجد النبوي، فإنه يسنُّ لهم زيارة قبره ρ وقبريْ صاحبيه – رضي الله عنهما.

س27: ما صفة زيارة قبره ρ وقبري صاحبيه؟

ج27: أن يأتي الزائر ويقف مستدبرًا القبلة، مستقبلاً القبر بهدوء وخفض صوت، قائلاً: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر، ولا يدعو الله مستقبلاً القبر، ولا يضع اليمنى على اليسرى كهيئة المصلي، ولا يتمسح بالحجرة.

س28: ما حكم زيارة النساء للقبور، بما في ذلك قبره ρ؟

ج28: لا يجوز للنساء زيارة القبور عمومًا؛ لأنه ρ لعن زائرات القبور؛ رواه أهل السنن.

والصلاة والسلام عليه ρ تصله من الشخص في أي مكان كان، والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(165) أو كفارة طعام مساكين، أو عدل ذلك صيامًا.

(166) قبل التحلل الأول، وبعده شاة.

(167) رواه البخاري ومسلم.

48- أحكام تتعلق بالهدي وبالذبح والنحر

من إعداد هيئة التوعية في الحج

الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونسلم على نبيّنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فهذه كلمات يسيرة إلى إخواننا الحجاج فيما يتعلق بهدي التمتع والقران، وتتضمن ما يلي:

1- بيان حكم هدي التمتع والقران وحكمته.

2- بيان نوعه وما يجب أن يتوفر فيه.

3- بيان مكان ذبحه.

4- بيان وقت ذبحه.

5- بيان كيفية الذبح المشروع.

6- بيان المشروع في توزيعه.

فأما حكم هدي التمتع والقران، فواجب على من تيسَّر له؛ لقوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾(168)، فإن لم يجد الهدي أو ثمنه، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع، هذا إن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، وإلا فلا هدي عليه؛ لقوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(169)، وحكمة الهدي زيادة التعبُّد لله والتقرب إليه بذبح الهدي، وشكر نعمته بتيسير العمرة والحج في سفر واحد، وأما نوع الهدي فهو من الإبل والبقر والغنم - المعز والضأن - لقوله - تعالى -: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾(170)، وبهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم، وتجزئ الواحدة من الغنم في الهدي عن شخص واحد فقط، وتجزئ الواحدة من الإبل أو البقر عن سبعة أشخاص، ويجب أن يتوفر في الهدي شيئان:

أ- بلوغ السن الواجب، وهو ستة أشهر في الضأن، وسنة كاملة في المعز، وسنتان في البقر، وخمس سنين في الإبل، وما دون ذلك لا يجزئ.

ب- السلامة من العيوب الأربعة التي أمر النبي ρ باتِّقاء ما هي فيه، وهي:

---

(168) سورة البقرة، الآية 196.

(169) سورة البقرة، الآية 196.

(170) سورة الحج، الآية 34.

1- العوراء البين عورها. 2- المريضة البين مرضها.

3- العرجاء البين ضلعها. 4- الهزيلة التي لا مخ فيها[171].

فهذه العيوب الأربعة إذا كانت في البهيمة، لا يجزئ إهداؤها، وكلما كان الهدي أسمن وأكمل كان أعظم أجرًا وأفضل.

أما مكان الذبح، فهو منى، ويجوز في مكة وبقية الحرم[172] إذا كان في حدود وقت الذبح، وأما وقت الذبح فهو يوم العيد وثلاثة أيام بعده؛ لأن يوم العيد يوم النحر، ويروى في الحديث عن الرسول ρ أنه قال: ((كل أيام التشريق ذبح))[173]؛ أي: وقت للذبح، وعلى هذا؛ فيجوز للحاج ذبح الهدي بمكة في اليوم الثالث عشر إذا نزل من منى، وأما كيفية الذبح المشروع، فهو نحر الإبل، وذبح البقر والغنم، فالنحر في أسفل الرقبة مما يلي الصدر، والذبح في أعلاها مما يلي الرأس.

ولابد في الذبح والنحر من إنهار الدم بقطع الودجين وقطع الحلقوم والمريء، ولا بد من قول بسم الله عند الذبح أو النحر، فلا تؤكل الذبيحة إذا لم يذكر اسم الله[174] عليها؛ لقوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[175]، ولا تجزئ عن الهدي؛ لأنها ميتة. وأما المشروع في توزيع الهدي، فهو الأكل والإطعام؛ لقوله – تعالى –: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[176]، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[177]، ولا يكفي أن يذبح الهدي ويرمي به بدون أن ينتفع به؛ لأن هذا إضاعة مال، ولا يحصل به الإطعام الذي أمر الله به، إلا أن يكون الفقراء حوله فيذبحه ويسلمه لهم، فحينئذٍ يبرأ من عهدته.

فعلى الحاج أن يتَّقي الله، ويحرص على إبراء ذمته في تقديم الهدي المجزئ الذي تبرأ به ذمته، جعل الله حجنا مبرورًا، وذنبنا مغفورًا، وسعينا مشكورًا، والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(171) رواه أحمد وأهل السنن الأربعة، وصححه الترمذي وابن حبان.

(172) لقوله ρ((نحرت ها هنا، ومنى كلها منحر))؛ رواه أحمد ومسلم وأبو داود، ولابن ماجه وأحمد نحوه وفيه: ((كل فجاج مكة طريق ومنحر)) (بستان الأحبار جـ2 ص619).

(173) رواه أحمد والدارقطني (المرجع السابق ص655).

(174) قال ρ –: ((ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه، فكُلْ، ليس السن والظفر))؛ متفق عليه.

(175) سورة الأنعام، الآية 121.

(176) سورة الحج، الآية 28.

(177) سورة الحج، الآية 36.

49- من فضائل عشر ذي الحجة وفضل العمل الصالح فيها

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإن شهر ذي الحجة شهر كريم، وموسم عظيم، شهر الحج، شهر المغفرة والوقوف بعرفة، شهر يتقرب فيه المسلمون إلى الله بأنواع القربات من حجٍّ وصلاة وصوم وصدقة وأضاحٍ، وذكر الله ودعاء واستغفار، وعشره الأُوَل عشرٌ مباركات، وهن الأيام المعلومات التي أقسم الله بهن في محكم الآيات في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[178]، وهن أفضل من كل عشر سواها، والعمل فيها أفضل من العمل في غيرها، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ρ قال: ((ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني: الأيام العشر-))، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء))؛ ورواه الطبراني ولفظه: ((ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير))؛ (أي: أكثروا فيهن من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وفي رواية للبيهقي: ((ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجرًا من خيرٍ يعمله في عشر الأضحى))، فكان سعيد بن جبير إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادًا شديدًا، حتى ما يكاد يقدر عليه، وروي عن النبي ρ أنه قال في أيام العشر: ((يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر))؛ رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي، وعن أنس بن مالك قال: كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم؛ يعني: في الفضل؛ رواه البيهقي والأصبهاني، وعن الأوزاعي τ قال: بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله، يصام نهارها، ويحرس ليلها، إلا أن يختص امرؤ بشهادة؛ رواه البيهقي.

وفي هذه العشر تُضاعَف الحسنات، وتجاب الدعوات، وتغفر الخطايا والسيئات، وهذه الأيام العظام يشترك في خيرها الحُجاج إلى بيت الله الحرام، والمقيمون في أوطانهم على الطاعات، والعمل المفضول في هذه العشر خيرٌ من الفاضل في غيرها من الأوقات، والعمل الصالح فيها أفضل عند الله وأحب إليه من كثير من العبادات، وهذه العشر تحتوي على فضائل عشر:

(178) سورة الفجر، الآيات 1 - 2.

الأولى: أن الله – تعالى – أقسم بها في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[179].

الثانية: أنه سماها الأيام المعلومات.

الثالثة: أن الرسول ρ شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا.

الرابعة: أنه حث على أفعال الخير فيها.

الخامسة: أنه أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير فيها.

السادسة: أن فيها يوم التروية، اليوم الثامن، وقد ورد أن صيامه بصيام سنة.

السابعة: أن فيها يوم عرفة، اليوم التاسع، وصومه بسنتين.

الثامنة: أن فيها ليلة جميلة، ليلة المزدلفة، وهي ليلة عيد النحر، وقد ورد أنها تعدل ليلة القدر.

التاسعة: أن فيها الحج الأكبر الذي هو ركن من أركان الإسلام.

العاشرة: وقوع الأضاحي فيها، التي هي عَلَم من معالم الملة الإبراهيمية والشريعة المحمدية.

وأما يوم عرفة، فقد عظَّم الله أمره، ورفع على الأيام قدره، وقد أقسم الله به في قوله – تعالى –: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[180]، فذكر عن النبي ρ أنه قال: ((الوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر))، وفي قوله – تعالى –: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[181]: ((الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة))، ومن فضائله أن الله أنزل فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[182]، فهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، والعتق من النار، وفي "صحيح مسلم" عن عائشة عن النبي ρ قال: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو فيباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟)).

فمن طمع بالعتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة، فلْيحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة، ومنها صيام ذلك اليوم؛ ففي "صحيح مسلم" عن النبي ρ قال: ((صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده))، ومنها حفظ جوارحه عن المحرَّمات؛ ففي "مسند الإمام أحمد" عن النبي ρ قال: ((يوم عرفة من مَلَكَ فيه سمعه وبصره ولسانه، غُفر له)).

ومنها الإكثار من شهادة التوحيد بصدق وإخلاص؛ فإنها أصل دين الإسلام وأساسه الذي أكمله الله في ذلك اليوم، فتحقيقُ كلمة التوحيد يوجب عتقَ الرقاب الذي يوجب العتق من النار،

(179) سورة الفجر، الآيات 1 – 2.

(180) سورة الفجر، الآية 3.

(181) سورة البروج، الآية 3.

(182) سورة المائدة، الآية 3.

كما ثبت في الصحيح أن من قالها مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، ومن قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، وكان عبدالله بن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبِّران ويكبر الناس بتكبيرهما: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

وإذا دخلت العشر فمن أراد أن يضحي، فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره ولا من بَشَرتِهِ شيئًا حتى يضحي؛ لحديث أم سلمة؛ رواه مسلم وغيره.

أيها المسلم، تبْ إلى ربك من الذنوب والخطايا قبل أن تموت؛ فإن الموت يأتي فجأة، ومن تاب قبل أن يموت تاب الله عليه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

أيها المسلم، حافظ على ما أوجبه الله عليك من الطاعات، وابتعد عن المحرَّمات التي تمنع القبول؛ فإن المعاصي تزيل النعمَ، وتوجب النقم، وهي سبب هلاك الأمم، حافظْ على الفرائض وكمِّلها بالنوافل؛ فإن النوافل تجبر ما نقص من الفرائض، وهي من أسباب محبة الله لعبده وإجابة دعائه، ومن أسباب رفع الدرجات ومحو السيئات وزيادة الحسنات، وفي هذه العشر المباركات تُضاعَف الحسناتُ، فأكثرْ فيها من نوافل الصلاة والصدقة والصوم، وأكثر من تلاوة القرآن الكريم؛ فإن الله يثيبك عليه بكل حرفٍ عشرَ حسنات، أكثر من ذِكر الله ودعائه واستغفاره؛ فإن الله يذكر مَن ذكره، ويجيب من دعاه، ويغفر لمن استغفره، واحذر أن تترك الصلاة، أو تمنع الزكاة، أو تعق والديك، أو تقطع أرحامك، أو تسيء إلى جيرانك؛ فإن ذلك من كبائر الذنوب التي توجب العقوبةَ وحرمان المغفرة، واحذر الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ كالكبر والخيلاء، والزنا والسرقة، وشرب الخمر والدخان، وحلق اللحى، وتصوير ذوات الأرواح، واستماع الأغاني الصادَّة عن ذكر الله وعن الصلاة، وإسبال الثياب، ولبس الذهب، وأكل الربا، وغير ذلك مما حرَّمه الله عليك ورسوله؛ لتكون من المقبولين الفائزين عند الله ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[183] ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[184].

أيها الإخوة الكرام، قولوا كما قال المؤمنون قبلكم: "سمعنا وأطعنا".

قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا

(183) سورة الشعراء، الآيات 88 - 89.

(184) سورة الأحزاب، الآية 71.

يَعْقِلُونَ﴾[185]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[186].

اللهم اهدنا وسائر إخواننا المسلمين صراطَك المستقيم.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[187].

---

(185) سورة الأنفال، الآيات 20 - 22.

(186) سورة النور، الآية 51.

187 مراجع هذا البحث:

- "لطائف المعارف"، لابن رجب، ص275 - 282.
- "الترغيب والترهيب"، للمنذري جـ2 ص 321 - 323.
- "قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب البصرة"، ص 275.

الجهاد

50 – الجهاد في سبيل الله وعوامل النصر على الأعداء

الفصل الأول

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، وبعدُ:

فإن القيام بالدين والجهاد فيه قِوام الأمور وصلاحها، وأخذ الحذر لمقاومة الأعداء به كمال الأمور ونجاحها، فقد أمر الله بالجهاد وحثَّ عليه ورغَّب فيه في نصوص كثيرة، ورتَّب عليه خيرات الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا النصرُ والعزُّ والفتح القريب، وفي الآخرة الفوز بجنات النعيم، والسلامة من العذاب الأليم، وما لا يتمُّ المأمور إلا به من أسبابه ووسائله، فهو داخلٌ في المأمور ومترتِّب عليه ما فيه من الأجور والخيرات، فلا يقوم الجهاد إلاَّ بتعلُّم العلوم الحربية، والتفنُّن بالفنون العسكرية، والتدريب على القوة والشجاعة والحزم في أمور الحرب؛ قال الله – تعالى –: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60]، فأمر الله المؤمنين بالاستعداد لأعدائهم الكافرين الساعين في إهلاكهم وإبطال ما كانوا عليه من دين الإسلام، وأمَرَهم بإعداد ما يقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يُعِين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواعُ الصناعات التي تُعمل فيها أنواعُ الأسلحة والآلات، من المدافع والرشاشات والطائرات الجوية، والمراكب البريَّة والبحرية، وجميع آلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدَّم المسلمون ويندفع عنهم به شرُّ أعدائهم؛ ولهذا قال النبي ρ: ((ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))؛ أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود، وقال الشاعر:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
هُوَ أَوَّلٌ وَهْيَ الْمَحِلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ[188]
بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال؛ كالسيارات، والدبابات، والمدرَّعات، وكل وسيلة يحصل بها إرهاب الأعداء، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلُ النفقات المالية، وفي ذلك ما لا يُحصَى من الثواب وعظيم الأجور؛ ولهذا جاء في الحديث: ((إن الدرهم الذي يُنْفَق في سبيل الله

188 قال في "المصباح": المِرَّة – بالكسر –: الشدة.

يضاعَف ثوابه بسبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة))[189]، كما قال – تعالى –: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، وقال ρ: ((مَن أنفق نفقةً في سبيل الله، كُتِب له سبعمائة ضعف))[190].

وقال ρ حاثًّا لأمَّته على القوة والشجاعة والتداريب العسكرية ووسائلها: ((ارْمُوا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا))[191]، فإذا أهمل المسلمون هذا الأصل العظيم من أصول دينهم، وضيَّعوا هذا الفرض الذي لا تستقيم الأمور إلا به، بهذا يقع التخاذُل والضعف والهوان؛ قال النبي ρ: ((إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد – سلَّط الله عليكم ذلاًّ لا يرفعه حتى تراجعوا دينكم))[192]، فأخبر ρ أن الناس إذا اشتغلوا بالدنيا وانكبُّوا على أسبابها وشهواتها، وأهملوا الاستعداد للجهاد وأَخْذ الحذر من عدوهم – وقع في قلوبهم الجبن والوهن والضعف، وسلِّطت عليهم الأعداء، ولقد وقع ما أخبر به النبي ρ فعلى المسلمين أن يتوبوا إلى ربهم، ويستدركوا أمرهم، ويرجعوا إلى دينهم، ويستعيدوا مجدهم وعزَّهم، ويستعدُّوا لعدوِّهم بكلِّ ما استطاعوا من قوَّة مادِّية ومعنوية، ومن أهم الأمور في هذه الأوقات تعلُّم النظم الحربية والفنون العسكرية، التي تهيِّئ للمسلمين جيشًا منظَّمًا مدرَّبًا مخلصًا تتمُّ به حماية الدين والبلاد، ويوقف المعتدين عند حدهم ويرهب الكافرين، ولا يكونوا عالة على غيرهم عزلاً من السلاح والتعاليم النافعة والاجتهاد المستمر المثمر، وقد أخبر الله – سبحانه وتعالى – أن دين الإسلام إنما يقوم بالعلم الشرعي والعمل الصالح، والجهاد والقوة والسلاح والحديد، فكلٌّ واحد منها يمدُّ الآخر بمعونة الله وتوفيقه وحوله وقوَّته؛ قال – تعالى –: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، وقد وعد الله مَن قام بالإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله بالأموال والأنفس، وعده بمغفرة ذنوبه ودخول الجنات والخلود بما فيها من النعيم والكرامات ممَّا تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، وتلك تجارةٌ رابحة وفوز عظيم، وعلاوة على ذلك خصلة أخرى محبوبة للنفوس، وهي حصول النصر

189 رواه أبو داود.

190 رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

191 رواه الإمام أحمد وأهل السنن.

192 رواه أبو داود من رواية نافع عن ابن عمر، وفي إسناده مقالٌ، ولأحمد نحوه من رواية عطاء، ورجاله ثقات، وصحَّحه ابن القطان.

على الأعداء والفتح القريب، وفي ذلك بشارة للمؤمنين المجاهدين؛ قال تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:10- 13].

كما وعد مَن قام بالإيمان والعمل الصالح بالاستخلاف في الأرض والتمكين فيها لدين الإسلام الذي رضيه الله وأكمله لعباده، وإبدالهم الأمن والاستقرار بعد الخوف ما داموا مستقيمين على عبادة الله وحده لا شريك له، وقد تحقَّق هذا الوعد الكريم لسلفنا الصالح من زمن النبي ρ وخلفائه الراشدين إلى وقتنا هذا؛ قال – تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، وأخبر ρ أن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين[193]، وأن مَن مات ولم يغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق[194]، وقال ρ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))[195].

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد.

الجهاد في سبيل الله وعوامل النصر على الأعداء

الفصل الثاني

لا شكَّ أن للنصر على الأعداء عواملَ وأسبابًا، كما أن للهزيمة أسبابًا تعين عليها، فمن أعظم أسباب النصر: الإيمان بالله الواحد القهَّار، والاعتماد عليه وحده في حصول النصر وفي كل شيء، وتفويض الأمور إليه، والثقة بوعده بنصر المؤمنين؛ قال – تعالى -: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، ومن ذلك نصرة دين الله والقيام به قولاً واعتقادًا، وعملاً ودعوة؛ قال – تعالى -: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:40- 41]، وقال – تعالى -: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، ومن أعظم أسباب النصر الاتحاد

---

193 رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

194 رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

195 متفق عليه.

والاجتماع والتضامُن بين الشعوب المسلمة؛ قال - تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وقد شبَّه الرسول ρ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد الواحد، والبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، وشبَّك بين أصابعه[196]، وقال الشاعر:

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا
وَإِذَا انْفَرَدْنَ تَكَسَّرَتْ آحَادَا

ومن أسباب النصر بعد الإيمان بالله إعدادُ ما يمكن من القوة المادية والمعنوية؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، ومن ذلك إخلاص النية لله، وأن يكون الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله؛ قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

ومن أسباب النصر: الثبات عند لقاء العدو وعدم الفرار والانهزام، وكثرة ذكر الله - تعالى - وطاعة الله ورسوله، وعدم التنازُع والاختلاف المؤدِّي إلى الفشل؛ قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 45- 46]، ومن ذلك استعمال الصبر؛ قال - تعالى -: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقال ρ: ((واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا))[197]، ومن ذلك إظهار الشجاعة والإقدام والتضحية بالنفس والنفيس، والعلم بأن الموت واحد لا بُدَّ منه وإن تعددت أسبابُه.

قال الشاعر:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ
تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدُ

ومن أسباب النصر: المشاورةُ بين المسؤولين في تعبئة الجيوش وإعدادها، وطريقة الدفاع والهجوم، ونحو ذلك؛ قال - تعالى - في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، وقال لنبيِّه محمد ρ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، وكان ρ يشاور أصحابه في الحروب وغيرها، مع كمال عقله وسداد رأيه؛ امتثالاً لأمر الله، وتطييبًا لنفوس أصحابه.

---

196 متفق عليه.

197 رواه الإمام أحمد.

ومن أسباب النصر: تولية قيادة الجيوش لِمَن عُرِفوا بالإخلاص لله ولدينه، ثم لحكوماتهم وشعوبهم وأوطانهم، ثم إرشادهم وتوجيههم لما يجب أن يعملوه، وكان النبي ρ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: ((اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا))[198].

ومن آخر آيات القتال نزولاً قوله - تعالى -: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 5]، وقد قال العلماء في كل آية ذُكِر فيها الصفح والإعراض عن المشركين: إنها منسوخة بهذه الآية، فبسبب الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله والإخلاص له في القول والاعتقاد والعمل - نال سلفنا الصالح العزَّ والنصر والتمكين في الأرض، ودانت لهم الدنيا، وذلت لهم الأمم، وذلك حين كان الإيمان متمكِّنًا في قلوبهم، ومتوغِّلاً في نفوسهم، وعرفوا أن في الجهاد إحدى الحُسْنَيين: إمَّا النصر والغنيمة، وإما الشهادة في سبيل الله ثم الجنة، حتى قال قائلهم:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

فنصرهم الله لما نصروه، وأعزَّهم وخذل عدوهم حين أطاعوه؛ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 172- 173].

أمَّا أسباب الهزيمة، فهي بعكس ذلك كلِّه، فمن أعظمها: عدم الإيمان بالله، والشرك به، والتوكُّل والاعتماد على غيره في حصول النصر، والله - تعالى - هو الكافي لعباده؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]؛ أي: كافيه.

ومن أسباب الهزيمة: معصية الله ورسوله بترك الواجبات وعمل الفواحش والمحرَّمات؛ كترك الصلاة، ومنع الزكاة، وشرب الخمور، وارتكاب جريمة الزنا؛ قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ *كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:20- 21]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: 5]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل على هزيمة مَن عصى الله ورسوله في مخالفة الأوامر وارتكاب المنهيَّات والزواجر، علاوة على عذاب الله الأُخْرَوِي الذي هو أشدُّ وأبقى، فإن الجزاء من جنس

198 رواه مسلم، والغلول: الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، والغدر: نقض العهد، والتمثيل: تشويه القتيل بقطع أطرافه.

العمل، والله - تعالى - يبتلي بالسراء والضراء، والشدَّة والرخاء، والعسر واليسر؛ لينظر مَن يشكر فيزيده من فضله، أو يكفر فينتقم منه بعدله، وجاء في الأثر أن الله - تعالى - يقول: إذا عصاني مَنْ يعرفني، سلَّطت عليه مَن لا يعرفني، فلو استقام المسلمون على دينهم وتحكيم شريعة الله التي أنزل بها كتابه وأرسل بها رسوله، وفكَّروا في أسباب النصر فاستعملوها، وأسبابِ الهزيمة فاجتنبوها، وجاهدوا في الله حق جهاده - لانتصروا وانهزم عدوهم أمام الحق والدفاع عنه؛ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: 21]، ولحرَّروا أوطانهم من أيدي البُغَاة والمستعمرين؛ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126].

الجهاد في سبيل الله وعوامل النصر على الأعداء

الفصل الثالث

تكلَّمنا في الفصلين السابقين عن أهم أسباب النصر والهزيمة، وأن النصر يعتمد - أوَّلاً وقبل كل شيء - على الإيمان بالله والتوكُّل والاعتماد عليه وحده في حصول النصر، مع القيام بما فرض الله من الواجبات، واجتناب المحرمات، وإعداد المستطاع من القوة المادية والمعنوية، وإخلاص النية والعمل لله، ثم الشجاعة والإقدام والصبر والثبات أمام العدو، والتضحية بالنفس والنفيس، مع كثرة ذكر الله وطاعته وطاعة رسوله، وعدم التنازع والاختلاف المؤدِّي إلى الفشل، وتولية القيادة لِمَن عُرِفوا بالإخلاص والأمانة، واستعمال المشاورة في ذلك بين المسؤولين، كما قيل:

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا تَأْتِيك نَائِبَةٌ
يَوْمًا، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ

وحصول التعاون والتناصر بين المسلمين الذين هم كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا.

هذا، ومن أعظم أسباب النصر مع ما ذُكِر التوجُّهُ إلى الله بالدعاء والتضرُّع؛ حيث أمر بالدعاء وتكفَّل بالإجابة في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62]، فإذا آمنَّا بالله حقَّ الإيمان واستجبنا له، فأطعناه بفعل ما أمر واجتناب ما نهى، ثم دعوناه - استجاب لنا؛ لأنه - سبحانه - لا يخلف الميعاد، وكان النبي ρ إذا خاف قومًا قال: ((اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم،

ونعوذ بك من شرورهم))[199]، وكان يقول: ((اللهم أنت عَضُدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل))[200]، وكان يقول: ((مُنْزِل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم))[201]، هكذا كان سيد الخلق ρ يقول ويفعل، وهكذا ينبغي أن نفعل كما أمرنا الله، وكما شرع لنا رسول الله ρ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وهكذا كان أصحاب رسول الله ρ الذين هم خير الأمَّة وأكرمها على الله؛ ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]، وقد وصفهم الله في كتابه ومدحهم وأثنى عليهم؛ ترغيبًا لنا في الاقتداء بهم وسلوك طريقهم؛ فقال - تعالى -: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾ [المائدة: 54]، وهكذا وصف الله محمدًا ρ وأصحابه في التوراة والإنجيل والقرآن، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا بالمؤمنين، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، بشوشًا في وجه أخيه المؤمن؛ كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123].

هذه بعض أوصاف المؤمنين وأسباب نصرهم.

كما أن من أسباب الهزيمة سلوكَ الطرق الملتوية المنعطفة عن طريقهم، وذلك بالإعراض عن طريق الحق الذي هو طريق الإيمان والرسول والقرآن؛ علمًا وعملاً، واعتقادًا ودعوة، كما أن من أسباب الهزيمة اللجوءَ إلى غير الله؛ محبةً وخوفًا، ورجاء وتوكلاً، ورغبة ورهبة؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ومَن تعلَّق بشيءٍ وُكِل إليه، والله - تعالى - هو الذي بيده النصر والتأييد والعز والذل، يعزُّ مَن يشاء ويذل مَن يشاء، وهو الفعَّال لما يريد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَ ... هُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ

---

199 رواه أبو داود بإسناد صحيح.

200 رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

201 متفق عليه.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]؛ أي: مَنْ يعتمد عليه فهو كافيه، وقال الشاعر:

لُذْ بِالْإِلَهِ وَلاَ تَلُذْ بِسِوَاهُ
مَنْ لاَذَ بِالْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَفَاهُ

هذا، وأسأل العلي القدير أن يوفِّق المسلمين - حُكَّامًا ومحكومين - إلى العمل بكتابه وسنة رسوله، وأن يؤلِّف بين قلوبهم، ويصلح ذات بينهم، وينصرهم على عدوهم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

51- مراتب الجهاد

الجهاد أربع مراتب هي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب:

أحدها: أن يجاهدها على تعلُّم الهدى ودين الحق، الذي لا فلاح لها ولا سعادة لها في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمُه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد عِلمه، وإلا فمجرَّد العلم بلا عمل إن لم يضرَّها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه مَن لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البيِّنات والهدى، فلا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كلَّه لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مُجْمِعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى (ربانيًّا) حتى: يعرف الحق، ويعمل به، ويعلِّمه، ويدعو إليه، فمَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ، فذاك يُدْعَى عظيمًا في ملكوت السماء[202].

جهاد الشيطان:

وأما جهاد الشيطان، فمرتبتان:

أحدهما: جهاده على دفع ما يُلْقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

202 دليل المراتب الأربع سورة العصر.

فالجهاد الأوَّل: يكون بعدَه اليقين، والجهاد الثاني يكون بعده الصبر؛ قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

فأخبر أن إمامة الدين إنَّما تُنَال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

جهاد الكفار والمنافقين:

وأمَّا جهاد الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخصُّ باللسان.

وأمَّا جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهَدَ بقلبه، فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، و((مَن مات ولم يَغزُ ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق))[203].

(فصل) ولا يتمُّ الجهاد إلاَّ بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمةَ الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218].

وكما أن الإيمان فرضٌ على كل أحدٍ، ففرضٌ عليه هجرتان في كل وقت: هجرة إلى الله - عز وجل - بالتوحيد والإخلاص، والإنابة والتوكل، والخوف والرجاء، والمحبة والتوبة، وهجرة إلى رسوله ρ بالمتابعة والانقياد لأمره، والتصديق بخبره، وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره؛ ((فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوَّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))[204].

وفرضٌ عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه، فهذا كله فرضٌ عليه لا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، وأمَّا جهاد الكفار والمنافقين فقد يُكْتَفى فيه ببعض الأمَّة إذا حصل منهم مقصود الجهاد[205].

والله أعلم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

203 أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

204 رواه البخاري في "صحيحه" ومسلم.

205 "زاد المعاد في هدي خير العباد"، لابن القيم، جـ 2 ص 106- 108.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

52- المعروف والمنكر

المعروف: ما أمر الله به ورسولُه، والمنكر: ما نهى الله عنه ورسوله، فيجب على أُولي الأمر أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

فالمعروف مثل شرائع الإسلام؛ كالصلوات الخمس، وما يتبعها من واجبات وسنن، لأسباب وغير أسباب، والصدقات، والصوم، والحج، فرض ذلك ونفله، ومثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومثل الإحسان: وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وكل معروف صدقة، ومثل سائر ما أمر الله به من الأمور الباطنة والظاهرة؛ كإخلاص الدين لله، والتوكُّل على الله، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، والرجاء لرحمة الله، والخشية من عذابه، والصبر لحكم الله، والتسليم لأمر الله، ومثل: صدق الحديث، والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والصاحب والزوجة والمملوك، والعدل في المقال والفِعال، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق كلها.

والمنكر؛ مثل: الشرك، والقتل، والزنا، والسحر، والميسر، وأكل الأموال بالباطل، والمعاملات التي نهى عنها رسول الله ρ وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، والإثم والبغي بغير الحق، والقول على الله بلا علم؛ كالبدع الاعتقادية، والبدع العملية، والإفتاء بغير علم، والتعاون على

الإثم والعدوان؛ وهو جميع المعاصي وجميع الظلم للعباد في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومن النهي عن المنكر إقامةُ الحدود على مَن خرج عن شريعة الله، ومن الأمر بالمعروف الأمر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة[206].

53- فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وظيفة الرسل وأتباعهم.

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهمان من سهام الإسلام.

3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوعان من أنواع الجهاد.

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علامة على الإيمان، وترك ذلك علامة على النفاق.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان من أسباب الرحمة والرضوان والفوز بالسعادة الأبدية.

6- الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم خير الناس.

7- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان من أسباب النصر والتأييد، وتركهما سبب للذل والخذلان.

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان من أسباب قبول الأعمال ورفعها إلى الله - تعالى - وتركُهما سببٌ لرد الأعمال وعدم قبولها.

9- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان من أسباب استجابة الدعاء، وتركهما سبب للردِّ والحرمان.

10- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الأعمال.

11- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مكفِّرات الخطايا.

12- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوعان من أنواع الصدقة.

13- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب النجاة من عذاب الدنيا والآخرة، وتركهما من أعظم أسباب الهلاك وعموم العقوبات.

14- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستنقذان صاحبَهما من ملائكة العذاب.

15- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حسمٌ لمواد الشر والفساد.

---

206 انظر: رسالة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص 15- 16، و"مجموع فتاوى شيخ الإسلام"، جـ 3 ص 423- 426.

16- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمانٌ من لعنة الله وسخطه ومقته، وفي ترك القيام بهما تعرُّضٌ لذلك كله، وفيه أمان عن تعلُّق العصاة بالعبد يوم القيامة.

17- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمان من الذم والتوبيخ في الدنيا والآخرة.

18- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمانٌ من مشاركة العاصين في وزر المعصية وعارِها، وفيه إعزازٌ لدين الإسلام وحراسة له ولأهله، وفي تركه سلب الملك، وإبدال العز بالذل، والأمن بالخوف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(انظر: "القول المحرَّر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، للشيخ حمود بن عبدالله التويجري).

54- أساليب الدعوة إلى الله

قال الله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

1- فالدعوة بالحكمة بحسب حال المدعو وفهمه وقبوله، ومن الحكمة: العلم والحلم، والرفق واللين، والصبر على ذلك.

2- بالموعظة الحسنة: وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

3- المجادلة بالتي هي أحسن: وهي الطرق التي تكون أَدْعَى لاستجابته؛ عقلاً ونقلاً، ولغة وعرفًا.

* * *

مراتب تغيير المنكر

1- يجب إزالة المنكر باليد إذا قدر.

2- ثم باللسان.

3- ثم بالقلب، وهو أضعف الإيمان.

قال ρ -: ((مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان))[207].

فمَن لم يُبغض المعاصي والعصاة بقلبه، فليس عنده من الإيمان شيء.

* * *

من فضائل الدعوة

207 رواه مسلم.

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، وقال ρ:

1- ((من دل على خير، فله مثل أجر فاعله))[208].

2- ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))[209].

3- ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضًا - وشبَّك بين أصابعه))[210].

4- ((مَن دعا إلى هُدًى، كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه))[211].

5- ((لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم))[212].

* * *

من فوائد الدعوة

1- القيام بالواجب.

2- إقامة الحجة.

3- الخروج من العهدة.

4- براءة الذمة.

5- حصول الأجر العظيم والثواب الجسيم.

6- حصول المعذرة إلى الله، ولعلَّهم يتَّقون.

7- النجاة من العذاب؛ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: 165].

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد.

* * *

55- نصيحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ - رحمه الله -:

---

208 رواه مسلم.

209 رواه مسلم.

210 متفق عليه.

211 رواه مسلم.

212 متفق عليه.

من محمد بن إبراهيم إلى إخواننا المسلمين، جعلنا الله وإيَّاهم من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعدُ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له الأنبياء والمرسلين، فلو طُوِي بساطه، وأُهمل علمه وعمله - لَفَشَت الضلالة وشاعت الجهالة، وخربت البلاد وهلك العباد؛ قال الله - تعالى -: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]، فنعوذ بالله من اندراس هذا المهم العظيم، واستيلاء المداهنة على القلوب، وذهاب الغيرة الدينية.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عنوان الإيمان، ودليل السعادة والفلاح؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]، وقال - تعالى -: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وقال - تعالى -: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، وقال - تعالى -: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 78- 79].

وهذا غايةٌ في التغليظ؛ إذ علَّل استحقاقهم اللعنة باستهانتهم بأمر الله وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وروى أبو داود والترمذي من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ρ: ((لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنَّه على الحق أطرًا، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم))، وعن حذيفة أن النبي ρ قال: ((والذي نفسي بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم تدْعونه فلا يستجاب لكم))[213]، وعن أبي بكر الصديق τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، يوشِك أن يعمَّهم الله بعقاب من عنده))[214]، وعن جابر قال: قال رسول الله ρ: ((أوحى الله إلى جبريل - عليه السلام - أن اقلبْ مدينة كذا وكذا

213 رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

214 رواه ابن ماجه والترمذي وصحَّحه.

بأهلها، قال: ياربِّ، إن فيهم عبدك فلانًا لم يَعْصِكَ طرفةَ عين، قال: فقال: اقلبها عليه وعليهم؛ فإن وجهه لم يتمعَّر فيَّ ساعةً قط))[215]، وعن جرير مرفوعًا: ((ما من قومٍ يكون بين أظهرهم مَن يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع لم يغيروا عليه، إلا أصابهم الله بعذابه))[216]، وفي مراسيل الحسن عن النبي ρ: ((لا تزال هذه الأمَّة تحت يد الله وفي كنفه، ما لم يمالِ قرَّاؤها أمراءَها، وما لم يزكِّ صلحاؤها فُجَّارَها، وما لم يُهِن خيارَها أشرارُها، فإذا فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم، ثم سلَّط عليهم جبابرتهم فيسومونهم سوء العذاب، ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر))، وذكر ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عمر الصنعاني قال: ((أوحى الله إلى يوشَع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، قال: يارِبِّ، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم))، وذكر الإمام أحمد من حديث ابن عمر مرفوعًا: ((لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليسلِّطَنَّ الله عليكم شراركم؛ فيسومونكم سوء العذاب، ثم يدعو خيارُكم فلا يستجاب لهم))، ((لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليبعثنَّ الله عليكم مَن لا يرحم صغيركم ولا يوقِّر كبيركم)).

وفي الطبراني من حديث ابن عباس - رضِي الله عنهما - قال: قال رسول الله ρ: ((ما طفَّف قومٌ كيلًا ولا بخسوا ميزانًا إلا منعهم الله القَطر، وما ظهر في قومٍ الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قومٍ الربا إلا سلَّط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضًا إلا سلَّط الله عليهم عدوَّهم، ولا ظهر في قومٍ عملُ قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم، ولم يسمع دعاؤهم))، وفي "الصحيح" من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ρ: ((مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان))، وفي رواية: ((وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل))، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ρ: ((مثل المِدَاهن في حدود الله والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي أسفلها يمرُّ بالماء على الذين في أعلاها فتأذَّوا به، فأخذ فأسًا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذَّيتُم بي، ولا بُدَّ لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجو أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم))[217]، والأحاديث في الحثِّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرةٌ جدًّا، فاتقوا الله

---

215 رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

216 رواه أحمد وغيره.

217 رواه البخاري.

عباد الله، وهُبُّوا من رقدتكم، واستيقظوا من غفلتكم، وقوموا بأمر ربكم، ومُرُوا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وتناصحوا فيما بينكم، وتواصَوا بالحق وتواصوا بالصبر.

وكل إنسان مسؤول بحسبه وعلى قدر طاقته واستطاعته؛ ففي الحديث: ((ما منكم من أحد إلا وهو على ثغر من ثغور الإسلام، فاللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قِبله))، وعلى الآمر بالمعروف أن يستعمل أنجح الوسائل لإزالة المنكر وتغييره؛ قال الله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، كما أنَّ عليه أن يصبر ويحتسب إذا أوذي في الله أو أُسمع ما يكره؛ قال - تعالى - حاكيًا عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: 17]، والقائم في هذا الأمر ستكون له العاقبة الطيبة والذكر الجميل؛ قال - تعالى -: ﴿وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقوم بذلك على الغني والفقير، والقريب والبعيد، والشريف والوضيع، ولا يخاف في الله لومة لائم؛ ففي حديث عائشة - رضِي الله عنها -: ((إنما هلك بنو إسرائيل أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها)).

وتحرُم الشفاعة لأهل الجرائم؛ فعن ابن عمر مرفوعًا: ((مَن حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله، فقد ضادَّ الله في أمره))[218]، وفي "الموطأ": ((إذا بلغت الحدودُ السلطان فلعن الله الشافع والمشفع))، وفي "الصحيح" من حديث علي τ أن النبي ρ قال: ((لعن الله مَن آوى محدِثًا))، أعاذنا الله وإيَّاكم من أسباب غضبه وأليم عقابه، وهدانا وإياكم صراطه المستقيم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

56- النهي والتحذير عن كثيرٍ من المحرَّمات التي وقع فيها أكثر الناس

اعلم - أيُّها المسلم - أن الله - تعالى - كما افترض عليك الفرائض، حرَّم عليك المحرَّمات، وتوعَّد مرتكبيها بالوعيد الشديد والعذاب الأليم، فحرَّم الشرك وأخبر - سبحانه - بأنَّه لا يغفره، وأنَّه يحبط كل عمل صالح؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48]، وحرَّم الاستهزاء بالدين أو بشيء منه أو بأهله، وأخبر أنه كفرٌ؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65-

218 رواه أحمد وأبو داود.

66]، وحرَّم الحكم بغير ما أنزل الله، وأخبر بأنه كفر به؛ قال – تعالى –: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، وحرَّم موالاة الكفار وتصحيح مذهبهم والتشبه بهم، وأخبر بأنه كفر؛ قال – تعالى –: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، وقال ρ: ((مَن تشبَّه بقوم فهو منهم))[219]، وحرَّم قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وحرَّم اليمين الفاجرة، والظلم، وشرب الخمر، وشهادة الزور، والكذب والخيانة، والكبر، والحسد، والشحناء، والغيبة والنميمة، وأكل الربا وأموال اليتامى ظلمًا، وتناول الحرام على أيِّ وجهٍ كان؛ سواء أكان من سرقة، أو اغتصاب، أو خيانة، أو غش، أو قمار، أو غير ذلك، وحرَّم الزنا واللواط، وأخبر – سبحانه وتعالى – بأنهما فُحْشٌ عظيم، وجُرْمٌ شنيع، تَوَعَّدَ فاعلَهما بالعذاب الأليم، وحرَّم – سبحانه وتعالى – التصوير واقتناء الصور، وجاءَت الأحاديث الصحيحة بأن كل مصوِّرٍ في النار، وأن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة المصورون، ومن صُوِّر عن رضًا منه واختيار فهو كالفاعل، وحرَّم الله الغناء والعزف والاستماع إلى ذلك؛ سواء أكان المغنِّي رجلًا أم امرأة؛ لأن الغناء وآلات اللهو – كالعود، والمزمار، والكمنجة، والربابة، ونحو ذلك – لَهْوٌ باطل يصدُّ عن ذكر الله، ويضل عن سبيله؛ قال – تعالى –: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: 6]، فسَّر ابن عباس وابن مسعود وغيرُهما لهوَ الحديث بالغناء والمزامير، وروى البخاري عن أبي مالك الأشعري أن النبي ρ قال: ((ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحرَ، والحرير، والخمر، والمعازف))؛ الحر: الزنا، والمعازف: آلات اللهو.

وروى الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف τ أن النبي ρ قال: ((إنما نَهَيْتُ عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمةٍ؛ لهوٌ ولعبٌ ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة؛ خمش وجوه، وشق جيوب، ورنَّة))، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وحرَّم الله حلق اللِّحى، وجاءت الأحاديث الصحيحة بالنهي الأكيد عن حلقها، والأمر بإعفائها وقص الشوارب؛ ففي الصحيحين عن النبي ρ قال: ((حُفُّوا الشوارب، وأرخوا اللحى))، وكره ρ النظر لرسولَي كسرى لما رآهما قد حلقا لحيتيهما وأطالا شاربيهما، وقال لهما: ((ويلكما، مَن أمركما بهذا؟))، قالا: أمرنا ربُّنا – يعنيان: كسرى – فقال النبي ρ: ((ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي، وقص شاربي))[220]، واللحية: اسم لكل ما ينبت على اللحيين والعارضين والذقن من الشعر، وهي ميزة ميز الله بها الرجل عن المرأة تدلُّ على رجولته، فكيف تستسيغ – يا حالق لحيته – أن تتشبَّه بالنساء

---

219 رواه أبو داود عن ابن عمر والطبراني في "الأوسط" عن حذيفة وحسنه السيوطي.

220 رواه ابن جرير عن زيد بن حبيب.

وبالمجوس وتغيِّر خلق الله، وقد حرَّم الله عليك ذلك؟! وحرَّم الله على الرجال لبس الذهب والحرير؛ فقد رأى النبي ρ خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه، وقال: ((يَعْمَد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده))[221]، وأخبر - عليه الصلاة والسلام - في حديث آخر بأن الله حرَّم على ذكور أمته لبس الذهب والحرير وأحلَّه لإناثهم[222]، وشرب الدخان الذي تفشَّى بين الناس فلم يسلم منه إلا القليلُ، ذكر المحقِّقون من أهل العلم أنه محرَّم من أربعة أوجه:

الوجه الأول: ثبت بالطب والتجرِبة أنه يضرُّ بالبدن ضررًا بالغًا، وأنه ينشأ عن شربه أمراض فتَّاكة؛ كالسل الرئوي، وسرطان المريء، والكحة المزمنة، واضطراب دقات القلب، بالإضافة إلى أنه يسبب موت الفجأة، وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، وجاء الحديث بأن قاتل نفسه في النار[223]، وفي الحديث المتَّفق عليه: ((مَن قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة)).

الوجه الثاني: ثبت أن الدخان مُفَتِّر، وقد يسكر أحيانًا إذا شربه مَن لم يَعْتَدْه أو شربه فاقده بكثرة، وقد حرَّم الله كلَّ مسكر وكل مخدر ومُفَتِّر.

الوجه الثالث: أنَّه مستخبَث من جميع الوجوه؛ فهو خبيث الرائحة، ضارٌّ بالبدن، يقرِّب شاربَه من جلساء السوء ويبعده عن الصالحين، وقد أحلَّ الله الطيبات وحرَّم الخبائث.

الوجه الرابع: أنَّ النفقة فيه إسرافٌ وتبذير، وقد قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27]، والعجب مِمَّن يدَّعي الرجولة والعقل وقوة الإرادة، وفي الوقت نفسه لا يستطيع مَنْعَ نفسه من شرب الدخان الضارِّ بدينه وبدنه وماله، مع أن الرضيع يُفْطَم عن لبن أمه الحلال الطيب الذي به مطعمه ومشربه ولذته، فينفطم ويسلو بعد أيام قلائل، لقد آن لكم - يا أيها المقصِّرون - أن ترجعوا إلى ربكم، وتتوبوا إليه إن كنتم تعقلون؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر: 54][224].

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

221 رواه مسلم من حديث ابن عباس.

222 رواه أبو داود والنسائي من حديث علي - رضي الله عنه - بنحوه.

223 رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

224 من "مجموع سبع رسائل"؛ للشيخ: عبدالرحمن الحمَّاد العمر، ص 19- 22.

57- نصيحة في التحذير من المعاصي

للشيخ: محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ - رحمه الله -

من محمد بن إبراهيم إلى مَن يراه من المسلمين، وفَّقني الله وإياهم لقبول النصائح، وجنَّبنا جميعًا موجبات المخازي والفضائح، آمين.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإن الله - تبارك وتعالى - قد أوجب النصيحة والبيان، وحرَّم الغش والكتمان؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187]، وقال النبي ρ: ((الدين النصيحة...)) إلى آخره[225]، وقد أمر الله بالتذكير، وأخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين؛ قال - تعالى -: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، وقال - تعالى -: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]، وهذا يشمل التذكيرَ بالنصوص القرآنية وصِحَاح الأحاديث النبوية المشتملة على الأمر بطاعته - سبحانه وتعالى - وطاعة رسله، والتحذير من معصيته ومعصية رسله، وبيان ما في امتثال أوامره وترك زواجره من حصول الخيرات، وحلول البركات، واندفاع النقمات، وما في معصيته - تعالى - ومخالفة أمره من مَحْقِ البركات، في العلوم والأعمال والأعمار والمكاسب وجميع التصرُّفات، ويشمل أيضًا التذكير بأيام الله - تعالى - في خلقه، وما أحلَّ بِمَن عَصَوْا رسله من المَثُلات، وسائر ألوان الأخذ والعقوبات، مما يكون من أعظم واعظ لِمَن في قلبه أدنى حياة.

إذا عُرِف ذلك، فإن المعاصي هي أسباب كل نقص وشر وفساد، في الأديان والبلاد والمعاد؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، فما أهبط الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب إلا معصيتُهما بأكلهما لقمة من الشجرة التي نُهِيَا عن الأكل منها، وما أخرج إبليسَ من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، وجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع - غيرُ معصيته بامتناعه من سجدة واحدة أُمِر أن يسجدها، وما الذي أغرق أهل الأرض كلَّهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟! وما الذي سلَّط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية؟! وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ثم قلبها عليهم وأُتْبِعوا بحجارة من سجيل؟! وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلَل، فلمَّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظَّى؟! وما الذي أغرق فرعون

---

225 رواه مسلم.

وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى نار جهنم، فأبدانهم للغرق، وأرواحهم للنار والحرق[226] – إلا المعاصي؛ فإنها هي التي دمرت عليهم، وصَيَّرتهم إلى أسوء عاقبة في الدنيا والآخرة.

ومن ثمرات المعاصي حرمان العلم وحرمان الرزق كما في "المسند": ((أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))، ومنها وحشةٌ يجدها العبد بينه وبين الله، وبينه وبين الناس – لا سيَّما أهل الخير منهم – وتعسير أموره فلا يتوجَّه لأمر إلا وجده مغلقًا أو متعسِّرًا عليه.

ومنها حرمان الطاعة، ومنها ظلمة القلب وجبنه ووهنه، ووهن البدن، وتقصير العمر ومحق بركته؛ فإن البر كما يزيد في العمر، فإن الفجور ينقصه، ومنها انسلاخ القلب من استقباحها فتصير له عادة، والمعصية سببٌ لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، وتورث الذل – ولا بُدَّ – وتفسد العقل، وإذا تكاثرت طُبِع على قلب صاحبها، وتدخل العبد تحت لعنة الله، وتُحْدِث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء، والزرع والثمار، والمساكن والأشجار؛ قال الله – تعالى –: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]، قال مجاهد: إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد، فيُحْبَس بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وقال ابن زيد: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ﴾ قال: الذنوب، ولا منافاة بين القولين؛ فإن الآية تشمل هذا وهذا، وعن عبدالله بن عمر – رضِي الله عنهما – قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ρ فأقبل علينا رسول الله ρ بوجهه، فقال: ((يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتُلُوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضَوْا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتُلُوا بالسنين وشِدَّة المؤونة وجور السلطان، وما منع قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمَّتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم))[227]، وعن ابن عباس – رضِي الله عنهما – قال: قال رسول الله ρ: ((ما طفَّف قومٌ كيلًا ولا بخسوا ميزانًا إلا منعهم الله – عزَّ وجلَّ – القطر، وما ظهر في قومٍ الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلَّط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قومٍ القتل يقتل بعضهم بعضًا إلا سلَّط الله عليهم عدوَّهم، ولا ظهر في قومٍ

226 الصحيح أن عذاب البرزخ على الروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، وانظر "شرح العقيدة الطحاوية": ص 348.

227 رواه ابن ماجه.

عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قومٌ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر إلا لم تُرْفَع أعمالهم، ولم يُسْمَع دعاؤهم))[228].

ولا شيء يُسْتَجلب به الرزق - بل كل خير - ويُسْتَدفع به كلُّ سوء وضير، غيرُ التوبة إليه - سبحانه - بالرجوع عمَّا يكرهه من المعاصي إلى ما يحبُّه من الطاعة؛ بأن يحقِّق العباد توحيدهم، ويباعدوا جميع ما ينافيه أو ينقصه أو يقدح فيه، ويحافظوا على فرائض دينهم؛ من إقامة الصلوات الخمس في جماعة، وأداء الزكاة، وغير ذلك من أركان الإسلام وفرائضه العظام كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، ويجتنبوا محارمه؛ من أنواع الفواحش وأجناس المسكرات والمخدرات والمفتِّرات، والربا في المعاملات، والخيانة في الأمانات، واستعمال أنواع الملهيات، الصادَّة عن ذكر الله وعن الصلاة، وكافَّة المحرمات، فعلى المسلمين عمومًا وخصوصًا التوبة إلى ربهم، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر فيما بينهم، وتعاون بعضهم مع بعض فيما يصلح دينهم، الذي به صلاح معاشهم، والفوز في معادهم.

هذا، وأسأل الله - تعالى - أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويحفظ إمام المسلمين من كل نواحيه، ويزيده من التوفيق لمحابِّ الله ومراضيه، ويقمع به كل فساد، ويصلح بمساعيه البلاد والعباد، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.[229]

حرر 1376/3/10 هـ.

* * *

---

228 رواه الطبراني وغيره.

229 ملاحظة:

انظر: آثار وعقوبات المعاصي المضِرَّة في القلب والبدن في الدنيا والآخرة، في "الجواب الكافي"؛ لابن القيِّم، ص44-137.

العلم والتربية والتعليم

58– العلم والعمل

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم على محمد القائل فيما رُوِي عنه: ((طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم))(230).

وبعد، فقد أَوْجَد الله الإنسان وأخرجه من بطن أمِّه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والعقل والفؤاد واللسان، وعلَّمه ما لم يكن يعلم؛ كما قال – تعالى –: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وقال – تعالى –: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن: 1– 4]، وقال – تعالى –: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1– 5]، وقال – تعالى –: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 8– 10].

وقال في فضل العلماء والمتعلمين: ﴿هَل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]، وقال – تعالى –: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وأمَر نبيَّه أن يسأله الزيادة من العلم؛ فقال – تعالى –: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلمًا﴾ [طه: 114].

وقال ρ: ((مَن سَلَكَ طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظٍّ وافر))(231).

وقال ρ: ((مَن يُرِد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين))(232)، وقال ρ: ((مَن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقال الشاعر:

العِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لاَ عِمَادَ لَهُ = وَالجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزِّ وَالشَّرَفِ

وقال آخر:

---

(230) رواه الطبراني وغيره ورمز السيوطي لصحَّته.

(231) رواه أبو داود والترمذي وأصله في مسلم.

(232) متفق عليه.

اطْلُبِ العِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا = أَبْعَدَ الخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الكَسَلْ
فِي ازْدِيَادِ العِلْمِ إِرْغَامُ العِدَا = وَجَمَالُ العِلْمِ إِصْلاَحُ العَمَلْ
لاَ تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ = كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ
وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ = يَعْرِفِ المِطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

فالعلم حياة والجهل موت، وما يستوي الأحياء والأموات، والعلم نور والجهل ظلمات، وما يستوي الظلمات والنور، والعالم بمنزلة البصير، والجاهل بمنزلة الأعمى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾ [فاطر: 19].

وطلب العلم على قسمين: فرض عين على كلِّ مسلم ومسلمة، وفرض كفاية إذا قام به مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين؛ كعلم القضاء والإفتاء، ففرض العين هو الذي تحصل به معرفة الله - سبحانه وتعالى - ومعرفة نبيِّه ρ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، فمعرفة الله بأنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وأنه - تعالى - يرانا ويسمعنا، ويعلم سرَّنا وعلانيتنا، وأنه أمرنا ونهانا، وأنه يثيب الطائعين ويعاقب العاصين، والإيمان بالله يتضمَّن محبَّته وخوفه، ورجاءه وطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه.

ومعرفة نبيِّه محمد ρ بأنه عبدٌ لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبع، شرَّفه الله بالعبودية والرسالة.

وأنه يجب علينا محبَّته وتصديقه، وامتثال أمره واجتناب نهيه، ويجب علينا أن نعرف دين الإسلام بالأدلة من القرآن والسنة، ونعرف ما فيه من أوامر فنمتثلها ونواهٍ فنجتنبها، وفي مقدمة ذلك القيام بأركان الإسلام الخمسة علمًا وعملًا واعتقادًا ودعوة، وأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومعرفة الإحسان؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإذا عرفنا أولًا ربنا ونبيَّنا وعرفنا دين الإسلام بالأدلة - وجب ثانيًا علينا العمل بهذا العلم، وثالثًا يجب علينا الدعوة إلى الله، ورابعًا يجب علينا أن نصبر على ما يصيبنا في ذلك؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1- 3]، فأقسم الله في هذه السورة الكريمة أن كلَّ إنسان خاسر إلا مَن اتَّصف بأربع صفات؛ وهي: الإيمان الصادق المثمِر للعمل الصالح وهو الخالص لله الموافِق لسنة نبيِّه، ثم التواصي بالحق؛ أي: بما أمر الله به ورسوله، والانتهاء عمَّا نهى عنه ورسوله، والتواصي بالصبر على طاعة الله، والصبر عمَّا حرَّم الله، والصبر على أقدار الله، فدلَّت هذه السورة العظيمة سورة العصر قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، دلَّت على وجوب تعلُّم العلم النافع، والعمل

به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، ودلَّت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، وأن مَن فقد هذه العناصر الأربعة التي تضمَّنتها السورة أو فقد بعضها فقد خسر كما دلَّت على ربح وفوز مَن اتَّصف بها، ولهذا قال فيها الإمام الشافعي - رحمه الله -: لو فكَّر الناس فيها لكفَتْهُم.

ودلَّت على وجوب جهاد النفس، وأنه أربع مراتب كما قال الإمام ابن القيِّم - رحمه الله - في "زاد المعاد في هدي خير العباد" ρ:

1- جهادها على تعلُّم الهدى ودين الحق، الذي لا صلاح لها في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

2- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّد العلم بدون عمل إن لم يضرها لم ينفعها، فإن اليهود علماء ولم يعملوا بعلمهم فغضب الله عليهم، والنصارى يعبدون الله على جهل وضلال؛ ولهذا شُرِع لنا في دعاء الفاتحة سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن يجنبنا ربنا طريق اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين.

3- الثالث من جهاد النفس الذي دلَّت عليه سورة العصر جهادها على الدعوة إلى الله بقوله - تعالى -: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ﴾، وكما قال - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وكما قال - تعالى -: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، فالدعوة إلى الله هي طريقة النبي ρ وهي طريقة الخلفاء الراشدين وأتباعهم إلى يوم القيامة، فواجب المتعلم أن يتعلَّم لينقذ نفسه وغيره من زمرة الجاهلين، وواجب العالم أن ينشر علمَه في الناس؛ ليفوز بعظم الأجر، ويَسْلَم من الإثم والوِزْر، ولئلاَّ يقع في الكتمان؛ قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187].

وقال ρ: ((بلِّغوا عنِّي ولو آية))[233]، ودعا لِمَن بلَّغ فقال - عليه الصلاة والسلام -: ((نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها، فرُبَّ مبلَّغ أَوْعَى من سامع))[234]، وقال أيضًا: ((مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا))[235]، وعكس ذلك مَن دعا إلى ضلالة.

---

(233) رواه البخاري.

(234) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(235) رواه مسلم وغيره.

وإذا لم يَقُم العالم بما أوجب الله عليه من العمل بعلمه والدعوة إليه كان من الذين يكتمون ما أنزل الله ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله، وفي الحديث: ((أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه))(236)، وقال ρ: ((إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت - ليصلُّون على معلِّمي الناس الخير))(237).

وقال الشاعر:

وَكُنْ عَامِلاً بِالعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ = لِيُهْدَى بِكَ المرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي

حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الوَرَى وَهُدَاهُمُ = تَنَلْ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ

4- أن يجاهد نفسه على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق في سبيل دعوته.

فإذا استكمل المسلم هذه المراتب الأربع التي هي: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه - كان من الربانيين؛ قال - تعالى -: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فمَن علم وعمل وعلَّم فذلك يُدعَى عظيمًا في ملكوت السماء(238).

* * *

59- العلم والعمل

العلم شجرةٌ تُثمِر كلَّ خلق جميل وعمل صالح ووصف محمود، أخرج الله الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئًا فأمدَّه بالقُوَى الحسية والمعنوية، وجعله سميعًا بصيرًا متكلِّمًا عاقلًا، فميَّزه بذلك على سائر المخلوقات، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وخلق له ما في الأرض جميعًا ليستعين به على طاعته، وليشكره على نعمه بأداء ما افترضه عليه، فينال بذلك أوفر الجزاء وجزيل الأجر والثواب: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: 40]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن: 1- 4]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ

---

(236) رواه الطبراني والبيهقي وابن عدي، وضعَّفه السيوطي والمنذري قال المناوي: وله أصل أصيل عند الحاكم في "المستدرك".

(237) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(238) انظر: "زاد المعاد في هدي خير العباد"؛ لابن القيِّم (ج2/ 106، 107).

الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1- 5]، ثم أوجب على الإنسان أن يتعلَّم ما لا يستغني عنه من العلوم النافعة له في دينه ودنياه؛ ليكون على بيِّنة من أمره بنيَّة خالصة لله – تعالى – قال ρ: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى))[239]، و((مَن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمَن أخذه أخذ بحظ وافر))[240].

وقد رفع الله مَن أراد به خيرًا بالعلم والإيمان؛ قال – تعالى -: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وتقوى الله التي أوصى بها الأوَّلين والآخِرين لا تحصل إلا بمعرفة ما يُتَّقى من الكفر والفسوق والمعاصي، ولا تستقيم إلا بفعل الواجبات وترك المحرمات، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فطلب العلم من أفرض الفرائض وأوجب الواجبات؛ قال ρ: ((مَن يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهه في الدين))[241]، فيعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والحلال من الحرام، والنافع من الضار، وقد قال النبي ρ: ((إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا))، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: ((حِلَق الذكر))[242]، رياض ناضرة فيها من كلِّ زوج بهيج، وفيها يُعرَف الله، ويُهتَدى إلى الصراط المستقيم، وفيها يُعرَف الحلال من الحرام، والصلاح من الفساد، ويُعرَف سبيل الغي والضلال، وسبيل الهدى والرشاد، فكيف يعتاض المسلم عنها مجالس اللهو واللعب وتضييع الوقت، فما هو عذر المسلم عند الله بعدم طلب العلم وهو يتمتَّع بالعافية والعقل والسمع والبصر وأصناف النعم؟

وهو بحمد الله أيسر شيء؛ كتاب الله وسنة رسوله وهي بحمد الله مضبوطة محفوظة، وأصول الأحكام التي تدور عليها نحو خمسمائة حديث، وتفاصيلها نحو أربعة آلاف حديث[243].

والكمال الإنساني في ثلاثة أمور: علوم يعرفها، وأعمال يعمل بها، وأحوال تترتَّب على علومه وأعماله، وأفضل العلم والعمل والحال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أيرضى المعْرِض عن العلم أن يكون كالبهائم السائمة لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ولا يميِّز

---

(239) رواه البخاري ومسلم.

(240) رواه أبو داود والترمذي.

(241) متفق عليه.

(242) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(243) انظر: "الأحكام في شرح أصول الأحكام"؛ لابن قاسم: (ج1/ص 9).

حقًّا من باطل، أيرضى إذا قيل له: (مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟) لا يدري ما الجواب، وإذا قيل له: (كيف تصلي؟ وكيف تتعبَّد؟) أجاب بغير الصواب، وكيف تبيع وتشتري وتعامل الناس؟ لم يعرف الحلال من الحرام؟

إن الاشتغال بالعلم من أجلِّ العبادات وأفضل الطاعات، وفي الحديث: ((تعلَّموا العلم؛ فإن تعلُّمه لله خشية، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله قربه؛ لأنه معالم الحلال والحرام، وبيان سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجليس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والمعِين على الضرَّاء، والزين عند الإخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادَة، وفي الهدي أئمَّة تُقتَفى آثارهم، ويُقتَدى بأفعالهم، ويُنتَهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خُلَّتهم، وبأجنحتها تحفُّهم، وفي صلاتها تستغفر لهم، ويصلي عليهم كلُّ رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، والأرض وخزَّانها[244].

والعلم النافع هو الذي يُثمِر الخشية والتواضع وينفع صاحبه في حياته ويفيده بعد مماته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))[245].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ρ يقول: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا))[246]، وعن أنس قال: قال رسول الله ρ: ((مَن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))[247].

وقال أبو الدرداء τ: "كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًّا أو مستمعًا، ولا تكن الخامس فتهلك"[248]، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يحبُّ العلماء والمتعلمين ولا يحضر مجالس العلم، فهذا هو الهالك.

هذا، وإن العلوم في الوقت الحاضر قد انتشرت والمعارف قد اتَّسعت، ولكنَّه قَلَّ العمل والانتفاع بها، وثمرة العلم العمل، والعلم بلا عمل كشجرةٍ بلا ثمر، والعلم ينمو بشيئين: العمل به، وتعليمه، وبذلك تثبت المعلومات وترسخ في الذهن، وقد قيل: العلم يهتف بالعمل فإن وافقه وإلا ارتحل.

---

(244) رواه ابن عبدالبر في كتاب "جامع العلم وفضله" وقال: هو حديث حسن، وروي موقوفًا ولعله أشبَه.

(245) رواه مسلم.

(246) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(247) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(248) انظر: "كبائر الذهبي": ص (60).

ومَن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، فلا نجاة ولا سعادة للعبد في الدنيا والآخرة إلا بأن يتعلَّم العلم الشرعي الذي بعث الله به محمدًا ρ ثم يعمل به ويعلمه الناس ويصبر على ذلك؛ كما قال – تعالى –: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ومراتب العلم أربعة: سماعه، ثم عقله، ثم تعاهده، ثم تبليغه، ومراتب العلم والعمل ثلاثة:

1- رواية: وهي مجرَّد نقل وحمل المروي.

2- ودراية: وهي فهمه وتعقُّل معناه.

3- ورعاية: وهي العمل بموجب ما علمه.

وأكمل أنواع طلب العلم أن تكون همَّة الطالب مصروفة في تلقِّي العلم الموروث عن النبي ρ وفهم مقاصد الرسول ρ في أمره ونهيه وسائر كلامه، واتباع ذلك وتقديمه على غيره، ويعتصم في كلِّ بابٍ من أبواب العلم بحديثٍ عن الرسول ρ من الأحاديث الصحيحة.

والعلم النافع المقصود وغيره وسيلة إليه ثلاثة أقسام:

1- علم بأسماء الله وصفاته.

2- وعلم بما أخبر الله به من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة.

3- وعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله، ومن معارف القلوب وأحوالها، وأحوال الجوارح وأعمالها، قال ابن القيِّم – رحمه الله تعالى –:

وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلاَثٌ مَا لَهَا = مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الإِلَهِ وَفِعْلِهِ = وَكَذَلِكَ الأَسْمَاءِ لِلْرَحْمَنِ

وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ الَّذِي هُوَ دِينُهُ = وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي

وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي = جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالفُرْقَانِ

وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ = بِسِوَاهُمَا إِلاَّ مِنَ الهَذَيَانِ

* * *

60- طريق التعلُّم وأسباب فهم الدروس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن للتعلُّم طرقًا ينبغي للطالب مراعاتها والعمل بها؛ ليدرك مطلوبه ويفوز بالنجاح فمنها:

1- حسن النية بأن يتعلم لإنقاذ نفسه من الجهل، وليعرف الخير فيفعله والشر فيتركه، ومَن عمل

بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وفي الحديث: ((مَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة))؛ رواه مسلم، ((إنما الأعمال بالنيات، ولكلِّ امرئ ما نوى))؛ متفق عليه.

2- مذاكرة الدروس قبل شرحها؛ ليعرف السهل والصعب فيشتاق إلى شرحه وفهمه.

3- الإصغاء إلى شرح المدرس بجميع الحواس.

4- سؤال المدرس عمَّا أشكل بعد الشرح في نفس الموضوع الذي شرح بأدب وحسن قصد.

وقد قيل: مفتاح العلم شيئان:

أ- حسن السؤال.

ب- وحسن الإصغاء.

5- مذاكرة الدروس بعد شرحها لترسخ في الذهن.

6- تقوى الله - تعالى - وطاعته بفعل ما أمر واجتناب ما نهى؛ قال - تعالى -: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة: 282]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]؛ أي: علمًا تفرِّقون به بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

7- الجد والاجتهاد والمواظبة وحل الواجبات، وحفظ الأوقات وتنظيمها والاستفادة منها، وقد قيل: مَن جَدَّ وَجَدَ، ومَن زرع حصد، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان[249].

شروط تحصيل العلم:

قال الشاعر:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلاَّ بِسِتَّةٍ = سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ = وَإِرْشَادِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ

وقال آخر:

بِتِسْعٍ يُنَالُ العِلْمُ قُوتٍ وَصِحَّةٍ = وَحِرْصٍ وَفَهْمٍ ثَاقِبٍ فِي التَّعَلُّمِ
وَحِفْظٍ وَدَرْسٍ لِلْعُلُومِ وَهِمَّةٍ = وَشَرْخِ شَبَابٍ وَاجْتِهَادِ مُعَلِّمِ

ثمرة العلم:

العلم شجرة لا بُدَّ لها من زكاة وثمرة، وزكاة العلم وثمرته العمل به وتعليمه مَن لا يعلمه، وبذلك يثمر وينمو ويزداد، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم، وبالله التوفيق، وصلى

(249) من أسباب تحصيل العلم أيضًا الدعاء بحصوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] تقول: يا عليم علِّمني، اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع، اللهم انفعني بما علَّمتني وعلِّمني ما ينفعني، وارزقني علمًا ينفعني، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

61- تربية الأبناء كما يجب أن تكون

سؤال يدور بين أولياء أمور الطلبة ومدرِّسيهم عن ذلك، والواقع أن الكلَّ مسؤول أمام الله عمَّا تحت يده، والأولاد نعمة من الله أنعم الله بها، وكلف الخلق بشكرها ورعايتها وحفظها، وقد وُلِدوا على الفطرة السليمة قابلين للخير والشر الذي يلقى عليهم؛ ولذا قال النبي ρ: ((كلُّ مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه))(250).

ويقول الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ فِينَا = عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

فبصلاح الناس وحسن توجيههم يصلح أولادهم بإذن الله وتوفيقه، وقد قال الله – تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُو أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، فوقاية الأنفس من النار تكون بتقوى الله وطاعته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

ووقاية الأهل بتعليمهم ما ينفعهم وتحذيرهم ممَّا يضرهم، وتأديبهم الأدب الحسن على وفق تعاليم الإسلام أمرًا ونهيًا وفعلًا وتركًا، فما دام الولد في البيت لم يدخل المدرسة فالمسؤولية خاصَّة بوليِّ أمره، عليه أن يرعاه حق الرعاية ويصونه غاية الصيانة، وأن يحسن تربيته بقدر المستطاع تربية إسلامية صحيحة، فإذا بلغ سنَّ التمييز عَلَّمَه الطهارة وأمره بالصلاة، فإذا بلغ عشر سنين ضربه عليها وهدَّده على تركها، امتثالًا لقوله ρ: ((مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر))(251)؛ وذلك لكي يألفها ويتمرَّن عليها ويدخل حبها في قلبه قبل بلوغه، وعلى وليِّ أمره ألاَّ يترك له الحبل على الغارب في فعل ما يهواه ويريده، بل يكون رقيبًا عليه يتعهَّده في تعليمه ما ينفعه وتحذيره مما يضرُّه، كما يتعهَّد البستاني بستانه بالسقي، وإزالة الأعشاب الضارة حتى يبدو صلاحه، وكما يتعهَّد الراعي غنمه يحفظها من الذئاب والسباع في أرض مسبعة، ويتذكر قول الشاعر:

وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ = فَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعْيَهَا الأَسَدُ

فإذا سلم الولد إلى المدرسة اشترك في تربيته المدرسون من ناحية وأولياء الأمور من ناحية أخرى، وحينئذ يميل الطالب إلى تقليد المدرس والتأثر بأقواله وأفعاله أكثر ممَّا يميل إلى والديه، فعلى المدرس

(250) رواه أبو يعلى في "مسنده"، والبيهقي في "السنن" والطبراني في "الكبير"، ورمَز السيوطي لصحته.

(251) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، ورمز السيوطي لصحَّته.

تقوى الله في ذلك وإصلاح نفسه قبل أن يكون مدرسًا، وليعلم أنه مسؤول مؤتمن فليؤدِّ الأمانة وليحذر من الخيانة فيها في توجيه الطلبة وتعليمهم وتأديبهم، وليكن قدوة صالحة للطلبة في قوله وفعله وعمله؛ فهو محطُّ أنظار الطلبة وقدوتهم في الخير والشر والهدى والضلالة إن أحسن وإن أساء.

فالبيت والمدرسة هما الأساس لتكوين الأجيال الصالحة وليست كل البيوت صالحة، فليكن المدرس أداة إصلاح كما أن بعض البيوت الصالحة يتأثَّر أولادهم بِمَن لم يكن صالحًا، فالكل راعٍ ومسؤول عن رعيته، فليعد للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

قال العلامة ابن القيِّم في كتابه القيِّم "تحفة الودود بأحكام المولود": مَن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدًى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبَل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا؛ فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبتِ، إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني صغيرًا فأضعتك شيخًا... إلى أن قال: ومِمَّا يُحتَاج إليه غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقه، فإنه ينشأ على ما عوَّده عليه المربي في صغره؛ فيصعب عليه تلافي ذلك في كبره، وتصير الأخلاق هيئات راسخة له، فلو تحرَّز منها غاية التحرُّز فضحته - ولا بُدَّ - يومًا ما، ولذلك تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قِبَل التربية التي نشؤوا عليها، ولذلك يجب أن يجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل وسماع الفحش والبِدَع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عزَّ عليه مفارقته في الكبر، وعزَّ على وليِّه استنقاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور ويحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج من حكم الطبيعة عَسِرٌ جدًّا، وينبغي لوليِّه أن يجنِّبه الكذب والخيانة أعظم ممَّا يجنبه السم الناقع؛ فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كلَّ خير، ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما تستجمُّ به نفسه وبدنه؛ فإن الكسل والبطالة لها عواقب سوء وندم، وللجد والتعب عواقب حميدة، إمَّا في الدنيا، وإمَّا في الآخرة، وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب.

قال بعضهم: لا يُنَال العلم براحة الجسد، قال: ويعوِّده الانتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز، فمستقلٌّ ومستكثِر ومحروم، فمَن اعتاد ذلك صغيرًا سهل عليه كبيرًا.

ويجنِّبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام، فإن الخسارة في هذه الفضلات، وهي تفوِّت على العبد خير دنياه وآخرته.

ويجنِّبه مظانَّ الشهوات المتعلِّقة بالبطن والفرج غاية التجنُّب؛ فإن تمكينه من أسبابها والفسح له

فيها يفسده فسادًا يعسر عليه بعده صلاحه، وكم من والد أفسد ولده وفلَذة كبده في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيته من قِبَل الآباء، وليحذر كلَّ الحذر من تمكينه ممَّا يزيل عقله من مسكر أو غيره، أو عشرة مَن يخشى فساده أو كلامه له، أو الأخذ من يده فإن في ذلك الهلاك كله، ومتى سهل عليه ذلك فقد سهل عليه الدياثة، ولا يدخل الجنة ديوث.

فما أفسد الأبناء مثل تغفُّل الآباء وإهمالهم واستسهالهم شرر النار بين الثياب، فأكثر الآباء يعتمدون مع الأولاد أعظم ممَّا يعتمده العدو الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون، فكم من والد خسر الدنيا والآخرة وعرَّضه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها، وإعراضهم عمَّا أوجبه الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح، حرمهم من الانتفاع بأولادهم، وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم، وهو من عقوبة الآباء[252].

انتهى كلام ابن القيِّم - رحمه الله - قال هذا في زمانه في القرن الثامن الهجري فكيف لو رأى جاهلية القرن العشرين، وما هي عليه شبابًا وشيوخًا من الانحلال والتدهور في الأخلاق وإضاعة أمر الله، ونبذ الحياء بارتكاب محارم الله وترك ما أوجب، إلا مَن عصمه الله، وأصبح الناس في هذا الوقت ثلاثة أقسام: قسم صالحون مصلحون وهداة مهتدون، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وقسم صالحون بأنفسهم ولكن أهملوا أولادهم وذويهم، وتركوا لهم الحبل على الغارب فتحمَّلوا أوزارهم، وقسم غير صالحين بل انحرفوا في أنفسهم عن الصراط المستقيم؛ فضلُّوا مَن يقتدي بهم فتحمَّلوا أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم.

فنسأل الله - تعالى - لنا وللمسلمين الهداية والتوفيق لما يحبُّ ويرضى، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

62- مسؤولية المدرس

أخي المدرس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

غير خافٍ عليك وأنت تتمتَّع بالعقل والسمع والبصر والعلم والمعرفة، إن المدرس قد تحمَّل مسؤولية كبرى، وفي عنقه أمانة عظمى سيُسأَل عنها أمام الله يوم القيامة، تلك أمانة العلم والعمل والتعليم والتربية والتوجيه لهؤلاء الطلبة.

يجب على المدرس أن يكون قدوة حسنة لطلابه بأقواله وأفعاله، يجب أن يكون مثلًا أعلى في

(252) "تحفة الودود بأحكام المولود": (ص 167، 175- 177).

أخلاقه وفي أعماله وفي مظهره، يجب أن يتحلَّى بالفضائل والمحاسن وأن يتخلَّى عن المساوئ والرذائل، وأن يحافظ على الواجبات والمستحبَّات، ويترك المحرَّمات والمكروهات، يجب أن يتجنَّب كلَّ ما يقدح في الدين أو يخلُّ بالمروءة، فإن الله أباح لنا الطيبات النافعة وحرَّم علينا الخبائث الضارة لأجسامنا وصحتنا وعقولنا وأموالنا؛ رحمة بنا وإحسانًا إلينا، فالحلال ما أحلَّه الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، يجب أن نحافظ على شعائر ديننا عمومًا وعلى الصلوات الخمس في أوقاتها خصوصًا؛ لأنها عماد الدين الذي يقوم عليه، وأن نُصلِح أنفسنا ونُلزِمها التقوى والاستقامة؛ لنفوز برضا الله وجنته، ونسلم من عذابه وسخطه، ولنقود أولادنا وطلابنا إلى الطريق السوي والعمل الصالح، فنحن قدوتهم في القول والعمل.

فيا أيها الآباء والمعلمون، خذوا بأيدي هؤلاء الشباب واهدوهم إلى محاسن الدين؛ بغرس محبته في قلوبهم وتعظيمه في نفوسهم، بشرح محاسنه وفضائله وما امتاز به على غيره.

إن على المدرس واجب توجيه وتربية هؤلاء الشباب تربية إسلامية صحيحة؛ حتى ينشئ جيلًا صالحًا ينفع نفسه وأمته وبلاده، ويسعد في دينه ودنياه، ولن يكون ذلك حتى يستقيم بنفسه، ويقود الطلبة إلى الخير بأفعاله قبل أقواله؛ فالقول وحده لا يجدي، إن على المدرس تقويم دين الطلبة وأخلاقهم وحسن تربيتهم وتنشئتهم على الفضيلة، فإن تعليم الولد في صغره عبارة عن تغذية روحه بما تتهذَّب به أخلاقه وتزكو أعماله، وتحسن مقاصده بحيث يكون ميله إلى الخير ومحبته له ونفرته من الشر وبغضه له مَلَكَةً ثابتة في نفسه، وقد أوجب الله على كلِّ مسلم أن يتعلَّم العلم الشرعي ويعمل به ويدعو إليه ويصبر على ذلك، وأن يراقب الله في علمه وتعليمه وفي جميع مجالات حياته: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، إن العلم شجرة لا بُدَّ لها من زكاة وثمرة، وزكاة العلم وثمرته العمل به وتعليمه مَن لا يعلمه قال الشاعر:

وَكُنْ عَامِلاً بِالعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ = لِيُهْدَى بِكَ المَرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الوَرَى وَهُدَاهُمُ = تَنَلْ كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ

إن واجب المسلم أن يُقابِل نِعَم الله بشكرها؛ بأداء ما افترض عليه، وأن يقابل أوامر الله ورسوله بالاستجابة والسمع والطاعة، راجيًا ثواب الله خائفًا من عقابه.

إن العلم بدون عمل طريق اليهود (المغضوب عليهم) الذين قالوا: (سمعنا وعصينا)، أعاذنا الله والمسلمين من طريقهم.

أيها الأساتذة الكرام، إن أبناء الأمَّة أمانة في أعناقكم، ووديعة بين أيديكم، فاتَّقوا الله فيهم ووجِّهوهم التوجيه السليم، وربوهم التربية الصحيحة على ضوء الكتاب والسنة اللذين لن يضلَّ مَن

تمسَّك بهما ولن يشقى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20- 21].

وفَّقكم الله لما يحبُّه ويرضاه، وجعلنا وإيَّاكم هُدَاة مهتدين، وهدانا جميعًا سواء السبيل.

* * *

63- ملاحظة

لُوحِظ أن بعض الأساتذة - هدانا الله وإياهم - يتهاونون بالصلاة، وهذه معصية كبرى تُوجِب الكفر ودخول النار، ومعلوم أن الصلاة هي عماد الدين الذي يقوم عليه، لا يفيد تاركها صوم ولا صدقة ولا أيُّ عمل، وهي الفارقة بين الإسلام والكفر: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمَن تركها فقد كفر))؛ رواه أهل السنن، والمدرسون مطلوب منهم تقويم دين الطلاب وأخلاقهم، وفاقد الشيء لا يعطيه؛ لذا يلزمنا ويتأكَّد علينا أن نتوب إلى الله - تعالى - توبة نصوحًا، وأن نحافظ على شعائر ديننا عمومًا وصلاتنا خصوصًا، وأن نصلح أنفسنا ونلزمها التقوى والاستقامة؛ لنفوز برضا الله وجنته، ونسلم من عذابه وسخطه، وأن نقود أولادنا وطلاَّبنا إلى الطريق السويّ والعمل الصالح بأقوالنا وأفعالنا وأخلاقنا، فعيونهم إلينا ناظرة، وآذانهم إلينا سامعة، ونحن قدوتهم في القول والعمل والخير والشر، وعلينا أن نفكر في نِعَم الله علينا وإحسانه إلينا بكلِّ أنواع الإحسان؛ حيث خلقنا ورزقنا وعافانا، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا، وأنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة؛ لكي نشكره بأداء ما افترضه علينا، فهل يليق بنا بعد ذلك أن نعصيه و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]؟

إنه لا ينفع عند الله ولا ينجي من عذابه إلا الإيمان الصادق والعمل الصالح ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: 37]، وطاعة الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 13- 14].

هذا، وإن تمني رحمة الله من غير عمل صالح غرورٌ من الشيطان وعجز بالإنسان، وقد بيَّن الله مَن يستحقُّ رحمته بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ [البقرة: 56]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 218]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ρ: ((الكيِّس مَن دان نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني))[253].

وأخبر النبي[254] ρ أن أمَّته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة؛ وهي مَن كان على مثل ما كان عليه النبي ρ وأصحابه، وهم المتمسِّكون بالكتاب والسنة علمًا وعملًا، واعتقادًا ودعوة، وحبًّا وبغضًا، وفعلًا وتركًا، فهل سلكنا طريق محمد ρ وعملنا صالحًا لننجو، أم فينا صبر وجلد على النار، أم نحن ممَّن يكذب بيوم الدين؟

إن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل، والموت أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد، وليس بعد الموت إلا الجنة في نعيم أبدي أو النار في عذاب سرمدي، فاتَّقوا الله أيُّها الأساتذة الكرام في أنفسكم وأولادكم وطلابكم، وقوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة، ولا تكونوا كالذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرَّتهم الحياة الدنيا ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

إخواني، هذه ملاحظة أخٍ لكم، دعاه إليها العمل بحديث: ((أحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك))[255]، وحديث: ((المؤمن مرآة أخيه))[256]، وقوله ρ: ((الدين النصيحة))، قلنا: لِمَن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله وللأئمَّة المسلمين وعامَّتهم))[257]، فتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

64- واجب الآباء نحو الأبناء

إخواني الكرام، أولادكم وفلذات أكبادكم شباب اليوم ورجال المستقبل أمانةٌ في أعناقكم سوف تُسألون عنها أمام الله يوم القيامة، قال ρ: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))؛ متفق عليه.

ألستم تقوهم برد الشتاء وحر الصيف؟ فنار جهنم أشدُّ حرًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُو أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾، وقد قمتم بتغذية أجسامهم منذ الصغر بالطعام والشراب وستر عوراتهم باللباس، وإذا مرض أحدهم أسرعتم به إلى الطبيب المعالج، وبذلتم في سبيل ذلك أغلى

---

(253) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم، ورمَز السيوطي لصحَّته.

(254) في حديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح.

(255) رواه أحمد والترمذي بلفظ: ((أحِبَّ للناس ما تحبُّه لنفسك)).

(256) أخرجه الطبراني بإسنادٍ حسن بلفظ: ((المؤمن مرآة المؤمن)).

(257) رواه مسلم.

ما تملكون محافظةً على صحَّتهم، وبذلك تستحقون الشكر والثناء والبر والدعاء، إلا أن هناك ما هو أهمُّ من ذلك كله وأعظم؛ وهو تغذية أرواحهم وإيمانهم، والعمل على إصلاح قلوبهم، التي بصلاحها صلاح الأجساد وبفسادها فساد الأجساد؛ كما قال الهادي البشير ρ: ((ألَا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألَا وهي القلب))؛ رواه البخاري ومسلم.

لذا نلفت أنظاركم إلى ضرورة استعمال ما يلي في حقهم:

1- القدوة الحسنة في القول والعمل؛ قال ρ: ((كلُّ مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه))؛ رواه أبو يعلي في "مسنده"، والطبراني في "الكبير"، والبيهقي في "السنن"، وقال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ فِينَا = عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

2- حملهم على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة في المساجد عمومًا، وخصوصًا صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ قال ρ: ((ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا))؛ متفق عليه، وقال - تعالى -: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فيجب علينا أن نمتثل أمر الله ورسوله ρ فيهم حيث قال: ((مروا أولادكم بالصلاة لسبعٍ واضربوهم عليها لعشر))؛ رواه أحمد وأبو داود.

وغير خافٍ عليكم منزلة الصلاة من الدين الإسلامي وأهميتها وعظيم شأنها وما أعدَّ لِمَن حافَظ عليها من الثواب ولِمَن تهاون بها من العقاب، وإنها شعار المسلم وعماد الدين والفارقة بين الإسلام والكفر.

3- العناية بالقرآن الكريم: تلاوة وحفظًا وتفسيرًا وعملًا، وإن ممَّا يحزُّ في النفس ويُؤلِم القلب أن أكثر الطلبة لا يُحسِنون قراءة القرآن الكريم من المصحف نتيجة التساهل والإهمال من الآباء والمدرسين ومن الطلبة أنفسهم لهذا الكتاب العزيز، الذي تضمَّن السعادة والنور والهدى والشفاء لِمَن تمسَّك به، وقد تكفَّل الله لِمَن قرأ القرآن، وعمل بما فيه ألاَّ يضلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وقد كان أصحاب رسول الله ρ إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزوها حتى يتعلموا معانيها ويعملوا بها.

لذا ننصح أبناءنا الطلبة أن يلتحقوا بالمدارس الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم الموجودة في كثيرٍ من المساجد بعد صلاة العصر وخصوصًا في الإجازة الصيفية؛ حيث تفتح هذه المدارس أبوابها للطلبة صباحًا ومساءً والتدريس فيها بالمجان، فليحفظوا أوقاتهم فيها حتى يكونوا من خير الناس؛ قال ρ: ((خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلمه))؛ رواه البخاري.

وليتوِّجوا آباءهم بذلك؛ ففي الحديث عن النبي ρ أنه قال: ((مَن قرأ القرآن وعمل به أُلبِس والداه تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا))؛ رواه أبو داود.

4- حملهم على صحبة الأخيار الصالحين الذين عرفوا الحق واتَّبعوه، وتحذيرهم من صحبة الأشرار والمنحرفين في دينهم وأخلاقهم فالمرء مُعتَبَر بقرينه، وسوف يكون على دين خليله فلينظر مَن يخالل، فكما يقلِّد الإنسان مَن حوله في أزيائهم يقلِّدهم في أعمالهم ويتخلَّق بأخلاقهم، قال حكيم: "نبِّئني من تصاحب أنبئك من أنت، وقال الشاعر:

وَاخْتَرْ مِنَ الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ = إِنَّ القَرِينَ بِالقَرِينِ يَقْتَدِي

5- حفظ الأوقات فيما ينفع في الدين والدنيا في مذاكرة الدروس وفي تلاوة القرآن الكريم وفي القراءة بالكتب النافعة، فإن الأوقات محدودة والأنفاس معدودة، وسوف يُسأَل الإنسان عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ فالعلم شجرة لا بُدَّ لها من زكاة وثمرة، وزكاة العلم وثمرته العمل به وتعليمه مَن لا يعلمه.

أيها الآباء الكرام، اعتنوا بأولادكم وربوهم بتربية الإسلام الصحيحة على وفق ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة والسيرة النبوية.

أيها الآباء الكرام، اعدلوا بين أولادكم في العطية، ولا تفضلوا بعضهم على بعض؛ فإن ذلك من أسباب الحقد والعقوق.

أيها الإخوة الكرام، إن مسؤوليتنا كبيرة أمام الله في أولادنا وأهلينا ذكورًا وإناثًا، لنغرس في قلوبهم محبة الله ومحبة رسوله ρ وصحابته الكرام وعباده الصالحين؛ فإن المرء مع مَن أحبَّ يوم القيامة، علِّموهم الصدق في القول والعمل والوفاء بالوعد وأداء الأمانة، وكونوا قدوة لهم في ذلك.

أيها الأبناء الكرام، انتهزوا فرصة الشباب والصحة والفراغ فيما يُسعِدكم في الدين والدنيا والآخرة، وذلك بالتمسُّك بتعاليم الإسلام الحنيف قولًا واعتقادًا وعملًا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162- 163]، وليكن همُّكم طاعة الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71]، ثم طاعة الوالدين في غير معصية الله؛ قال ρ: ((رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين))؛ رواه الترمذي وصحَّحه وابن حبان والحاكم.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

* * *

65- مسؤولية الطالب

أخي الطالب، درست من أجل العلم والعمل والنجاح والفوز والكرامة، ومن أجل ذلك يجب عليك ملاحظة ما يلي:

1- حسن النية في التعلم بأن تتعلم العلم لوجه الله، وإنقاذ نفسك ومجتمعك من الجهل، ولتعرف الحق فتعمل به والباطل فتجتنبه، ولا يكن همُّك الحصول على الشهادة أو الوظيفة فقط، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى.

2- العناية بدروسك ومذاكرتها وفهمها، وأن تجدَّ وتجتهد في ذلك مع الاستعانة بالله والتوكل عليه، فمَن جدَّ وجد، ومَن زرع حصد، ومَن توكَّل على الله كفاه، ومَن استعان بالله أعانه، ومن أسباب الفهم والنجاح أن تذاكر دروسك قبل شرحها، ثم تنتبه إلى شرح المدرس بجميع الحواس، ثم تسأله عمَّا أشكل عليك، ثم تذاكر دروسك بعد الخروج من المدرسة لترسخ في ذهنك.

3- العناية بالقرآن الكريم؛ دراسة وتدبرًا وحفظًا وتفسيرًا وعملًا؛ ليكون حجَّة لك عند ربك، وشفيعًا لك يوم القيامة، ولتكون من خير الناس؛ قال ρ: ((خيركم مَن تعلم القرآن وعلمه))؛ رواه البخاري.

والقرآن الكريم خيرُ كتابٍ أُنزل على أشرف رسول إلى خير أمَّة أُخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأسماها وأكملها، كما قال الله – تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقد تكفَّل الله لِمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألاَّ يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

4- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة في المساجد، فهي عماد الدين، والصلة برب العالمين، والفارقة بين الإسلام والكفر.

5- لا بُدَّ لك من أصدقاء، فإن وُفِّقت لمصادقة الأخيار وإلاَّ ابتُليت بمصادقة الأشرار، فعليك بصحبة الأخيار (المطيعين لله) ومحبتهم ومجالستهم وزيارتهم، والبعد عن الأشرار (العصاة لله)؛ فالمرء معتبر بقرينه، وسوف يكون على دين خليله فلينظر مَن يخالل، وأنت مع مَن أحببت يوم القيامة.

6- حفظ الأوقات فيما ينفع وصونها عمَّا يضرُّ؛ لأنك مسؤول عنها، ومحاسب عليها ومجزي على ما عملت فيها، والأوقات محدودة، والأنفاس معدودة، فاغتنم حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، فلا تضيعها بغير عمل، ولا تفرط بساعات عمرك الذاهب بغير عوض، واحفظ الله يحفظك، واتقِ الله حيثما كنت، واشغل لسانك بذكر الله، وجوارحك بطاعة الله، واغتنم شبابك قبل هرمك،

وصحتك قبل مرضك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وتذكَّر قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: 36].

7– بر الوالدين والإحسان إليهما، واللطف بهما والشفقة عليهما، وامتثال أمرهما ما لم يأمرا بمعصية الله، واجتناب نهيهما، وتذكر عطفهما عليك وإحسانهما إليك منذ الصغر بالطعام والشراب، واللباس والعلاج، والعطف والشفقة، والحنان والتربية والتعليم، وغير ذلك من أنواع الإحسان، وادعُ الله لهما في الحياة وبعد الممات، وتذكر قوله – تعالى –: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23– 24]، وقوله ρ: ((رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين))(258)، وإذا رضِي الله عنك فأنت من السعداء وقوله ρ: ((برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم))(259)، فالجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

8– احترام المدرِّسين وتوقيرهم وإجلالهم والإنصات لهم والتأدُّب معهم وقبول نصحهم، فليس منَّا مَن لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقَّه، وبقدر تأدُّب الطالب مع المدرسين يكون انتفاعه بالعلم وفهمه له، والمعلم شعلة تحرق نفسها لتضيء للناس، فلنعرف للمدرسين العاملين المخلصين فضلهم، ولنقدِّر لهم كرامتهم، ولنشكرهم على إخلاصهم ونصحهم في سبيل مصلحة أبنائهم الطلبة، ولندعو الله لهم بالتوفيق ولنتذكر قول الشاعر:

رَأَيْتُ أَحَقَّ الحَقِّ حَقَّ المعَلِّمِ = وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
لَهُ الحَقُّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةً = لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفُ دِرْهَمِ

وقول الآخر:

أُقَدِّمُ أُسْتَاذِي عَلَى نَفْسِ وَالِدِي = وَإِنْ نَالَنِي مِنْ وَالِدِي الفَضْلُ وَالشَّرَفْ
فَذَاكَ مُرَبِّي الرُّوحِ وَالرُّوحُ جَوْهَرٌ = وَهَذَا مُرَبِّي الجِسْمِ وَالجِسْمُ كَالصَّدَفْ

وقال غيره:

إِنَّ المعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَيْهِمَا = لاَ يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ = وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمَا

وقول الآخر:

---

(258) رواه الترمذي وصحَّحه، وابن حبان والحاكم.

(259) رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، والحاكم في "المستدرك".

شبكة الألوكة www.alukah.net

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ = كَادَ المعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولاَ

أَرَأَيْتَ أَفْضَلَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي = يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولاَ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ = عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ القُرُونَ الأُولَى

9- العمل بالعلم والدعوة إليه والصبر على ذلك؛ ليثمر علمك ويزكو وينمو، فتنتفع به وينتفع به غيرك، ومَن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، فالعلم شجرة لا بُدَّ لها من زكاة وثمرة، وزكاة العلم وثمرته العمل به وتعليمه مَن لا يعلمه، ومراتب العلم: سماعه، ثم عقله، ثم تعاهده، ثم تبليغه، ومراتب العلم والعمل ثلاثة: رواية: وهي حمل المرويّ، ودراية: وهي فهمه، ورعاية: وهي العمل به، وقد قال ρ: ((بلغوا عني ولو آية))؛ رواه البخاري، وقال: ((نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وقال - تعالى -: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

وفي فضل العلم والعلماء قال الله - تعالى -: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلمًا﴾ [طه: 114]، ﴿قُل هَل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

وقال ρ: ((مَن يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين))؛ متفق عليه، ((ومَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة))؛ رواه مسلم، وقال: ((مَن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))؛ رواه الترمذي.

فهنيئا لطلاب العلم العاملين به بهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم.

أخي الطالب، أرجو أن تتذكَّر دائمًا هذه النقاط المهمَّة وأن تقول: سمعنا وأطعنا.

* * *

66- الجليس الصالح وكيف نختاره

جليسك الصالح يشعر بشعورك، ويعتني بشؤونك، ويهتمُّ بأمورك؛ يفرح بفرحك، ويحزن بحزنك، ويسرُّ بسرورك، يحبُّ لك ما يحبُّ لنفسه، ويكره لك ما يكره لنفسه، وينصح لك في مشهدك ومغيبك، يأمرك بالخير وينهاك عن الشر، ويُسمِعك العلم النافع والقول الصادق والحكمة البالغة، ويحثُّك على العمل الصالح المثمِر، ويذكِّرك نعم الله عليك لكي تشكرها، ويعرفك عيوب نفسك لكي تجتنبها، ويشغلك عمَّا لا يعنيك.

وهكذا أستاذك الصالح؛ يُجهِد نفسه في تعليمك وتفهيمك وإصلاحك وتقويك، يُطالِبك بالعمل وينتظر من ظاهرك ثمرة ما يغرس في باطنك، إذا غفلت ذكرك، وإذا أهملت أو مللت بشَّرك وأنذرك، وليس في الجلساء مَن ينفك ويضرُّك شره كالأستاذ الذي يعدُّ لك أبًا ثانيًا، وكما يكون هو تكون أنت، والجليس الصالح يسدُّ خلَّتك، ويغفر زلَّتك، ويُقِيل عثرتك، ويستر عورتك، وإذا اتجهت إلى الخير حثَّك عليه ورغَّبك فيه، وبشَّرك بعاقبة المتقين وأجر العاملين، وقام فيه معك وكان لك عونًا عليه، وإذا تكلَّمت بسوء أو فعلت قبيحًا زجرك عنه ومنعك منه، وحال بينك وبين ما تريد، جليسك الصالح لا يملُّ قربك ولا ينساك على البعد وإن حصل لك خير هنَّأك، وإن أصابتك مصيبة عزَّاك، يسرُّك إذا حضرت بحديثه، ويرضيك بأفعاله، ويحضر بك مجالس العلم وحِلَق الذكر وبيوت العبادة، ويزيِّن لك الطاعة بالصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله، وكف الأذى واحتمال المشقَّة، وحسن الجوار وجميل المعاشرة، ويقبِّح لك المعصية ويذكِّرك ما يعود به الفساد عليك من الويل والشقاء في عاجل الأمر وآجله، وما زال ينفعك ويرفعك ويزجرك ويردعك حتى يكون كبائع المسك وأنت المشتري، ولصلاحه ونصحه لا يبيع عليك إلا طيبًا ولا يعطيك إلا جيدًا، وإن أبيت الشراء طيَّبك وصبَّ عليك العطر، فلا تمر بشارع ولا تسلك طريقًا الا وعبق منك الطيب وملأت به الأنوف، وأولئك هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم.

تنزل عليهم الرحمة فيشاركهم فيها، ويهمُّ بالسوء فلا يقوله ولا يستطيع فعله، إمَّا مخافة من الله وإمَّا حياء من الناس، فالخير الذي تصيبه من جليسك الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر؛ فإنه إمَّا أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يُهدِي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرُّك، فيحثُّك على طاعة الله وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله، فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطِّبَاع والأرواح جنودٌ مجنَّدة، يقود بعضها بعضًا إلى الخير أو إلى ضدِّه، وفي الحديث: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل))(260)، وفي الحكمة المشهورة: لا تسأل عن المرء واسأل عن قرينه.

وأقلُّ ما تستفيده من الجليس الصالح أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي رعايةً للصحبة ومنافسةً في الخير وترفُّعًا عن الشر، وفوائد الأصحاب الصالحين لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

وأمَّا قرين السوء فهو بضدِّ ذلك كلِّه فإنك إن لم تشاركه في إساءته أخذت بنصيب وافر من الرضا بما يصنع والسكوت على شرٍّ تخاف منه وتحذره، وتحتاط لحفظ كرامتك من أن يمزِّقها، أو أن

(260) رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

يُسمِعك عن نفسك أو عن الآخَرين ما لا تحبُّ، فهو كنافخ الكير وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك، ويملأ أنفك بالروائح الكريهة، وأنت وإيَّاه في الإثم سواء، ومَن أعان على معصية ولو بشطر كلمة فهو كالفاعل، وكلُّ كلام لا يحلُّ فهو من اللغو الذي مدح الله تاركيه بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: 55]، وقد يكون جليس السوء قويًّا لا تستطيع مقاومته ولا الإنكار عليه فخيرٌ لك الابتعاد عنه؛ لئلاَّ تقع في معصيتين: السكوت على الباطل، وموافقة أهله.

وفي مجالس الشرِّ تقع الغِيبَة والنميمة والكذب واللعن وكلُّ كلام فاحش، ويقع اللهو والطرب وممالأة الفسَّاق ومجاراتهم على الإسراف في الإنفاق والخوض في الباطل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 68].

وإن أعظم مثل يصوِّر لنا خطر جليس السوء ما حصل لأبي طالب عمِّ النبي ρ عند وفاته؛ فقد جاء إليه النبيُّ ρ حين احتضاره وهو يلفظ آخر أنفاسه فقال له رغبةً في إسلامه: ((يا عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله))، فقال له أبو جهل وكان جالسًا عنده: أترغب عن ملَّة عبدالمطلب؟ فرسول الله ρ يلقِّنه الإسلام وأبو جهل يلقِّنه الكفر إلى أن مات وهو يقول: هو على ملِّة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله[261] بسبب جليس السوء.

فمصاحبة الأشرار ومجالستهم مضرَّة من جميع الوجوه على مَن صاحبهم وشرٌّ على مَن خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم قادوا أصحابهم في المهالك، وقد قال الله - تعالى - مخبرًا عن معاقبة الظالمين سلوك طريق المؤمنين وندمهم على مصاحبة المضلين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27- 29]، وقال النبي ρ: ((لا تصحب إلا مؤمنًا))[262]، ويقول الشاعر:

وَاخْتَرْ مِنَ الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ = إِنَّ القَرِينَ بِالقَرِينِ يَقْتَدِي
وَصُحْبَةُ الأَشْرَارِ دَاءٌ وَعَمَى = تَزِيدُ فِي القَلْبِ السَّقِيمِ السَّقَمَا
فَإِنْ تَبِعْتَ سُنَّةَ النَّبِيءْ = فَاجْتَنِبَنَّ قُرَنَاءَ السُّوءْ

وقال ρ: ((مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يحذيك، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد ريحًا طيبة، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد

(261) الحديث في قصة وفاة أبي طالب مخرَّج في الصحيحين.

(262) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم ورمز السيوطي لصحته.

منه ريحًا خبيثة))[263]، صدق رسول الله ρ فما أروعه من مثل يصوِّر لنا حقيقة الجليس وما ينتج عنه من نفع أو ضر، وخير أو شر، وطيب أو خبث، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]، اللهم وفِّقنا للجلساء الصالحين والأصدقاء الناصحين، وزيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، آمين يا رب العالمين، وصلى الله علي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انظر: "إصلاح المجتمع"؛ للبحاني: ص 362- 365.

و"بهجة قلوب الأبرار"؛ لابن سعدي: ص 177- 179.

و"أحاديث الجمعة"؛ للشيخ عبدالله بن قعود: ص 93- 96.

* * *

67- بر الوالدين

أيها المسلم الكريم، إذا أردت النجاح في الدنيا والآخرة فاعمل بالوصايا الآتية:

1- خاطِب والديك بأدبٍ ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

2- أطِع والديك دائمًا في غير معصية؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

3- تلطَّف بوالديك ولا تعبس في وجوههما، ولا تحدق النظر إليهما غاضبًا.

4- حافِظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما، ولا تأخذ شيئًا بدون إذنهما.

5- اعمل ما يسرُّهما ولو في غير أمرهما؛ كالخدمة، وشراء اللوازم، والاجتهاد.

6- شاورهما في أعمالك كلها، واعتذر لهما إذا اضطررت للمخالفة.

7- أجِب نداءهما مُسرِعًا بوجهٍ مبتسم قائلًا: لبيك يا أبي، لبيك يا أمي.

8- أكرِم صديقهما وأقرباءهما ولا تصادق عدوَّهما في حياتهما وبعد موتهما.

9- لا تجادلهما ولا تخطِّئهما، وحاول بأدبٍ أن تبيِّن لهما الصواب.

10- لا تعاندهما ولا ترفع صوتك عليهما، وأنصت لحديثهما وتأدَّب معهما، ولا تزعج أحد إخوتك إكرامًا لواديك.

11- ساعِد أمَّك في البيت، ولا تتأخَّر عن مساعدة أبيك في عمله.

12- لا تسافر إذا لم يأذنا لك ولو لأمر مهم، فإن اضطررت فاعتذر لهما ولا تقطع رسائلك

(263) رواه البخاري ومسلم.

عنهما.

13- لا تدخل عليهما بدون إذنهما، ولا سيما وقت النوم وراحتهما.

14- إذا كان عندهما ضيف فقم بالخدمة، وراقِب نظرهما لعلهما يريدان شيئًا.

15- لا تتناول طعامًا قبلهما، وأكرمهما في الطعام والشراب واللباس.

16- لا تكذب عليهما، ولا تلمهما إذا عملَا عملًا لا يعجبك.

17- لا تفضل زوجتك وأولادك عليهما، واطلب رضاهما قبل كلِّ شيء؛ فرضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين.

18- لا تجلس في مكانٍ أعلى منهما، ولا تمشِ أمامهما.

19- لا تتكبَّر من الانتساب إلى أبيك ولو كنت موظفًا كبيرًا، واحذر أن تنكر معروفهما أو تؤذيهما ولو بكلمة واحدة.

20- لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك، فهذا عار عليك، وسترى ذلك من أولادك فكما تَدين تُدان، والجزاء من جنس العمل.

21- أكثِر من زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما، واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك، واعتبر بأولادك وما تقاسيه معهم.

22- أحقُّ الناس بالإكرام أمك ثم أبوك، واعلم أن الجنة تحت أقدام الامهات.

23- احذر عقوقَ الوالدين وغضبهما فتشقى في الدنيا والآخرة، وسيُعاملك أولادك بمثل ما تُعامل به والديك.

24- إذا طلبت شيئًا من والديك فتلطَّف بهما، واشكرهما إن اعطايك، واعذرهما إن منعاك، ولا تُكثِر طلباتك لئلاَّ تزعجهما.

25- إذا أصبحت قادرًا على كسب الرزق فاعمل وساعد والديك، فأنت ومالك لأبيك.

26- إن لوالديك عليك حقًّا، ولزوجتك عليك حقًّا، ولأولادك عليك حقًّا، ولإخوتك عليك حقًّا، فاعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وحاوِل التوفيق بين هذه الحقوق إن اختلفت، وقدِّم لهما الهدايا سرًّا وجهرًا، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء.

27- إذا اختصم أبواك مع زوجتك فكُن حكيمًا، وأفهم زوجتك أنك معها إن كان الحقُّ لها، وأنك مضطرٌّ لتُرضِي والديك.

28- إذا اختلفت مع والديك في الزواج والطلاق فاحتكموا إلى الشرع، فهو خير عونٍ لكم.

29- دعاء الوالدين مُستجاب، فاحرِص على أن يدعو لك بالخير، واحذر دعائهما عليك

بالشر.

30- تأدَّب مع الناس، فمَن سبَّ الناس سبوه قال ρ: ((من الكبائر شتم الرجل والديه))، ((يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه))؛ متفق عليه.

31- زُرْ والديك في حياتهما وبعد موتهما، وتصدَّق عنهما، وأكثِر من الدعاء لهما قائلًا: ربِّ اغفر لي ولوالدي، ربُّ ارحمهما كما ربَّياني صغيرًا.

* * *

68- دور الشباب المسلم في الحياة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وزيَّنه بالعلم والعقل، وميَّزه على الحيوان البهيم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، وكرَّمه بأنواع التكريم، وحمله في البر والبحر والجو، ورزقه من الطيِّبات، وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وفضَّله على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلًا: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1- 5]، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الذي أرسله رحمةً للعالمين، وأخرج به الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور التوحيد والإيمان والعلم والمعرفة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 151- 152]، فلله الحمد والشكر والثناء أولًا وآخر، وظاهرًا وباطنًا.

وبعد، فإن الشباب في كلِّ أمَّة عماد نهضتها وشرايينها التي تقوم عليها، وهم رجال المستقبل المنتظر، فهم العاملون بما يجب عليهم من واجبات لله رب العالمين، ثم لأمَّتهم وبلادهم والذود عنها وعن مقدساتها والتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس في سبيل رخائها وسعادتها وعزها وكرامتها، ولا يكون الشباب كذلك إلا إذا تمسَّكوا بدينهم وأخلاقهم الإسلامية المستفادة من كتاب ربهم وسنَّة نبيهم محمد ρ اللذين لن يضلَّ مَن تمسَّك بهما ولن يشقى، فإذا اتَّصف الشباب بهذه الصفة السامية حينئذ يحقُّ للأمَّة أن تعتزَّ وتفخر بهم.

وأحد السبعة الذين يُظِلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: شابٌّ نشأ في عبادة الله - تعالى - فإذا نشأ الشابُّ المسلم القوي المالك لأمر نفسه في طاعة الله واستعمل جسمه وروحه وماله وما أنعم الله به عليه في مرضاته - فقد استحقَّ من الله خير الجزاء، وكان محبوبًا في أهله وقومه ومواطنيه؛ لأنه يريد الخير ويفعله، وإن عجز عنه دعا إليه ورغَّب فيه وأثنى على فاعله، وإن عرضت له معصية وزيَّنها له الشيطان لم يمنعه منها إلا دينه وخوف الله وما جبل عليه من طاعة الله والاشتغال بعبادته، وهو الذي يستطيع الجهاد في سبيل الله، وكسب المال من حلِّه، وبر والديه، وتربية أبنائه وصغار إخوانه، وخدمة بلاده ونفع أمَّته، فهو الجندي في الميدان، والتاجر في السوق، والفلاح في المزرعة، والطبيب في المستشفى، والعامل في المصنع، والعضو الصحيح في الجمعيات إذا دعي إلى الخير لبَّى، وإذا رأى الشر أو سمع به أزاله وحارَب أهله، وإذا فقد النصير ابتعد عنه وأنكره بقلبه ولسانه.

وما ظهر الدين وعرف الناس شرائع النبيين إلا بفضل الشباب الصالحين الذين استجابوا لله والرسول، والتاريخ أصدقُ شاهدٍ بفضل الشباب الناشئين في طاعة الله؛ من أمثال علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، وخالد بن الوليد، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، ومحمد بن القاسم - رضِي الله عنهم -وأرضاهم - فهنيئًا لشابٍّ تقي تعلَّق قلبه بالمساجد ومجالس الخير وعمل الصالحات، واغتنم شبابه قبل هرمه، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل مماته.

ومَن علم أن الشباب ضيف لا يعود وفرصة إذا مرت لا رجوع لها - شغله بطاعة الله، واستعان به على الصالح لدينه ودنياه، ومَن أتبع نفسه هواها، وقاده الشيطان بزمام الشباب إلى الذنوب والمعاصي والمهالك - ندم حين لا ينفع الندم، وأكرم الناس نفسًا وأنداهم كفًّا وأطيبهم قلبًا وأرقهم عاطفة وأصدقهم عزمًا - هو الشابُّ المؤمن التقي الذي يجلُّ الكبير ويحترمه، ويحنُّ على الصغير ويرحمه، لا تسمعه إلا مهنئًا أو معزيًا، أو مشجعًا أو مسليًّا أو مسلمًا، ولا تراه إلا هاشًّا باشًّا طلق الوجه مبتسمًا يحليه إيمانه بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويُبعِده دينه عن طيش الصغر وإصرار الكبر، وجديرٌ بشابٍّ هذا شأنه أن يظلَّه الله في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، وأن يكون آمِنًا إذا فزع الناس أجمعون، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فالشباب فرصة ثمينة لا تُعوَّض يجب اغتنامها فيما ينفع الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، قال الشاعر:

وَإِنَّمَا غَنِيمَةُ الإِنْسَانِ = شَبَابُهُ وَالخُسْرُ فِي التَّوَانِ
مَا أَحْسَنَ الطَّاعَاتِ لِلشُّبَّانِ = فَاسْعَوْا لِتَقْوَى اللهِ يَا إِخْوَانِي
وَعَمِّرُوا أَوْقَاتَكُمْ بِالطَّاعَهْ = وَالذِّكْرِ كُلَّ لَحْظَةٍ وَسَاعَهْ
وَمَنْ تَفُتْهُ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ = تَكُنْ عَلَيْهِ حَسْرَةً فِي قَبْرِهِ
وَمَنْ يَكُنْ فَرَّطَ فِي شَبَابِهِ = حَتَّى مَضَى عَجِبْتُ مِنْ تَبَابِهِ
وَيَا سَعَادَةَ امْرِئٍ قَضَاهُ = فِي عَمَلٍ يُرْضِي بِهِ مَوْلَاهُ
أَحَبَّ رَبِّي طَاعَةَ الشُّبَّانِ = يَا فَوْزَهُمْ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ

ولا يمكن للأمَّة أن تتقدَّم إلا إذا تكاتف شبابها وتعاونوا فيما بينهم على ما يحقق وحدتهم ورقيِّهم وسعادتهم ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

وتسلَّحوا بالعلم والمعرفة، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عمَّا نهاهم الله عنه ورسوله، فإن السعادة كلها في طاعة الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

والشقاوة كلها في معصية الله ورسوله ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، والطاعة لله ورسوله تتمثَّل بالعمل بما يأتي:

1- إخلاص الدين لله وحده لا شريك له في القول والاعتقاد والعمل، والحب والبغض، والفعل والترك ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

2- العناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا وتفسيرًا وعملًا، فهو خير كتاب أُنزِل على أشرف رسول إلى خير أمَّة أُخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأسماها وأكملها؛ كما قال - تعالى -: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وفي الحديث الصحيح: ((خيركم مَن تعلم القرآن وعلمه))(264).

3- العناية بالسنَّة المطهَّرة والسيرة النبوية، فلنا فيهما عِظَة وعبرة، ولنا فيهما قدوة حسنة لِمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا؛ قال ρ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به))(265).

4- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة في حق الرجل، فهي عماد الدين،

---

(264) رواه البخاري.

(265) قال النووي: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

والصلة برب العالمين، والفارقة بين الإسلام والكفر.

5- حفظ الأوقات فيما ينفع؛ مثل: تلاوة القرآن الكريم، وقراءة الكتب النافعة، وزيارة الأحباب لله وفي الله، وصونها عمَّا يضر في الملاعب والملاهي، ثم مراقبة الله - تعالى - في المتجر والمصنع والمزرعة والوظيفة، وفي جميع المجالات والأزمنة والأمكنة؛ فإن الله يراك ويسمعك ويعلم ما يكنُّه ضميرك، وأنت مسؤول عن وقتك في أيِّ شيء قضيته، والأوقات محدودة والأنفاس معدودة، فاغتنم حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، فلا تضيعها بغير عمل، ولا تفرط بساعات عمرك الذاهب بغير عوض، فإنك محاسَب عليها ومسؤول عنها، ومجازى على ما عملت فيها.

6- اختيار الأصحاب الصالحين والجلساء الناصحين الذين عرفوا الحق واتبعوه والباطل واجتنبوه، والمرء معتبر بقرينه، وسوف يكون على دين خليله فلينظر مَن يخالل، وأنت مع مَن أحببت يوم القيامة، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم قال حكيم: نبئني مَن تصاحب أنبئك مَن أنت، وقال الشاعر:

وَاخْتَرْ مِنَ الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ = إِنَّ القَرِينَ بِالقَرِينِ يَقْتَدِي

* * *

إِذَا مَا صَحِبْتَ القَوْمَ فَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ = وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

7- العمل بشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة، القولية والاعتقادية والعملية، وفي مقدمة ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بالبعث والجزاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بمعرفة معناها، والعمل بمقتضاها، والقيام بشروطها ولوازمها، وإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، في حقِّ الرجل، وإيتاء زكاة الأموال إلى مستحقِّيها والحفاظ على صوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وبر الوالدين وطاعتهم في غير معصية الله، وصلة الأقارب والإحسان إليهم، والإحسان إلى الجيران وعدم أذيَّتهم، ومحبة مَن أطاع الله وبغض مَن عصاه وموالاة مَن والاه ومعاداة مَن عاداه.

وذلك أوثق عُرَى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله، والبعد عمَّا حرمه الله ورسوله من المطاعم والمشارب والملابس والملاهي المحرَّمة، وعدم تشبُّه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، وعدم التشبُّه بالكفار في السلام واللباس، وغير ذلك ممَّا هو مختصٌّ بهم.

وعلى العموم التمسُّك بفعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات القولية والعملية، فإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، والحلال ما أحلَّه الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وقد أحلَّ الله لنا الطيبات النافعة، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا لنستفيد منه وننتفع به، وحرَّم علينا

الخبائث الضارة لأجسامنا وصحتنا وعقولنا وأموالنا؛ رحمة بنا وإحسانًا إلينا؛ قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، فلله الحمد والشكر والثناء زنَة عرشه، ورضا نفسه، وعدد خلقه، ومداد كلماته، أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحية للشباب المسلم:

قال الشاعر:

أُهْدِي الشَّبَابَ تَحِيَّةَ الإِكْبَارِ = هُمْ كَنْزُنَا الغَالِي وَذُخْرُ الدَّارِ
مَا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ = إِلاَّ شَبَابًا شَامِخَ الأَفْكَارِ
أَشَبَابَ دِينِي يَا حُصُونًا لِلْعُلاَ = أُهْدِيكِ حُسْنَ الحُبِّ فِي أَشْعَارِ
مَنْ يَجْعَلِ الإِيمَانَ رَائِدَهُ يَفُزْ = بِكَرَامَةِ الدُّنْيَا وَعُقْبَى الدَّارِ

* * *

السيرة النبوية

69- لمحات من حياة الرسول ρ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه، وبعد:

فإن معرفة أحوال النبي ρ من أهمِّ المهمات؛ لأنه القدوة الأكمل والمعلم الأكبر: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

امتاز ρ بين قومه قبل الرسالة بالصدق والتواضع والزهد والأمانة حتى سموه الأمين، وكانوا يُودِعون عنده ودائعهم وأماناتهم، وكان يكره أعمال الجاهلية فلم يشرب خمرًا قطُّ، ولم يحضر للأوثان عيدًا ولا احتفالًا، ولما قارَب الأربعين من عمره أحب الانقطاع عن الناس فكان يخلو في غار حراء ليعبد الله، ولما بلغ الأربعين من عمره بعثه الله نبيًّا ورسولًا، فنزل عليه الروح الأمين جبريل وهو يتعبَّد في غار حراء وقال له: (اقرأ)، قالها ثلاثًا ورسول الله ρ يقول له في كل مرة: ((ما أنا بقارئ))؛ لأنه ما كان يعرف القراءة قبل ذلك فقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1- 5].

ثم انقطع عنه الوحي بعد ذلك مدَّة حتى اشتدَّ شوقه إليه، ثم نزل عليه قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 1- 7]، فبدأ بالدعوة سرًّا، وبهذه الآية صار رسولًا، وأوَّل مَن آمَن به من الرجال أبو بكر الصديق، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن المماليك بلال بن رباح، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خُوَيلد، ودعا أبو بكر مَن يثق به من قريش فأجابه إلى الإسلام جمعٌ كثير، والدعوة إلى الله - تعالى - عن علم وبصيرة طريق مَن اتَّبع هذا النبي ρ .

الجهر بالدعوة:

مضت ثلاث سنين والرسول ρ يدعو الناس سرًّا ثم نزل عليه قوله - تعالى -: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]، فجهر بالدعوة وصدع بها ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهرًا، دعا إلى توحيد الله - تعالى - وترك عبادة الأصنام وتعظيمها والابتعاد عن المنكرات والمحرمات، فمنهم مَن آمَن به، ومنهم مَن صدَّ عنه وسخر منه، واستهزأ بدعوته وناصَبَه العداوة، وكان من أشدِّ أعدائه أبو جهل وعمُّه أبو لهب، فاحتمل أذاهم واستمرَّ يدعو إلى الله وعمُّه أبو طالب يذود عنه ويحميه، وقد انتقم الله من جميع المستهزئين برسوله بعد الهجرة؛ فمنهم مَن قُتِل، ومنهم من أهلكته الأمراض.

وكان ρ يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الإسلام وأن يمنعوا عنه أذى قومهم فيقول: ((مَن يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي !))، أقام ρ في مكة عشر سنوات يدعو إلى التوحيد ويهدم قواعد

الشرك، وبعدها عُرِج به إلى السماء، وفُرِضت عليه وعلى أمَّته الصلوات الخمس، فصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة دار الإسلام، فلمَّا هاجر إلى المدينة معزَّزًا منصورًا أُمِر ببقية شرائع الإسلام؛ مثل: الزكاة والصوم، والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أقام في المدينة عشر سنوات يُجاهِد اليهود والكَفَرة، والمشركين والمنافقين، والقرآن ينزل عليه ببيان الأحكام وحلِّ المشاكل، وظلَّ يُجاهِد ويُناضِل في سبيل الله وإعلاء كلمته حتى نصره الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وبلغ عدد غزواته التي حضرها بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وعدد سراياه التي لم يحضرها سبع وأربعين سريَّة وأهم غزواته: (بدر الكبرى – وأحد – والأحزاب – والحديبية – والفتح – وحنين)، فلمَّا أن أكمل الله له ولأمَّته دينهم وأتمَّ به النعمة وبلَّغ رسالة ربه، اختاره الله إلى جواره، فتوفي وقد انتشر الإسلام قبل وفاته في جزيرة العرب كلها.

صفاته ρ:

اتَّصف ρ بجميع صفات الكمال الحميدة؛ فكان أشدَّ الناس حياءً وأكثرهم أدبًا، واشتهر بين قومه بالنزاهة والكرم، والذكاء والتواضع، والأمانة والعفَّة، وكان ρ أحسن الناس خلقًا، جميل الصورة، أبيض اللون مشربًا بحمرة، طيب الرائحة، وقد أوجب الله على الأمَّة محبَّة هذا الرسول الكريم الذي هو بأمَّته رؤوف رحيم، كما أوجب عليهم تصديقه ومتابعته، ورتَّب على ذلك سعادة الدنيا والآخرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

70 – من خصائص النبي ρ

قال في "الإقناع": خُصَّ النبي ρ بواجبات ومحظورات ومباحات وكراهات، وأكرم وجعل خير الخلائق أجمعين، وأمَّته أفضل الأمم وجُعِلت شهداء على الأمم بتبليغ الرسل إليهم، وأصحابه خير القرون، وأمَّته معصومة من الاجتماع على الضلالة، وإجماعهم حجة، ونسَخ شرعُه الشرائع، وجعل كتابه معجزًا ومحفوظًا من التبديل، وجعل أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم، ويلزم كل واحد أن يقيه بنفسه وماله، وأن يحبَّه أكثر من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وحرم على غيره نكاح زوجاته بعد موته، وهنَّ أزواجه في الدنيا والآخرة وجُعِلن أمهات المؤمنين في تحريم النكاح ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم عقوقهن، وأولاد بناته يُنسَبون إليه دون أولاد بنات غيره، والنجس منَّا طاهر منه، وهو طاهر

بعد موته بلا نزاع بين العلماء، وساوى الأنبياء في معجزاتهم وانفرد بالقرآن، وجُعِلت له ولأمَّته الأرض مسجدًّا وطهورًا، ونُصِر بالرُّعْبِ مسيرةَ شهرٍ، وبُعِث إلى الناس كافَّة وأُعطِي الشفاعة العظمى والمقام المحمود، ومعجزاته باقية إلى يوم القيامة، ونبع الماء من بين أصابعه بركةً من الله – تعالى – حلَّت في الماء بوضع أصابعه فيه فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه، لا أنه يخرج من بين اللحم والدم كما ظنَّه بعض الجهَّال، قاله في "الهدي"، ومَن دعاه وهو يصلِّي وجب عليه قطعها وإجابته وتطوُّعه ρ بالصلاة قاعدًا كتطوُّعه قائمًا في الأجر، وهو سيِّد ولد آدم، وأوَّل مَن تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة، وأوَّل شافع وأوَّل مشفَّع وأوَّل مَن يَقْرَع باب الجنة، وهو أكثر الأنبياء تبعًا وأُعطِي جوامع الكلم، وصفوف أمَّته في الصلاة كصفوف الملائكة، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يرفع صوته فوق صوته ولا يناديه باسمه فيقول: يا محمد، بل يقول: يا رسول الله، يا نبي الله، ويُخاطَب في الصلاة بقوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولو خاطَب مخلوقًا غيره بطلت صلاته، وخاطب إبليس باللعنة في صلاته فقال: ((ألعنك بلعنة الله))، ولم تبطل، وكانت الهديَّة حلالًا له، بخلاف غيره من أولياء الأمور فلا يجوز لهم أخذ الهدايا من الرعايا؛ لقوله ρ: ((هدايا العمال غلول))[(266)]؛ أي: خيانة، ومَن رآه في المنام فقد رآه حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتخيَّل به، وكان لا يتثاءب، وعُرِض عليه الخلق كلُّهم من آدم إلى مَن بعده كما علَّم آدم أسماء كلِّ شيء ويبلغه سلام الناس بعد موته، والكذب عليه ليس ككذبٍ على غيره، ومَن كذب عليه متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ولا ينتقض وضوؤه بنومه ولو مضطجعًا، ويرى خلفه كما يرى أمامَه رؤية بالعين حقيقة والدفن في البنيان مختصٌّ به لئلاَّ يتَّخذ قبره مسجدًا، وخصَّ بصلاة ركعتين بعد العصر، ولم يكن له أن يهدي ليعطي أكثر منه، ومن الواجبات التي خصَّ بها ρ الوتر، والسواك لكلِّ صلاة، والأضحية، وركعتا الفجر، والمشاورة في الأمر مع أهله وأصحابه، ومصابرة العدو الكثير، للوعد بالنصر، ومُنِع من أخْذ الصدقة والزكاة على قرابتيه وهما بنو هاشم وبنو المطلب، وأُبِيح له أن يتزوَّج بأيِّ عدد شاء، وله التزوج بلا ولي ولا شهود وبلا مهر وبلفظ الهبة، وله أن يتزوَّج في زمن الإحرام وأُبيح له الوصال في الصوم وخمس خمس الغنيمة، والصفي من المغنم؛ وهو ما يختاره من المغنم قبل القسمة، وجعلت تركته صدقة فلا يورث، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين[267]، انتهى ملخصًا.

* * *

(266) رواه أحمد والبيهقي في "السنن"، ورمَز السيوطي لضعفه.

267 "الإقناع في فقه الإمام أحمد": ج2، ص 162- 167.

71- ذكر شيء من معجزات النبي ρ

المعجزات: جمع معجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدِّي، وهو ρ أكثر الأنبياء معجزات، وقد قيل: إنها تبلغ ألفًا، وقيل: ثلاثة آلاف سوى القرآن؛ فإن فيه ستين ألف معجزة تقريبًا، وقد جُمِع له كل ما أُوتيه الأنبياء من معجزات وخصائص وفضائل، ولم يُجمَع ذلك لغيره فمنها:

1- القرآن الكريم: وهو أعظم المعجزات الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإن القرآن معجزة إلى يوم القيامة.

2- إنشقاق القمر ليلة البدر حتى افترق فرقتين كما قال - تعالى -: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1].

3- أن الله زوى - أي: جمع - له الأرض كلها، فضمَّ بعضها لبعض حتى رآها وشاهَد مغاربها ومشارقها، قال: وإن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها.

4- حنين الجذع إليه لما فارَقَه إلى المنبر، وصار يخطب على المنبر بعدما كان يخطب عليه، ولم يسكن حتى أتى إليه، فضمَّه وأعتنقه فسكن.

5- نبع الماء من بين أصابعه؛ رواه البخاري.

6- تسبيح الحصى بيده، رواه ابن عساكر من حديث أبي داود وغيره.

7- تسبيح الطعام حين وُضِع عنده - أي: بين يديه - فنطق، كما في البخاري عن ابن مسعود.

8- تسليم الحجر والشجر عليه بالنطق؛ رواه أبو نعيم في "دلائل النبوة".

9- تكليم الذراع له ρ فأخبره أنه مسموم؛ رواه البخاري.

10- أن البعير شكا إليه الجهد - أي: المشقَّة - أن صاحبه يجيعه ويتعبه؛ رواه أبو داود.

11- شهادة الذئب له بالنبوَّة؛ رواه الطبراني وأبو نعيم.

12- أنه جاء مرَّة إلى قضاء الحاجة ولم يجد شيئًا يستتر به سوى نخلة صغيرة وأخرى بعيدة عنها، ثم أمر كلًّا منهما، فأتتا إليه فسترتاه حتى قضا حاجته، ثم أمر كلًّا منهما بالمضيِّ إلى مكانها؛ رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي.

13- أنه قربت منه ستٌّ من الإبل لينحرها، فصارت كلُّ واحدة تقرب منه ليبدأ بها؛ رواه أبو داود والنسائي.

14- أن عين قتادة بن النعمان الأنصاري سقطت يوم أحد فردَّها؛ فكانت المردودة أحدَّ من العين الصحيحة؛ رواه الحاكم وغيره من عدَّة طرق.

15- أن عين علي بن أبي طالب τ برأت من الرمد حين تفل فيها؛ متفق عليه.

16- أن عبدالله بن عتيك الأنصاري أُصِيبت رجله حين نزل من درج إلى رافع ابن أبي الحقيق لما قتله، فمسَحَها بيده الشريفة فبرأت؛ رواه البخاري.

17- أن أُبيَّ بن خلف كان يلقى المصطفى فيقول: إن عندي قعودًا أعلفه كلَّ يوم أقتلك عليه، فيقول: ((بل أنا أقتلك - إن شاء الله))، فطعنه يوم أحد في عنقه، فخدشه غير كثير، فقال: قتلني محمد، فقالوا: ليس بك بأس، قال: إنه قال: ((أنا أقتلك))، فلو بصق عليَّ لقتلني، فمات.

18- أنه أخبر أميَّة بن خلف أنه يقتله، فقُتِل كافرًا يوم بدر؛ رواه البخاري.

19- أنه عدَّ لأصحابه في بدر مصارع الكفار، فقال: ((هذا مصرع فلان غدًا)) ويضع يده على الأرض، ((وهذا، وهذا))، فكان كما وعد، وما تجاوز أحد منهم موضع يده؛ رواه أبو داود.

20- أنه أخبر عن طوائف من أمَّته أنهم سيركبون وسط البحر؛ أي: يغزون في البحر كالملوك على الأسِرَّة، ومنهم أم حرام بنت ملحان، فكان كما أخبر؛ رواه البخاري وغيره.

21- أنه قال في الحسن بن علي: ((إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))، فكان كما قال؛ فإنه لما تُوفِّي أبوه بايَعَه أربعون ألفًا على الموت، فنزل عن الخلافة لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين؛ رواه البخاري وغيره.

22- أنه أخبر في شأن عثمان بن عفان τ أنه ستصيبه بلوى شديدة - يريد قتله - فكان كما قال؛ رواه البخاري.

23- أنه أخبر بمقتل الأسود العنسي في صنعاء اليمن في الليلة التي قُتِل فيها في المدينة، فجاء الخبر بما أخبر به، ذكره ابن إسحاق وغيره.

24- أنه أخبر بقتل كسرى كذلك في ليلة مقتله، فجاء الخبر كما ذكر.

25- أخبر الشيماء بنت الحارث السعدية أخت رسول الله ρ من الرضاع أنها قد رُفِعت في خمار أسود على بغلة شهباء، فكان كذلك؛ رواه أبو نعيم.

26- أنه دعا لعمر بن الخطاب τ بأن الله - تعالى - يعزَّ به الإسلام أو بأبي جهل ابن هشام، فأصابت دعوته عمر فأصبح مسلمًا فعزَّ بإسلامه كلُّ مَن أضحى مسلمًا.

27- أنه دعا لعلي بن أبي طالب τ بذهاب الحر والبرد عنه، فكان علي لا يجد حرًّا ولا بردًا؛ رواه البيهقي.

28- أنه دعا لابن عباس بفقه الدين وعلم التأويل، فصار بحرًا زخارًا واسعًا في العلم.

29- أنه دعا لثابت بن قيس بن شماس بأنه يعيش سعيدًا ويُقتَل شهيدًا، فكان كذلك.

30- أنه دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد وبطول العمر؛ فعاش نحو مائة سنة، وكان ولده لصلبه مائة وعشرين ولدًا ذكرًا، وكان له نخل يحمل في كل سنة حملين.

31- أنه قال في رجل ادَّعى الإسلام وغزا معه وأكثر قتال الكفار مع المسلمين أنه من أهل النار، فصدق الله - تعالى - مقالته؛ فإنه أصابته جراحة فقتل نفسه بيده عمدًا؛ متفق عليه، وقاتِل نفسِه في النار.

32- كان بينه وبين عتيبة بن أبي لهب أذًى، فدعا عليه بأن يسلِّط الله عليه كلبًا من كلابه، فقتله الأسد؛ رواه أبو نعيم وغيره.

33- أنه لما شكا إليه شاكٍ قحوط المطر - أي: حبسه وانقطاعه - وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة، فرفع يديه إلى الله - تعالى - ودعا وما في السماء قطعةٌ من السحاب، فطلعت سحابة حتى توسَّطت السماء فاتَّسعت فأمطرت فقال: ((اللهم حوالينا ولا علينا))، فاقلعت وانقطعت؛ متفق عليه.

34- أنه أطعم الألف الذين كانوا معه في غزوة الخندق من صاع شعير ودون صاع وبهيمة - وهي ولد الضأن - فأكلوا وشربوا وانصرفوا، وبقي بعد انصرافهم عن الطعام أكثر ممَّا كان من الطعام؛ متفق عليه.

35- أنه أطعم أهل الخندق أيضًا من تمر يسير أتت به إليه جارية؛ رواه أبو نعيم.

36- أنه أمر عمر الفاروق τ أن يزوِّد أربعمائة راكب أتوا إليه من تمرٍ كان عنده فزوَّدهم منه، والتمر كان مقداره كالفصيل الرابض، فزوَّدهم جميعًا، وكأنه ما مسَّه أحد؛ رواه أحمد وغيره.

37- أنه أطعم جماعة من أقراص شعير قليلة بحيث جعلها أنس تحت إبطه لقلَّتها، فأكل منها ثمانون رجلًا وشبعوا كلهم، وهو كما أتى لهم كأنه لم يمسَّه أحد، كما جاء في الصحيحين عن أنس.

38- أنه أطعم الجيش حتى وصلوا إلى حدِّ الشبع من مِزْوَد - وهو وعاء التمر - ورد ما بقي فيه لصاحبه أبي هريرة، ودعا له بالبركة، فأكل منه حياته إلى حين قُتِل عثمان - رضِي الله عنه.

39- أنه حين تزوَّج بزينب بنت جحش أطعم خلقًا كثيرًا من طعامٍ قُدِّم إليه في قصعة، ثم رفع الطعام من بينهم وقد شبعوا وهو كما وُضِع أو أكثر، كما رواه أبو نعيم.

40- أنه في عزوة حنين رمى الكفار بقبضةٍ من تراب وقال: ((شاهت الوجوه))، فامتلأت أعينهم ترابًا كلهم، وهُزِموا عن آخرهم؛ رواه مسلم وغيره.

41- أنه لما اجتمعت صناديد قريش في دار الندوة وأجمعوا على قتله وجاؤوا إلي بابه ينتظرون خروجه فيضربونه بالسيوف ضربةَ رجلٍ واحد، خرج عليهم ووضع التراب على رأس كلِّ واحد منهم.

وكم له من معجزات بيِّنة ظاهرة، صلوات الله وسلامه عليه[268].

* * *

72- معجزة الإسراء والمعراج

قال الله - تعالى - بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

يمجِّد الله - تعالى - نفسه المقدَّسة ويعظِّمها لقدرته على ما لا يقدر عليه أحدٌ سواه من الأفعال العظيمة والمِنَن الجسيمة، التي من جملتها أنه أسرى بعبده ورسوله محمد ρ: ﴿لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهو مسجد مكة الذي هو أجلُّ المساجد على الإطلاق وأفضلها: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وهو بيت المقدس الذي هو من المساجد الفاضلة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهو مصلَّى الأنبياء ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بكثرة الأشجار والأنهار والثمار ﴿لِنُرِيَهُ﴾؛ أي: محمد ρ ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾؛ أي: العظام كما قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18]، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ أي: السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، ومصدقهم ومكذبهم، البصير بهم فيعطي كلًّا منهم ما يستحقُّه في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه السورة بعد سياق الأحاديث الواردة في الإسراء: وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها فحصل مضمون ما اتَّفقت عليه من مسرى رسول الله ρ من مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على مَن عدا الأنبياء - عليهم السلام - والحق أنه - عليه السلام - أُسرِي به يقظةً لا منامًا، من مكة إلى بيت المقدس، راكبًا البراق - دابَّة نحو البغل تركبها الرسل عند العروج إلى السماء[269]، فلمَّا انتهى إلى باب المسجد ربط الدابَّة عند الباب ودخله، فصلَّى في قبلته تحية المسجد ركعتين، ثم أُتي بالمعراج - وهو كالسُّلَّم ذو درج يرقى فيها - فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقيَّة السماوات السبع فتلقَّاه من كلِّ سماء مقربوها، وسلَّم على الأنبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مرَّ بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوَز منزلتيهما ρ وعليهما وعلى سائر الأنبياء - حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام - أي: الأقلام القدر - لما هو كائن.

(268) انظر: "العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية": ص 122- 133.

(269) "المصباح المنير": (ج1/ 51).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله - تعالى - عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعدِّدة، وغشيتها الملائكة، ورأى هناك جبريل على صورته، التي خُلِق عليها وله ستمائة جناح، ورأى رفرفًا أخضر قد سدَّ الأفق، ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مُسنِد ظهره إليه؛ لأنه الكعبة السماوية يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك يتعبَّدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة لكثرتهم، ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خفَّفها إلى خمسٍ؛ رحمةً منه ولطفًا بعباده، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها، ثم هبط إلى بيت المقدس وهبَط معه الأنبياء، فصلَّى بهم فيه لما حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس، والله - سبحانه وتعالى - أعلم[270].

ما يستفاد من الآية الكريمة:

1- تنزيه الله - تعالى - عمَّا لا يليق به من النقائص والعيوب.

2- الإيمان بإسراء رسول الله ρ إلى بيت المقدس وعروجه إلى السماء.

3- بيان الحكمة في ذلك؛ وهي إظهار شرفه ρ ورؤيته آيات ربه الكبرى وفرض الصلوات الخمس عليه وعلى أمَّته.

4- فضل المسجد الحرام الذي هو أفضل المساجد على الإطلاق؛ لأنه يحوي الكعبة المشرَّفة قبلة المسلمين وموضع حجهم، ولذلك عظم فضل الصلاة فيه.

5- فضل المسجد الأقصى (بيت المقدس) وبركته التي منها تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد الرسول بالمدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه، وأن الله اختصَّه محلًّا لكثيرٍ من أنبيائه وأصفيائه، خلَّصه الله من أيدي البغاة المعتدين.

6- إثبات صفة السمع والبصر لله كما يليق به، وأنه يسمع أقوال عباده ويبصر أعمالهم والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

بحكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج:

1- لا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالَّة على صدق رسوله محمد ρ وعلى عظم منزلته عند الله - عزَّ وجلَّ.

2- كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة.

3- وعلى علوِّه - سبحانه - على جميع خلقه.

---

(270) "تفسير ابن كثير": (ج/1 ص 22، 23).

4- وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأتِ في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكلُّ ما ورد في ذلك فهو غير ثابت عن النبي ρ[271].

5- وما روي أنها في السابع والعشرين من رجب أو في ربيع الأول فلم يصحَّ عن النبي ρ .

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن دحية: وذكر بعض القُصَّاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك كذب[272].

وقال الحافظ ابن رجب: رُوِي بإسناد لا يصحُّ عن القاسم بن محمد أن الإسراء بالنبي ρ كان في السابع والعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره[273].

6- ولو ثبت تعيين الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يجز للمسلمين أن يخصُّوها بشيء من العبادات أو الاحتفالات.

الأدلة على عدم جواز الاحتفال بهذه الليلة:

1- قوله ρ: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))؛ رواه البخاري ومسلم، وفي روايةٍ لمسلم: ((مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ))؛ أي: مردود على عامله، وهو صريح في ردِّ كلِّ بدعة ليس لها أصلٌ في الكتاب والسنة، سواء أحدثها أو قلَّد غيره فيها؛ كالاحتفال بهذه الليلة.

2- قوله ρ: ((عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ تمسَّكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة))؛ رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وهذا تحذيرٌ من النبي ρ عن اتِّباع الأمور المحدثة في الدين؛ ومن ذلك الاحتفال بمثل هذه الليلة.

3- أنه ρ لم يحتفل بهذه الليلة ولا بغيرها من المناسبات والليالي والفتوحات الإسلامية، لا هو ولا خلفاؤه الراشدون ولا الأئمة الأربعة، ولا التابعون لهم بإحسانٍ في القرون المفضَّلة الثلاثة الذين هم خير القرون، ولو كان في هذه الاحتفالات خيرٌ لسبقونا إليه، وهم أعلم الناس بالسنَّة وأكمل حبًّا لرسول الله ρ ممَّن بعدهم.

4- أن العبادات توقيفيَّة ليس لأحدٍ أن يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله؛ قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].

---

(271) انظر: حكم الاحتفال بهذه الليلة في "التحذير من البدع"؛ للشيخ عبدالعزيز بن باز.

(272) انظر: رسالة "تبيين العجب بما ورَد في فضل رجب": ص (6).

(273) انظر: "لطائف المعارف"؛ لابن رجب: ص (126).

5- دعوى إظهار محبَّة الرسول ρ بمثل هذه الاحتفالات والإشادة بذكره دعوى باطلة، وإنما يظهر أثر محبته في الاقتداء به واتِّباع سننه وتحكيم شريعته، وامتثال أمره واجتناب نهيه، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه - صلوات الله وسلامه عليه - قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، فجعل - تعالى - لمحبته علامة؛ وهي متابعة رسول الله ρ ورتَّب - تعالى - على اتِّباع رسوله محبَّته لِمَن اتَّبعه ومغفرة ذنوبه، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ذكر بعض مَن أنكر الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج من علماء الإسلام:

1- الحافظ ابن حجر العسقلاني في رسالته "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب".

2- الحافظ عبدالرحمن بن رجب في كتابه "لطائف المعارف" فيما المواسم العام من الوظائف (ص 126).

3- الشيخ أحمد بن عبدالسلام الشقيري في كتابه "السنن والمبتدعات" (ص 127).

4- الشيخ علي محفوظ في كتابه "الإبداع في مضار الابتداع" (ص 141).

5- سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في "التحذير من البدع" (ص 7) ذكر فيها بدعة الاحتفال بالمولد النبوي وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان، مؤيدًا كلامه بالأدلة من الكتاب والسنة، فجزاه الله خيرًا.

تتمَّة في ذكر بعض البدع المحدثة التي تفعل في شهر رجب:

1- تخصيصه بالعمرة التي تعرف بالرجبية؛ والتي هي إحياء لعادة الجاهلية الذين يعتمرون في رجب؛ لكونه شهرًا حرامًا لا يحصل فيه قتال.

ولكن النبي ρ أبطل تلك العادة؛ فلم يعتمر في رجب كما صرحت بذلك عائشة أم المؤمنين مُنكِرة على ابن عمر - رضِي الله عنهما - فأقرَّها على ذلك، نبَّه على هذه المسألة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين في مقدمة رسالة "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب".

2- الاجتماع في المساجد ليلة السابع والعشرين من رجب وإلقاء الخطب والمحاضرات، وقراءة قصة الإسراء والمعراج والاحتفال بذلك، وتخصيصها بالعبادة والقراءة والذكر والدعاء، كلُّ ذلك من البدع المحدثة في الدين وكلُّ محدثة في دين الله بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

3- صلاة الرغائب التي تُصلَّى بين العشائين ليلة أوَّل جمعة من شهر رجب، سُمِّيت بذلك لأجل العطايا المرغوب فيها الحاصلة لمصلِّيها بزعم واضع الحديث فيها، ذكر ذلك الشيخ أبو شامة الشافعي

في كتابه "الباعث على إنكار البدع والحوادث" (ص 32) قال ابن رجب: وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء.

4- الذبيحة التي كانوا في الجاهلية يذبحونها للأصنام في شهر رجب، ويسمّونها العتيرة وتسمى الرجبية، فنهى الشرع عنها، وفي الصحيحين عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: ((لا فَرَع ولا عتيرة))، و(الفَرَع) بفتحتين هو أوَّل النتاج كانوا يذبحونه للأصنام، فنفاه الإسلام وأبطله.

5- تخصيص هذا الشهر بصلاة أو صيام أو زكاة لم يصح فيه شيء بخصوصه عن النبي ρ .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة والحافظ ابن رجب والحافظ ابن حجر: لم يرد في فضل رجب ولا في صيام شيء منه ولا في قيام ليلة مخصوصة، لم يرد فيه حديث صحيح يصلح للحجة(274).

نصيحة وتحذير:

وبناء على ما تقدَّم فإننا ننصح إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأن يمتثلوا ما أمر الله به ورسوله، وأن ينتهوا عمَّا نهى الله عنه ورسوله، وأن يتمسَّكوا بكتاب الله وسنة رسول الله ρ في أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم ونظمهم وتصرُّفاتهم، فهذا هو الصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه وترك ما خالفه، وسار عليه سلفنا الصالح ورتَّب عليه سعادة الدنيا والآخرة.

وأن يحذروا من البدع والخرافات والمحدَثات في الدين التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي تؤدي بفاعلها إلى شقاوة الدنيا والآخرة؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

نسأل الله - تعالى - أن يهدينا وإيَّاكم وسائر إخواننا المسلمين صراطه المستقيم، وأن يجنِّبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، وأن يحفظنا وإياهم بالإسلام، وأن يجعلنا وإياهم هُدَاة مهتدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

* * *

73- وجوب الصلاة على النبي ρ ومواطنها وفوائدها وثمراتها

قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

(274) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة: ص (301)، و"تبيين العجب بما ورد في فضل رجب"؛ لابن حجر ص (6)، و"لطائف المعارف"؛ لابن رجب: ص (123).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضِي الله عنهما – أنه سمع رسول الله ρ يقول: ((مَن صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا))؛ رواه مسلم.

وعن ابن مسعود τ أن رسول الله ρ قال: ((أَوْلَى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: ((رغم أنف امرئ ذُكِرت عنده فلم يصلِّ عليَّ))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعنه τ قال: قال رسول الله ρ: ((لا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم))؛ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن علي τ قال: قال رسول الله ρ: ((البخيل مَن ذُكِرت عنده فلم يصلِّ عليَّ))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[275].

مواطن الصلاة على النبي ρ:

1- وهو أهمُّها وأكبرها: في الصلاة في آخِر التشهُّد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته.

2- في التشهُّد الأوَّل عند بعض العلماء.

3- في آخر القنوت.

4- في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية.

5- في الخُطَب؛ كخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، وغيرها.

6- بعد إجابة المؤذِّن وعند الإقامة؛ لما روى مسلم في "صحيحه" من حديث عبدالله بن عمر أنه سمع رسول الله ρ يقول: ((إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثلما يقول ثم صلُّوا عليَّ...)) الحديث، وفي إجابة المؤذِّن خمس سنن عن رسول الله ρ:

أحدها: الصلاة عليه ρ .

الثانية: أن يقول مثل ما يقول المؤذِّن.

الثالثة: أن يدعو له ρ بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود.

والرابعة: أن يقول: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولًا.

والخامسة: أن يدعو الله بعد إجابة المؤذِّن وصلاته على رسوله وسؤاله له الوسيلة؛ فإن الدعاء لا يردُّ بين الأذان والإقامة.

فهذه خمس وعشرون سنَّة في اليوم والليلة لا يحافظ عليها إلا السابقون.

---

(275) انظر هذه الأحاديث في كتاب "رياض الصالحين": ص (588- 589).

7- من مواطن الصلاة على النبي ρ عند الدعاء وله ثلاث مراتب:

أحدها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله - تعالى - والمرتبة الثانية: أن يصلي عليه في أوَّل الدعاء وأوسطه وآخرة، والثالثة: أن يصلي عليه في أوَّله وآخره ويجعل حاجته متوسِّطة بينهما؛ فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي ρ كما أن مفتاح الصلاة الطهور، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

8- من مواطن الصلاة على النبي ρ عند الدخول للمسجد وعند الخروج منه.

9- على الصفا والمروة.

10- عند اجتماع القوم قبل تفرُّقهم.

11- عند ذكره ρ .

12- عند الفراغ من التلبية.

13- عند استلام الحجر الأسود في الطواف.

14- إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة ونحوها.

15- إذا قام الرجل من نوم الليل.

16- عقب ختم القرآن؛ وهذا لأنه محلُّ دعاء.

17- يوم الجمعة؛ قال ρ: ((إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي))؛ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

18- عند القيام من المجلس.

19- عند المرور على المساجد ورؤيتها.

20- عند الهمِّ والشدائد وطلب المغفرة.

21- عند كتابة اسمه ρ .

22- عند تبليغ العلم إلى الناس؛ عند التذكير والقصص، وإلقاء الدروس وتعلم العلم، في أوَّل ذلك وآخره.

23- في أوَّل النهار وآخره.

24- عقب الذنب إذا أراد أن يكفِّر عنه.

25- عند إلمام الفقر والحاجة أو خوف وقوعه.

26- عند خطبة الرجل المرأة في النكاح.

27- عند العطاس عند بعض العلماء، وقال آخرون: لا تستحبُّ الصلاة على النبي ρ عند العطاس، وإنما هو موضع حمد الله وحده.

28- بعد الفراغ من الوضوء.

29- عند دخول المنزل.

30- في كلِّ موطن يُجتَمع فيه لذكر الله.

31- إذا نسي الشيء وأراد ذكره.

32- عند الحاجة تعرض للعبد.

33- عند طنين الأذن.

34- عقب الصلوات.

35- عند الذبيحة، عند بعض العلماء.

36- في الصلاة في غير التشهُّد، بل في حال القراءة إذا مرَّ بذكره.

37- من مواطن الصلاة عليه ρ بدل الصدقة لِمَن لم يكن له مال فتجزي الصلاة عليه عن الصدقة للمعسر.

38- عند النوم.

39- عند كلِّ كلام خير ذي بال فإنه يبتدئ بحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة على رسول الله ρ ثم يذكر كلامه بعد ذلك.

40- في أثناء صلاة العيد؛ فإنه يستحب أن يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ρ (276).

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ρ:

1- امتثال أمر الله - سبحانه وتعالى.

2- موافقته - سبحانه - في الصلاة عليه ρ .

3- موافقة ملائكته فيها.

4- حصول عشر صلوات من الله على المصلي عليه مرَّة.

5- أنه يرفع له عشر درجات.

6- أنه يُكتَب له عشر حسنات.

7- أنه يُمحَى عنه عشر سيئات.

---

(276) انظر كتاب: "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام"؛ لابن القيم - رحمه الله -: ص (222-301).

8- أنه يُرجَى إجابة دعائه إذا قدَّمها أمامه.

9- أنها سبب لشفاعته ρ .

10- أنها سبب لغفران الذنوب.

11- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمَّه.

12- أنها سبب لقرب العبد منه ρ يوم القيامة.

13- أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

14- أنها سببٌ لقضاء الحوائج.

15- أنها سببٌ لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.

16- أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

17- أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

18- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

19- أنها سبب لردِّ النبي ρ الصلاة والسلام على المصلِّي والمسلِّم عليه.

20- أنها سببٌ لتذكر العبد ما نسيه.

21- أنها سبب لطيب المجلس وألا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

22- أنها سبب لنفي الفقر.

23- أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ρ .

24- أنها نجاة له من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ρ .

25- أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطي بتاركها عن طريقها.

26- أنها تُنجِي من نتن المجلس الذي لا يذكر الله فيه ورسوله ρ .

27- أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتُدِئ بحمد الله والصلاة على رسوله ρ .

28- أنها سببٌ لوفور نور العبد على الصراط.

29- أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

30- أنها سببٌ لإبقاء الله – سبحانه – الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض.

31- أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه.

32- أنها سبب لنيل رحمة الله.

33- أنها سبب لدوام محبته للرسول ρ وزيادتها وتضاعفها.

34- أن الصلاة عليه ρ سببٌ لمحبته للعبد.

35- أنها سببٌ لهداية العبد وحياة قلبه.

36- أنها سببٌ لعرض اسم المصلي عليه ρ وذكره عنده كما قال: ((فإن صلاتكم معروضة عليَّ))؛ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

37- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.

38- أن الصلاة عليه ρ أداءٌ لأقلِّ القليل من حقِّه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا.

39- أنها متضمِّنة لذكر الله وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله.

40- أن الصلاة عليه ρ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

الثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ويزيد في تشريفه وتكريمه، ولا ريب أن الله - تعالى - يحب ذلك ورسولُه يحبُّه.

وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم[277].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارِك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

* * *

74- حكم الاحتفال بالمولد النبوي

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي ما ترك خيرًا إلا هدى إليه، ولا شرًّا إلا حذَّر منه، عليه من ربِّه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم.

أمَّا بعد، فقد اعتاد كثيرٌ من الناس في سائر الأقطار الإسلامية والعربية إقامة الحفلات الرائعة لذكرى مولد الرسول ρ في شهر ربيع الأول من كلِّ سنة، زاعمين أن هذه الاحتفالات عبارة عن

(277) انظر: "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام"؛ لابن القيم: ص (302- 312).

إظهار الشكر لله على وجود هذا النبي الكريم، بإظهار السرور بمثل اليوم الذي وُلِد فيه ρ وإظهار محبته والولاء له.

فيقال: لا شك أن محمدًا ρ هو سيِّد الخلق وأعظمهم، وقد أرسله الله رحمةً للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، وكانت ولادته وهجرته ووفاته في شهر ربيع الأول، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى، أرسله الله بين يدي الساعة شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وقد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهَد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين من ربِّه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ومع هذا فلا يجوز لأحدٍ أن يُقِيم احتفالات بمولده ρ ولا بمولد غيره.

الأدلة على تحريم الاحتفال بالمولد:

1- أنه ρ لم يُقِم احتفالًا بمولده، لا هو ولا خلفاؤه الراشدون ولا الأئمة الأربعة، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة الثلاثة الذين هم خير القرون، ولو كان في هذا الاحتفال خير لسبقونا إليه، وهم أعلم الناس بالسنَّة، وأكمل حبًّا لرسول الله ρ ومتابعة لشرعه ممَّن بعدهم.

2- قول الله - تعالى -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، وقد بيَّن لنا رسول الله ρ كلَّ ما نحتاج إليه في أمور ديننا ودنيانا، فلم يشرع لنا الاحتفال بمولده لا بقوله ولا بفعله، وقد أكمل الله له ولأمَّته دينهم، وأتَمَّ به عليهم النعمة، ورضِي لهم الإسلام دينًا.

3- قوله ρ: ((عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحدَثات الأمور؛ فإن كلَّ مُحدَثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة))، رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا تحذيرٌ للأمة من اتِّباع الأمور المحدَثة، ومن ذلك الاحتفال بالمولد.

4- قوله ρ: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))؛ رواه البخاري ومسلم، وفي روايةٍ لمسلم: ((مَن عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ))، وهو صريح في ردِّ كلِّ بدعة ليس لها أصلٌ في الكتاب ولا في السنَّة؛ كالاحتفال بالمولد.

5- أن العبادات توقيفيَّة ليس لأحدٍ أن يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله؛ قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].

6- دعوى إظهار محبَّة الرسول ρ بهذه الاحتفالات دعوى باطلة، وإنما تظهر محبَّته في الاقتداء به واتباع سنته، والعمل بشريعته وتحكيمها في القليل والكثير، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتخلق

بأخلاقه والتأدُّب بآدابه؛ قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

ما تشتمل عليه الاحتفالات بالمولد النبوي من المنكرات:

1- مخالفة السنة.

2- ارتكاب البدعة.

3- اختلاط الرجال بالنساء والافتتان بهن؛ قال ρ: ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

4- مشابهة النصارى في الاحتفال بميلاد عيسى - عليه السلام -، وقد نُهينا عن مشابهتهم وأُمِرنا بمخالفتهم، وفي "جامع الترمذي" عن عبدالله بن عمرو - رضِي الله عنهما - أن رسول الله ρ قال: ((ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى))، وقال ρ: ((ومَن تشبَّه بقوم فهو منهم))؛ رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وصحَّحه ابن حبان.

5- استعمال آلات اللهو والغناء المحرَّم وشرب المسكرات.

6- الإسراف والتبذير وإضاعة الأموال في سبيل هذه الموالد، فهي نفقة لم يأذن بها الله ولا رسوله.

7- وقد يقع في هذه الموالد ما هو أعظم من ذلك من الاستغاثة بالرسول ρ وطلب المدد منه، وسؤاله قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وشفاء المرضى والنصر على الأعداء، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وقد قال الله لنبيِّه ρ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: 21]، وهذا في حياته فكيف بعد وفاته؟

ذِكْرُ بعض مَن أنكر الاحتفال بالمولد من علماء الإسلام:

1- الإمام سليمان بن خلف الباجي، من أئمَّة العلماء بالمغرب، وشارح كتاب "الموطأ"، وأحد شيوخ الإمام ابن عبدالبر الأندلسي المتوفى سنة 494 هـ سُئِل - رحمه الله - عن المولد، فأجاب: لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا بنقل عمل عن أحدٍ من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، بل كل هذا بدعة ابتدعها البطالون[278].

2- شيخ الإسلام ابن تيميَّة المتوفى عام 728 هـ في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (ص 294) قال: ما يُحدِثه بعض الناس مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى - عليه السلام - من اتخاذ مولد النبي ρ عيدًا فإن هذا لم يفعله السلف.

---

(278) انظر كتاب: "البيان في تصحيح الإيمان"؛ لإبراهيم عبدالباقي: ص193.

3- ابن الحاج في "المدخل" (ج2/ ص3) قال: ومن جملة ما أحدثوه من البدع - يعني: الصوفية - ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى على بدع وانحرافات جمَّة.

4- الشيخ علي محفوظ في كتابه "الإبداع في مضارِّ الابتداع" (ص 126- 130) قال: "لا نزاع في أن الاحتفال بالمولد من البدع"، وذكر المفاسد الناتجة عنها.

5- الشيخ محمد بن عبدالسلام في كتابه "السنن والمبتدعات" (ص 122، 123) قال: فاتخاذ مولده ρ موسمًا والاحتفال به بدعة منكرة وضلالة، لم يَرِد بها شرع ولا عقل، ولو كان في هذا خير فكيف غفل عنه الخلفاء الراشدون والتابعون والأئمة وأتباعهم؟

6- الشيخ إبراهيم عبدالباقي في كتابه "تصحيح الإيمان" (ص 188، 193) قال: ولو حلَّلنا هذه الموالد تحليلًا صحيحًا لما وجدنا فيها عنصرًا من عناصر الخير، ثم ذكر عيوبها وما ينتج عنها من مفاسد.

7- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة السابق، له رسالة "حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على مَن أجازه" قال فيها: إن ممَّا أُحدِث بعد القرون المشهود لها بالخير بدعة الاحتفال بالمولد النبوي.

8- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، له رسالة خاصة في هذا الموضوع ضمن رسائله في التحذير من البدع قال فيها: "إن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله - سبحانه - ورسوله ρ بتركها والحذر منها.

9- الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، له رسالة ضمن رسائله المسماة بـ"الرسائل الحسان في نصائح الإخوان" ص (23) قال: إن هذه الاحتفالات المبتدعة هي من سنن النصارى، وليس في الإسلام أصلٌ لهذا، بل الإسلام ينهى عن مشابهتهم ويأمر بمخالفتهم، ومعلوم أن كلَّ بدعة يتعبَّد بها أصحابها فهي محرَّمة ممنوعة.

10- الشيخ عبدالله بن محمد الخليفي إمام الحرم المكي في رسالته "القول المبين في رد بدع المبتدعين" (ص 43) قال: "اعلم - رحمك الله - أن اتِّخاذ بعض الناس يوم مولد الرسول ρ عيدًا مُحدَث لا أصل له في الشرع".

نصيحة وتحذير:

وبناءً على ما تقدَّم من كلام الله - تعالى - وكلام رسوله ρ وكلام أهل العلم فإننا ننصح إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يتمسَّكوا بتعاليم دينهم وبكتاب ربهم وسنة نبيهم، وأن يحذروا من الوقوع في البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة،

ويسلموا من شقاوة الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في طاعة الله ورسوله، والشر كله في معصية الله ورسوله؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

المعاملات

75- من أحكام الفقه الإسلامي

الفقه في اللغة: الفهم، ومعناه شرعًا: معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها من القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع والقياس الصحيح.

والأحكام الشرعية خمسة:

1- الواجب: يُثاب فعله ويُعاقَب تاركه؛ مثل الصلاة والزكاة، والصوم والحج، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والصدق في الحديث، وأداء الامانة، ونحو ذلك.

2- الحرام ضده: يُثاب تاركه ويُعاقَب فاعله؛ مثل الزنا والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، والمعاملة بالربا، وحلق اللحى وشرب الدخان، وتصوير ذوات الأرواح من الأدميين والبهائم، ونحو ذلك.

3- المسنون ومثله المستحب والمندوب: يُثاب فاعله ولا يُعاقَب تاركه؛ مثل نوافل الصلاة والصدقة، والصوم والحج والذكر، والدعاء والاستغفار.

4- المكروه ضده: يثاب تاركه ولا يُعاقب فاعله؛ مثل تقديم اليسار عند دخول المسجد واليمين عند دخول الحمام، وفرقعة الاصابع في الصلاة وتشبيكها.

5- المباح: فعله وتركه سواء؛ مثل فضول الأكل والشرب، والنوم والمشي، وينقسم الواجب إلى فرض عين يُطلَب حصوله من كلِّ مسلم بالغ عاقل؛ مثل: أصول الإيمان الستَّة وأركان الإسلام الخمسة، وإلى فرض كفاية يُطلَب حصوله من عموم المسلمين إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الباقين؛ كتعلُّم العلوم والصناعات النافعة، والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ما فيه مصلحة خالصة أو راجحة أمر به الإسلام، وكل ما فيه مفسدة خالصة أو راجحة نهى عنه.

وقد أباح الله لنا كلَّ طيب نافع، وحرَّم علينا كلَّ خبيث أو ضار لأجسامنا وعقولنا وأموالنا؛ رحمةً بنا وإحسانًا إلينا؛ قال الله - تعالى - في وصف نبيِّنا محمد ρ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]، وقال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

ويجب على كلِّ مسلم مكلَّف أن يتعلَّم من الفقه كلَّ ما يحتاج إليه في عباداته ومعاملاته؛ ليعبد الله عن علم، وليكون على بصيرة من أمره، وليفهم كيف يصلى، وكيف يزكي، وكيف يصوم، وكيف يحجُّ، وكيف يبيع، وكيف يشتري، فلا يُعذَر أحد بالجهل؛ لأن الله ركَّب فينا العقول، وأرسل الرسول،

وأنزل القرآن (279)، وقامت حجَّة الله على عباده، ومَن لا يستطيع أن يتعلَّم فليسأل أهل العلم؛ قال - تعالى -: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

ويجب على المسلم أن يتعلم العلم والفقه في دين الله، ثم يعمل به ويدعو إليه ويصبر على ذلك؛ قال - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 - 3]، وقال - تعالى -: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

فالعلم بما يجب لله على عباده فرض عين، أمَّا بقيَّة أنواع العلوم؛ كعلوم الصناعة والزراعة والطب والهندسة وعلم القضاء والإفتاء، فهذه فرض كفاية، وقال النبي ρ: ((مَن يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهه في الدين))؛ يعني: يوفِّقه للعلم والعمل به، والحديث متفق عليه.

ومفهوم الحديث: أن مَن لم يُرِدِ الله به خيرًا أعرض عن طلب العلم النافع والعمل به فأصبح من الخاسرين، قال العلماء: وطريقة التفقُّه في الدين أن يحفظ الطالب في كلِّ فنٍّ أصلًا يبني عليه، فأوَّل ذلك يفهم القرآن الكريم وما فيه من الأوامر فيمتثلها والنواهي فيجتنبها، ثم السنة المطهَّرة يحفظ فيها مختصرًا؛ ككتاب "عمدة الأحكام في أحاديث خير الأنام"، ثم يحفظ مختصرًا في الفقه؛ مثل "عمدة الفقه" عند الحنابلة، "وقرَّة عيون الأبصار" عند الأحناف، و"مختصر خليل" عند المالكية، و"مختصر المزني" أو "منهاج الطالبين"؛ للنووي عند الشافعية، ومورد هذه المذاهب وهذه الكتب واحدٌ وهو القرآن والسنة، وغالبها متفق عليه ولله الحمد، وإنما اختلفوا في فهم بعض النصوص وفي صحَّتها وضعفها وكلهم مجتهدون - رحمهم الله تعالى وغفر لنا ولهم.

اللهم ربِّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله على رسوله، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

76- الاقتصاد في النفقات

التوسُّط والاعتدال في إنفاق النفقات خلق فاضل بين خلقين مذمومين متطرِّفين؛ وهما: الإسراف والتبذير، والبخل والشح والتقتير، فإن الله - تعالى - امتنَّ على العباد بالأموال ليشكروه باستعمالها

(279) تعليق الألوكة : "هذا في المعْلومِ منَ الدينِ بالضَّرورةِ، وهوَ الذي تَضْطَرُّ العقولُ إلى معرفتِهِ منَ الدينِ، أمَّا ما لا تَضْطَرُّ العقولُ إلى معرفتِهِ، فلا يُؤَاخَذُ العبدُ بِهِ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، إلا بعدَ إقامةِ الحجةِ عليه، وهذا يَخْتلِفُ باختلافِ الأشخاصِ، والأزمانِ، والأماكنِ؛ وإلا نسبْنا اللهَ — عزَّ وجلَّ - إلى الظُّلْمِ، تعالى اللهُ - عن ذلكَ - عُلُوًّا كبيرًا".

في مرضاته، وليقوم بها أَوَدُهم، وينفقوا منها في الواجبات والمستحبَّات، وحرم عليهم تبذيرها والإسراف في إنفاقها في غير الوجوه المشروعة؛ قال – تعالى –: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

وإذا كان لا يحبُّهم فهو يبغضهم ويمقتهم، والسرف إمَّا أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والسرف بالمأكولات التي تضرُّ الجسم، وإمَّا أن يكون بزيادة الشَّرَه والتنوُّع في المآكل والمشارب والملابس فوق الحاجة، وإمَّا بتجاوز الحلال إلى الحرام، فالسَّرَف يُبغِضه الله ويضرُّ بدن الانسان ومعيشته، حتى ربما أدَّت به الحال إلى أن يعجز عمَّا يجب عليه من النفقات وفي الحديث ((كلوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا في غير إسراف ولا مخيلة))؛ رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح.

وقد نعى الله على قومٍ تعجَّلوا شهواتهم وأذهبوا طيباتهم في هذه الحياة فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: 20].

وقال – تعالى –: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27]؛ أي: أشباههم في السَّفَه والتبذير، وترك طاعة الله وارتكاب معصيته، فإن الشيطان يدعوا إلى كلِّ خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى الشح والبخل والإمساك، فإن عصاه إلى الإسراف والتبذير وإنفاق الأموال بالباطل والمحرَّمات كاشتراء الاسطوانات والبكمات والأشرطة التي سُجِّلت فيها الأغاني المحرَّمة واشتراء الصور ذات الأرواح، وكإنفاق المال في الدخان الخبيث الضار بالصحة والاقتصاد، فكلُّ ذلك وما في معناه فالنفقة فيه نفقة بغير حقٍّ، وقد قال رسول الله ρ: ((إن رجالًا يتخوَّضون في مال الله بغير حقٍّ، فلهم النار يوم القيامة))؛ أخرجه البخاري.

وقد مدح الله المؤمنين بالعدل في إنفاقهم بقدر الحاجة فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]؛ أي: لم تصل نفقتهم إلى حدِّ السَّرَف ولم تنقص إلى حدِّ البخل، وكان إنفاقهم بين البخل والتبذير بقدر ما تقوم به حاجتهم وتندفع به ضروراتهم.

وقد حدث التوسُّع الزائد في هذه الأوقات في النفقات والولائم والحفلات، حتى وصلت إلى حدِّ الإسراف والتبذير، وهذا ضرر عظيم مخالِف للشرع، ومضارُّه شاملة للغنيِّ والفقير، وقد جعل الله الأموال قيامًا للناس تقوم بها المصالح والمنافع، فمَن صرفها في غير وجهها الشرعي فقد ضيَّع الأمانة الملقاة على عاتقه، وهذا النوع من النفقه لم يضمن الله للمنفق خلفها، إن هذا التوسُّع يُرغِم العاجزين ومَن ليس لهم مقدرة يلتزمون ذلك مجاراة للأغنياء والقادرين، فلو أن الرؤساء والأغنياء الذين هم

قدوة لغيرهم التزموا الاقتصاد في النفقات واتفقوا عليه، لشكروا على ذلك، وكان فيه خيرٌ للمجتمع، وقد قال – تعالى – في الحث على هذا السبيل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، فإنك إن قصَّرت بالنفقات وبخلت بالواجبات لامك الناس على الإمساك ولاموك على البخل وإن أسرفت في الإنفاق فوق طاقتك نفد ما عندك فأصبحت حاسر اليد فارغها، فالاقتصاد من أسباب بقاء المعيشة ودوامها؛ فإنه ((ما عال مَن اقتصد))، والسخاء المحمود شرعًا هو بذل ما يحتاج إليه، وأن يوصل ذلك إلى مستحقِّيه بقدر الإمكان، وليس كما قيل: حد الجود بذل الموجود، ولو كان ذلك لانتفى اسم السرف والتبذير اللذين ورد الكتاب بذمِّهما، وجاءت السنة بالنهى عنهما، فمَن كان سخيًّا سمي كريمًا مستوجبًا للحمد، ومَن قصر عنه سمي بخيلًا مستوجبًا للذم.

والسخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من خلقه، قريبٌ من الجنة، بعيدٌ عن النار، والبخيل بعيدٌ من الله، بعيد من خلقه، بعيدٌ من الجنة، قريبٌ من النار[280].

فجود الرجل يقرِّبه إلى أعدائه، وبخله يبغضه إلى أولاده، فالكريم المتصدِّق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسِك، ويوسع عليه في ذاته وخلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته؛ جزاء له من جنس عمله ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وبالله التوفيق، وصلى الله علي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

77- نصيحة

أيها المسلم، أنت أخٌ كريم، أنت مسلم عاقل، تؤمن بالله واليوم الآخر، وتحبُّ ما ينفع، وتكره ما يضرُّ، وتحبُّ الحلال، وتكره الحرام.

أسأل الله – تعالى – أن يكون كسبك حلالًا؛ ليكون عملك مقبولًا ودعاؤك مستجابًا.

أخي المسلم، أذكِّرك أن المعاملة بالربا حرام سواء عن طريق بيع الجنس بجنسه مع الزيادة في أحدهما أو بغير جنسه، مؤجَّلًا أو غير مقبوض، أو بأن يقرضه قرضًا مقابل منفعة، فكلُّ قرض جرَّ نفعًا فهو ربا، أو عن طريق البنوك بالإيداع فيها وأخذ فوائد ربوية، أو بالاستقراض منها بفوائد ربوية، أو عن طريق المداينة مثلًا العشر اثنا عشر أو أقل أو أكثر، أو بقلب الدين على المعسر الواجب إنظاره، أو يقول: استَدِن منّي وأوفني، أو يبيع سلعة إلى أجل، ثم يشتريها بأقل منه نقدًا، فكل هذه المعاملات من الربا المحرَّم الملعون فاعله المتوعَّد عليه بأشد وعيد، فإن الربا من كبائر الذنوب، وقد

(280) انظر: "الوابل الصيب"؛ لابن القيم ص 76 - 82.

أحلَّ الله البيع وحرَّم الربا؛ عن جابر - رضِي الله عنه – قال: لعن رسول الله ρ آكِل الربا، ومُوكِله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: ((هم سواء))؛ رواه مسلم وغيره، فاللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فكلُّ مَن يتعامَل بالربا، وكلُّ موظف في بنك يتعامل بالربا، أو في متجر يتعامل بالربا، فإنه ملعون على لسان محمد ρ .

وآكِل الربا والمتعامِل به مُحارِب لله ورسوله، ومَن حارب الله فهو مهزوم وهو مجرب لسوء الخاتمة - نعوذ بالله من ذلك - لذا يجب على المسلم أن يتَّقِي الله في نفسه، وأن يبتعد عن المعاملات الربوية، وعن جميع أنواع الحرام ومكاسبه وطرقه، وأن يتوب إلى الله - تعالى - قبل أن يموت فيندم حين لا ينفعه الندم.

اللهم تُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمَّن سواك.

وصلى الله علي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة

أمَّا المعاملات المشروعة التي هي حلال ومباحة فهي البيع والشراء بصدق وأمانة، والقرض بدون فائدة، وبيع السَّلَم بأن تدفع نقودًا بسلعة معلومة إلى أجل معلوم، ومن الجائز عند الجمهور أن تبيع سلعة بأكثر من ثمنها الحالي إلى أجل معلوم، وفي الحلال بركة وكفاية عن الحرام، وبالله التوفيق.

* * *

78- طرق الكسب الحرام

قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]؛ أي: ولا تأخذوا أموالكم؛ أي: أموال غيركم، أضافها إليهم لأنه ينبغي للمسلم أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله، ولأن أكله لمال غيره يجرِّئ غيره على أكل ماله عند القدرة، ولما كان أكلها نوعين: نوعًا بحقٍّ ونوعًا بباطل، وكان المحرم إنما أكلها بالباطل - قيَّده - تعالى - بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في وديعة أو عارية أو نحو ذلك.

ويدخل فيه أيضًا أخذها على وجه المعاوضة بمعاوضة محرمة؛ كعقود الربا والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل؛ لأنه ليس في مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غشٍّ في البيع والشراء ونحوها، ويدخل في ذلك استعمال الأُجَراء وأكل أجرتهم، وكذلك أخذهم أجرة على عملٍ

لم يقوموا بواجبه، ويدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات والقربات التي لا تصحُّ حتى يقصد بها وجه الله - تعالى - ويدخل في ذلك الأخذ من الزكوات والصدقات والأوقاف والوصايا لِمَن ليس له حق منها أو فوق حقِّه، فكلُّ هذا ونحوه من أكل المال بالباطل، فلا يحلُّ ذلك بوجهٍ من الوجوه حتى ولو حصل فيه النزاع والارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى مَن يريد أكلها بالباطل بحجَّة غلبت حجَّة المحِقِّ، وحكَم له الحاكم بذلك، فإن حكم الحاكم لا يبيح محرمًا ولا يحلُّ حرامًا وانما يحكم على نحوٍ ممَّا يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطِل راحة ولا شبهة ولا استراحة، فمَن أدلى إلى الحاكم بحجَّة باطلة وحكم له بذلك، فإنه لا يحلُّ له، ويكون آكلًا لمال غيره بالباطل والإثم وهو عالم بذلك، فيكون أبلغ في عقوبته وأشد في نكاله، وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطِل في دعواه لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105]، اهـ، من "تفسير ابن سعدي"[281].

لذا حرم الله تناول الحرام من أيِّ وجه كان، سواء أكان رشوة أو سرقة، أو ربا أو غلولًا، أو من قمار أو غصب، أو اختلاس من وراء وظيفة، أو غش أو قيمة شيء محرَّم أو أجرته؛ كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وكثمن آلات اللهو والصور المحرمة، والكتب والمجلاَّت والصحف المشتمِلة على الإلحاد أو الخلاعة وكثمن الخمر والدخان، وكالأجرة على الرقص أو الغناء والعزف، وعلى شهادة الزور وما اقتطع بيمين كاذبة أو أخذ بغير الحق وإن كان حكم به القاضي إلى غير ذلك من طرق الكسب الحرام.

روى البخاري من حديث خولة الأنصارية أن رسول الله ρ – قال: ((إن رجالًا يتخوَّضون في مال الله بغير حقٍّ فلهم النار يوم القيامة))، وروى البخاري عن زيد، عن أرقم، عن أبي بكر – رضِي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ρ – يقول: ((كلُّ جسد نبت من سُحْتٍ فالنار أَوْلَى به))، وفي الحديث: ((لا يدخل الجنَّة جسد غُذِّي بالحرام))؛ رواه الترمذي.

وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ρ – قال: ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا مَن يحبُّ ومَن لا يحبُّ، ولا يُعطي الدين إلا مَن يحبُّ، فمَن أعطاه الله الدين فقد أحبَّه ولا يكسب عبدٌ مالًا حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدَّق منه فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيِّئ بالحسن))[282]، وفي "صحيح مسلم" حين ذكر النبي ρ الرجل يُطِيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه

(281) جـ1 ص110 - 111، ط1.

(282) انظر: "الإرشاد إلي طريق النجاة": ص43 للشيخ عبدالرحمن الحماد العمر.

إلى السماء: يارب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنَّى يُستَجاب لذلك؟

ومن المحرَّمات أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وشرب الخمر ونكاح المحارم، ولباس الحرير والذهب للرجال، ومثل الاكتساب المحرَّم؛ كالربا والميسر، وثمن ما لا يحلُّ بيعه، وأخذ الأموال المغصوبة بسرقة أو غصب ونحو ذلك، قال العلماء - رحمهم الله -: ويدخل في هذا الباب المكَّاس والخائن والسارق، وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور، ومَن استعار شيئًا فجحَدَه، وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن، ومَن باع شيئًا فيه عيب فغطَّاه والمقامر والساحر والمنجِّم والمصوِّر والزانية والنائحة والدلال، إذا أخذ أجرته بغير إذن البائع(283).

وما سوى ذلك فهو حلال؛ مثل أكل الطيبات من الزروع والثمار وبهيمة الأنعام وشرب الأشربة الطيِّبة، ولباس ما يحتاج إليه من القطن والصوف وغيرهما ممَّا أحلَّ الله ورسوله، إذا كان اكتسابه بعقد صحيح كالبيع أو ميراث أو هبة أو غنيمة، فالحلال بيِّن والحرام بيِّن، والحلال ما أحلَّه الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، وقد أحلَّ الله لنا الطيِّبات النافعة، وحرَّم الخبائث الضارَّة؛ رحمةً بنا وإحسانًا إلينا، وقد أنزل الله على نبيِّه ρ الكتاب، وبيَّن فيه للأمَّة ما تحتاج إليه من حلال وحرام؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، وما قُبِض رسول الله ρ حتى أكمل الله له ولأمَّته الدين كما قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فما ترك الله ورسوله حلالًا إلاَّ مبينًا ولا حرامًا إلاَّ مبينًا، فلله الحمد على ذلك، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

79- فائدة

الحقوق المالية الواجبة لله - تعالى - أربعة أقسام:

أحدها: حقوق المال كالزكاة، فهذا يثبت في الذمَّة بعد التمكُّن من أدائه، فلو عجز عنه بعد ذلك لم يسقط، ولم يثبت في الذمة إذا عجز عنه وقت الوجوب، وألحق بهذا زكاة الفطر.

القسم الثاني: ما يجب بسبب الكفارة؛ ككفارة الإيمان والظهار والوطء في نهار رمضان وكفارة القتل، فإذا عجز عنها وقت انعقاد أسبابها ففي ثبوتها في ذمته إلى الميسرة أو سقوطها قولان مشهوران في مذهب الشافعي وأحمد.

(283) انظر: "جامع العلوم والحكم"؛ لابن رجب: ص 59، وكتاب "الكبائر"؛ للذهبي: ص 117.

القسم الثالث: ما فيه معنى ضمان المتلف كجزاء الصيد، وأُلحِق به فدية الحلق والطيب واللباس في الإحرام، فإذا عجز عنه وقت وجوبه ثبت في ذمَّته تغليبًا لمعنى الغرامة وجزاء المتلف، وهذا في الصيد ظاهر وأمَّا في الطيب وبابه فليس كذلك؛ لأنه ترفُّه لا إتلاف؛ إذ الشعر والظفر ليسا بمتلفين، ولم تجب الفدية في إزالتهما في مقابلة الإتلاف؛ لأنها لو وجبت لكونها إتلافًا لتقيَّدت بالقيمة، ولا قيمة لها وإنما هي من باب الترفُّه المحض؛ كتغطية الرأس واللبس، فأي إتلاف ها هنا وعلى هذا فالراجح من الأقوال أن الفدية في ذلك لا تجب مع النسيان والجهل.

القسم الرابع: دم النسك كالمتعة والقران، فهذه إذا عجز عنها وجب عنها بدلها من الصيام، فإن عجز عنه ترتَّب في ذمته أحدهما، فمتى قدر عليه لزمه، وهل الاعتبار بحال الوجوب أو بأغلظ الأحوال؟ فيه خلاف.

وأمَّا حقوق الآدميين فإنها لا تسقط بالعجز عنها، لكن إن كان عجزه بتفريطٍ منه في أدائها طُولِب بها في الآخرة وأخذ لأصحابها من حسناته، وإن كان عجزه بغير تفريط؛ كمَن احترق ماله أو غرق أو كان الإتلاف خطئًا مع عجزه عن ضمانه، ففي إشغال ذمَّته به وأخذ أصحابها من حسناته نظر، ولم أقف على كلامٍ شافٍ للناس في ذلك، والله – تعالى – أعلم.

"بدائع الفوائد لابن القيم" ج 4 ص 33- 34.

فائدة

كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة، فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، كما في سورةالمائدة آية رقم 89.

وكفارة الظهار عتق رقبة، فمَن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمَن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، كما في سورة المجادلة آية 3- 4، وهي كفارة الجماع في نهار رمضان، وكفارة قتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة، فمَن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، كما في سورة النساء آية 92، وبالله التوفيق.

التحذير من المعاملات الربوية

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى مَن يراه من إخواننا المسلمين، وفَّقني الله وإياهم لكلِّ خيرٍ، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمَّا بعد:

فقد كثرت الدعايات للإسهام في البنوك الربوية في الصحف المحلية والأجنبية، وإغراء الناس بإيداع أموالهم فيها مقابل فوائد ربوية صريحة مُعلَنة، كلٌّ بحسب الفترة الزمنية التي يبقى فيها ماله مودعًا في

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك البنك، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الفوائد التي يأخذها أرباب الأموال مقابل إسهامهم أو إيداعهم في تلك البنوك حرام سحت، وهي عين الربا الذي حرَّمه الله ورسوله، ومن كبائر الذنوب وممَّا يمحق البركة ويفسد المال على صاحبه إذا خالطه، ويسبب عدم قبول عمله، وقد صحَّ عن رسول الله ρ أنه قال: ((إن الله – تعالى – طيِّب لا يقبل الا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51]، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنَّى يُستَجاب له؛ رواه مسلم.

وليعلم كلُّ مسلم أنه مسؤول أمام ربه عن ماله من أين اكتسبه وفيمَ انفقه، ففي الحديث عن النبي ρ أنه قال: ((لن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأَل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جمعه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به))(284).

واعلم أيها المسلم – وفَّقك الله – أن الربا كبيرة من كبائر الذنوب التي جاء تحريمها في كتاب الله وسنة رسوله ρ بجميع أشكاله وأنواعه ومسمَّياته؛ قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130]، وقال – تعالى –: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: 39]، وقال – تعالى –: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 275- 276]، وقال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 278- 279].

وقال النبي ρ: ((اجتنبوا السبع الموبقات))، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله الا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))(285)، ومعنى الموبقات: المهلكات، وقد عدَّ الربا منهن.

---

(284) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

(285) رواه البخاري ومسلم.

وقال ρ: ((الربا ثلاثة وسبعون حوبًا، أيسرها مثل أن يأتي الرجل أمَّه))[286]، وصحَّ أن رسول الله ρ لعن آكل الربا ومُوكِله وكاتبه وشاهديه) وقال: ((هم سواء))[287]، وقال ρ: ((الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والتمر بالتمر، والشعير بالشعير، والملح بالملح، مثلًا بمثل، يدًا بيد، فمَن زاد او استزاد فقد أربى، الآخِذ والمعطي فيه سواء))؛ رواه مسلم.

فهذه بعض الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ρ تبيّن تحريم الربا وخطره على الفرد والأمة، وأن مَن تعامَل به وتعاطاه فقد أصبح محاربًا لله ورسوله، فنصيحتي لكلِّ مسلم أن يكتفي بما أباح الله ورسوله، وأن يكفَّ عمَّا حرَّمه الله ورسوله، ففيما أباح الله كفاية وغنى عمَّا حرَّم، وألاَّ يغترَّ بكثرة بنوك الربا وانتشار معاملاتها في كلِّ مكان، فإن كثيرًا من الناس لا يهتمُّ بأحكام الإسلام وإنما يهتمُّ بما يدرُّ عليه المال من أيِّ طريق كان، وما ذلك إلا لضعف الإيمان وقِلَّة الخوف من الله – عزَّ وجلَّ – وغلَبَة حبِّ الدنيا على القلوب – نسأل الله السلامة.

وهذا الواقع المؤلِم من الكثير من المسلمين يُوجِب على المؤسسات الخاصَّة والجهات الرسمية وخواصِّ التجار بأن يتعاونوا جميعًا على تعزيز المصارف الإسلامية التي بدأت تظهر في بلاد المسلمين، وثبت نجاحها ولله الحمد، وأن يعمل الجميع على تحويل البنوك القائمة اليوم إلى بنوك إسلامية تكون معاملاتها متمشِّية مع الشريعة الإسلامية وخالية من الربا بجميع أشكاله وصوره، كما أني أوجِّه نصيحتي إلى المسؤولين في الصحف المحلية خاصة، وفي صحف البلاد الإسلامية عامَّة أن يطهِّروا صحافتهم من نشر كلِّ ما يخالف شرع الله في أيِّ مجال من مجالات الحياة، كما آمُل من الجهات المسؤولة التأكيد على رؤساء الصحف بألاَّ ينشروا شيئًا فيه مخالفة لدين الله وشرعه.

والله المسؤول أن يوفِّق المسلمين عامَّة وولاة أمورهم خاصَّة للتمسُّك بشرعه وتحكيم شريعته، وأن يأخذ بنواصيهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأن يجنِّبنا جميعًا طريق المغضوب عليهم والضالين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

* * *

80- نصيحة في النهي عن الربا للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ – رحمه الله –

(286) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(287) رواه مسلم وغيره.

من محمد بن إبراهيم إلى مَن يبلغه كتابي هذا من إخواننا المسلمين، وفَّقنا الله وإيَّاهم لقبول النصائح، وجنَّبنا وإيَّاهم أسباب الندم والفضائح، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فالباعث لهذا الكتاب هو نصيحتكم والشفقة عليكم، وتحذيركم ممَّا وقع فيه كثيرٌ من الناس، وهو تعاطي المعاملات الربوية والتعامل بها، وقد حرَّم الله تبارك - وتعالى - على عباده ذلك، وأخبر النبي ρ أنه من السبع الموبقات؛ قال الله - تعالى - في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 275- 276]، قال ابن عباس - رضِي الله عنهما - في معنى الآية: آكل الربا يُبعَث يوم القيامة يُخنَق؛ رواه ابن أبي حاتم، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ [البقرة: 278- 279]، وقال - تعالى -: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 130- 132]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على التحريم والوعيد الشديد على مَن فعله.

وقد جاءت السنَّة الصحيحة بالزجر عنه والتحذير وإيضاح ما أُجمِل منه بالبيان والتفسير؛ فعن أبي هريرة -رضِي الله عنه – قال: قال: رسول الله ρ: ((اجتنبوا السبع الموبقات))، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))؛ رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وعن جابر τ قال: لعن رسول الله ρ آكِل الربا ومُوكِله وكاتبه وشاهده، وقال: ((هم سواء))؛ رواه مسلم.

وعن سمرة بن حندب - رضِي الله عنه – قال: قال رسول الله ρ: ((رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردَّه

حيث كان، فجعل كلَّما أراد أن يخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا، فقال الذي رأيته في النهر آكِل الربا))؛ رواه البخاري في "صحيحه".

وعن ابن عباس – رضِي الله عنهما – قال: نهى رسول الله ρ أن نشتري التمر حتى يطعم، وقال: ((إذا ظهر الزنا والربا في قريةٍ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله))؛ رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وفي حديث الاسراء أن رسول الله ρ مرَّ ليلة أسري به، وإذا بقومٍ لهم أجواف مثل البيوت، فسأل عنهم فقيل: هؤلاء أكَلَة الربا؛ رواه البيهقي.

وعن ابن مسعود τ عن النبي ρ أنه قال: ((الربا ثلاثة وسبعون بابًا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمَّه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم))؛ رواه الحاكم وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى أيضًا عن أبي هريرة قال: "ليأتين على الناس زمان لا يُبالِي المرء بما أخذ من المال بحلال أو حرام"؛ رواه البخاري، ولفظه: "لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام".

وعن أبي سعيد الخدري – رضِي الله عنه – قال: قال رسول الله ρ: ((لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلًا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز))؛ رواه مالك والبخاري، وله: ((الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، سواء بسواء، فمَن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخِذ والمعطي فيه سواء)).

وقال محمد بن نصر المروزي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أنبأنا روح بن عبادة، قال: حدثنا حبان بن عبدالله العدوي وكان ثقة، قال: سألت أبا مجلز عن الصرف فقال: كان ابن عباس لا يرى به بأسًا زمانًا ما كان منه يدًا، فلقيه أبو سعيد الخدري فقال له: إلى متى؟ ألا تتقي الله حتى تؤكل الناس الربا، أمَا بلغك أن رسول الله ρ قال وهو عند زوجته أم سلمة: ((إني لأشتهي تمر عجوة))، فبعث بصاعين فأُتِي بصاع عجوة، فقال: ((من أين لكم هذا))، فأخبروه، فقال: ((ردُّوه؛ التمر بالتمر، والحنطة بالحنطة، والشعير بالشعير، والذهب بالذهب، والفضة وبالفضة، يدًا بيد، عينًا بعين، مثلًا بمثل، مَن زاد فهو ربا))؟

ثم قال: وكذلك ما يُكال أو يوزن أيضًا، فقال ابن عباس: جزاك الله خيرًا يا أبا سعيد، ذكرتني أمرًا كنت نسيته، فأستغفر الله وأتوب إليه، قال: فكان ينهى عنه بعد، فتضمَّنت هذه النصوص تحريم الربا بجميع أنواعه، وأنه من الكبائر، وأن مُتَعاطِيه محارِب لله ورسوله، فمن أنواعه بيع جنس من هذه الأجناس الستَّة المتقدِّمة في الأحاديث ونحوها بجنسه نسيئة أو غير معلوم المساواة للآخر، فإن الجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل، ويدخل في ذلك بيع الدراهم الفضية بجنسها متفاضلًا أو غائبًا مطلقًا،

وبيع الأوراق السعودية بعضها ببعض أو الريالات الفضية، متفاضلًا أو غائبًا مطلقًا، وذلك أن النبي ρ فرّق بين الحلال والحرام بقوله: ((مثلًا بمثل، يدًا بيد، سواء بسواء، عينًا بعين))، وأكّد ذلك بقوله: ((فمَن زاد واستزاد فقد أربى، الآخِذ والمعطي سواء)).

ومن أنواعه المحرَّمة بإجماع المسلمين ما يفعله بعض الناس - والعياذ بالله - وذلك أنه إذا كان له على آخَر دين وحلَّ الأجل قال للذي عليه الحق: إمَّا أن تقضي وإلاَّ يبقى عندك بزيادة كذا وكذا، فهذا هو ربا الجاهلية؛ وذلك أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجَّل، فإذا حلَّ الأجل قال له: إمَّا أن تقضي، وإمَّا أن تربي، فإن وفاه وإلاَّ زاد هذا في الأجل وزاد هذا في المال، ومن ذلك أن يعطي الرجل آخر ألفًا على أن يأخذ منه بعد سنة ألفًا ومائة، أو على أن يأخذ منه كلَّ سنة مائة، والألف في ذمَّته بحاله، كما يفعل كثيرٌ من الناس - والعياذ بالله - وذلك لما تقدَّم من النصوص، ولما رُوِي عن عمر τ عن النبي ρ أنه قال: ((لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين، ولا الدينار بالدينارين، إني أخاف عليكم الرما))؛ رواه الإمام أحمد، والرما هو الربا.

ومنها بيع العينة الوارد في حديث عبدالله بن عمر - رضِي الله عنهما - أن النبي ρ — قال: ((إذا تبايَعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد - سلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم))؛ رواه أحمد وأبو داود، وهي أن يبيع سلعة بنسيئة أو بقيمة لم تقبض، ثم يشتريها بثمن أقل ممَّا باعها فإن فعل بطل البيع الثاني، ولو كان بعد حلول أجله قال الشيخ تقي الدين: إن قصد بالعقد الأول الثاني بطل الأول والثاني جميعًا، ومن ذلك ما يقع في البنوك مثل أن يقترض الرجل من البنك مائة على أن يدفع له مع المائة زيادة ستة ريالات أو أقل أو أكثر، ومثل أن يأخذ صاحب البنك من الرجل الدراهم ويعطيه ربحًا عن بقائها في ذمَّته خمسة ريالات أو أقل أو أكثر، وهذا من أظهر أنواع الربا، وعين المحادَّة لله ورسوله.

فالواجب على ولاة الأمور والعلماء وأهل الحسبة - وفَّقهم الله - بيانُ غلظ تحريم ذلك وإنكاره، وحسم مواده واجتثاثها من أصولها، وعقوبة كل مَن ثبت عنه شيء من ذلك، وتغليظ العقوبة في حق مَن يتكرَّر منه ذلك كما أن على المرابي أن يتوب إلى الله - تعالى - وله رأس ماله فقط ولا يظلم؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 279].

اللهم زينَّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مُضِلِّين، سلمًا لأوليائك، حربًا لأعدائك، نحب بحبك مَن أحبك، ونعادي بعداوتك مَن خالف أمرك، صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

81- من أحكام الفقه الإسلامي

المداينة

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
الأستاذ بكلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليما، أمَّا بعد:

فلمَّا كان الدين الإسلامي دينًا كاملاً شاملاً لما يقوم به العباد تجاه ربهم من العبادات، وما يفعلونه في أنفسهم من العادات، وما يتعاملون به بينهم من المعاملات، وقد جاء مبينًا لأحكام ذلك تفصيلاً وإجمالاً، وكان ممَّا شاع بين الناس التعامل بالمداينة؛ وهي بيع الغائب بالناجز أو بالعكس، أو بيع الغائب بالغائب - أحببت أن أبيِّن أحكام بعض ذلك فيما يأتي فأقول:

المداينة أقسام:

القسم الأوَّل: أن يحتاج إلى شراء سلعة وليس عنده ثمن حاضر ينقده، فيشتريها إلى أجَل معلوم بثمن زائد على ثمنها الحاضر، فهذا جائز، مثل أن يشتري بيتًا ليسكنه أو يؤجره بعشرة آلاف إلى سنة ويكون قيمته لو بيع نقدًا تسعة آلاف، أو يشتري سيارة يركبها أو يؤجرها بعشرة آلاف إلى سنة وقيمتها لو بيعت نقدًا تسعة آلاف، وهو داخل في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282].

القسم الثاني: أن يشتري السلعة إلى أجل لقصد الاتِّجار بها؛ مثل أن يشتري قمحًا بثمن مؤجَّل زائد على ثمنه الحاضر؛ ليتَّجر به إلى بلد آخر، أو لينتظر به زيادة السوق، أو نحو ذلك، فهذا جائز أيضًا؛ لدخوله في الآية السابقة.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله - عن هذين القسمين أنهما جائزان بالكتاب والسنة والإجماع (ذكره ابن قاسم في "مجموع الفتاوى": ص 499 جـ 29"[288].

(288) ولا فرق في أن يكون التأجيل إلى وقت واحد أو أوقات متعدِّدة؛ مثل أن يقول: بعته عليك بكذا على أن يحل من الثمن كلَّ شهر كذا وكذا... إلخ.

القسم الثالث: أن يحتاج إلى دراهم فيأخذها من شخص بشيء في ذمَّته مثل أن يقول لشخص: أعطني خمسين ريالاً بخمسةٍ وعشرين صاعًا من البر أسلمها لك بعد سنة، فهذا جائز أيضًا، وهو السَّلَم الذي ورد به الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عباس - رضِي الله عنهما - قال: قدم النبي ρ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فقال ρ: ((مَن أسلف فليُسلِف في كيلٍ معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم)).

القسم الرابع: أن يكون محتاجًا لدراهم فلا يجد مَن يُقرِضه فيشتري من شخص سلعة بثمن مؤجَّل، ثم يبيعها على صاحبها الذي اشتراها منه بثمن أقل منه نقدًا، فهذه هي مسألة العينة وهي حرام؛ لقوله ρ إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايَعوا بالعينة، واتَّبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله - أنزل الله بهم بلاءً لا يرفعه حتى يرجعوا لدينهم))؛ رواه أحمد وأبو داود.

ولأن هذه حيلة ظاهرة على الربا فإنه في الحقيقة بيع دراهم حاضرة بدراهم مؤجَّلة أكثر منها دخلت بينهما سلعة، وقد نصَّ الإمام أحمد وغيره على تحريمها.

القسم الخامس: أن يحتاج إلى دراهم ولا يجد مَن يُقرِضه فيشتري سلعة بثمن مؤجَّل، ثم يبيع السلعة على شخص آخر غير الذي اشتراها منه، فهذه هي مسألة التورُّق، وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في جوازها؛ فمنهم مَن قال: إنها جائزة؛ لأن الرجل يشتري السلعة، ويكون غرضه إما عين السلع وإما عوضها، وكلاهما غرض صحيح، ومن العلماء مَن قال: إنها لا تجوز؛ لأن الغرض منها هو أخذ دراهم بدراهم ودخلت السلعة بينهما تحليلاً، وتحليل المحرم بالوسائل التي لا يرتفع بها حصول المفسدة لا يُغني شيئًا، وقد قال النبي ρ: ((إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى)).

والقول بتحريم مسألة التورُّق هذه هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وهو رواية عن الإمام أحمد، بل جعلها الإمام أحمد في رواية أبي داود من العينة، كما نقله ابن القيِّم في "تهذيب السنن": ص 108 جـ 5.

ولكن نظرًا لحاجة الناس اليوم وقِلَّة المقرِضين ينبغي القول بالجواز بشروط:

1- أن يكون محتاجًا إلى الدراهم، فإن لم يكن محتاجًا فلا يجوز كمَن يلجأ إلى هذه الطريقة ليدين غيره.

2- ألاَّ يتَمكَّن من الحصول على المال بطرق أخرى مباحة كالقرض والسَّلَم، فإن تمكَّن من الحصول على المال بطريقةٍ أخرى لم تجز هذه الطريقة؛ لإنه لا حاجة به إليها.

3- ألاَّ يشتمل العقد على ما يشبه صورة الربا؛ مثل أن يقول: بعتك إياها العشرة أحد عشر أو نحو ذلك، فإن اشتمل على ذلك فهو إمَّا مكروه أو محرَّم، نقل عن الإمام أحمد أنه قال في مثل هذا:

كأنه دراهم بدراهم لا يصحُّ، هذا كلام الإمام أحمد؛ وعليه فالطريق الصحيح أن يعرف الدائن قيمة السلعة ومقدار ربحه، ثم يقول للمستدين: بعتك إياها بكذا وكذا إلى سنة.

4- ألاَّ يبيعها المستدين إلاَّ بعد قبضها وحيازتها؛ لأن النبي ρ نهى عن بيع السلع قبل أن يحوزها التجار إلى رحالهم.

فإذا تمَّت هذه الشروط الأربعة فإن القول بجواز مسألة التورُّق متوجِّه؛ كيلا يحصل تضييق على الناس، وليكن معلوم أنه لا يجوز أن يبيعها المستدين على الدائن بأقل ممَّا اشتراها به بأي حال من الأحوال؛ لأن هذه هي مسألة العينة السابقة في القسم الرابع.

القسم السادس: طريقة المداينة التي يستعملها كثيرٌ من الناس اليوم؛ وهي أن يتَّفق المستدين والدائن على أخذ الدراهم العشرة أحد عشر أو أقل أو أكثر، ثم يذهبا إلى الدكان، فيشتري الدائن منه مالاً بقدر الدراهم التي اتَّفق والمستدين عليها ثم يبيعه على المستدين، ثم يبيعه المستدين على صاحب الدكان بعد أن يخصم عليه شيئًا من المال يسمُّونه السعي، وهذا حرام بلا ريب، وقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة في عِدَّة مواضع على تحريمه ولم يحكِ فيه خلافًا مع أنه حكى الخلاف في مسألة التورُّق، والمواضع التي ذكر فيها شيخ الإسلام تحريم هذه المسألة هي:

1- يقول في ص 74 من المجلد 28: "والثلاثية مثل أن يُدخِلا بينهما محلِّلاً للربا يشتري السلعة منه آكِل الربا، ثم يبيعها المعطي للربا إلى أجل، ثم يعيدها إلى صاحبها بنقص دراهم يستفيدها المحلِّل، وهذه المعاملات منها ما هو حرام بإجماع المسلمين؛ مثل التي يجري فيها شرط لذلك، أو التي يُبَاع فيها المبيع قبل القبض الشرعي، أو بغير الشروط الشرعية، أو يقلب فيها الدين على المعسر، ومن هذه المعاملات ما تنازَع فيها بعض العلماء، لكن الثابت عن رسول الله ρ وصحابته الكرام أنها حرام".

2- وفي ص 437 مجلد 29 قال: "... وقول القائل لغيره: أدينك كلَّ مائة بكسب كذا وكذا حرام..."، إلى أن قال: "وبكل حال فهذه المعاملة وأمثالها من المعاملات التي يقصد بها بيع الدراهم بأكثر منها إلى أجل هي معاملة فاسدة ربوية".

3- وفي ص 439 من المجلد 29 المذكور قال: "أمَّا إذا كان قصد الطالب أخذ دراهم بأكثر منها إلى أجل والمعطي يقصد إعطاءه ذلك، فهذا ربا لا ريب في تحريمه وإن تحايلا على ذلك بأي طريق كان، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى"، وذكر نحو هذا في ص 430 وص 433 وص 441 من المجلد المذكور، وذكر نحوه في كتاب: "إبطال التحليل" في ص 109.

وبعد، فإن تحريم هذه المداينة التي ذكرنا صورتها في أوَّل هذا القسم لا يمتري فيه شخص تجرَّد عن الهوى وعن الشح، وذلك من وجوه:

الأول: أن مقصود كلٍّ من الدائن والمدين دراهم بدراهم، ولذلك يقدران المبلغ بالدراهم والكسب بالدراهم قبل أن يعرفا السلعة التي يكون التحليل بها؛ لأنهما يتَّفقان أوَّلا على دراهم: العشرة كذا وكذا، ثم يأتيان إلى صاحب الدكان فيشتري الدائن أي جنس وجده من المال، فربما يكون عنده سكر أو خام أو رز أو هيل أو غير ذلك، فيشتري الدائن ما وجد ويأخذه المستدين، وبهذا علم أن القصد الدراهم بالدراهم، وأن السلعة غير مقصودة للطرفين، وقد قال النبي ρ: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى))؛ متفق عليه.

ويدلُّ على ذلك أن الدائن والمستدين كلاهما لا يقبلان السلعة ولا ينظران فيها نظر المشتري الراغب، وربما كانت معيبة أو تالفًا منها ما كان غائبًا عن نظرهما ممَّا يلي الأرض أو الجدار المركونة إليه وهما لا يعلمان ذلك ولا يباليان به.

إذًا فالبيع بيعٌ صوري لا حقيقي، والصور لا تغيِّر الحقائق ولا ترتفع بها الأحكام، ولقد حدث أنه إذا لم يكفِ المال الموجود عند صاحب الدكان للدراهم التي يريدها المستدين فإنهم يعيدون هذا البيع الصوري على نفس المال وفي نفس الوقت، فإذا أخذه صاحب الدكان من المستدين باعه مرَّة أخرى على الدائن، ثم باعه الدائن على المستدين بالربح الذي اتَّفقا عليه من قبل، ثم باعه المستدين على صاحب الدكان فيرجع الدائن مرَّة أخرى فيشتريه من صاحب الدكان، ثم يبيعه على المستدين بالربح الذي اتَّفقا عليه، وهكذا أبدًا حتى تنتهي الدراهم فربَّما يكون المال الذي عند صاحب الدكان لا يساوي عشر مبلغ الدراهم المطلوبة، ولكن بهذه الألعوبة يبلغون مرادهم، والله المستعان.

الوجه الثاني: ممَّا يدلُّ على تحريم هذه المداينة أنه إذا كان مقصود الدائن والمدين هي الدراهم فإن ذلك حيلة على الربا بطريقة لا يرتفع بها مقصود الربا، والتحايل على محارم الله - تعالى - جامِع بين مفسدتين؛ مفسدة المحرم التي لم ترتفع بتلك الحيلة، ومفسدة الخداع والمكر في أحكام وآيات الله - تعالى - الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفِي الصدور، ولقد أخبر الله عن المخادعين له بأنهم يُخادِعون الله وهو خادِعهم، وذلك بما زيَّنه في قلوبهم من الاستمرار في خداعهم ومكرهم، فهم يمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

قال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخدعون الصبيان، ولو أتوا بالأمر على وجهه لكان أهون، ولقد حذَّر النبي ρ أمَّته من التحايل على محارم الله فقال: ((لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود؛

فتستحلُّوا محارم الله بأدنى الحِيَل))[289]، وقال ρ: ((لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا أثمانها))[290].

الوجه الثالث: أن هذه المعاملة يربح فيها الدائن على المستدين قبل أن يشتري السلعة، بل يربح عليه في سلعة لم يعرفا نوعها وجنسها، فيربح في شيء لم يدخل في ضمانه، وقد نهى رسول الله ρ عن ربح ما لم يضمن[291]، وقال: ((الخراج بالضمان))[292]، وقال: ((لا تبع ما ليس عندك))[293]، وهذا كله بعد التسليم بأن البيع الذي يحصل في المداينة بيعٌ صحيح، فإن الحقيقة أنه ليس بيعًا حقيقيًّا وإنما هو صوري؛ بدليل أن المشتري لا يقلبه ولا ينظر فيه ولا يماكس في القيمة، بل لو بيع عليه بأكثر من قيمته لم يبالِ بذلك.

الوجه الرابع: أن هذه المعاملة تتضمَّن بيع السلعة المشتراة قبل حيازتها إلى محلِّ المشتري ونقلها عن محل البائع، وقد نهى رسول الله ρ عن بيع السلع حيث تشترى حتى يحوزها التجار إلى رحالهم؛ فعن زيد بن ثابت - رضِي الله عنهما - قال: نهى رسول الله ρ أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم؛ رواه أبو داود.

وعن ابن عمر - رضِي الله عنهما - قال: "كانوا يبتاعون الطعام جزافًا بأعلى السوق، فنهاهم النبي ρ أن يبيعوه حتى ينقلوه"؛ رواه الجماعة إلا الترمذي وابن ماجه.

القسم السابع من طريقة المداينة: أن يكون في ذمَّة شخص آخر دراهم مؤجَّلة فيحلُّ أجلها وليس عنده ما يوفيه، فيقول له صاحب الدين: أدينك فتوفيني، فيدينه فيوفيه، وهذا من الربا، بل هو ممَّا قال الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 130- 132].

وهذا القسم من المداينة من أعمال الجاهلية؛ حيث كان أحدهم يقول للمدين إذا حلَّ الدين: إمَّا أن توفي وإمَّا أن تربي إلاَّ أنهم في الجاهلية يضيفون الربا إلى الدين صراحة من غير عمل حيلة، وهؤلاء يضيفون الربا إلى الدين بالحيلة، والواجب على صاحب الدين إذا حلَّ دينه إنظار المدين إذا كان معسرًا؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280].

---

(289) قال ابن تيميَّة: رواه أبو عبدالله بن بطة، وقال: هذا إسناد جيد.

(290) رواه أحمد وأبو داود.

(291) رواه أحمد وأهل السنن، وصحَّحه الترمذي وغيره.

(292) رواه أحمد وأهل السنن، وصحَّحه الترمذي وغيره.

(293) رواه أحمد وأهل السنن.

أمَّا إذا أبرأه من الدين فذلك خير وأفضل، أمَّا إن كان المدين موسرًا فإن للدائن إجباره على الأداء؛ لأنه يحرم على المدين حينئذ أن يماطل ويدافع صاحب الدين؛ لقول النبي ρ: ((مطل الغني ظلم))[294]، ومن المعلوم أن الظلم حرام، يجب منع فاعله وإلزامه بما يزيل الظلم.

القسم الثامن من المداينة: أن يكون لشخص على آخر دين، فإذا حلَّ قال له: إمَّا أن توفي دينك، أو تذهب لفلان يدينك وتوفيني ويكون بين الدائن الأول والثاني اتِّفاق مسبق في أن كلَّ واحد منهما يدين غريم صاحبه ليوفيه، ثم يعيد الدين عليه مرَّة أخرى ليوفي الدائن الجديد.

أو يقول: اذهب إلى فلان لتستقرض منه وتوفيني، ويكون بين الدائن الأوَّل والمقرض اتِّفاق أو شبه اتِّفاق على أن يقرض المدين، فإذا أوفى الدائن الأوَّل قلب عليه الدين، ثم أوفى المقرض ما اقترض منه، وهذه حِيَل لقلب الدين بطريق ثلاثية وهي حرام؛ لما تقدَّم من تحريم الحِيَل، وتحذير النبي ρ أمته من ذلك.

خلاصة ما تقدم:

وبعد، فهذه ثمانية أقسام من أقسام المداينة، بعضها حلال جائز فيه الخير والبركة، وبعضها حرام ممنوع ليس فيه إلا الشر والخسارة ونزع البركة، ولو لم يكن فيه إلا أنَّه يزيِّن لصاحبه سوء عمله، فيستمر فيه ولا يرى أنه على باطل، فيكون داخلاً في قول الله – تعالى –: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: 8]، وقال – تعالى –: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104].

فالحلال من هذه اقسام:

1- أن يحتاج الشخص إلى سلعة أو عقار، فيشتريه بثمن مؤجَّل لقضاء حاجته.

2- أن يشتري السلع أو العقار بثمن مؤجَّل للاتِّجار به وانتظار زيادة السعر.

3- أن يحتاج إلى دراهم، فيأخذها من شخص بسلعة يكتبها الآخذ في ذمته.

وهذه الأقسام الثلاثة جائزة بلا ريب، وسبق تفصيلها.

والحرام من الأقسام الأخرى:

1- أن يحتاج إلى دراهم فلا يجد مَن يقرضه، فيشتري سلعة من شخص بثمن مؤجَّل زائد على قيمتها الحاضرة ثم يبيعها على غيره، وهذه مسألة التورُّق، وفي جوازها خلاف بين العلماء كما تقدَّم.

2- أن يحتاج إلى دراهم ولا يجد مَن يقرضه، فيشتري من شخص سلعةً بثمن مؤجَّل، ثم يبيعها عليه بأقل ممَّا اشتراها به، وهذه مسألة العينة.

(294) متفق عليه.

3- أن يتَّفق الدائن والمدين على أخذ الدراهم العشرة أحد عشر أو نحو ذلك، ثم يذهب إلى ثالث فيشتري الدائن منه سلعة هو في الحقيقة شراء صوري، ثم يبيعها على المدين ثم يبيعها المدين بدوره على الذي أخذها الدائن منه، وهذه طريقة المداينة التي يستعملها الآن كثيرٌ من الناس، وهي حرام كما سبق عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة، ولم يذكر خلافًا في تحريمها كما ذكر في مسألة التورُّق.

4- أن يكون لشخصٍ على آخَر دين مؤجَّل فيحلُّ أجله وليس عنده ما يوفيه فيقول صاحب الدين: أدينك وتوفيني، فيدينه فيوفيه، وهذه طريقة أهل الجاهلية التي تتضمَّن أكل الربا أضعافًا مضاعفة، إلاَّ أنها صريحة في الجاهلية خديعة في هذا الزمان ففيها مفسدتان.

5- أن يكون لشخصٍ على آخَر دين مؤجَّل فيحلُّ أجله، ويكون لصاحب الدين صاحبٌ يتَّفق معه على أن يقرض المدين أو يدينه ليوفي الدائن، ثم يقلب عليه الدين مرَّة أخرى، وهذه هي طريقة الجاهلية مع إدخال الطرف الثالث المشارك في الإثم والعدوان والمكر والخداع.

فهذه الأقسام الخمسة محرَّمة وقد علمت ما في القسم الأوَّل منها من الخلاف: واعلم أن الدين في اصطلاح أهل الشرع اسم لما ثبت في الذمَّة، سواء ثمن مبيع أو قرضًا أو أجرة أو صداقًا أو عوضًا لخلع أو قيمة لمتلف أو غير ذلك، وليس كما يظنُّه كثير من العوام من أن المداينة هي التي يستعملونها ويستدلُّون عليها بقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282]، فإن المراد به هو الدين الحلال الذي بيَّن الله ورسوله حلَّه دون الدين الحرام، وهذا كثير في النصوص الكتاب والسنة تأتي مطلقة أو عامَّة في بعض المواضع، ولكن يجب أن تخصص أو تقيد بما دلَّ على التخصيص والتقييد.

خاتمة:

ولنختم هذا البحث بما ورَد في الكتاب والسنة من تحريم الربا والتشديد فيه: قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278]، ففي هذه الآية تهديدٌ شديد ووعيد أكيد لِمَن لم يترك الربا وذلك بمحاربته لله ورسوله، فأيُّ ذنب في المعاملة أعظم من ذنب يكون فيه فاعله محاربًا لله ورسوله، ولذلك قال بعض السلف: مَن كان مقيمًا على الربا لا يتوب منه، كان على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضُرِب عنقه.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278]، إشارة إلى أن آكِل الربا لو كان مؤمنًا بالله ورسوله حق الإيمان راجيًا ثواب الله في الآخرة خائفًا من عقابه لما استمرَّ على أكل الربا - والعياذ بالله تعالى.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 275].

ففي هذه الآية وصف آكلي الربا بأنهم يقومون من قبورهم يوم القيامة أمام العالم كلهم كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسّ؛ يعني: كالمصروعين الذين تصرعهم الشياطين وتخنقهم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: آكل الربا يُبعَث يوم القيامة مجنونًا يُخنَق، ثم بيَّن الله ما وقع لهم من الشبهة التي أعمت بصائرهم عن التمييز بين الحق والباطل؛ فقال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، وهذا يحتمل أنهم قالوه لشبهة وقعت لهم وتأويل فاسد لجؤوا إليه كما يحتجُّ أهل الحِيَل على الربا، ويحتمل أنهم قالوا ذلك عنادًا وجحودًا، وعلى كلا الاحتمالين فإن هذا يدلُّ على أنهم مستمرُّون في باطلهم، منهمكون في أكلهم الربا، مجادِلون بالباطل ليدحضوا به الحق، نعوذ بالله من ذلك.

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 130-132]، ففي هاتين الآيتين:

نهى الله عباده المؤمنين بوصفهم مؤمنين عن أكل الربا، ثم حذَّرهم من نفسه في قوله: (واتقوا الله) ثم حذَّرهم النار التي اعدت للكافرين، وبيَّن أن تقواه وطاعته سببٌ للفلاح والرحمة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

وهذا كله دليلٌ على تعظيم شأن الربا، وأنه سبب لعذاب الله - تعالى - ودخول النار - والعياذ بالله تعالى من ذلك.

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: 39]، ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276].

فالربا لا يربو عند الله ولا يزداد صاحبه به قربة عند ربه؛ فإنه مال مكتسب بطريق حرام فلا خيرَ فيه ولا بركة، ولو أن صاحبه تصدَّق به لم يقبل منه إلا إذا كان تائبًا إلى الله - تعالى -: من ذلك الذنب الكبير فيتصدَّق به للخروج من تبعته عند عدم معرفته لأصحابه، وبذلك يكون بارئًا منه، أمَّا إن تصدَّق به لنفسه فإنه لا يقبل منه؛ لأنه لا يربو عند الله، بينما الصدقات المقبولة تربو عند الله، وإن أنفقه لم يبارك الله له فيه؛ لأن الله يمحقه أو يمحق بركته، فلا خير ولا بركة في الربا.

وعن أبي هريرة τقال: قال رسول الله ρ: ((اجتنبوا السبع الموبقات...))، وذكر منها الربا؛ متفق عليه.

وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ρ: ((رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة حتى أتيا على نهرٍ من دم فيه رجل قائم وعلى شطِّ النهر رجلٌ بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجرٍ في فمه فردَّه حيث كان، فجعل كلَّما أراد أن يخرج رمى في فمه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا الذي رأيته في النهر قال: آكل الربا))؛ رواه البخاري.

وعن جابر بن عبدالله – رضِي الله عنهما – قال: لعن رسول الله ρ آكِل الربا ومُوكِله، وكاتبه وشاهديه، وقال: ((هم سواء))؛ رواه مسلم وغيره.

وعن البراء بن عازب τ قال: قال رسول الله ρ: ((الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمَّه))؛ رواه الطبراني وله شواهد.

وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من الربا وبيان تحريمه، وأنه من كبائر الذنوب وعظائمها، فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من هذا الأمر العظيم، وليتب إلى الله – تعالى –: قبل فوات الأوان وانتقاله عن المال، وانتقال المال إلى غيره، فيكون عليه إثمه وغرمه، ولغيره كسبه وغنمه، وليحذر من التحيُّل عليه بأنواع الحِيَل؛ لأنه إذا تحيَّل فإنما يتحيَّل على مَن يعلم خائنة الأعين وما تُخفِي الصدور ولن تفيده هذه الحِيَل؛ لأن الصور لا تغيِّر الحقائق.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في كتاب "إبطال التحليل": ص 108: فيا سبحان الله العظيم، أيعود الربا الذي قد عظم شأنه في القرآن وأوجب محاربة مستحلِّه، ولعن أهل الكتاب بأخذه، ولعن آكله وموكله وشاهديه وكاتبه، وجاء فيه من الوعيد ما لم يجئ في غيره إلى أن يستحلَّ جميعه بأدنى سعيٍ من غير كُلْفَة أصلاً إلا بصورة عقد هي عبث ولعب يضحك منها ويستهزأ بها... أم يستحسن مؤمن أن ينسب ربَّ العالمين إلى أن يحرِّم هذه المحارم العظيمة، ثم يبيحها بنوعٍ من العبث والهزل الذي لم يقصد ولم يكن له حقيقة، وليس فيه مقصود للمتعاقدين قطُّ؟

وقال في ص137: وكلَّما كان المرء أفقه في الدين وأبصر بمحاسنه، كان فراره من الحِيَل أشدَّ، قال: وأظن كثيرًا من الحيل إنما استحلَّها مَن لم يفقه حكمة الشارع، ولم يكن له بُدٌّ من التزام ظاهر الحكم، فأقام رسم الدين دون حقيقته، ولو هدي إلى رشده لسلم لله ورسوله، وأطاع الله ظاهرًا وباطنًا في كل أمره.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أسأل الله – تعالى –: أن يُوقِظ بمنِّه وكرمه عباده المؤمنين من هذه الغفلة العظيمة، وأن يقيهم شحَّ أنفسهم ويهديهم صراطه المستقيم إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

82- الأسباب التي تزول بها عقوبات الذنوب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

قد دلَّت نصوص الكتاب والسُّنة على أنَّ عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

أحدها: التوبة، وهذا متَّفق عليه بين المسلمين، قال – تعالى –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، وقال – تعالى –: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 104]، وقال – تعالى –: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25]، وأمثال ذلك.

السبب الثاني: الاستغفار، كما جاء في الصحيحين عن النبي ρ أنَّه قال: ((أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: أي ربِّ، أذنبتُ ذنبًا، فاغفره لي فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرتُ لعبدي، ثم أذنب ذنبًا آخرَ، فقال: أي ربّ، أذنبت ذنبًا آخرَ فاغفرْه لي، فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، فليعملْ ما شاء، قال ذلك في الثالثة أو في الرابعة))، وفي صحيح مسلم عنه: أنه قال: ((لو لم تُذنبوا لذَهَب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله، فيغفر الله لهم))[295].

السبب الثالث: الحسنات الماحية، كما قال – تعالى –: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114]، وقال ρ : ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكفِّرات لِمَا بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر))[296]، وقال: ((مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه))[297]، وقال: ((مَن قام ليلة

---

295 وقال – تعالى –: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110].

296 رواه أحمد ومسلم، والترمذي بإسناد صحيح.

297 رواه أحمد و البخاري ومسلم.

القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه))[298]، وقال: ((مَن حجَّ هذا البيت، فلم يرفُثْ ولم يفسق رَجَع من ذنوبه كيومَ ولدتْه أمُّه))[299]، وقال: ((فِتنةُ الرجل في أهله وماله وولده تُكفِّرها الصلاةُ والصيام والصدقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر))[300]، وهذه الأحاديث وأمثالها في الصِّحاح، وقال: ((الصدقة تُطفِئ الخطيئةَ كما يطفئ الماءُ النار[301]، والحسد يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطب))[302].

السبب الرابع - الدافع للعِقاب -: دعاءُ المؤمنين للمؤمن، مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي ρ أنه قال: ((ما مِن ميِّت يصلِّي عليه أمَّة من المسلمين يبلغون مائةً كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه))، وعن ابن عباس قال: سمعتُ رسول الله ρ يقول: ((ما مِن رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يُشرِكون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه))؛ رواهما مسلم، وهذا دعاءٌ له بعدَ الموت، فلا يجوز أن تُحمل المغفرة على المؤمِن التقي الذي اجتنبَ الكبائر، وكُفِّرت عنه الصغائر، فإنَّ ذلك مغفورٌ له، فعلم أنَّ هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميِّت.

السبب الخامس: ما يُعمل للميِّت من أعمال البرِّ، كالصدقة ونحوها، فإنَّ هذا ينتفع به بنصوص السُّنة الصحيحة الصريحة، واتفاق الأئمَّة، وكذلك العِتق والحجّ، بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنَّه قال: ((مَن مات وعليه صيامٌ صام عنه وليُّه))، وثبت مثل ذلك في الصحيح في صوم النَّذْر من وجوه أخرى، ولا يجوز أن يُعارَض هذا بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: 39]؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أنَّ المؤمن ينتفع بما ليس مِن سعيه كدُعاء الملائكة واستغفارهم له، ودعاء المؤمنين واستغفارهم، وكدُعاء المصلِّين للميِّت ولِمَن زاروا قبره من المؤمنين.

الثاني: أنَّ الآية ليست في ظاهرها إلا أنه ليس له إلاَّ سعيه، وهذا حقٌّ، فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سَعْي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه، ولا يستحقُّه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحَمه به، كما أنَّه دائمًا يرحم عبادَه بأسباب خارجة عن مقدورهم، وهو - سبحانه - بحِكمته

---

298 رواه البخاري ومسلم.

299 متفق عليه.

300 متفق عليه.

301 رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

302 رواه ابن ماجه عن أنس، ورمز السيوطي لحُسْنه.

ورحمته يرحَمُ العباد بأسباب يفعلها العباد؛ ليثبت أولئك على تلك الأسباب، فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه ρ أنَّه قال: ((ما مِن رجل يدعو لأخيه بدعوة إلاَّ وَكَّل الله به مَلَكا، كلَّما دعا لأخيه قال المَلَك الموكل به: آمين، ولك بمِثل[303] وكما ثبت عنه ρ في الصحيح أنَّه قال: ((مَن صلَّى على جنازة فله قيراط، ومَن تَبِعها حتى تدفنَ فله قيراطان، أصغرُهما مثل أُحد))[304]، فهو قد يرحم المصلِّي على الميِّت بدعائه له، ويرحم الميِّت أيضًا بدعاء هذا الحي له.

السبب السادس: شفاعة النبي ρ وغيره في أهْل الذنوب يوم القيامة، كما قد تواتر عنه أحاديثُ الشفاعة، مثل قوله ρ في الحديث الصحيح: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي))[305]، وقوله ρ (خُيِّرتُ بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة فاخترتُ الشفاعة[306]؛ لأنَّها أعم وأكثر، أترونها للمتقِين؟ لا، ولكنَّها للمذنبين المتلوثين الخطَّائين)).

السبب السابع: المصائب التي يُكفِّر الله بها الخطايا في الدنيا: كما في الصحيحين عنه ρ أنه قال: ((ما يُصيب المؤمنَ من وَصَب ولا نَصَب، ولا هَمٍّ ولا حزن، ولا غَمٍّ ولا أذًى، حتى الشوكة يُشاكُها إلا كَفَّر الله بها مِن خطاياه)).

السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفِتنة والضَّغْطة والروعة، فإنَّ هذا مما يُكفَّر به الخطايا.

السبب التاسع: أهوال يوم القيامة وكُربها وشدائدها.

السبب العاشر: رحمةُ الله وعفوه ومغفرته، بلا سببٍ من العِباد[307].

* * *

83- من أوصاف المؤمنين

303 رواه مسلم.

304 رواه البخاري.

305 رواه أحمد وأبو داود، وابن حبان والحاكم.

306 رواه أحمد فى مسنده عن أبي موسى بلفظ: ((أتاني آت من ربي، فخيرني في أن يدخل نصف أمَّتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا))، قال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات، وقال المنذري: رواه الطبراني بأسانيدَ أحدها جيِّد، وابن حبان فى صحيحه بنحوه.

307 من "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (7/ 487 - 501) باختصار.

قال الله - تعالى -: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1 - 5].

يقول الله - تعالى -: هذا الكتاب - وهو القرآن - لا شكَّ فيه أنَّه نَزَل من عند الله، وأنه الحقُّ والصدق، ثم وصفَه بأنه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: هادٍ لهم ومرشِد، ومبيِّن الحلال من الحرام، والرُّشْد من الغَيِّ، والحق من الباطل، والهُدى من الضلال، وخُصِّت الهداية للمتقين، وهم المؤمنون؛ لأنَّهم هم المنتفعون به، العاملون بما فيه من الأوامر والنواهي، والفرائض والحدود، وفعْل الواجبات، وترْك المحرَّمات ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

والتقوى هي طاعةُ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والمتَّقون هم الذين يعملون الواجبات، ويمتثلون المأمورات؛ رغبةً في الثواب، ويتركون المحرَّمات، ويتجنَّبون المنهيات؛ خوفًا من العِقاب، ثم وصف الله هؤلاء المؤمنين بأوصاف خمسة:

1- أولها: أنهم يؤمنون بالغيْب؛ أي: يُصدِّقون بما غاب عنهم ممَّا أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، يُصدِّقون بذلك بأقوالهم وأفعالهم واعتقادهم، فالإيمان الشرعي المتَّفق عليه لا بدَّ وأن يكون قولاً باللسان، واعتقادًا بالقلب، وعملاً بالجوارح، فهؤلاء المؤمنون يُصدِّقون بالله وأسمائه الحسنى وصفاتِه العلى، وأنه - سبحانه - مستوٍ على عرشه، عالٍ على خَلْقه، وأنه - تعالى - مع عباده أينما كانوا يَرى مكانهم، ويسمع كلامهم، ويعلم إسرارهم وإعلانهم، ويصدِّقون بملائكة الله العباد المكرمون ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20]، ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، ويصدِّقون بوجود الجِنّ، حيث أخبر الله عنهم في كتابه، ويصدِّقون بكلِّ كتاب أنزل الله، وبكلِّ رسول أرسله الله.

2- الثاني من أوصاف المؤمنين المتَّقين في هذه الآيات: أنهم يقيمون الصلاة، وإقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود، والتلاوة والخشوع، والإقبال على الله فيها، والمحافظة على مواقيتها ووضوئها، وركوعها وسجودها، فهم يقيمونها ويحافظون عليها؛ لِمَا يعلمون ما في إقامتها من الثواب، وما في تَرْكها والتهاون بها من العقاب، فقد قال الله في حقِّ المحافظين عليها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 34 - 35]، وقال في حقِّ المضيعين لها بتأخيرها عن وقتها ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4 - 5]،

والصلاة صِلة بالله، وهى مشتملة على توحيده، والثناء عليه وتمجيده، والابتهال لله ودعائه، والتوكُّل عليه، فينال المصلِّي بهذه الصلاة تكفيرَ السيئات، وزيادة الحسنات، ورفْع الدرجات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، فهي راحة المؤمنين، ولذة نفوسهم، وقرَّة عيونهم، كما قال سيِّدُهم وإمامهم محمَّدٌ ρ : يا بلال، أرِحْنا بالصلاة[308]، وقال: جعلت قرَّة عيني بالصلاة[309].

الثالث - ممَّا وصف الله به المؤمنين في هذه الآيات -: أنَّهم ينفقون ممَّا رزقهم الله النفقاتِ الواجبةَ والمستحبة، فيُخرجون زكاةَ أموالهم، وينفقون على أولادهم ووالديهم، وأزواجهم وأقربائهم، ثم على سائر الفقراء والمساكين بقَدْر يُسْرِهم واستطاعتهم؛ لِمَا يرجُون من الثواب، ويعلمون أنَّ الأموال عَوارٍ وودائعُ سوف يفارقونها؛ لذلك يبادرون في إنفاقها في حياتهم لتفيدَهم بعدَ وفاتهم، وأتى بـــ"مِن" الدالة على التبعيض؛ لأنه لم يأمرهم إلا بإنفاق جزء يسير لا يضرُّهم، وفي قوله ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ تنبيه إلى أنَّ هذه الأموال لم يكتسبوها بحَوْلهم وقوتهم، وإنَّما هي رِزْق الله ساقه إليهم، ويسَّره لهم؛ ليختبرهم به، هل يشكروا فيزيدهم، أو يكفروا فيعذبهم.

4- من أوصاف هؤلاء المؤمنين: أنهم يُصدِّقون بما جاء به محمَّد ρ من عند الله، وما جاء به مَن قَبْله من المرسَلين، لا يُفرِّقون بينهم، ولا يكذبونهم، ولا يجحدون ما جاؤوا به من ربهم، وقد أنزل الله من السماء مائةَ صحيفة وأربعةَ كتب، أنزل منها خمسين صحيفة على شيث بن آدم، وعلى إدريس النبيِّ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرة وعلى موسى عشرة قبل التوراة، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيلَ على عيسى، والزَّبورَ على داود، والقرآنَ على محمد ρ وهو أفضلُها وأكملُها وأعلاها، وقد اشتمل على كلِّ ما يحتاج إليه البشر في دِينهم ودنياهم، كما قال - تعالى -: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، فهم يؤمنون به ويتدبَّرون معانيَه، ويعملون به ليكون حُجَّةً لهم عند ربهم، وشفيعًا لهم يوم القيامة.

5- والخامس من أوصاف المؤمنين: أنَّهم يؤمنون بالآخرة إيمانًا يقينيًّا لا شكَّ فيه، ولا تردُّد، فيعملون عملَ مَن يرجو الثواب، ويخاف العِقاب، والآخرة اسمٌ لِمَا يكون بعد الموت، وأولها القبر، فيصدِّقون بنعيمه وعذابه، وأنَّه روضة من رِياض الجنة، أو حُفْرة من حُفَر النار، ويؤمنون بالبعث والجزاء والحساب، والثواب والعِقاب، والحوض المورود للنبيِّ ρ ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وأحلى من العَسَل، وألْيَن من الزُّبْد، وأبرد من الثلج، وأطيب رائحةً من المِسْك، آنيته عددَ نجوم السماء،

308رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح

309 رواه أحمد والنسائي، وسنده حسن.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَن شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، تَرِد عليه أمَّةُ محمد ρ ويُطرَد عنه مَن غيَّر سُنَّته وبدَّلها، أو ردَّها أو خالفها، كما يُطرَد البعير الهامل عن حِياض القوم.

كما يُصدِّق المؤمنون بصُحف الأعمال التي تكون باليمين والشمائل، ويُصدِّقون بالميزان ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 102 - 103]، كما يُصدِّقون بالصِّراط، وهو الجِسْر الموضوع على متْن جهنم، يمرُّ الناس عليه على قدْر أعمالهم، فناجٍ مُسلَّم، ومُكَرْدس في النار.

ويصدقون أنَّ هناك نارًا تلظَّى، لا يصلاها إلا الأشْقَى، الذي كذَّب وتولى، فلا يموت فيها ولا يحيا، كلَّما نضِجت جلودُهم بُدِّلوا جلودًا غيرها؛ ليذوقو العذاب، والتي جُمِع فيها أنواع العذاب من الزقُّوم والحميم والإحراق، والجوع والعطش، والضِّيق والحبس ﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36]، ولا لحظة واحدة، ثم يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 107 - 108]، ويقولون: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ (ليميتنا فنستريح) قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: 77 - 78]، وأنَّ هناك جَنَّةً عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين، فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذُّ الأعين، وهم فيها خالدون ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: 55 - 57]، جنة عالية قطوفها دانية، ويقال لهم: كلوا من هذه الثمار، واشربوا مِن هذه الأنهار هنيئًا، بسبب أعمالكم الطيِّبة في الدنيا ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: 15]، وهم فيها خالدون، جزاء بما كانوا يعملون، فهل يستوى هؤلاء ومَن هو خالد في النار ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15]، ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20].

إذا دخلوا نودوا: إنَّ لكم أن تنعموا، فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تَصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تُخلَّدوا فلا تخرجوا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، لمثل هذا فليعملِ العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ثم أخبر الله - تعالى -: أنَّ المتَّصفين بالإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله، والإيمانِ بما أُنْزِل إلى الرسول ومَن قبله من الرُّسل والإيمان والإيقان بالدار الآخرة، مع الاستعداد لها بالأعمال الصالحات، وترْك المحرَّمات، هؤلاء على هُدًى من ربِّهم؛ أي: نور وبيان، وبصيرة من الله

تعالى، وهم الفائزون والمفلحون في الدنيا والآخرة بحصول الثواب، والسلامة من العِقاب، والفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب، وذلك فضْل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

84- أسباب السعادة

قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، وقال الله - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 - 3] [310]، وقال - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، وقال - تعالى -: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 28]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2 - 3]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 - 71]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277]، وقال - تعالى -: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وعن أبي أمامة τ قال: سمعتُ رسول الله ρ يخطب في خطبة الوداع، فقال: ((اتقوا ربَّكم، وصلُّوا خمسَكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم، أطيعوا ذا أَمْرِكم تدخلوا جنَّةَ ربِّكم))؛ رواه أحمد والترمذي.

310 دلَّت السورة على أن كل إنسان خاسر إلا مَن اتصف بالصفات الأربع المذكورة.

وقال ρ : ((مَن أحبَّ أن يُزحزح عن النار، ويُدخَل الجنة فلتأته منيتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخِر، وليأتِ إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤتَى إليه))؛ رواه مسـلم، وقال ρ : ((عجبًا لأمر المؤمن! إنَّ أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصـابتْه سـرَّاءُ شَـكَر، فكان خيرًا له، وإن أصابتْه ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له))[311]، وقال ρ : ((يا أيُّها الناس، أفشُوا السلام، وأطعِموا الطعام، وصِـلُوا الأرحام، وصَـلُّوا باللَّيْل والناس نيام، تدخلوا الجَنَّة بسـلام))[312]، وقال: ((الكَيِّس مَن دان نفسـه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز مَن أتْبع نفسـه هواها، وتمنَّى على الله الأمانيّ))[313]، وقال: ((قد أفلح مَن أسـلم ورُزِق كفافًا وقَنَّعه الله بما آتاه))[314]، وقال: ((ثلاث منجيات: تقوى الله في السِّرِّ والعلانية، والقول بالحق في الغضب والرِّضا، والقصْد في الفقر والغِنى))[315].

فيتلخَّص مما سبق من أسباب السعادة ما يأتي:

1- الإيمان الصادق بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيرِه وشرِّه.

2- العمل الصالح الخالص لله، الموافِق للسُّنة، وفي مقدِّمة ذلك القيام بأركان الإسلام الخمسة.

3- التواصي بالحقِّ الذي شرع الله ورسوله، وأمر به.

4- التواصي بالصبر على طاعة الله، والصَّبْر عن معاصيه، والصبر على أقداره المؤلِمة.

5- تقوى الله - تعالى - وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

6- التوبة النصوح في جميع الأوقات مَن جميع الذنوب والسيئات.

7- طاعة وليِّ الأمر في غير معصية الله.

8- معاملة الناس بما تحبُّ أن يُعامِلوك به.

9- الشكر عند النِّعم، والصبر عند المصائب.

10- إفشاء السلام، وصِلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة في اللَّيْل والناس نِيام.

11- القناعة برِزق الله، وهي كَنْز لا يَفْنى.

12- الاقتصاد في النفقات.

---

311 رواه أحمد ومسلم عن صُهَيب.

312 رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

313 رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه والحاكم، عن شداد بن أوس، ورمز السيوطي لضعفه.

314 رواه أحمد ومسلم، والترمذي وابن ماجه.

315 رواه أبو الشيخ فى "التوبيخ"، والطبراني في "الأوسط"، ورمز السيوطي لضعفه.

13- الاستمرار على ذلك، والثبات والاستقامة عليه، حتى الموت ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: 13 - 14].

14- الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، ويشمل جِهادَ النفس، وجهادَ الشيطان، وجهادَ الكفَّار، وجهادَ المنافقين.

15- الهجرة من بلد الشِّرْك إلى بلد الإسلام، وهَجْر ما نهى عنه الله ورسوله.

اللهم اختمْ لنا بخاتمة السعادة، ويسِّر لنا أسبابها يا ربَّ العالمين، يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا قريبُ يا مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

85- أوصاف المؤمنين الجامعة

لَمَّا كان الإيمان أصلَ كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة، وبفَقْده يُفقد كلُّ خير ديني ودنيوي وأخروي، أكثر الله مِن ذِكْره في القرآن؛ أمرًا به، ونهيًا عن ضدِّه، وترغيبًا فيه، وبيانًا لأوصاف أهله، وما لهم مِن الجزاء الدنيوي والأخروي.

وصف الله المؤمنين في كتابه بتصديقهم وإذعانهم لجميع عقائد الدِّين، وبحبِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، وبالعمل به، والتباعد والحذر من كلِّ ما يبغضه الله، وبإدامة الإنابة والرُّجوع إلى الله في كلِّ حال، وكان لإيمانهم أطيبُ الثمرات في الأعمال والأخلاق.

فوصَف المؤمنين بالإيمان بالأصول الجامعة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيرِه وشرِّه، وأنهم يؤمنون بكلِّ ما جاء به الرسلُ كلُّهم، ويؤمنون بالغيب، ووصَفهم بالسمع والطاعة، والانقياد ظاهرًا وباطنًا لأوامر الله ورسوله، ووصَفهم بأنهم ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2 - 4]، ووصفهم بأنْعم وأطيب البشرى ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: 34 - 35].

ووصَفهم بأنَّ جلودهم تقشعرُّ، وعيونَهم تفيض من الدَّمع، وقلوبهم تلين وتطمئن لآيات الله وذِكْره، وبأنهم يخشَوْن ربهم بالغيب والشهادة، وأنهم يؤتون ما آتو وقلوبهم وَجِلة أنهم إلى ربهم

راجعون، ووصَفَهم بالخشوع في أحوالهم عمومًا، وفي الصلاة خصوصًا، وأنهم عن اللغو مُعرِضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون، إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكتْ أيمانهم، وأنهم بشهاداتهم قائمون، ولأماناتهم وعهدهم راعون.

ووصفَهم بأنهم يمشون على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، وأنهم يَبِيتون لربهم سُجَّدًا وقِيامًا، وأنهم يقولون بدعائهم وأعمالهم وأخلاقهم ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: 65]، وأنهم مقتصدون وسطٌ في كل شؤونهم، وإذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتروا، وكان بين ذلك قوامًا، وأنهم لا يَدْعون مع الله إلها آخرَ، ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق ولا يَزْنون، وأنهم لا يشهدون الزور، وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كِرامًا، وأنهم إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخرُّوا عليهم صمًّا وعميانًا، بل خرُّوا سُجدًا وبُكيًّا، ويخرُّون للأذقان يبكون وتزيدهم رؤيةُ آيات الله وسماعها خشوعًا وإخباتًا، وأنهم يطلبون السمو والعلو دائمًا، فلا يرضَوْن إلا أن يكونوا أئمَّة الهدى والإيمان، والتقوى ومكارم الأخلاق.

وأنهم يُقدِّرون الواجب عليهم، ومسؤوليتهم أمام الله عمَّا استرعاهم من الأولاد والزَّوْجات وغيرهم، فيُحسنون القيام عليهم في تأديبهم وتربيتهم؛ ليكونوا قُرَّة عين لهم، ووصفهم باليقين الكامل الذي لا رَيْبَ فيه، وبالجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ووصَفَهم بالإخلاص لربِّهم في كل ما يأتون ويذرون.

ووصفهم بمحبَّة المؤمنين، والدعاء للسابقين واللاحقين منهم، وأنهم مجتهدون في إزالة الغِلِّ من قلوبهم على المؤمنين، وبأنهم يتولَّوْن اللهَ ورسولَه وعباده المؤمنين، ويتبرَّؤون من موالاة جميع أعداء الدِّين، وبأنهم يأمرون بالمعروف، ويَنْهَون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله في كل أحوالهم، فجمع الله لهم بين العقائد الحَقَّة، واليقين الكامل، والإنابة التامة، التي آثارها الانقيادُ لفِعْل المأمورات، وترْك المنهيات، والوقوف على الحدود الشرعيات.

فهذه الأوصاف الجليلة هي وصفُ المؤمن المطلَق الذي سَلِم من أسباب العقاب، واستحق جميلَ الثواب، ونال كلَّ خير رُتِّب على الإيمان، فإنَّ الله أَمَر بالعدل والإحسان، ونهى عن الجور والطُّغْيان، فأمر بكل معروف، ونهى عن كل منكر، فما تَرَك خيرًا إلاَّ هدَى إليه، ولا شرًّا إلا حذَّر منه، وقد سمَّاه الله هدًى ودِينًا حقًّا، وأعلاه على جميع الأديان، قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33][316]، وسوف يُسأل الإنسان عن هذا الدِّين في قبره، ويومَ حَشْره، وعليه يقع الجزاء، فيسأل في قبره مَن ربُّك؟

316 وآية (9) من سورة الصف.

وما دِينك؟ ومَن نبيُّك؟ ويُقال يومَ القيامة: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فليُعدَّ العبدُ لذلك السؤال جوابًا صحيحًا عن طريق تطبيقه لهذا الدِّين، حتى يثبتَه الله هناك بالقول الثابت قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 17].

وقال الشاعر:

الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ = فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

إذا كان هذا الدِّين هو الذي خُلِق له العبد، وعنه يسأل، وعليه يُجازَى، فالعجب كل العجب ممَّن يتنكَّر لهذا الدِّين، فيُعرِض عنه لا يعلمه، ولا يتعلَّمه، ولا يعمل به، بل يُبغض الدِّين وكُتبَ الدِّين، وأهلَ الدِّين.

قال الشاعر:

وَمَا الدِّينُ إِلاَّ الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلا = كَذَاكَ الْبَرَا مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَآثِمِ

وهل ذلك إلاَّ ارتداد على الوراء، واستبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير، ومحاربة لله ورسوله، وعباده المؤمنين، فمَن عادَى وليًّا لله فقد بارز الله بالمحاربة، قال - تعالى - في الحديث القدسي: ((مَن عادَى لى وليًّا فقد آذنتُه بالحرْب))؛ رواه البخاري.

ومن نواقض الإسلام المجمَع عليها: الإعراض عن دين الله لا يعلمه ولا يتعلَّمه، ولا يعمل به، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: 22]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: 17]، وقال - تعالى -: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

إنَّ من أعداء هذا الدين مَن يُروِّجون باطلَهم وإلحادهم باسم التقدُّم والرُّقيّ، والترفيه عن النفس، ويرمون أهلَ الدِّين المتمسكين به بالتأخُّر والجمود والرجعية، قال - تعالى -: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: 5]، وقال - تعالى -: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

فدِين الله عالٍ على جميع الأديان، وقد كتب له البقاء والخلود إلى يوم القيامة، على رغم أنوف الكَفَرة والمشركين، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وقال ρ : ((لا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحقّ منصورةً لا يضرُّهم مَن خذلهم، ولا مَن خالفهم إلى يوم القيامة))؛ رواه مسلم، وأصلُه في الصحيحين، نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا منهم، وألاَّ يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهبَ لنا من لدنه رحمة، إنَّه هو الوهَّاب.

فإلى الإسلام من جديد، يا مَن يرجون رحمة الله، ويخافون عذابَه، تعلَّموا الإسلام، وافهموه على حقيقته، واعملوا به وحكِّموه في جميع شؤونكم لكي تفوزا بسعادة الدنيا والآخرة.

وفَّقنا الله وإيَّاكم لَمَا يحبه ويرضاه، وجعلنا جميعًا هُداةً مهتدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم، وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فأعِدَّ للسؤال جوابًا صحيحًا.

يا أخي المسلم، أخلص لله نيتك، وأقوالك وأفعالك، وحافِظْ على الصلوات في أوقاتها، وأخرِجْ زكاة مالك إلى مستحقِّيها قبل أن تكون ثعبانًا يطوقك في قبْرك ويوم حَشْرك، أخرِجْ زكاة مالك قبل أن يُحمَى عليها في نار جهنمَ فيُكوى بها جبينُك وجنبك وظهرك، حافظْ على صيام رمضان بالامتناع عن المفطرات، وحِفْظ الجوار من المحرَّمات من الكلام المحرَّم، والنظر المحرَّم، والسماع المحرَّم، والأكْل والشُّرْب المحرَّم، فإنَّ هذه الأعمال تمنع الأجْرَ والثواب، وتذهب الحسنات، وتوجب العقابَ الأليم والعذاب لِمَن لم يتب منها، ومَن تاب تاب الله عليه، وغَفَر له ورَحِمه، وهو التواب الرحيم.

حُجَّ البيت الحرام، وليكنْ حجُّك مبرورًا لتُجزَى به الجنة بأن تحجَّ كما شرع الله، وكما حجَّ رسولُ الله ρ وذلك بالمحافظة على الواجبات والمستحبَّات، وترْك المحرمات والمكروهات.

وعليك ببرِّ الوالدَين، وصِلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والفقراء والأيتام، واذْكُرِ الله كثيرًا بلسانك وقلْبك، قائمًا وقاعدًا وعلى جَنْب، يذكرْك برحمته ومغفرته، ويُثنِ عليك عند ملائكته، واستغفِرْه يغفرْ لك.

قال – تعالى –: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]، وقال ρ : ((قال الله – تعالى –: يا ابن آدم، لو بلغتْ ذنوبك عَنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك))، فهو تعالى: يغفر للتائبين والمستغفرين ذنوبَهم جميعًا، كما قال – تعالى –: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 53 - 55]، فتُبْ إلى الله يتبْ عليك ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25].

واحفظِ الله يحفظْك، واتَّق الله حيثما كُنت، وادع الله يستجبْ لك، واسألْه يُعطِك، وكن مع الله يكُنْ معك ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وأحسن عبادة الله

كأنَّك تراه، فإنَّه - تعالى - يراك ويسمعك، ويعلم سِرَّك وعلانيتك، وأحسِنْ إلى عباد الله بما تستطيع يُحسنْ إليك ويرحمك ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

يا أخي المسلِم، انتبهْ لنفسك، وحاسِبْها قبل الحساب، وقبل هجوم الموْت وانقطاع اللذَّات، ودوامِ الحسرات ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، اللهم تُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا خطايانا يومَ الدِّين، ولا تُخْزِنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلاَّ مَن أتى الله بقلب سليم، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار، ربَّنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم، آمين يا ربَّ العالمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا قريبُ مجيب، يا سميع الدعاء، يا واسعَ الفضل والعطاء، وصلَّى الله على محمد.

86- وجوب شكر النعم

والحذر من صرفها في غير مصارفها

لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الحمدُ لله وحْدَه، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحْبِه، أما بعد: فقد يبتلي الله عبادَه بالفقر والحاجة، كما حصَل لأهل هذه البلاد في أول هذا القرن قال - تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 155 - 156]

كما يبتليهم بالنِّعم وسَعة الرِّزْق، كما هو واقعنا اليوم؛ ليختبرَ ايمانهم وشكرَهم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15]، والعاقبة الحميدة في كل ذلك للمتَّقين الذين تكون أعمالهم وَفْقَ ما شرع الله، كالصبر والاحتساب في حال الفقر، وشُكْر الله على النِّعم، وصرْف المال مصارفَه في حال الغِنى، ومن الاقتصاد صرْفُ المال مصارفَه في المأكل والمشرب من غير تقتير على النفس والأهل، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة، وقد نَهَى الله عن ذلك كلِّه، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وقال - تعالى -: في النهي عن إضاعة المال ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: 5].

نَهى الله - جلَّ وعلا - في هذه الآية عن إعطاءِ الأموال للسفهاء؛ لأنَّهم يصرفونها في غير مصارفها، فدلَّ ذلك على أنَّ صرفها في غير مصارفها أمرٌ منهي عنه، وقال - تعالى -: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:

31]، وقال: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 26 - 27].

والإسرافُ الزِّيادة في صرْف الأموال على مقدار الحاجة، والتبذير في غير وجهها، وقد ابتُلي الناس اليومَ بالمباهاة في المآكِل والمشارب، خاصَّة في الولائم وحفلات الأعراس، فلا يكتفون بقدر الحاجة، وكثيرٌ منهم إذا انتهى الناس من الأكْل ألْقَوا باقي الطعام في الزبالة، والطرق الممتهنة.

وهذا مِن كُفْر النِّعمة، وسبب في تحويلها وزوالها، فالعاقل مَن يَزِن الأمور بميزان الحاجة، وإذا فضل شيءٌ عن الحاجة بحَث عمَّن هو في حاجته، وإذا تعذَّر ذلك وضَعَه في مكان بعيد عن الامتهان؛ لتأكلَه الدواب ومَن شاء الله، ويَسْلَم من الامتهان، والواجب على كلِّ مسلم أن يحرِص على تجنُّب ما نهى الله عنه، وأن يكون حكيمًا في تصرُّفاته مبتغيًا في ذلك وجهَ الله، شاكرًا لنعمه، حذرًا من التهاون بها، وصَرْفها في غير مصارفها، قال - تعالى -: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، وقال - عزَّ وجلَّ - : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وأخبر - سبحانه - أنَّ الشُّكْر يكون بالعمل لا بمجرَّد القول، فقال - سبحانه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، فالشكر لله - سبحانه - يكون بالقلْب واللِّسان والعمل، فمَن شكر الله قولاً وعملاً زادَه من فضله، وأحسن له العاقبة، ومَن كَفَر بنعم الله ولم يصرفْها في مصارفها، فهو على خَطَر عظيم قد توعَّده الله بالعذاب الشديد، ونسأل الله أن يصلِح أحوال المسلمن، ويمنحهم الفِقهَ في دينه، وأن يوفِّقنا وإيَّاهم لشكر نعمه، والاستعانة بها على طاعته، ونفع عباده إنَّه وليُّ ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على نبيِّنا محمد، وصحبه وسلم.

87- الأوامر والنواهي

قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

يخبر الله - تعالى -: أنَّه يأمر بالعدل والإحسان، فالعدلُ الذي أمر الله به يشمل العدلَ في حقِّه، وفي حق عباده، فالعدلُ في ذلك أداءُ الحقوق كاملة موفَّرة بأن يُؤدِّي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية، والمركَّبة منهما في حقِّه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدِّي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، ونوَّاب

الخليفة، ونوَّاب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ρ وأمرهم بسلوكه.

ومِن العدلِ في المعاملات أن تعاملَهم في عقود البَيْع والشراء، وسائر المعاوضات بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم، ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعَدلُ واجب، والإحسان فضيلةٌ مستحبَّة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعِلم، وغير ذلك من أنواع النَّفْع، حتى يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره، قال - عليه الصلاة والسلام - : ((إنَّ الله كَتَب الإحسان على كل شيء، فإذا قَتلتم فأحسِنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه، ولْيُرِح ذبيحتَه))[317]، ومعنى إحسان القِتْلة أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب، وإحسان الذَّبْح في البهائم أن يرفق بالبيهمة، وأن يوجِّهها إلى القبلة، ويُسمِّي ويُكبِّر، ويقطع الحلقوم والودجين، ولا يسلخها حتى تبرد، وخصَّ الله إيتاء ذي القربى وإن كان داخلاً في العموم؛ لتعيُّنِ حقِّهم، ولتعيُّن صلتهم وبرِّهم، والحِرْص على ذلك، ويدخل في ذلك جميعُ الأقارب قريبهم وبعيدهم، لكن كل من كان أقرب كان أحقَّ بالبر، وقوله - تعالى -: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ وهي كل ذنب عظيم استفحشتْه الشرائع والفِطر، كالشِّرْك بالله، والقَتْل بغير حق، والزِّنا والسرقة، والعُجْب والكِبر، واحتقار الخَلْق، وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كلُّ ذنب ومعصية تتعلَّق بحق الله تعالى، ويدخل في البغي كل عدوان على الخَلْق في الدماء والأموال والأعراض، فصارتْ هذه الآية جامعةً لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبقَ منكرٌ إلا دخل فيها، فهذه قاعدةُ سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل وإحسان وإيتاء ذي القُرْبى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي ممَّا نهى الله عنه، وبها يُعلم حسن ما أمر الله به، وقُبْح ما نهى الله عنه، وبها يُعْتبر ما عندَ الناس من الأقوال، وتردُّ إليها سائر الأحوال، فتبارك مَن جعل من كلامه الهُدى والشفاء، والنور والفرقان بين جميع الأشياء، ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: بما بيَّنه لكم في كتابه بأمرِكم بما فيه غاية صلاحكم، ونهيِكم عمَّا فيه مضرَّتكم، لعلَّكم تذكَّرون ما يعظكم فتفهمونه وتعقلونه، فإنَّكم إذا تذكرتموه وعقلتموه عملتُم بمقتضاه، فسعدتم سعادةً لا شقاوة معها[318].

وعن ابن مسعود τ أنَّه قال: إنَّ أجمع آية في القرآن هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90] الآية؛ أخرجه ابن جرير الطبري.

317 رواه مسلم.

318 تفسير ابن سعدي (4/ 113- 114)، ط -1.

وقد أمر الله – تعالى – في هذه الآية بثلاثة أشياء، هي أصول التقوى، وهي: العدل والإحسان وإيتاء ذي القُرْبى، كما نهى عن ثلاثة أشياءَ، هي أصولُ المعاصي والآثام، وهي: الفحشاء والمنكر والبغي.

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة:

1- وجوب العدْل في الأقوال والأفعال، والأحكام بين الناس، والعدْل بين الزَّوْجات في النفقة والكسوة، والمبيت والقِسْمة، والعدْل بين الأولاد في العطية والترغيب فيه وفضله، والحثّ عليه.

2- الحثُّ على الإحسان في كل شيء في عبادة الله، في إتقانها، والإحسان إلى الوالدين والأقارب والجيران، والإحسان إلى المماليك والبهائم.

3- الحثُّ على إيتاء ذي القُرْبى حقوقَهم، ووجوب ذلك.

4- تحريم الفواحش والمنكرات ما ظهر منها وما بطن.

5- تحريم البغي على الناس في دِمائهم وأموالهم وأعراضهم.

6- فضْل الله على خلقه، حيث أرشَدَهم إلى ما ينفعهم في دِينهم ودُنياهم، وحذَّرهم عمَّا يضرُّهم في دِينهم ودنياهم، فلله الحمد والشُّكْر، والثناء على ذلك.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

88- سماحة الإسلام ويسر تعاليمه

اختار الله الإسلامَ دينًا، وفضْله على جميع الأديان، وخَلَق لأجْله الخَلْق، وأنزل به كُتبه، وأرسل به رسله مبشِّرين ومنذرين؛ لئلاَّ يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل، وجعله دينًا ميسَّرًا سمحًا سهلاً، لا حرج فيه ولا مشقَّة، لم يوجب على معتنقيه ما لا يستطيعون، ولم يكلفْهم ما لا يطيقون، بل جعل تكاليفَه بحسب القدرة، وعلى الاستطاعة، كما قال – تعالى –: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقال – تعالى –: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، وقال – تعالى –: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، فهو الدِّين المعتبر عندَ الله، مَن تمسَّك به نجَا، ومن سلك طريقه اهتدَى، ومن عمِل به وصل إلى الدرجات العُلَى، ولن يقبل الله من أحد دينًا غيرَ الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، ولا مجوسية ولا شيوعية، ولا غيرها من المذاهب الهدَّامة، والنِّحَل المختلفة المنحرِفة عن الطريق السويّ، وسوف يخسر أولئك أنفسهم، ويخسرون ما أعدَّ الله لأوليائه المؤمنين من الفَوْز بالكرامة والنعيم والمقيم، قال – تعالى –:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

وهو الدِّين الكامل الشامل لكلِّ ما يحتاج إليه البشر في دِينهم ودُنياهم، الصالح لكلِّ زمان ومكان، إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها، وبه أتمَّ الله النِّعمة على عباده، ورضِيَه منهم، فلن يسخطه أبدًا قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

أباح الله في هذا الدِّين كلَّ طيِّب نافع، وحرَّم كلَّ خبيث ضارّ، ورتَّب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقلُّ عن مائة فائدة، كل واحدة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، رتَّب على الإيمان نَيْلَ رضاه الذي هو أكبرُ من كل شيء، ورتَّب عليه دخولَ الجَنَّة، والنجاةَ من النار، والسلامةَ من عذاب القبر ومِن أهوال القيامة، والبشرى الكاملة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والثباتَ في الدنيا على الإيمان والطاعات، وعندَ الموت وفي القبر، ورتَّب عليه الحياةَ الطيِّبة في الدنيا، والرِّزقَ الكريم، وتيسيرَه لليسرى وتجنيبه للعسرى، وطُمأنينةَ القلوب، وراحة النفوس، والقناعة التامَّة، وصلاح الأحوال، وصلاح الذرية، والصبر عند المِحَن والمصائب، وحمل الله عنهم الأثقال، ومدافعة الله عنهم جميعَ الشرور، والنَّصْر على الأعداء، ورفْع المؤاخذة عندَ النسيان والخطأ، وأنَّ الله قد وضع عنهم الآصار والأغلال التي تكبَّل بها المقلِّدون الغافلون، الأشقياء المعذَّبون في الدنيا والآخرة بكُفْرهم وشِرْكهم، فالإيمانُ أكبر وسيلةٍ للقُرْب من الله، والقُرْب من رحمته، ونيْل ثوابه، وأكبر وسيلةٍ لمغفرة الذنوب، وإزالة الشدائد وتخفيفها[319].

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

89- شكر النعم ومحاسبة النفس

يا أخي المسلم، أُذكِّرك الله ربَّك، الذي خلقك ورزقك، وأحياك وعافاك، والذي أطعمك وسقاك، وكساك وأواك، والذي متَّعك بسمعك وبصرك، وعقلك وقُوَاك.

والذي أمَّنك في وطنك على نفسك، وأهلك ومالك، والذي علَّمك ما لم تكن تعلم، وفضَّلك على كثير ممن خلق تفضيلاً، والذي سخَّر لك ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليك نِعمَه

319 من "القواعد الحسان لتفسير القرآن"؛ للشيخ عبدالله بن ناصر السعدي (ص: 102-106).

ظاهرةً وباطنة، فاحْمَدِ الله يا أخي المسلم، اشْكُرْه على نِعمه بالاستعانة على طاعته، لكي تستقرَّ ويزيدَك منها، قال – تعالى –: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

يا أخي المسلم، انتهزْ فرصةَ شبابك، وصحَّتك وحياتك قبل زوالها، فإنَّ الحياةَ محدودة، والأنفاسَ معدودة، والأعمالَ والأقوال محسوبة، ومكتوبة ومحفوظة، وسوف تُسأل عنها، وتجازَى عليها أتمَّ الجزاء، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشرّ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7 – 8]، وسوف تُسأل عن سمعك وبصرك، وما انطوى عليه ضميرك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 36]، كما سوف تُسأل عن عمرك فيمَ أفنيتَه، وعن شبابك فيمَ أبليتَه، وعن مالك من أين اكتسبته وفيمَ أنفقتَه، وعن عِلْمك ماذا عملتَ فيه.

90- الإسلام دين الكمال والشمول

جاء الإسلام بما يحتاج إليه البشرُ في دِينهم ودُنياهم، وفي عباداتهم ومعاملاتهم، وفي شتَّى المجالات، ومختلف نواحي الحياة، فهو منهجٌ للحياة البشرية بكلِّ مقوماتها، وقد اشتمل على المبادئ الراقية، والأخلاق والنُّظم العادلة، والأُسس الكاملة، ولذلك فالعالَم البشري مفتقرٌ بأجمعه إلى أن يأوي إلى ظلِّه الظليل، ذلك لأنَّه المبدأ النافع للبشر، فيه حلُّ المشاكل الحربية، والاقتصادية والسياسية، وجميع مشاكل الحياة التي لا تعيش الأُمم عيشةً سعيدةً بدون حلها، فعقائده أصحُّ العقائد، وأصلحُها للقلوب والأرواح، ويهدي إلى أحسن الأخلاق، فما مِن خُلُق فاضل إلا أمر به، ولا خُلق سيِّئ إلا نهى عنه؛ لهذا كانت القاعدة الكبرى لهذا الدين "رعاية المصالح كلها، ودفع المفاسد"، فهو يساير الحياةَ، وركْبَ الحضارة، فيأمر بطلب الأرزاق من جميع طُرقها النافعة المباحة، مِن تجارة وصناعة وزراعة، وأعمال متنوِّعة، ولم يُحرِّم إلا الأسباب الضارَّة التي تحتوي على ظلم وجور، وبغي وعُدوان، وذلك مِن محاسنه، وفيه الأمرُ بأخْذ الحَذَر من الأعداء، وتوقِّي شرورهم بكلِّ وسيلة، وقد حثَّ على الاجتماع والائتلاف، الذي هو الركن الأصيل للتعاون والتضامن والتكافل على المصالِح، ومنافع الدِّين والدنيا، ونهى عن الاختلاف والافتراق قال – تعالى –: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وفيه الإرشاد إلى جميع طرق العدل والرحمة المتنوِّعة، وفيه الحثُّ على الوفاء بالعقود والعهود، والمواثيق والمعاملات، التي بها قِوام العباد، وفيه

الأمر بإقامة العَدْل على النفس، والقريب والبعيد، والعدو والصديق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135].

وفيه الحثُّ على الأخذ على أيدي السفهاء والمجرمين، بحسب ما يناسب جرائمَهم، وردعهم بالعقوبات والحدود المانعة والمخفِّفة للجرائم، وبذلك حَفِظ على الناس نفوسَهم واحترَمَها، فأوجب القِصاصَ على مَن قتل مسلمًا متعمدًا ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، واحترَمَ أموال الغير، فأوجب قطْعَ يَدِ مَن سرق ثلاثة دراهم فأكثر ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38].

واحترَمَ الأعراض عن القَذْف، فأوجب ثمانين جلدةً على مَن قذف مسلمًا من غير بيِّنة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4]، واحترَمَ الأنساب، وحفظ الفروج، فأوجب رجْمَ الزاني المحصَن حتى يموت، وجَلْد مَن لم يحصن مائة جلدةٍ، مع تغريبه عامًا عن بلده ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: 2].

واحترم العقول، فحرَّم الخمرَ وكلَّ مُسْكِر، وسمَّاها أمَّ الخبائث، وأوجب الحدَّ في هذه الحدود على الغنيِّ والفقير، والشريف والوضيع، وقد أوجد الله الثقلين لعبادته الجامعة لمعرفته، والتقرُّب إليه بكلِّ قول وعمل أو منفعة، وخلق لهم ما في الكون مسخرًا لجميع مصالحهم، وأمَرَهم أن يستحصلوا هذه النِّعم بكلِّ وسيلة، وأن يستعينوا بها على طاعته، فمِن الغلط الفاحش بعد هذا أن يُعرِض المسلمون عن تحكيم هذا الدِّين، الذي هو غايةٌ في الكمال والشمول، والخلود والبقاء، ثم يستمدُّون نُظمَهم من النُّظم الأجنبية، والقوانين الوضعية، وقد قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 47].

ومَن احتجَّ بما يرى من حالة المسلمين اليوم، وتأخُّرهم عن مجارات الأمم في المخترعات، وسائر مرافق الحياة، فقد غَلِط وأخطأ في احتجاجه؛ لأنَّ المسلمين لم يقوموا حقَّ القيام بما دَعَا إليه هذا الدين، ولم يُحكِّموه في جميع أمورهم الدِّينيَّة والدنيويَّة، واكتفَوْا بالاسم عن المسمَّى، وباللفْظ عن المعنى، والواجب أن ينظروا في تعاليم هذا الدِّين وتوجيهاته وسُننه، ودعوته لجميع البشر إلى ما فيه خيرُهم المتنوِّع، وكما أنَّ هذا الدين هو الصلة بين العباد وبين ربِّهم يتقرَّبون به إليه، وبه يغدق عليهم خيراتِ الدنيا والآخرة، فإنَّه الصِّلة بين العباد بعضهم بعضًا، تقوم به حياتُهم، وتنحلُّ به مشاكلهم السياسية، والاقتصادية والمالية، وكلُّ حلٍّ بغيره فإنَّ ضررَه أكثرُ من نفعه، وشرَّه أعظمُ من خيره،

فإنَّ الدين يهدي للتي هي أقوم، وبه يتمُّ النشاط الحيوي، ويستمدُّ كل واحد من الآخر مادةَ الدين والحياة، لا كما يزعمه أعداءُ الإسلام: أنَّ الدين مؤخِّر، ومخدِّر لمواد الحياة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: 5].

فالإسلام هو الدين الكامل، الشامل لعموم الخَلْق وعموم المصالح، وكما أنَّ محمدًا ρ أُرسل إلى الناس كافَّة إنْسِهم وجنِّهم، فكذلك دِينُه قد تكفَّل بإصلاح أحوال الخَلْق إصلاحًا روحيًّا وماديًّا، وبه تمَّ الكمال وحصَل، وضمن لمن قام به الحياةَ من كل وجه؛ "الرياض الناضره لابن سعدي (ص: 143) بتصرف[320].

والعبادات ليستْ محصورةً في الصلاة والزكاة، والصوم والحج، بل جميعُ الأعمال التي يُتوسَّل بها إلى القيام بواجبات النَّفْس والعوائل، والمجتمع الإنساني هي عبادة، فالنفقات الخاصَّة والعامَّة عبادة، والصناعات التي تعيش على قيام الدِّين، ودفْع المعتدين مِن أفضل العبادات، والتطوُّرات التي فيها نفْعٌ للعباد، والتي لا تزال تتجدَّد في الحياة والمجتمع قد وَضَع لها هذا الدِّين قواعدَ وأسسًا، يتمكَّن العارف بالدِّين وبالواقع من تطبيقها، مهما كثُرتْ وعظُمَتْ، وتغيَّرت بها الأحوال، وهذا من كمال الدِّين، أما غيره من النُّظم والأسس، فإنَّها وإن عظمتْ واستحسنتْ، فإنها لا تبقى زمنًا طويلاً، بل تختلف باختلاف التطوُّرات، وكثرة التغيرات؛ لأنَّها مِن صُنْع البشر المخلوقين، الناقصين في علمهم وحكمتهم، وجميع صفاتهم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

91- أمثلة من سماحة الإسلام ويسر تعاليمه

1- أنَّه لا يكلِّف أحدًا فوق طاقته ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

2- إباحة المسْح على الخُفَّين والجوارب بدلَ غَسْل الرِّجْلين في الوضوء بشرْطه.

3- إباحة التيمُّم بدلَ الوضوء والغُسْل للمريض الذي يضرُّه الماء.

4- أنَّ الصلوات الخمس شُرِعت في أوقات مناسبة، لا تمنع من عمل، ولا تفوت بها مصلحة.

5- إباحة قصْر الصلاة الرباعيَّة في السَّفَر، والجَمْع بين الصلاتَيْن، والفِطر في رمضان للمريض والمسافر.

6- أنَّ المريض يصلِّي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعَلَى جنبه.

320 وانظر: "أحاديث الجمعة"؛ للشيخ عبدالله بن قعود (1/ 64).

7- أنَّ الزكاة لا تجب إلاَّ على مَن مَلَك نِصابًا، وحالَ عليه الحَوْل، ثم هي نسبة قليلة تنفع الفقيرَ، ولا تضرُّ الغني.

8- أنَّ الصوم لا يجب إلاَّ على المسلم البالِغ العاقل، القادر على الصوم.

9- أنَّ الحَجَّ لا يجب إلاَّ على المستطيع مرَّةً واحدة في العمر.

10- إباحة أكْل الميتة للمضطر.

11- إباحة البيوع والإجارات والشركات، وأنواع المعاملات.

12- أنَّ الأصل في الأشياء الطهارة والإباحة، فلا يحرم منها إلاَّ ما حرَّمه الله ورسوله.

13- مشروعية إقامة الحدود على المجرمين؛ لحفظ الدِّين والنَّفْس، والعقل والمال، والنسب والعِرض، والأمن في المجتمع، وهذا مِن محاسن الإسلام.

14- حِلُّ الطيبات النافعة، وتحريم الخبائث الضارَّة، فلله الحمد والشكر، والثناء على ذلك.

وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

92- من مقاصد الإسلام

للإسلام أهدافٌ يرمي إليها بتعاليمه السمحاء، ويأمر بالعملِ من أجْلها، يتلخَّص جُلُّها فيما يأتي:

1- السموُّ الروحي عن طريق تقوى الله تعالى، ومحاسبة الضمير، حيث يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

2- الاعتصام بحبل الله، حيث يقول الله - تعالى -: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وحبل الله دِينُه - الإسلام.

3- المساواة التامَّة بين عموم الأفراد، حيث يقول ρ : ((لا فَضْل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، إنَّ أكرمَكم عن الله أتقاكم)).[321]

4- الأُخوة الصادقة القائمة على التوادُد والتراحم، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ويقول ρ : ((المسلِمُ أخو المسلِم، لا يَظْلمه، ولا يَحْقِره، ولا يَخْذُله))؛ رواه مسلم.

4- التعاون حيث يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وحقيقة البِرِّ ما تضمنته الآية الكريمة، وهي قوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

321 رواه البيهقي، والطبراني بلفظ: ((لا فَضْلَ لأحد على أحد إلاَّ بالتقوى)).

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

6- القسط والعدالة العامَّة، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: 29].

7- الإحسان، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، وقال - تعالى -: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

8- الوحدة الشاملة في كلِّ شيء، في الدين واللُّغة، والاتجاه والمقاصد، والعادات والأخلاق، والثقافة والتعليم والسياسة، وكلِّ ما مِن شأنه أن يجعل الأمَّةَ متضامنةً متحدِّة اتحادًا وثيقًا لا انفصامَ له.

9- الْتزام الصِّدْق في القول، والإخلاص في القَوْل والعمل، والوفاء بالعهد، والمحافظة على المواعيد، والصبر على الشدائد، والبرِّ بالآباء، وتوقير الكبير، والعطف على الصغير، مع التواضُع والحِلم، والعناية باليتيم والفقير والمسكين.

10- الامتناع عن الغِيبة والنميمة، والحَسَد والخِيانة، والكذب والتجسُّس، والغِشّ في المعاملة، والتطفيف في الميزان، وغير ذلك من كلِّ ما يؤدِّي إلى العداوة والبغضاء، كالسُّكْر، والمعاملة بالرِّبا.

11- الإسلام يدعو إلى كلِّ الفضائل والمكْرُمات، ويأمر بالعمل لتحصيلِ منافع الدنيا، وكسب الرِّزْق بشتَّى أنواع العمل المشروع، كالتجارة والزراعة والصناعة، والأخْذ بأسباب القوَّة، وإعداد العُدة، وما يكون موجبًا للعِزَّة وإقرار السلام، ويحضُّ الناس على النظافة والزينة، وجميع الطيِّبات، ويدعوهم إلى البحْث والتفكير في أسرار الكائنات، وطبائع المخلوقات، ويوجِب تعميم التعليم للعِلم النافع، كعلم الأصول والعقائد، والتفسير والحديث، والفقه واللُّغة.

والإسلام لا ينهى إلاَّ عن كل ما فيه ضررٌ بالعقل أو الجسم، أو كان مناقضًا لِمَا يرضي الله، كما أنَّه ينهى عن الاعتداء على حقوق الغَيْر، أو الإساءة إليهم، ويربأ بمعتنقيه من كل أمر فيه دناءة، أو مَسَاس بالشَّرَف، أو مدعاة للانحطاط، والمنافاة للأدب وعِزَّة النفس، وعلو الهمَّة.

هذا بعض ما يدعو إليه الإسلامُ من الفضائل والمبادئ، فإليها ندعو جميعَ الأمم، كما دعاهم الله - سبحانه وتعالى - إليها، وبَعَث رسوله ρ داعيًا إلى ذلك، ومبشِّرًا للمطيع بالجنة، ومنذرًا للعاصي بالنار، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45 - 46][322].

93- من محاسن الإسلام

322 من رسالة "جوهر الدين"؛ تأليف عبدالحميد الخطيب.

لا شكَّ أنَّ الدين الإسلامي دينٌ سماوي، لم يكن لأمَّة من الأمم مثلُه، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيرُه، إذ هو دين عام، مبين لأحوال المجتمع الإسلامي، بل البشرية عامَّة، وبه كمُل النظام، فهو جامع شامِل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية، فإنَّه بيَّن الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربِّه، من صلاة وزكاة، وصوْم وحجّ، وشَرَع نظافة البدن فأمر بغُسْل الجنابة والجُمُعة والعِيدين، أو بعضًا كالوضوء عندَ كل فريضة من الفرائض الخمس.

وشرع أمورَ الفِطرة مِن خِتان، وقصِّ شارب، وتقليم أظفار، ونتْف إبْط، والسِّواك، وحَلْق العَانَة، كما أرشدَنا الإسلام إلى تجميل الثياب، وأن تكون على أحسن هيئة وأكملها، كما سَنَّ ذلك في الجمعة والعيدين، وهذَّب الأخلاق، فأمر بالصدق في المعاملات، والوفاء بالعقود والعهود والمواعيد، وأوجب ترْكَ الذنوب من زِنًا وخمر، وغِيبة وقذف وسعاية، وشهادة زور، وانحراف في الأحكام، وتحريف لِمَا أباح الله، وحرَّم تغيير الأحكام عن وجهها، وما أريد بها، إلى غير ذلك.

وبالجملة، فإنَّ الدين الإسلامي جامع روابط الأمَّة الإسلامية، بل هو حياتها تدوم بدوامه، وتنعدم إذا انعدَم، وهو مفخرةٌ من مفاخرها العظيمة، ومِن خصائصها، حيث لم يكن لأمَّة من الأمم قبلنا مثله، فلو أنَّ المسلمين تمسَّكوا بأحكام الإسلام وتعاليم دينهم، كما كان آباؤهم الأماجد، لكانوا أرْقَى الأمم، وأسعدَ الناس، ولكن لَمَّا انحرفوا، وحرَّفوا تعاليم دِينهم تنكَّبوا عن الصِّراط المستقيم، وقد جعل الإسلامُ للفقراء حظًّا في مال الأغنياء بالزكوات والكفَّارات؛ لطفًا بهم، وإحسانًا إليهم، ورحمةً بالأغنياء، وتكرمةً لهم، وتحصينًا لأموالهم.

وشَرَع الإسلام الحجَّ؛ ليشهدوا منافع لهم، فتتوافد إليه سائرُ الأمم الإسلامية؛ ليحصلَ اجتماعٌ عام لسائر الأمم التي تَدين به؛ لينتفعَ بعضُهم من بعض مِن علومهم وأحوالهم، ويحصل بذلك التعارفُ والتعاون والتآخي، ولِمَا في ذلك من إعانة أهل الحرَمَين الشريفين ليكونَا مركزين عظيمين للإسلام، وهذا بعضٌ مِن مقاصد الحجّ.

كما قد شَرَع الإسلام اجتماعاتٍ أخرى أصغرَ وأيسرَ في الجُمع والأعياد، وبيَّن أحكام المعاملات مِن بَيْع وربًا، ورهْن وقرْض، وإجارة وشركات، ووكالات وحوالة وعارية، وغيرها من المعاملات المالية، التي تقتضيها القاعدةُ التي عليها مبْنَى علم الاجتماع البشري.

وبيَّن الإسلام كيف تُقام البيوتات، وتؤسَّس العائلات، فندَب إلى الزواج، وحثَّ عليه ورغَّب فيه، وبيَّن العقود التي تعتبر زواجًا، ووضَّح شرطها من رِضًا، ووليّ، وشهود، وغيرها، وما خالف ذلك فهو سِفاح، أو قريبٌ منه.

وأمَر بسَدْلِ الحِجاب للنساء؛ صيانةً للنسْل، وإبعادًا للمَظِنَّة، وراحةً لكل ضمير.

وبيَّن أحكام الجنايات كالقِصاص في النفس والطَّرَف، وما يُشترط لذلك.

كما بيَّن ما يلزم لحِفظ المجتمع العام مِن نَصْب إمام، وشروط استحقاقه للإمامة، وما يجب له مِن طاعة، وما يجب عليه من المشورة، والعمل بالشريعة، وإقامة العدْل بين أصناف الرعية، ثم إنَّ الإسلام قسَّم السلطة، فجعلها خططًا، منها القضاء فحدَّد للقاضي خطتَه من فصْل الخصومات، والنظر في أموال غيرِ المرشد، والحَجْر على مَن يستوجبه، إلى غير ذلك، وبيَّن خطة الشاهد، وكيفية تحمل الشهادة وأدائها، وممَّن تُقبل، وعلى مَن تُرَدّ، وأمر بإثباتها وعدم كِتمانها، كما بيَّن خطة المحتسِب، ثم بقية الخطط.

وبيَّن حُكم مَن خرج عن طاعة الإمام، بأن يقاتلَ حتى يفيء إلى أمر الله.

وبيَّن كيف تُعامل الأمم الأجنبية، فيما إذا وقع حرْب معها، وفي حالة مسالمتها.

وأَمَر بتحسين الجِوار، وإقامة الحدود على مَن أخاف السبيل، وخالف ما أمرتْ به الشريعة، وبالجملة فقدِ استقصى هذا الدِّين الإسلامي العظيم جميعَ الشؤون الاجتماعية، وبيَّنها أحسن بيان، مما يعجز عن مثله عقلاءُ البشر، حتى دخل مع الرجل في بيته وحَكَم بينه وبين امرأته، وبيَّن ما له عليها من الحقوق، وما لها عليه مِن مثل ذلك، وبيَّن ما عسى أن يقع بينهما من خِلاف في المستقبل.

كما حَكَم الإسلام بيْن الرجل وبيْن ولده، وبيْنه وبيْن نفسه، في حياته وبعدَ وفاته، كأوقافه ووصاياه، وما يصحُّ منها وما لا يصحّ، وقسم مواريثه، وبيَّن أحكام تغسيله وتكفينه ودفنه – كل هذا لأجْل أن تنتظمَ الحياة انتظامًا كاملاً، ويعيش المسلِم عيشةً هنيئة منتظمة؛ ليتمكَّن معها لإعداد الزاد ليوم المعاد، والتأهُّب لِمَا بعد الموت، فالدِّين الإسلامي نظامٌ عام للمجتمع البشري الإسلامي، فإنَّه تامُّ الإحكام ثابتُ المباني، دين سماوي لم يَدَعْ شاذَّة ولا فاذَّة إلا بيَّنها أحسنَ بيان، ووضَّحها أتمَّ إيضاح، وما دخلت الأمم الكثيرة في الإسلام أفواجًا أفواجًا، واتَّسعتْ دائرة الإسلام، فانتشرتِ الأمة الإسلامية مادةً جَناحَها من نهر الفاتح في الهند شرقًا، إلى إفريقيا، ثم إلى أواسط أوربا في زمن قليلٍ إلاَّ باحترام الحقوق، والعمل بقواعد الإسلام، والتسوية بيْن طبقات المسلمين، مَلِكهم وصُعلوكهم، وصغيرهم وكبيرهم فيه على سواء.

فالأمَّة الإسلامية لا حياةَ لها ولا استقامة بدون التمسُّكِ بدِينها، والعمل بأوامره ونواهيه، فهي دائمةٌ بدوام دينها، مضمحلة باضمحلالة، ساقطة إذا أهملتْ تعاليم دِينها القويم، كما قال بعضُ أعداء المسلمين، فقد كانتِ الأمم تقتبس من قواعده وأصوله، وتختاره على كثير من قوانينها الوضعية، فأنْصف الإسلامَ كثيرٌ من عقلائهم، واعترفوا بأنَّ مدنية أوربا الحديثة لم تكن إلاَّ بتعاليم

الإسلام، والأَخْذِ بقواعده ومبانيه، قال بعضُ حُكماء أوربا ممَّن أنصف بأنَّ نشأة مدنيتها الحديثة إنَّما كانت رشاشًا من نور الإسلام، فاض عليها من الأندلس، ومِن صفحات الكُتب التي أخذوها في حُروبهم مع المسلمين في الغَرْب والشرق.

وفَّق الله المسلمين للتمسُّك بدِينهم، والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلَّى الله على نبينا محمَّد، وعلى آله واصحابه وسلم.[323]

94- من محاسن الإسلام

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ الدِّين الإسلامي كله محاسِن ومصالح، فهو دِين اليُسْر والسماحة والسُّهولة، دين العدالة والمساواة، دين الأُلْفة والمحبَّة والإخاء، دين العِلم والعمل، دين يَهدي للتي هي أقوم، دين الكمال والشمول، دين الوفاء والصِّدْق والأمانة، دين العِزَّة والقُوَّة والْمَنَعة.

دين أساسُه التوحيد، ورُوحه الإخلاص، وشعارُه التسامح والإخاء.

ومن محاسن الإسلام: ما شَرَعه من إقامة الحدود على المجرمين، التي فيها زجْرُ الناس عن الجراءة على المعاصي، التي نهى الله - تعالى - عنها، وبذلك حَفِظ الإسلام الدِّين والنَّفْس، والعقل والمال، والنَّسَب والعِرْض، وإليك التفصيل.

1- حفظ الدين: ولذا حرَّم الإسلام الرِّدَّة، وهي الكفْر بعد الإسلام، بأن يتكلَّم بكلمة الكفر، أو يعتقدها، أو يشكَّ شكًّا يخرجه عن الإسلام، أو يُشرِكَ بالله في القوْل أو الاعتقاد أو العمل، كدعوة غير الله، أو الذبح لغيره، أو التوكُّل على غيره في جلْب نفْع أو دفع ضرّ، أو حصول نصر، أو غير ذلك، ممَّا لا يقدِر عليه إلاَّ الله وحدَه، أو يستحلَّ ما حرَّم الله، أو يَحْكُم بغير ما أنزل الله، أو يترك الصلاة، ونحو ذلك من أنواع الرِّدَّة، وهي تُحبط الاعمال.

ولحفظ الدِّين وَجَب قتْلُ المرتد عن الإسلام؛ لأنَّه يعتبر جرثومةً ضارَّة، وعضوًا شلَّ في المجتمع، قال ρ : ((مَن بدَّل دِينه فاقتلوه))؛ رواه البخاري وغيره، وذلك ليحفظ على الناس دِينهم، فيفوزوا بالسعادة الأبديَّة، وفي ذلك ردْع بالغ عن تبديل الدِّين وإضاعته.

2- حفظ النفوس: ولذا حرَّم الله القتْلَ وسفْك الدماء؛ أعني: دماء المسلمين وأهل الذِّمَّة المعاهدين، وتوعَّد على ذلك بأشدِّ وعيد، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ

323من رسالة "توجيهات إسلامية" لفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد حميد - رحمه الله تعالى -: (ص 18 - 21).

جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]؛ لذا فالقتل كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وهو أحدُ السبع المهلكات، قال ρ : ((اجتنبوا السبعَ الموبِقات))[324] – وذكر منها – قتْل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق – وهى نفْس المسلم المعصوم، والحقُّ الذي يبيح قتلَها هو القِصاص (النفس بالنفس)، والزِّنا بعدَ الإحصان – الزواج – والكُفْر بعد الإسلام.[325]

وقال ρ : ((لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعض))؛ متفق عليه، وقال: ((مَن قتل معاهدًا لم يرح رائحةَ الجنة))؛ رواه البخاري، فإذا كان هذا في قتْل المعاهد، وهو الذي أُعطي عهدًا من إليهود والنصارى، فكيف بقتْل المسلم؟!

ولحفظ النفوس واحترامها: وجَبَ قتْل القاتل عمدًا؛ ليأمن الناس على أنفسهم، قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: 178]، وقال – تعالى –: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]؛ أي: تنحقن بذلك الدِّماء، وتنقمِع به الأشقياء؛ لأنَّ مَن عَرَف أنه مقتول إذا قَتل لا يكاد يُقدِم على القتْل، وإذا رؤي القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيرُه وانزجر، فلو كانت العقوبة القاتل غيرَ القتل لم يحصل انكفافُ الشرِّ الذي يحصل بالقتل، ومن الأمثال العربية "القتل أنفى للقَتْل"، وهكذا سائر الحدود الشرعية فيها من النِّكاية والانزجار ما يدلُّ على حِكمة الحكيم الخبير بمصالح خَلْقه.

3– حفظ العقول: ولذا حرَّم الله كلَّ مُسْكِر، وكلَّ مخدِّر ومفتِّر، كالخمر والحشيش، والأفيون والقات والدُّخان، قال الله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، والخمر ما خامر العقل؛ أي: غطَّاه بالإسْكار، سواء كان رطبًا أو يابسًا، أو مأكولاً أو مشروبًا، وهي أمُّ الخبائث، وجماع الإثم، ومِفتاح كلِّ شرّ، فمن لم يجتنبها فقد عصَى الله ورسوله، واستحقَّ العذاب بمعصية الله ورسوله، وسمِّيت أمَّ الخبائث؛ لأنَّ شاربها إذا سَكِر فعل كلَّ جريمة وهو لا يشعر، وحرَّم الله الخمر لِمَا اشتملتْ عليه من المفاسد وتحطيم الشخصية، وإطفاء جوهرة العقل، فالخمرُ تذهب المال، وتذهب العقل، ولو لم يكن فيها من المخازي إلاَّ ذهاب المال، ونقْص الدِّين، وتشويه السُّمعة، وسقوط العدالة، لكفى العاقلَ أن يجتنبها، فكيف وأنها أمُّ الخبائث والرذائل؟!

---

324 متفق عليه.

325 قال ρ –: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفْس بالنفْس، والتارك لدينه المفارِق للجماعة))؛ رواه البخاري ومسلم.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولحفظ العقْل: وجَبَ جلْد شارب الخمر ثمانين جلدة؛ ليرتدعَ الناس عن هذه الجريمة، فتبقَى عقولهم سليمة؛ ليعقلوا بها عن الله أمرَه ونهيه، فيفوزوا بالسعادة، ويَسْلَموا من الشقاوة.

4- حفظ الإسلام المال: فحرَّم السرقة، وهي أخْذ مال الغَيْر المحترم خُفيةً بغير رضاه، وهي من كبائر الذنوب الموجِبة لترتُّب العقوبة الشنيعة، وهي قطْع اليد؛ حفظًا للأموال، واحتياطًا لها فيرتدع السُّرَّاق إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا، فيأمن الناسُ على أموالهم، قال الله - تعالى -: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38].

5- حفظ الإسلام الأنساب: فحرَّم الله الزِّنا ووسائلَه، من النظر المحرَّم، والكلام المحرَّم، والسماع المحرَّم؛ لِمَا في الزِّنا من انتشار الأمراض، وانتهاك الأعراض، واختلاط الأنساب، فينسب الولد إلى غير أبيه، ويرث من غير أقاربه، فيحصل بذلك مِن الظُّلم والمفاسد ما الله به عليم ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: 32]، والنهي عن قُرْبانه أبلغ من مجرَّد النهي عنه؛ أي: لا تحوموا حوله، ولا تعملوا الوسائل الموصلة إليه[326].

ولحفظ الأنساب: وَجَب جلْد الزاني البِكر مائة جلْدة، مع تغريبه عن بلده الذي واقع فيه الجريمةَ لمدة سَنَة، قال - تعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]؛ أي: لا ترحموهما في إقامة الحدِّ الذي شرَعه الله، وليحضُر الجلْد جماعةٌ من الناس؛ ليشتهرَ ولينزجر الناس، ويرتدعوا عن الزِّنا، كما يجب رجْم الزاني المحصن (المتزوِّج) بالحجارة حتى يموتَ بالآية المنسوخِ لفظُها، الباقي حُكمُها، وبالسنة الصحيحة، والجلد والرجم بعدَ ثبوت الزِّنا بأربعة شهداء، أو بإقراره على نفسه أربعَ مرَّات، أو بظهور الحَمْل من الزِّنا في المرأة.

6- حفظ الإسلام الأعراض من الوقيعة فيها: ولذا حرَّم قذف الأبرياء بالزِّنا، وتوعَّد على ذلك بأشدِّ وعيد، قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 23 - 24]، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 4 - 5] بيَّن الله - تعالى -: في هذه الآيات أنَّ مَن قذف امرأةً محصنة حُرَّة عفيفةً عن الزِّنا والفاحشة، أنَّه ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيم،

326 كالنظر المحرَّم، والكلام المحرَّم، والسماع المحرَّم.

وعليه الحدُّ في الدنيا ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وأنَّه فاسق ساقطُ العدالة، وفي الصحيحين: أنَّ رسول الله ρ قال: ((اجتنبوا السبعَ الموبقات - وذكر منها - قذْف المحصنات الغافلات المؤمنات))، والقذف هو الرَّمْي بالزِّنا، بأنَّ يقول لامرأة مسلِمة حُرَّة عفيفة: يا زانية، أو قَحْبة، أو يقول لزوْجها: يا زوجَ القَحْبة، أو يقول لولدها: يا ولدَ الزانية، أو يا ابنَ القَحْبة، أو يقول لبنتها: يا بنتَ الزانية، أو يا بنت القَحْبة، فإنَّ القحبة عبارةٌ عن الزانية، فإذا قال ذلك أحدٌ مِن رجل، أو امرأة لرجل، أو لامرأة وَجَب عليه الحدُّ ثمانون جلْدة، إلاَّ أن يقيم على ذلك بيِّنة، والبيِّنة ما قال الله أربعةُ شهداء يشهدون على صِدْقه فيما قذف به تلك المرأة، أو ذلك الرجل، فإذا لم يُقِمْ بينة، جُلِد إذا طالبتْه بذلك التي قذفها، أو طالبه بذلك الذي قذَفَه، وكثيرٌ من الجهَّال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبةُ في الدنيا والآخرة؛ ولذا قال ρ : ((وهل يَكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم))؛ رواه الترمذي: وقال حديث حسن صحيح.[327]

وبإقامة هذه الحدود المتقدِّمة يأمن الناس على دِينهم وأنفسهم، وعقولهم وأنسابهم، وأموالهم وأعراضهم، فيرتدع الناس عن هذه الجرائم، ويفوزوا بالسَّعادة في دِينهم ودُنياهم وآخرتهم، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي غيَّرت أحكامَ الله وحدوده، وبدَّلتْها بقوانينَ من وضْع البشر الناقصين من كل وجه، حيث جعلتْ جزاء المجرمين المعتدين على الناس بانتهاك حُرماتهم ودمائهم، وأموالهم وأعراضهم - السجنَ أو الغرامات المالية فقط، فكانتِ النتيجة انتشارَ الجرائم والفَوْضى، وانتهاك الحُرمات، والاعتداء على الأنفُس والأموال والأعراض، من غير مبالاة ولا حياء، ولا وازع ولا رادع، فصار الناسُ في تلك الدول المعطِّلة لحدود الله لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم، وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، وقال - تعالى -: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، فما جاءتْ به الشريعة الإسلامية من الحدود وتنوُّعها بحسب الجرائم من محاسن الإسلام؛ لأنَّ الجرائم والتعدِّي على حقوق الله، وحقوق عباده من أعظمِ الظُّلم الذي يخلُّ بالنظام، ويختل به الدِّين والدنيا، فوضع الإسلامُ للجرائم حدودًا تردع عن مُواقعتها، وتخفِّف من وطأتها من القتْل والقطْع والجلْد، وأنواع التعزيرات، وكلها فيها من المنافع والمصالح الخاصة والعامة ما يعرف به العاقلُ حسنَ الشريعة، وبالله التوفيق.

327 انظر كتاب "الكبائر"؛ للذهبي (ص: 90).

95- المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث:

أَبْدَأُ بِالْحَمْدِ مُصَلِّيًا عَلَى = مُحَمَّدٍ خَيْرِ نَبِيٍّ أُرْسِلا
وَذِي مِنْ أَقْسَامِ الْحَدِيثِ عِدَّهْ = وَكُلُّ وَاحِدٍ أَتَى وَحَدَّهْ
أَوَّلُهَا الصَّحِيحُ وَهْوَ مَا اتَّصَلْ = إِسْنَادُهُ وَلَمْ يَشُذَّ أَوْ يُعَلّ
يَرْوِيهِ عَدْلٌ ضَابِطٌ عَنْ مِثْلِهِ = مُعْتَمَدٌ فِي ضَبْطِهِ وَنَقْلِهِ
وَالْحَسَنُ الْمَعْرُوفُ طُرْقًا وَغَدَتْ = رِجَالُهُ لا كَالصَّحِيحِ اشْتَهَرَتْ
وَكُلُّ مَا عَنْ رُتْبَةِ الْحُسْنِ قَصُرْ = فَهْوَ الضَّعِيفُ وَهْوَ أَقْسَامًا كَثُرْ
وَمَا أُضِيفَ لِلنَّبِي الْمَرْفُوعُ = وَمَا لِتَابِعٍ هُوَ الْمَقْطُوعُ
وَالْمُسْنَدُ الْمُتَّصِلُ الْإِسْنَادِ مِنْ = رَاوِيهِ حَتَّى الْمُصْطَفَى وَلَمْ يَبِنْ
وَمَا بِسَمْعِ كُلِّ رَاوٍ يَتَّصِلْ = إِسْنَادُهُ لِلْمُصْطَفَى فَالْمُتَّصِلْ
مُسَلْسَلٌ قُلْ مَا عَلَى وَصْفٍ أَتَى = مِثْلُ أَمَا وَاللَّهِ أَنْبَانِي الْفَتَى
كَذَاكَ قَدْ حَدَّثَنِيهِ قَائِمَا = أَوْ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي تَبَسَّمَا
عَزِيزُ مَرْوِي اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَهْ = مَشْهُورُ مَرْوِي فَوْقَ مَا ثَلاثَهْ
مُعَنْعَنٌ كَعَنْ سَعِيدٍ عَنْ كَرَمْ = وَمُبْهَمٌ مَا فِيهِ رَاوٍ لَمْ يُسَمّْ
وَكُلُّ مَا قَلَّتْ رِجَالُهُ عَلا = وَضِدُّهُ ذَاكَ الَّذِي قَدْ نَزَلا
وَمَا أَضَفْتَهُ إِلَى الْأَصْحَابِ مِنْ = قَوْلٍ وَفِعْلٍ فَهْوَ مَوْقُوفٌ زُكِنْ
وَمُرْسَلٌ مِنْهُ الصَّحَابِيُّ سَقَطْ = وَقُلْ غَرِيبٌ مَا رَوَى رَاوٍ فَقَطْ
وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَّصِلْ بِحَالِ = إِسْنَادُهُ مُنْقَطِعُ الْأَوْصَالِ
وَالْمُعْضَلُ السَّاقِطُ مِنْهُ اثْنَانِ = وَمَا أَتَى مُدَلَّسًا نَوْعَانِ
الْأَوَّلُ الْإِسْقَاطُ لِلشَّيْخِ وَأَنْ = يَنْقُلَ عَمَّنْ فَوْقَهُ بِعَنْ وَأَنّْ
وَالثَّانِي لا يُسْقِطُهُ لَكِنْ يَصِفْ = أَوْصَافَهُ بِمَا بِهِ لا يَنْعَرِفْ
وَمَا يُخَالِفْ ثِقَةٌ فِيهِ الْمَلا = فَالشَّاذُ وَالْمَقْلُوبُ قِسْمَانِ تَلا
إِبْدَالُ رَاوٍ مَا بِرَاوٍ قِسْمُ = وَقَلْبُ إِسْنَادٍ لِمَتْنٍ قِسْمُ
وَالْفَرْدُ مَا قَيَّدْتَهُ بِثِقَةِ = أَوْ جَمْعٍ اوْ قَصْرٍ عَلَى رِوَايَةِ
وَمَا بِعِلَّةٍ غُمُوضٍ أَوْ خَفَا = مُعَلَّلٌ عِنْدَهُمُ قَدْ عُرِفَا
وَذُو اخْتِلافِ سَنَدٍ أَوْ مَتْنِ = مُضْطَرِبٌ عِنْدَ أُهَيْلِ الْفَنِّ
وَالْمُدْرَجَاتُ فِي الْحَدِيثِ مَا أَتَتْ = مِنْ بَعْضِ أَلْفَاظِ الرُّوَاةِ اتَّصَلَتْ

وَمَا رَوَى كُلُّ قَرِينٍ عَنْ أَخِهْ = مُدَبَّجٌ فَاعْرِفْهُ حَقًّا وَانْتَخِهْ

مُتَّفِقٌ لَفْظًا وَخَطًّا مُتَّفِقْ = وَضِدُّهُ فِيمَا ذَكَرْنَا الْمُفْتَرِقْ

مُؤْتَلِفٌ مُتَّفِقُ الْخَطِّ فَقَطْ = وَضِدُّهُ مُخْتَلِفٌ فَاخْشَ الْغَلَطْ

وَالْمُنْكَرُ الْفَرْدُ بِهِ رَاوٍ غَدَا = تَعْدِيلُهُ لا يَحْمِلُ التَّفَرُّدَا

مَتْرُوكُهُ مَا وَاحِدٌ بِهِ انْفَرَدْ = وَأَجْمَعُوا لِضَعْفِهِ فَهُوَ كَرَدّْ

وَالْكَذِبُ الْمُخْتَلَقُ الْمَصْنُوعُ = عَلَى النَّبِي فَذَلِكَ الْمَوْضُوعُ

وَقَدْ أَتَتْ كَالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ = سَمَّيْتُهَا مَنْظُومَةَ الْبَيْقُونِي

فَوْقَ الثَّلاثِينَ بِأَرْبَعٍ أَتَتْ = أَبْيَاتُهَا ثُمَّ بِخَيْرٍ خُتِمَتْ

96- قاعدة مهمة

الأحكام الأصولية والفروعية لا تتم إلا بأمرين:

(1) وجود الشروط

(2) وانتفاء الموانع

وهذا أصلٌ كبير، مطَّرد الأحكام، يُرْجع إليه في الأصول والفروع، فمِن فوائده:

أنَّ كثيرًا من نصوص الوعْد بالجنة وتحريم النار، ونحو ذلك قد ورد في بعض النصوص ترتيبُها على أعمال لا تَكفي وحدَها، بل لا بدَّ من انضمام الإيمان وأعمالٍ أخرى لها.

وكذلك في نصوص ترتيب دخول النار، أو الخلود فيها على أعمال لا تستقلُّ بهذا الحُكم، بل لا بدَّ فيها من وجود شروطها وانتقاء موانعها، وبهذا الأصْل يندفع إيراداتٌ تُورد على أمثال النصوص.

والجواب الصحيح: أن يُقال فيها ما ذكر في النصوص الصحيحة من الوعْد والوعيد فهو حقّ، وذلك العمل موجِب له، ولكن لا بدَّ من وجود الشروط كلها، وانتفاء الموانع، فإنَّ الكتاب والسُّنة قد دلاَّ دلالةً قاطعةً على أنَّ مَن معه إيمان صحيح لا يُخلَّد في النار، كما دلَّ الكتاب والسُّنة أنَّ المشرك محرَّم عليه دخولُ الجنة، وأجمع على ذلك السلفُ والأئمة، وأنه قد يجتمع في الشخصِ الواحد إيمانٌ وكُفْر، وخيرٌ وشرّ، وموجبات الثواب، وموجبات العقاب، وذلك مقتضى النصوص، ومقتضى حِكمة الله، ورحمته وعدله[328].

97- ما ينجي من عذاب الله تعالى

عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرة τ قال: خرج علينا رسولُ الله ρ يومًا، وكنَّا في صُفَّة المدينة، فقام علينا فقال: (إنِّي رأيت البارحة عجبًا: رأيتُ رجلاً من أمتي أتاه مَلَك الموت ليقبضَ رُوحَه، فجاءه برُّه بوالديه فردَّ ملك الموت عنه، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد احتوشتْه الشياطين، فجاءه ذِكْر الله - عزَّ وجلَّ - فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فأستنقذتْه من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشًا وفي رواية يلهث عطشًا - كلما دنا من حوض منع وطرد، فجأءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي، ورأيت النبيِّين جلوسًا حِلقًا حلقًا، كلَّما دنا إلى حلقة طُرِد فجاءه غُسلُه من

328 من كتاب "القواعد والأصول الجامعة"؛ للشيخ عبدالرحمن السعدي (ص: 36، 37).

الجنابة، فأخذ بيده، فأقعده إلى جنبي، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظُلمة، وهو متحيِّر فيها فجاءه حَجُّه وعمرته فاستخرجاه من الظُّلمة، وأدخلاه في النور، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي يتقي بيده وهجَ النار وشررَها، فجاءتْه صدقتُه فصارتْ سترة بينه وبين النار، وظللتْ على رأسه، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه، فجاءتْه صلتُه لرحمه، فقالت: يا معشرَ المؤمنين، إنه كان وصولاً لرحمه فكلِّموه، فكلَّمه المؤمنون وصافحوه، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد احتوشتْه الزبانية، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من أيديهم، وأدخله في ملائكة الرحمة، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي جاثيًا على رُكْبَتيه وبينه وبين الله – عزَّ وجلَّ – حجابٌ، فجاءه حُسْنُ خُلُقه، فأخذ بيده فأدخله على الله – عزَّ وجلَّ – ورأيتُ رجلاً من أمَّتي ذهبتْ صحيفته من قِبل شماله، فجاءه خوفُه من الله – عزَّ وجلَّ – فأخذ صحيفته فوضعَها في يمينه، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي خفَّ ميزانه، فجاءه أفراطُه فثقَّلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمَّتي قائمًا على شفير جهنمَ، فجاءه رجاؤه من الله – عزَّ وجلَّ – فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد هوى في النار، فجاءتْه دموعه التي بكَى من خشية الله – عزَّ وجلَّ – فاستنقذتْه من ذلك، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قائمًا على الصِّراط يرعد كما ترعد السعفةُ في ريح عاصف، فجاءه حُسْنُ ظنِّه بالله – عزَّ وجلَّ – فسكَّن رِعْدتَه ومضَى، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي يزحف على الصِّراط، ويحبو أحيانًا، ويتعلَّق أحيانًا، فجاءتْه صلاته عليَّ فأقامتْه على قدميه وأنقذتْه، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغلِّقت الأبواب دونه، فجاءتْه شهادة ألاَّ إله إلا الله ففتَحتْ له الأبواب دونه، وأدخلتْه الجنة))؛ رواه الحافظ أبو موسى المديني، وبنَى كتابه عليه، وأخرجه الطبراني أيضًا، وهذا الحديث حديثٌ عظيم، جليل شريف، كان أبو العبَّاس ابن تيمية – قدَّس الله رُوحه – يعظِّم شأنه، ويقول: شواهدُ الصِّحَّة عليه[329].

وهذا حديثٌ جليلُ القدر، عظيمُ الشأن، كثير الفوائد، ينبغي لكلِّ مسلم حفظُه وفَهْمُه، والعمل بما فيه من الخِصال المنجية من عذاب الله، فقد ذكر فيه ثماني عشرة خَصْلة، كل واحدة منها صارتْ سببًا في نجاة المتَّصِف بها من العذاب الذي كاد أن يهلكه، وهذه الخصال المنجية هي الوضوء والصلاة، والصدقة والصيام، والحجُّ والعمرة، وذِكْر الله تعالى، وبرُّ الوالدين وصلة الأرحام، والاغتسال من الجنابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحُسْن الخُلُق، والخوف من الله تعالى، والصبر على موْت الأولاد الصِّغار، والرجاء لرحمة الله، والبكاء من خشية الله، وحُسْن الظن بالله

329 انظر هذا الحديث فى "الوابل الصيب"؛ لابن القيم بتحقيق إسماعيل الأنصاري (ص: 176).

تعالى، والصــلاة على النبي ρ وشــهادة ألاَّ إله إلا الله، حيث فَتَحتْ لقائلها أبوابَ الجنة وأدخلته فيها، وبالله التوفيق، وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وقال ρ : ((ثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلِكات، فالمنجيات: تقوى الله في السِّــرِّ والعلانية، والقول بالحقِّ في الغضـب والرِّضـا، والقصْـد في الفقر والغِنَى، وأما المهلكات: فشـحٌّ مُطَاع، وهوًى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدُّهنّ))؛ رواه البيهقي في شعب الإيمان، وحسَّنه الألباني.

98- آداب الأكل والشرب[330]

المسـلِم ينظر إلى الطَّعام والشـراب باعتبارهما وسـيلةً إلى غيرهما، لا غايةً مقصـودة لذاتها، فهو يأكل ويشـــرب مِن أجْل المحافظة على ســـلامة بدنه، الذي به يُمكنه أن يعبدَ الله - تعالى -تلك العبادة التي تؤهِّله لكرامة الدار الآخرة وسعادتها، فليس هو يأكل ويشـرب لِذَات الأكْل والشُّـرْب وشـهوتهما؛ فلذا هو لو لم يَجُعْ لم يأكل، ولو لم يعطشْ لم يشـرب، وقد ورد عنه ρ قوله: ((نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوعَ، وإذا أكلْنا فلا نشبع))[331].

ومن هنا كان المسلِم يلتزم في مأكَله ومشربه بآداب شرعية خاصَّة، منها:

أ- آداب ما قبل الأكل، وهي:

1- أن يستطيبَ طعامَه وشرابه، بأن يعدَّهما من الحلال الطيِّب، الخالي شوائب الحرام والشُّبه؛ لقوله - تعالى -: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 57]، والطيِّب هو الحلال الذي ليس بمستقذَر ولا مستخْبَث.

2- أن ينويَ بأكْله وشُربه التقوية على عبادة الله تعالى؛ ليثابَ على ما أكله أو شَرِبه، فالمباح يصير بحُسْن النية طاعةً يُثاب عليها المسلم.

3- أن يَغسِل يديه قبل الأكْل إن كان بهما أذًى، أو لم يتأكَّد من نظافتهما.

4- أن يضع طعامَه على سُفرة فوق الأرض، لا على مائدة؛ إذ هذا أقرب إلى التواضع، ولقول أنس τ : "ما أكل رسولُ الله ρ على خوان، ولا على سُكُرُّجَة"[332] [333].

---

330 من كتاب "منهاج المسلم"؛ لأبي بكر الجزائري (ص: 129-133).

331 لم أقف على مَن خرَّجه، ولعله أثر من آثار الصحابة - رضي الله عنهم - وليس بحديث نبوي، والله أعلم.

332 البخاري.

333 الخوان: ما يُؤكل عليه، والسُّكُرُّجَة إناء صغير، وكان يأكل على السفرة.

5- أن يجلس متواضعًا بأن يجثوَ على رُكْبتيه، ويجلس على ظهْر قدميه، أو ينصب رِجْله اليُمنى، ويجلس على اليسرى، كما كان رسولُ الله ρ يجلس، ولقوله - عليه الصلاة والسلام - : ((لا آكَلُ متكئًا، إنَّما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد))[334].

6- أن يرضَى بالموجود مِن الطعام، وألاَّ يعيبه، إن أعجبه أكَل، وإن لم يعجبه ترَك؛ لحديث أبي هريرة τ : "ما عاب رسولُ الله ρ طعامًا قط، إن اشتهاه أكَل، وإن كرِهه ترَك"[335].

7- ألاَّ ينفخَ في الطعام الحار، وألاَّ يطعمه حتى يبردَ، وألاَّ ينفخَ في الماء حالَ الشرب، وليتنفس خارجَ الإناء ثلاثًا؛ لحديث أنس τ : أنَّ رســـول الله ρ "كان يتنفَّس في الشـــراب ثلاثًا"[336]، ولحديث أبي ســـعيد τ : أنَّ النبي ρ : "نهى عن النَّفْخ في الشـــراب"[337]، ولحديث ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - : أنَّ النبي ρ : "نهى أن يتنفَّس في الإناء أو ينفخ فيه"[338].

8- أن يتجنبَ الشِّبَع المفرِط؛ لقول الرسول ρ : ((ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، حسب ابن آدم لُقيمات يُقِمْن صُلبَه، فإن لم يفعل فثُلُث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه))[339].

9- أن يناول الطعامَ أو الشـــراب أكبرُ الجالســـين، ثم يديره إلى الأيمن فالأيمن، وأن يكون هو آخرَ القوم شـربًا لقول الرسـول - عليه الصـلاة والسـلام - : ((كبِّر كبِّر)) [340]؛ أي: ابدأ بالأكبر من الجالسين، ولاستئذانه - عليه الصلاة والسلام - ابن عبَّاس في أن يناول الشراب الأشياخَ على يساره، إذ كان ابن عباس - رضي الله عنهما - على يمينه، والأشياخ الكِبار على يساره، فاستئذانه دالٌّ على أنَّ الأحق بالشـراب الجالسُ على اليمين، ولقوله - عليه الصـلاة والسـلام - : ((الأيمن فالأيمن))[341]، وقوله: ((سـاقي القوْم آخرُهم؛ يعني: شُـرْبًا))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسـن صحيح.

10- ألاَّ يبدأ بتناول الطعام أو الشـراب، وفي المجلس مَن هو أولى منه بالتقديم لكِبر سِـنِّه، أو زيادة فضل؛ لأنَّ ذلك محل بالآداب، معرِّض صاحبه لوصف الجشع المذموم، قال بعضهم:

---

334 البخاري.

335 أبو داود.

336 متفق عليه.

337 الترمذي وصححه.

338 الترمذي وصححه.

339 أحمد وابن ماجه والحاكم (حسن).

340 متفق عليه.

341 متفق عليه.

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ = بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

11- ألاَّ يحوج رفيقَه أو مُضيفَه إلى أن يقول له: كُلْ ويلح عليه، بل عليه أن يأكلَ في أدبٍ كفايتَه من الطعام من غير حياء، أو تكلُّف للحياء، إذ في ذلك إحراجٌ لرفيقه أو مضيفه، كما فيه نوعُ رياء، والرِّياء حرام.

12- أن يرفقَ برفيقه في الأكْل، فلا يحاول أن يأكل أكثرَ منه، ولا سيَّما إذا كان الطعام قليلاً؛ لأنَّه في ذلك يكون آكلاً لحقِّ غيره.

13- ألاَّ ينظرَ إلى الرُّفقاء أثناء الأكل، وألاَّ يراقبَهم، فيستحون منه، بل عليه أن يغضَّ بصرَه عن الأكَلة حوله، وألاَّ يتطلَّع إليهم، إذ ذلك يؤذيهم، كما قد يُسبِّب له بُغضَ أحدهم، فيأثم لذلك.

14- ألاَّ يفعل ما يستقذره الناس عادةً، فلا ينفض يدَه في القَصْعة، ولا يدني رأسه منها عندَ الأكْل والتناول؛ لئلاَّ يسقط من فمه شيء فيقع فيها، كما إذا أخَذَ بأسنانه شيئًا من الخبز لا يغمس باقيَه في القصعة، كما عليه ألاَّ يتكلَّم بالألفاظ الدالَّة على القاذورات والأوساخ، إذ ربما تأذَّى بذلك أحدُ الرُّفقاء، وأذية المسلِم محرَّمة.

15- أن يكون أكلُه مع الفقير قائمًا على إيثاره، ومع الإخوان قائمًا على الانبساط والمداعبة المرحة، ومع ذوي الرُّتَب والهيئات على الأدب والاحترام.

ج - آداب ما بعد الأكل، وهي:

1- يمسك عن الأكْل قبل الشبع؛ اقتداءً برسول الله - عليه الصلاة والسلام - وحتى لا يقعَ في التخمة المهلِكة، والبطنة المذهِبة للفطنة.

2- أن يَلْعق يدَه، ثم يمسحها أو يغسلها، وغسلها أوْلَى وأحسن.

3- أن يقول: الحمد لله الذي أطعمني وسقاني مِن غير حَوْل منِّي ولا قوَّة.

4- أن يلتقطَ ما تساقط من طعامه أثناءَ الأكْل؛ لأنه من باب الشُّكر للنِّعمة.

5- أن يُخلِّل أسنانه ويتمضمض؛ تطييبًا لفمه إذ به يذكر الله - تعالى - ويخاطب الإخوان، كما أنَّ نظافة الفم قد تُبْقي على سلامة الأسنان.

6- أن يحمد الله - تعالى - عقبَ أكْله أو شرابه، وأن يقول إذا شرب لبنًا: اللهمَّ باركْ لنا فيما رزقْتَنا، وزِدْنا منه.

وإن أفطر عند قوم قال: ((أفْطَرَ عندكم الصائمون، وأكَل طعامَكم الأبرار، وصلَّتْ عليكم الملائكة)).

99- آداب اللباس[342]

المسلِم يرى أنَّ اللِّباس قد أَمَر الله - تعالى - به في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]

وامتنَّ به في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: 81]، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]، وأنَّ رسول الله ρ قد أمر به في قوله: ((كُلُوا واشربوا، والْبسوا وتصدَّقوا، في غير إسْراف ولا مخيلة))؛ أخرجه أبو داود وأحمد، وعلَّقه البخاري.

كما قد بيَّن ρ ما يجوز منه، وما لا يجوز، وما يُستحبُّ لُبسه، وما يكره، فلهذا كان على المسلِم أن يلتزم في لباسه بالآداب التالية:

1- ألاَّ يلبس حريرًا مطلقًا، سواء كان في ثوْب أو عمامة أو غيرهما؛ لقول الرسول ρ : ((لا تلبسوا الحرير، فإنَّه مَن لَبِسَه في الدنيا لم يلبسْه في الآخرة))[343]، وقوله - وقد أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وذهبًا فجعله في شماله -: ((إنَّ هَذَين حرامٌ على ذَكَر أمَّتي))[344]، وقوله: ((حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذُكور أمَّتي، وأُحِلَّ لنسائهم))؛ رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه.

2- ألاَّ يطيلَ ثوبه، أو سرواله، أو برنسه، أو رداءه إلى أن يتجاوز كعبيه؛ لقول الرسول ρ : ((ما أسْفَل من الكعبين من الإزار في النار))؛ رواه أحمد والبخاري، وقوله: ((الإسبالُ في الإزار والقميص والعمامة، مَن جرَّ شيئًا خيلاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة))؛ رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وقوله: ((لا ينظر الله إلى مَن جَرَّ ثوبه خيلاء))[345].

3- أن يؤثِر لباس الأبيض على غيره، وأن يرى لباسَ كلِّ لوْن جائزًا؛ لقول الرسول ρ : ((البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفِّنوا موتاكم))[346]، ولقول البراء بن عازب τ : "كان

---

342 من كتاب "منهاج المسلم"؛ لأبي بكر الجزائري (ص: 141-143).

343 متفق عليه.

344 أبو داود بإسناد حسن.

345 متفق عليه.

346 النسائي والحاكم وصحَّحه.

رسول الله – عليه الصلاة والسلام – مربوعًا، ولقد رأيته في حُلَّة حمراء ما رأيتُ شيئًا قطُّ أحسن منه))[347]، ولِمَا صحَّ عنه ρ من أنَّه لبس الثوب الأخضر، واعتمَّ بالعمامة السوداء.

أن تُطيل المسلِمة لباسها إلى أن يسترَ قدميها، وأن تُسبل خمارها على رأسها، فتستر عُنقَها ونَحْرَها وصدرها؛ لقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59]، وقوله – تعالى –: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...﴾ [النور: 31]، ولقول عائشة – رضي الله عنها –: "يرحم الله نساءَ المهاجرات الأُول، لَمَّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31] شققْنَ أكتف مروطهنَّ، فاختمرنَ بها"[348]، ولقول أمِّ سلمة – رضي الله عنها –: "لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59] خرج نساءُ الأنصار كأن على رؤوسهنَّ الغِربان من الأكسية"؛ رواه أبو داود وغيره.

5- ألاَّ يتختم بخاتم الذهب؛ لقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – في الذهب والحرير: ((إنَّ هذين حرامٌ على ذُكور أمَّتي))، ولقوله: ((حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحلَّ لنسائهم))، وقوله – وقد رأى خاتمًا من ذهب في يدِ رجل، فنزعه فطرحه، وقال: ((يعمد أحدُكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده!)) فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ρ : خُذْ خاتمَك انتفعْ به، فقال: لا، والله لا آخذه أبدًا وقد طَرَحه رسولُ الله ρ[349].

6- لا بأس للمسلم أن يتختَّم بخاتم الفِضَّة، أو ينقش في فصِّه اسمَه، ويتخذه طابعًا يطبع به رسائله وكتاباته، ويوقِّع به الصكوكَ وغيرها؛ لاتخاذ النبي ρ خاتمًا من فضَّة نقشُه: (محمد رسول الله)، وكان يجعله في الخِنصر من يدِه اليُسرى[350]، ولقول أنس τ : "كان خاتم النبي – عليه الصلاة والسلام – في هذه، وأشار على الخِنصر من يده اليُسرى[351]

7- ألاَّ يشتملَ الصمَّاء، وهي أن يلفَّ الثوب جسمه ولا يترك مخرجًا منه ليديه، لنهي النبي – عليه الصلاة والسلام – عن ذلك، وألاَّ يمشي في نعْل واحدة؛ لقوله – عليه الصلاة والسلام –: ((لا يَمشي أحدُكم في نعْل واحدة، ليُحفِهما، أو لينعلهما جميعًا))[352].

---

347 البخاري.

348 البخاري.

349 مسلم.

350 مسلم.

351 مسلم.

352 مسلم.

8- ألاَّ يلبس المسلم لبسةَ المسلمة، ولا المسلمة لبسة الرجل؛ لتحريم الرسول ρ ذلك بقوله: ((لَعَن الله المخنَّثين من الرِّجال، والمترجِّلاتِ من النساء))[353]، وقوله: ((لعن الله الرجلَ يلبس لبسةَ المرأة، والمرأةَ تلبس لبسة الرجل))، كما لَعَن المتشبِّهين من الرِّجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرِّجال[354].

9- إذا انتعل بدأ باليمين، وإذا نَزَع بدأ بالشمال؛ لقوله ρ : ((إذا انتعل أحدُكم فليبدأْ باليمنى، وإذا نَزَع فليبدأ بالشمال، لتكن اليُمنى أولَهما تُنعل وآخرهما تُنزع))[355]؛ رواه مسلم.

10- أن يبدأ في لبس ثوبه باليمين؛ لقول عائشة - رضي الله عنها - : "كان رسول الله ρ يحبُّ التيمُّن في شأنه كلِّه، في تنعُّله وترجُّله وطهوره"[356]؛ رواه مسلم.

11- أن يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا، أو عمامة، أو أيَّ ملبوس جديد: ((اللهمَّ لك الحمد، أنت كسوتَنِيه، أسالك خيرَه وخيرَ ما صُنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنع له))؛ لورود ذلك عنه ρ [357].

12- أن يدعوَ لأخيه المسلم إذا رآه لبس جديدًا، يقول له: أبلِ وأخْلِق؛ لدعائه ρ بذلك لأمِّ خالد لَمَّا لبستْ جديدًا.

100- حكم إسبال الثياب للرجال

قال النبي ρ : ((ما أسْفَلَ من الكعبين من الإزار فهو في النار))؛ رواه البخاري.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((لا ينظر الله إلى مَن جرَّ إزارَه بطرًا))، وفي رواية: ((لا ينظر الله يومَ القيامة إلى مَن جرَّ ثوبه خيلاء))؛ رواه مالك والبخاري ومسلم.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يُزَكِّيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنَّان، والمنِفِّق سلعتَه بالحَلِف الكاذب))؛ رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

والمسبل: هو الذي يسبل ثوبه، أو إزاره أو سراويله، فيطيلها حتى تكون أسفلَ من الكعبين، والمنان: هو الذي يَمُنُّ بما أعطَى، والمنِفِّق سلعته بالحَلِف الكاذب: البائع الذي يروِّج بضاعته

353 البخاري.
354 البخاري.
355 مسلم.
356 مسلم.
357 أبو داود، والترمذي وحسنه.

بالحلف الكاذب، فيحلف أنَّه اشترى السلعة بكذا، أو أنها سِيمتْ بكذا، أو أنه باع بكذا وهو كاذب، من أجْل ترويج سلعته.

وفي الحديث أيضًا: ((بينما رجلٌ يمشي في حُلَّة تعجبه نفسُه، مرجِّلا رأسه، يختال في مشيته، إذْ خَسَف الله به الأرْض، فهو يتجلجل فيها إلى يومِ القيامة))؛ متفق عليه، وقال ρ : ((الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، مَن جرَّ شيئًا منها خيلاء لم ينظرِ الله إليه يوم القيامة))؛ رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

وقال ρ : ((إزْرة المؤمن إلى نِصْف ساقيه، ولا حَرجَ فيما بينه وبين الكعبَين، وما كان أسفلَ من الكعبين فهو في النار))؛ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وهذه الأحاديث عامة في الثياب والسراويل، وغيرها من اللِّباس، وأخبر النبي ρ : ((أنَّ الله لا يقبل صلاة رجل مُسْبِل))؛ رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ولِمَا تقدَّم من الأحاديث النبوية الشريفة، فإنَّ إسبال الثياب أسفلَ من الكعبين يُعتبر حرامًا، وكبيرةً من الكبائر الذنوب، متوعَّد عليه بالنار، وتقصير الثياب فوقَ الكعبين أنظفُ لها، وأنقى لها من الأوساخ، وأتْقى لله تعالى؛ لذا يجب عليك يا أخي المسلم أن تقصِّر ملابسك فوق الكعبين؛ طاعةً لله تعالى ورسوله، وخوفًا من عقاب الله، ورجاءً لثوابه، ولتكونَ قدوة حسنة للآخرين، فتُبْ إلى الله - تعالى - توبةً نصوحًا بلزوم طاعة الله تعالى، والندم على ما حَصَل منك من تقصير في طاعة الله، والعَزْم على عدم العودة إلى معصية الله في المستقبل، فإنَّ الله يتوب على مَن تاب، ويغفر لِمَن استغفر، وهو التواب الرحيم.

اللهمَّ تُبْ علينا، إنك أنت التواب الرحيم، اللهمَّ وفِّقْنا وسائرَ إخواننا المسلمين لِمَا تحب وترضى، إنَّك على كلِّ شيء قدير، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

101- مَن لعنه اللهُ ورسولُه

قال الله – تعالى –: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18].

وقال – تعالى –: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

وقد لعن الله في كتابه مَن أفسد في الأرض وقَطَع رَحِمه، وآذى اللهَ، وآذى رسولَه ρ ولعن مَن كَتَم ما أنزل الله – سبحانه – من البيّنات والهُدى، ولعن الذين يرمون المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ بالفاحشة، ولعن مَن جعل سبيلَ الكافر أهْدى من سبيل المؤمن.

قال الذهبي في "الكبائر": "وثبت عن رسول الله ρ : أنَّه قال: ((لعن الله آكِلَ الرِّبا وموكله، وكاتبه وشاهديه))[358]، وأنه قال: ((لعن الله المحلِّل، والمحلَّل له))[359]، وأنه قال: ((لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمةَ والمستوشمة، والنامصةَ والمتنمصة))[360]، فالواصلة هي التي تَصِل شعرها، والمستوصلة هي التي يُوصَل لها، والنامصة هي التي تَنْتِف الشَّعْر من الحاجبَين، والمتنمصة: التي يُفعل بها ذلك، وأنه ρ (لعن الصالقة والحالقة والشاقة)[361]، فالصالقة: هي التي ترفع صوتَها عند المصيبة، والحالقة: هي التي تَحْلِق شَعْرها عند المصيبة، والشاقَّة هي التي تشقُّ ثيابها عند المصيبة، وأنه ρ (لَعَن المصوِّرين)[362]، وأنه (لعن مَن غيَّر منار الأرض)[363]؛ أي: حدودها، وأنه قال: ((لَعَن الله مَن لَعَن والديه))[364]، و(لعن مَن سبَّ أُمَّه)[365]، وفي السُّنن: أنه قال: ((لَعَن الله مَن أضلَّ أعمى عن الطريق، ولَعَن من أتى بهيمة))[366]، و(لَعَن من عَمِل عَمَلَ قوم لوط)[367]، وأنَّه (لَعَن مَن أتى كاهنًا، أو أتى امرأة في دُبرها)[368]، و(لعن النائحة ومَن حولها)[369]، و(لعن مَن أَمَّ قومًا وهم له

---

358 رواه مسلم وغيره.

359 رواه أحمد وأهل السنن، ورمز السيوطي لصحته.

360 رواه أحمد و البخاري ومسلم، وغيرهم عن ابن عمر.

361 رواه البخاري ومسلم وغيرهما بلفظ: ((برئ من الصالقة..إلخ)).

362 رواه البخاري عن أبي جحيفة.

363 رواه أحمد ومسلم والنسائي عن علي.

364 رواه أحمد ومسلم والنسائي عن علي.

365 رواه بن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس بلفظ: ((لَعَن الله مَن سَبَّ أباه، ولعن الله من سبَّ أمَّه)).

366 رواه الطبراني فى "الأوسط".

367 رواه بن حبان فى صحيحه والبيهقي.

368 رواه أحمد وأبو داود بلفظ: ((ملعون مَن أتى امرأة فى دُبُرها)).

369 رواه أبو داود والبزار والطبراني بلفظ: "لعن رسول الله النائحةَ والمستمعة".

كارهون)[370]، و(لَعَن امرأة باتتْ وزوجها عليها ساخط)[371]، (ولعن رجلاً سمع "حي على الصلاة، حي على الفلاح"، ثم لم يُجب)[372]، و(لعن مَن ذَبَح لغير الله)[373]، و(لعن السارق)[374]، و(لعن مَن سبَّ الصحابة)[375]، و(لعن المخنَّثين من الرِّجال، والمترجلاتِ من النساء)[376]، و(لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)[377]، و(لعن المرأة تلبس لبسَة الرجل، والرجلَ يلبس لبسة المرأة)[378]، و(لعن مَن سلَّ سخيمته على الطريق)[379]؛ يعني: تغوَّط على طريق الناس، و(لعن السلتا)[380] والمرأة السلتا: التي لا تخضب يديها، والمرأة التي لا تكتحل، و(لعن مَن خبَّب امرأةً على زوجها، أو مملوكًا على سيِّده)[381]؛ يعني: أفسدها، أو أفسده، و(لعن مَن أتى حائضًا أو امرأةً في دُبُرها)[382]، و(لعن مَن أشار إلى أخيه بحديدة)[383]، و(لعن مانعَ الصدقة - يعني الزكاة)[384]، و(لعن مَن انتسب إلى غير أبيه، أو تولَّى غير مواليه)[385]، و(لعن مَن كوى دابَّةً في وجهها)[386]، و(لعن الشافع والمشفَّع في حدٍّ من حدود الله إذا بلغ الحاكم)[387]، و(لعن المرأة إذا

370 أخرجه الحاكم فى "المستدرك".

371 رواه البخاري ومسلم.

372 أخرجه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس.

373 رواه أحمد ومسلم والنسائي .

374 رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

375 رواه الطبراني والحاكم فى مستدركه، ورمز السيوطي لصحته.

376 رواه البخاري فى "الأدب المفرد"، والترمذي عن ابن عبَّاس، ورمز السيوطي لصحته.

377 رواه أحمد وأبو داود، والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس، ورمز السيوطي لصحته.

378 رواه أبو داود والنسائي، وابن ماجه وابن حبان فى "صحيحه" والحاكم، وقال: صحيح على شرْط مسلم.

379 رواه الطبراني فى "الأوسط" والبيهقي، وغيرهما، قال المنذري: ورواته ثقات إلاَّ محمد بن عمرو الأنصاري.

380 لم أجِدْه.

381 رواه أبو داود بلفظ: ((ليس منَّا مَن خَبَّب امرأة...إلخ)).

382 قال المنذري: رواه أحمد وأبو داود بلفظ: ((ملعونٌ من أتى امرأة فى دُبُرها)).

383 رواه مسلم بلفظ: ((من أشار إلى أخيه بحديدة، فإنَّ الملائكة تلعنه، حتى ينتهي)).

384 رواه الأصفهاني عن علي - رضي الله عنه.

385 رواه البخاري.

386 رواه الطبراني بإسناد جيد.

387 رواه الطبراني عن عروة بن الزُّبير.

خرجتْ من دارها بغير إذن زوجها)[388]، و(لعنها إذا باتتْ هاجرةً فراشَ زوجها حتى ترجع)[389]، و(لعن تاركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمنكه)[390]، و(لَعَن الفاعلَ والمفعول به - يعني: اللواط)[391]، و(لعن الخمرة وشارَبها، وساقيها ومستقيها، وبائعها ومبتاعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكِل ثمنها، والدال عليها)[392]، وقال ρ : ((سِتَّة لعنتهم وكلُّ نبي مُجاب الدعوة: المحرِّف لكتاب الله، والمكذِّب بقَدَر الله، والمتكلِّم بالجبروت؛ ليعزَّ مَن أذل الله، ويذلَّ مَن أعزَّه الله، والمستحلّ من عترتي ما حرَّم الله، والتارِك لسُنتي))[393]، و(لعن الزاني بامرأة جاره)[394]، و(لعن ناكِحَ يده)[395]، و(لعن ناكحَ الأُمِّ وبنتِها)[396]، و(لعن الراشي والمرتشي في الحُكم والرائش)[397]؛ يعني: الساعى بينهما، ولعن مَن كَتَم العلم)[398]، و(لعن المحتكر)[399]، و(لعن مَن أخفر مسلمًا)[400]، يعني: خذَله ولم ينصرْه، و(لعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة)[401]، و(لعن المتبتِّلين من الرجال[402]؛ الذين يقولون: لا نتزوَّج، والمتبتلات من النساء، ولعن راكبَ الفلاة وحْدَه)[403]، نعوذ بالله مِن لعنته ولعنة رسوله[404].

---

388 رواه الديلمي بمعناه.

389 متفق عليه.

390 رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

391 رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقي والنسائي.

392 رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر، ورَمَز السيوطي لصحته.

393 رواه الترمذي والحاكم، ورَمَز السيوطي لصحته.

394 رواه الترمذي وأبو داود.

395 لم أَجِده.

396 رواه مالك فى "الموطأ"، وابن ماجه.

397 رواه الترمذي وحسَّنه، وابن حبان فى "صحيحه"، والحاكم.

398 رواه أبو داود والترمذي.

399 رواه ابن ماجه والحاكم.

400 رواه البخاري.

401 رواه أحمد ورواته ثقات.

402 رواه أحمد.

403 رواه أحمد.

404 من "الكبائر" للذهبي (ص: 159-160)، وانظر "الجواب الكافي"؛ لابن القيِّم (ص: 66-68).

ولَعَن زائراتِ القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج[405]، ولَعَن على أشياءَ أُخرَ غير هذه، فلو لم يكن في فِعْل ذلك إلاَّ رضا فاعله بأن يكون ممَّن يلعنه الله ورسوله وملائكته، لكان في ذلك ما يدعو إلى تركِه، وبالله التوفيق.

102- الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان عشرة هي:

1- الاستعاذة بالله منه قال - تعالى -: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

2- قراءة المعوذتين ﴿قل أعوذ برب الفَلَق﴾، و﴿قل أعوذ بربِّ الناس﴾.

3- قراءة آية الكرسى ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [البقرة: 255].

4- قراءة سورة البقرة قال ρ : ((إنَّ الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورةُ البقرة))؛ رواه مسلم والنسائي.

5- قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ....﴾ [البقرة: 285 - 286] إلى آخر السورة.

6- قراءة أوَّل ﴿حم﴾ المؤمن، إلى ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ الآيات 1 - 3 من سورة غافر.

7- قول: "لا إله إلا الله وحْدَه لا شريك له، له المُلْك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" مائة مرة؛ متَّفق عليه.

8- كثرة ذِكْر الله - تعالى - قال ρ : ((... ورأيتُ رجلاً من أمتي قد احتوشتْه الشياطين، فجاءه ذِكْر الله فطرَد الشيطان عنه...))؛ رواه الحافظ أبو موسى المديني، وأخرجه الطبراني أيضًا.

9- الوضوء مع الصلاة.

10- إمساك فُضول النظر والكلام، والطعام، ومخالطة الناس، وليُعلم أنَّ الناس أربعة أقسام:

أحدها: مَن مخالطتُه كالغِذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة، وهم العلماء بالله وأمره، ومكائد عدوِّه، وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخَلْقه، فهذا في مخالطته الرِّبح كلُّه.

الثاني: مَن مخالطتُه كالدواء، تحتاج إليه عندَ المرض، فما دمت صحيحًا فلا حاجةَ لك في خلطته، وهم مَن لا يُستغنَى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، والقيام بما أنت محتاج إليه.

---

405 رواه أبو داود والترمذي والنسائي، ورمز السيوطي لصحته.

الثالث: مَن مخالطتُه كالداء، على اختلاف مراتبِه وأنواعه، وقوَّته وضــعفه، وهم مَن في خلطته ضررٌ ديني أو دنيوي، ومتى ابتُليت بواحد من هؤلاء، فلتعاشرْه بالمعروف، حتى يجعلَ الله لك مخرجًا، ومتى تمكنتَ من نقله إلى الخير، فهي فرصة تُغتنم.

الرابع: مَن في مخالطته الهلاك كلُّه، بمنزلة السُّمّ، وهم أهل البدع والضلالة.[406]

103- أسباب شرح الصدر

1- أعظمُ أسباب شرْح الصدر: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوَّته وزيادته، يكون انشراحُ صدر صاحبه، قال الله - تعالى -: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: 22]، وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125].

فالهدى والتوحيد مِن أعظم أسباب شرْح الصدر، والشِّرْكُ والضلال من أعظم أسباب ضِيق الصدر وانحراجه.

2- النُّور الذي يقذفه الله في قلب العبد: وهو نور الإيمان، فإنَّه يشرح الصدر ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فُقِد هذا النور من القلْب ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه، وقد روى الترمذي في جامعه عن النبي ρ أنه قال: ((إذا دخل النورُ القلْب انفسَحَ وانشرح))، قالوا: وما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: ((الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله)).

فنصيب العبد مِن انشراح صدره بحسب نصيبه مِن هذا النور، وكذلك النور الحِسيّ، والظلمة الحِسية، هذه تشرح الصدر، وهذه تضيقه.

3- العلم: فإنَّه يشرح الصدر ويوسعه، حتى يكونَ أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحَصْر والحَبْس، فكلَّما اتسع عِلمُ العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكلِّ عِلم، بل للعلم الموروث عن الرسول ρ وهو العلم النافع، فأهلُه أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلوبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

4- الإنابة إلى الله - سبحانه وتعالى - ومحبَّته بكلِّ القلْب، والإقبال عليه، والتنعُّم بعبادته، فلا شيءَ أشرح لصدر العبد من ذلك، وكلَّما كانتِ المحبة أقوى وأشدّ، كان الصدر أفسحَ وأشرح، ومن

---

406 انظر "بدائع الفوائد"؛ لابن القيِّم (2/ 267-275).

أعظم أسـباب ضـيق الصـدر الإعراضُ عن الله – تعالى – والتعلق بغيره، والغفلة عن ذِكْره، ومحبَّة سواه، فإنَّ مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّب به، وسُجِن قلبه في محبَّة ذلك الغَيْر.

5- دوام ذكْر الله على كلِّ حال، وفي كلِّ موطن: فلذِكْر الله تأثيرٌ عجيب في انشـراح الصـدر، ونعيم القلْب، وللغفلة عن ذِكْر الله تأثيرٌ عجيب في ضِيقه، وحبسه وعذابه.

6- الإحسـان إلى الخلق، ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفْع بالبدن، وأنواع الإحسـان: فإنَّ الكريم المحسِـن أشـرحُ الناس صـدرًا، وأطيبهم نفسًـا، وأنعمهم قلْبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيقُ الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًّا وغمًّا، وقد ضرب رسول الله ρ في الحديث الصـحيح مَثَلاً للبخيل والمتصـدِّق كمَثَل رَجُلين عليهما جُنَّتان من حديد، كلَّما هَمَّ المتصدِّق بصدقة اتَّسعت عليه وانبسطت، حتى يجرَّ ثيابه، ويُعفَى أثره، وكلَّما همَّ البخيل بالصدقة لزمتْ كل حلقة مكانَها، ولم تتسع عليه، فهذا مَثَل انشراح صدر المؤمن المتصدِّق، وانفساح قلْبه، ومثل ضيق صدْر البخيل، وإحصار قلبه.

7- الشجاعة: فإنَّ الشجاع منشرِحُ الصدر – واسع البِطان، متَّسع القلْب، والجبان أضيق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذَّة له ولا نعيم، إلاَّ مِن جنس ما للحيوان البهيم، وأما سـرور الرُّوح ولذتها، ونعيمهما وابتهاجها، فمحرَّم على كل جبان، كما هو محرَّم على كل بخيل، وعلى كل معرِض عن الله سبحانه، غافل عن ذِكْره، وجاهل به وبأسمائه تعالى، وصِفاته ودِينه متعلِّق القلْب بغيره، وإنَّ هذا النعيم والسـرور يصـير في القبر رياضًـا وجنة، وذلك الضـيق والحصر ينقلِب في القبر عذابًا وسجنًا، فحال العبد في القبر كحال القلْب في الصدر نعيمًا وعذابًا، وسجنًا وانطلاقًا، والله المستعان.

8- إخراج دَغَل القلْب من الصِّـفات المذمومة التي توجِب ضـيقَه وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرِّ، فإنَّ الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلْبه لم يحظَ من انشراح صدرِه بطائل.

9- ترْك فضـول النظر والكلام، والاسـتماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإنَّ هذه الفضـول تستحيلُ آلامًا وغمومًا، وهمومًا في القلْب تحصره وتحبسه، وتضيقه ويتعذَّب بها، بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها، فما أضيقَ صدرَ مَن ضرب في كلِّ آفة مِن هذه الآفات بسهم، وما أنعمَ عيشَ مَن ضرب في كلِّ خصلة من تلك الخِصال المحمودة بسهم، وكانت همَّته دائرةً عليها، حائمة حولها، فلهذا نصيبٌ وافِر من قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: 13]، ولذلك نصيبٌ وافر من قوله – تعالى –: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 14]، وكان رسول الله ρ أكملَ

الخَلْق في كلِّ صفة يحصل بها انشراحُ الصدر، واتِّساع القلْب، وقُرَّة العين، وحياة الرُّوح، فهو أكمل الخَلْق في هذا الشرح والحياة، وقرَّة العين، مع ما خُصَّ به من الشَّرْح الحِسيِّ، وأكملُ الخَلْق متابعة له أكملُهم انشراحًا ولذَّةً، وقُرَّة عين.

وعلى حسب متابعته يَنال العبدُ من انشراح صدره وقُرَّة عينه، ولذَّة رُوحه ما ينال، فمن وجد خيرًا، فليحمدِ الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه، والله المستعان[407].

104- قاعدة أحكام النساء على النصف من أحكام الرجال في مواضع

1- الميراث: قال - تعالى -: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11].

2- الدِّية: فدِيةُ المرأة الحرَّة المسلِمة نصفُ دية الرجل الحرِّ المسلم، قال ابن المنذر وابن عبدالبر: "أجمع أهلُ العلم على أنَّ دية المرأة نِصفُ دية الرجل".[408]

3- العقيقة: وهي الذبيحة عن المولود عن الغلام شاتان، وعن البِنت شاة؛ عن عائشة - رضي الله عنها - : "أنَّ النبي ρ أَمَرهم أن يُعقَّ عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة"؛ رواه الترمذي وصحَّحه، والمراد التكافؤ في السِّن مما يُجزئ في الأضحية.

4- الشهادة: قال الله - تعالى -: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: 282].

5- العِتق: وهو تحرير الرقبة المملوكة، وتخليصها من الرِّق، عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ : ((أيما امرئٍ مسلِم أعتق امْرأً مسلمًا استنقذ اللهُ بكلِّ عضو منه عضوًا منه من النار))؛ متفق عليه، وللترمذيِّ وصحَّحه عن أبي أُمامة τ : ((وأيما امرئٍ مسلم أعتق امرأتَين مسلمتَين كانتا فَكاكَه من النار))، فيعدل عتق امرأتين بعِتق رجل في الفَكَاك من النار، كما دلَّ عليه الحديث.

6- عطية الأولاد في الحياة: فإنَّ المشروع أن يكون على سبيل الميراث للذَّكر مثل حظ الأنثيين.

---

407 انظر "زاد المعاد في هدي خير العِباد"؛ لابن القيِّم (1/316 - 319).

408 "المغني"، و"الشرح الكبير" (10/131).

7- الصلاة: فإنَّ المرأة تسقط عنها الصلاة أيَّامَ الحَيْض وأكثر مدة الحيض عند بعض العلماء خمسة عشر يومًا وهي نِصْف الشهر - والصحيح أنه لا حدَّ لأقلِّ الحيض ولا لأكثر، كما اختاره شيخُ الإسلام ابن تيمية، وجَمْعٌ من العلماء[409].

والله أعلم، وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

409 انظر "القواعد لابن رجب" (ص: 322)، القاعدة 148.

بسم الله الرحمن الرحيم

105- تحريم تبرج النساء واختلاطهن بالرجال، والأمر بالحجاب

بقلم الشيخ عبدالرحمن الحماد العمر

واعلموا أيُّها المسلمون، وأيتُها المسلمات، أنَّ من أعظمِ الذنوب، وأضرِّ الفِتن ما تفعله أكثرُ النساء هذا الزمان مِن خروجهنَّ مِن بيوتهن فاتناتٍ مفتونات، على حال من التبرُّج والزينة والطيِّب والتكشُّف، وإظهار المفاتن، ومخالطة الرِّجال، والتي تُسخط الله، وتوجب غضَبه، وحلولَ نقمته، والله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، ويقول - سبحانه وتعالى - ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: 31]، وقال النبي ρ : ((صِنفان مِن أهل النار لم أُرهما: قوم معهم سِياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونِساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلنَ الجَنَّة، ولا يجدنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحها ليوجدُ من مسيرة كذا))؛ رواه مسلم وغيره.

فقول النبي ρ : ((لم أرهما))؛ أي: في حياته، وهذا الحديث من معجزاته ρ فقد وَقَع في هذا الزمان ما أخبر به ρ حيث وُجدتِ النساء الكاسيات بما عليهنَّ من ثياب قصيرة، العاريات بما ظَهر من أجسادهن، ووجدتِ الكاسيات بما عليهنَّ من ثياب، وخُمر شفَّافة لا تستر ما تحتَها، فهُنَّ عارياتٌ بما يظهر من أجاسدهنَّ من وراء تلك الثياب، وشبيهٌ بالعري، بل قد يكون أبلغَ منه في الفِتنة لبسُ الثوب الضيِّق الذي يُظهر مفاتنَ المرأة ومعازلها، وهو ثوبٌ أكثر مَن يلبسه العاهرات، والكافرات الغربيات، ونحوُهنّ، ومَن يتشبه بهنَّ من المنتسبات للإسلام.

ومعنى مميلات؛ أي: يُعلِّمْنَ غيرهن فِعْلهنَّ المذموم، وقيل مائلات؛ أي: يمتطشن المشطة الميلاء، وهي مشطةُ البغايا، ومميلات: يمشطن غيرَهنَّ تلك المشطة، كما هو حال كثيرٍ من النساء اليوم، اللاتي يجمعْنَ شعرَ رؤوسن فوقَ هاماتهنَّ، أو في مقدمة رؤوسهن، إلى غير ذلك، نعوذ بالله من سوءِ الفِتن، ما ظهر منها وما بطن.

فاتقي الله أيتُها المرأة المتبرِّجة بالزينة أمامَ الناس، واتقي الله يا مَن تخرجين إلى الأسواق غيرَ مستترة، واتقي الله يا مَن تخالطين الرِّجال، وتنظرين إليهم وينظرون إليك، اتقي الله أيتُها المرأة إن كنت تؤمنين بالله وبالوقوف بين يديه، واعْلمي أنَّ هذه الأفعال محرَّمة عليك، واتقي الله يا مَن تركبين وحدَك مع السائق، أو تدخلين على الطبيب أو غيره وليس معك أحدٌ من محارمك، واتقي الله يا مَن تخرجين سافرةً غير متحجِّبة، فإنَّ السُّفور مثيرٌ للفتنة والشرّ، مخالِف لأمر الله، وأمر رسوله ρ .

اتقي الله يا أيتُها المسلِمة، وتوبي إليه إن كنت تفعلين شيئًا مِن هذه المنكرات، فوالله إنَّ عذابَ الله لشديد، واتقوا الله يا مَن تتعرَّضون للنِّساء، وتنظرون إليهنَّ، فإنَّ هذا حرام، وإثم لا يجوز، قال الله – تعالى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30].

واتقوا الله يا مَن تتركون نساءكم وبناتِكم على أيِّ حالٍ مِن الأحوال المذكورة ونحوها، ممَّا حرَّم الله، وألْزِموهنَّ بالسِّتر والحجاب، والتحفُّظ والقرار في البيوت، وقُوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة، فأنتم رُعاة ومسؤولون عن رعيتكم، وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

106- خطورة الاختلاط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، وبعد.

فإنَّ مِن أخطر الأمور التي حذَّر الله منها المسلمين الاختلاطَ بين الجِنسين؛ الذَّكر والأُنثى، حيث إنَّه من أكبر الأسباب للفاحشة، وأخطر من ذلك الخلوةُ بالمرأة غير المحْرَم، فإنَّ في ذلك مدخلاً للشيطان، يقول – عليه السلام – : ((لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلاَّ كان الشيطان ثالثَهما))[410]، وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجلٌ بامرأة في غَيْبة عن أعين الناس، وذلك يحدث اليوم كثيرًا في بيوت المسلمين الذين اتَّخذوا الخادماتِ الأجنبياتِ عن الأسرة والبيت والمجتمع، يؤتَى بهنَّ من بلاد بعيدة بدون محارم، ومن المتوقَّع، بل من المؤكَّد أن ربَّ البيت، أو أحد أبنائه، أو أحد رجال الأسرة يخلو بهذه الخادِمة كثيرًا حينما تخرج الأسرة، وحينئذٍ يأتي دَورُ الشيطان، وهو دورٌ محقَّق الخطر، حيث أخبر الرسول ρ بذلك، والحديث السابق يعمُّ جميعَ الرجال، ولو كانوا صالحين، أو كبارَ السِّنِّ، كما يعمُّ المرأة ولو كانت صالحةً أو عجوزًا، وهذا الشيء مشاهَد من الطبيعة البشرية؛ ميل الرجال إلى النساء بالفِطرة، لا سيَّما وأنَّ الكثيرَ من هذه الخادماتِ فتياتٌ جميلات، ولهذا فإنَّنا نعتبر اتخاذَ الخادمات داخلَ البيوت اليومَ خطرًا عظيمًا ابتُلي به المسلمون اليوم، نسأل الله أن يحفظهم من شرِّه، ويهدي الولاةَ لاستدراك الأمر قبل أن يستفحل.

وهناك نوعٌ آخرُ من الاختلاط ابتُلي به بعضُ المسلمين وخطره لا يقلُّ عمَّا سبق، وهو اتِّخاذ الخَدَم الرِّجال والسائقين الأجانب، الذين نراهم يغدون ويروحون بأَسْرِهم، وينفردون بهنَّ بدون محارم، وقد تأكدْنا أنَّ طائفة من المسلمين بدأ يُرسل ابنتَه إلى المدرسة مع السائق، أو يرسل إحدى

410 رواه الطبراني.

محارمه إلى السُّوق مع هؤلاء منفرداتٍ مع السائق، ولربَّما يكون غيرَ مسلم، أو منحرفًا في دِينه أو سلوكه أو زِيِّه، بل وعلى فرْض أنَّه رجل تقي صالح، فذلك حرامٌ لا يجوز بدليل الحديث السابق، والشرُّ متوقَّع، والمسلِم العاقل لا يقبل ذلك في أهْله، ولا يجوز له أن يُفرِّط في الأمانة، ويسلِّم أغلى ما يملك - وهو محارمه - إلى هذا الخطر الكبير، وكم نسمع من الأحداث الفظيعة بسبب هذا التساهُل والإهمال بدافِع حبِّ التَّرف والغطرسة.

أخي المسلم، أختي المسلمة، إنَّ الإسلام قد شدَّد في أمر الخلوة، حتى مع الأقارب غير المحارم كبِنت العمّ، وبنت الخال، قال ρ : ((إيَّاكم والدخولَ على النساء))، فقال رجل: أرأيتَ الحمو يا رسول الله؟ فقال: ((الحمو الموْت))[411]، ومعناه: احذروا الاختلاط بالنِّساء، والخلوةَ بغير المحارم، وأعظم أنواع الخلوة أن يخلوَ أقارب الزَّوْج بزوجة قريبهم في سفره، أو خروجه من البيت، مثل أخيه وابن أخيه، وعمِّه وابن عمه... إلخ من غير المحارم لها، كما نحذِّر المسلِمات من السفر مع غير محْرَم، فالرسول ρ يقول: ((لا تسافر المرأةُ مع غير ذِي محْرم))[412]، كما نحذِّر المسلمين من خَلْط الذكور والإناث، ولو كانوا إخوةً بعد التمييز في المضاجع، فقد أَمَر ρ بالتفريق بينهم في المضاجِع في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود.

وممَّا سبق نُدرِك خطرَ الاختلاط بين الجنسين على أيِّ حال من الأحوال داخلَ البيوت، أو خارجها؛ لذلك يقول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27].

لذا فإنَّنا نعتبر هؤلاء الذين جاؤوا بنساء أجنبيات منهم، واختلطْنَ مع أولادهم، أو جاؤوا برجال أجانب، فاختلطوا مع محارمهم، قد عرَّضوا أنفسَهم وأهلهم إلى أعظمِ أنواع الخطر، كما أنَّهم يُهدِّدون المجتمعَ كلَّه بالخطر، وقد يوقعهم هذا التساهلُ بالدِّياثة التي يقول عنها ρ : ((لا يدخل الجَنَّةَ ديوث))[413]، والديوث هو الذي يَرْضى بالفاحشة في أهله، وهو شيء متوقَّع مع هذا التساهل؛ لذا فإنَّنا نقترح عليك أيها المسلِم البعدَ عن هذا الأمر، ومراقبة الله سبحانه، وخوْف الوقوف بين يديه يوم تُوقِفك ابنتُك وأختك بين يدي الله يومَ القيامة للحساب، ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88 - 89]، وافهم قولَه سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، وحينما

411 رواه البخاري ومسلم.

412 رواه البخاري ومسلم.

413 رواه النسائي والبزار، والحاكم وصحَّحه.

تكون مضطرًا إلى الخادمة، فلا تستقدم إلاَّ مسلِمة، وتصحبها بزوْجها المسلِم، وتخصص لهما مكانًا منفردًا معزولاً عن بيْتك، وعليك أن تختارَ كبيرةَ السِّنِّ التقية.

أمَّا هؤلاء السائقون الأجانب، فإنَّنا نقترح عليك أن تستغني عنهم بنفسك، أو أحدِ أولادك، وحينما تضطر لهم فعليك أن تَصحبَهم بنفسك، أو يصحبهم أحدُ المحارم، وأن تحذرَ من الثقة بهم، فالأمر ليس بالشيء السهل، ولا تُمكِّنْهم من دخول بيتك في غيبتك.

أخي المسلم، احذرْ هؤلاء المربِّيات اللاتي تسلمهنَّ أطفالك من غير المسلِمات، فلربما يربين أبناءك على غيرِ الطريقة المستقيمة.

أخي المسلم، لا يجوز لك مصافحةُ المرأة الأجنبية منك، ولا يجوز النظر إلى غير محارمك، فلقد أمر الله بغضِّ البصر، سواء في ذلك الرِّجال والنساء، كما لا يجوز للمرأة المسلِمة أن تكشفَ وجهها، أو شيئًا من بدنها أمامَ رجل أجنبي منها.

أختي المسلمة، احذري خطَرَ التبرُّج، وإظهار الزينة لغير المحارم، واحذري كثرةَ الخروج عن البيت بدون حاجة، فالله - تعالى - يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، والله الموفق.

مع تحيات أخيكم

عبدالله الجلالي

مدير مكتبة الدعوة الإسلامية (عنيزة)

بسم الله الرحمن الرحيم

107- (من أضرار الزنا):

قال الله – تعالى –: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: 32]، وقال – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَنْ تَابَ...﴾ [الفرقان: 68 – 70]، الآية، فانظر كيف قَرَن الزنا بالشِّرْك بالله، وقتْل النفس التي حرَّم الله، وقال – تعالى –: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النور: 2]، قال العلماء: هذا عذاب الزاني والزانية في الدنيا إذا كانا غيرَ متزوِّجَين، فإذا كانا متزوِّجين أو قد تزوَّجا، فإنهما يُرجمان بالحجارة حتى يموتا، وفي الحديث الصحيح: ((لا يَزْني الزاني حين يَزْني وهو مؤمن))[414]، وفي الحديث الآخر: ((مَن زنَى أو شَرِب الخمر نَزَع الله منه الإيمانَ، كما يخلع الإنسانُ القميص من رأسه))[415]، وأعظم الزِّنا بالأمِّ والبنت والأخت وذوات الأرحام، وفي الحديث: ((مَن وقع على ذات مَحْرَم فاقتلوه[416]، والزِّنا يجمع خِلالَ الشرِّ كلَّها، ومن ذلك: –

1- قلة الدِّين.

2- ذَهاب الورع.

3- فساد المروءة.

4- قلَّة الغَيْرة.

5- غضب الربّ.

6- سواد الوجه وظلمته.

7- ظلمة القلْب، وطمْس نوره.

8- الفقر اللازم.

9- ذَهاب حُرْمة فاعله، وسقوطه من عيْن ربِّه، ومن أعين عباده.

10- أنه يسلبه أسماءَ المدح من العِفَّة والبر، والعدالة والثِّقة، ويكسوه أسماءَ الذمّ كاسم الفاجر والخائن، والفاسق والزاني.

---

414 رواه البخاري ومسلم.

415 رواه الحاكم من حديث أبي هريرة، ورمز السيوطي لصحته.

416 رواه الحاكم وصحَّحه.

11- أنَّ الزاني يُعرِّض نفسه للعذاب في تنُّور من نار، أعلاه ضيِّق، وأسفله واسع، الذي رأى النبيُّ ρ فيه الزُّناةَ والزواني يعذبون.[417]

12- أنَّه يفارقه الطَّيِّب، ويستبدل به الخبيث، الذي وصف الله الزناةَ به.

13- وحشة يضعها الله في قلْب الزاني.

14- قلَّة الهَيْبة التي تُنزع من صدور أهلِه وأصحابه وغيرهم له.

15- أنَّ الناس ينظرونه بعَيْن الخيانة، ولا يأمنه أحدٌ على حُرْمته وولده.

16- ضِيق صَدْر الزاني وحَرَجه.

17- أنَّه يعرِّض نفسه لفوات الاستمتاع بالحُور العِين في المساكن الطَّيِّبة في جنات عدن.

18- أنَّ الزِّنا يجرئه على عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وكسْب الحرام، وظلم الخَلْق، وإضاعة أهْلِه وعياله.

19- أنَّ هذه المعصية محفوفةٌ بالمعاصي فهي لا تتمُّ إلا بأنواع المعاصي قبلها، ومعها وبعدَها، فهي تجلب شرورَ الدنيا والآخرة.

20- وجوب الحدِّ على الزاني البِكْر مائة جَلْدة، وتغريب عام عن وطنه، ورجم الزاني الثيِّب (الذي قد تزوَّج) بالحجارة حتى الموت.

21- في الزِّنا ضياعُ الأنساب.

22- انتهاك الأعراض.

23- انتشار الأمراض الخطيرة، وفشوُّ الطاعون، وانتشار الأمراض التناسلية المستعصية للعلاج غالبًا، وأهونها مَرَض الزهري.

24- تعريض المحارِم للوقوع بالفاحشة، فكما تَدين تُدان.

25- الإفلاس يومَ الحساب من الأعمال الصالحة.

26- أنَّه يُعْرَض الزاني الخائن يومَ القيامة على الذي زنَى بامرأته؛ ليأخذَ من حسناته ما يشاء، وسوف لا يُبقي للخائن حَسَنةً.

27- شهادة الجوارح عليه من اليد والرِّجل والجلد، والسمع والبصر واللِّسان ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24][418].

---

417 في حديث رواه البخاري في صحيحه عن سَمُرة بن جُنْدب.

418 انظر "روضة المحبين"؛ لابن القيِّم (ص: 358 -361).

(تنبيه هام):

ويلتحِق بالزِّنا في العذاب والفضيحة، والعار في الدنيا والآخرة، بل هو أشنعُ منه - عملُ قوم لوط، وهو إتيان الذُّكْران من العالمين في أدبارهم، وقد لُعِن فاعلُه ثلاثَ مرات في حديث رواه ابن حبَّان في صحيحه، والبيهقي والنسائي؛ قاله ابن حجر الهيثمي في "الزواجر"، فالواقع بالزِّنا واللواط مُجرِم فاسق، ظالِم خبيث، متعدٍّ حدود الله، وإذا أنكر تحريمَه فهو كافرٌ بالله العظيم، إلاَّ أن يتوب، فمَن تاب تاب الله عليه.

(فوائد غض البصر):

من أسباب الزنا واللواط: إطلاق النظر إلى العوْرات، وإلى النساء الأجنبيات اللاَّتي لسْنَ من محارم الرجل، وكذلك النظرُ في الصور وإلى الأمْرد الحسن بشهوة، وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغضِّ أبصارهم، وحفظ فروجهم، وأخبر أنَّ ذلك أطهرُ لقلوبهم وأزْكى لأعمالهم، وفي غضّ البصر منافعُ كثيرة، وفوائد عديدة، منها:

1- أنَّه امتثال لأمْر الله الذي هو غايةُ سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

2- طهارة القلْب، وزكاة النَّفْس، والعمل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

3- أنه يمنع وصولَ أثر السَّهْم المسموم، فإنَّ النظر سهمٌ مسموم من سِهام إبليس.

4- تعويض مَن غضَّ بصره بحلاوة الإيمان في القلْب، ففي الحديث: ((مَن غضَّ بصرَه عن محاسن امرأةٍ عوَّضه الله إيمانًا يجد حلاوتَه في قلْبه)).[419]

5- حصول الفراسة الصادقة التي يميّز بها بين الحقِّ والباطل.

6- أنَّه يُخلِّص القلْب من ألَم الحسرة، فإنَّ مَن أطلق بصره دامتْ حسرتُه.

7- أنَّه يورث القلْب سرورًا وفرحًا، ونورًا وإشراقًا أعظم من اللذَّة الحاصلة بالنظر.

8- أنَّه يُخلِّص القلْب من أسْر الشهوة، فإنَّ الأسير هو أسيرُ هواه وشهوته.

9- أنَّ غضَّ البصر يُقوِّي العقل، ويزيده ويثبِّته، وإرسال النظر لا يحصل إلاَّ مِن خفَّة العقل، وعدم ملاحظته للعواقب، وبالله التوفيق[420]

108- أهم الطرق لمكافحة الزِّنا

419 رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة، وقال: صحيح الإسناد.

420 انظر "روضة المحبين"؛ لابن القيم (ص: 90 - 102)، و"الجواب الكافي"؛ له (ص: 205 - 208).

1- منع التبرُّج، وإلْزام القادمين بتنفيذ التعليمات الدِّينيَّة نحوَ محارمهم، كسَــتْر الوجه والنحر والساقين، وما يُثير الفتنةَ كالملبس المعرِّي (المظهِر للعورة؛ لكونه قصيرًا، أو شفَّافًا أو ضَيِّقًا).

2- حمايةُ الأخلاق الكريمة بردْع السـفهاء عن التعدِّي على النســاء، أو ملاحقتهنَّ في جميع الميادين، ولا سيَّما في الأماكن التي يرتدْنَها للشراء أو النزهة.

3- عدم سماح وليِّ المرأة لها بالخروج، إلاَّ لِمَا تقتضيه الضرورة، وبصُحْبة محْرَم لها - إن أمكن - وعدم إدخال أجنبي عليها كأخِ الزوج، وغيرِه من الأجانب.

4- الحيلولة لئلاَّ يخلو رجلٌ بامرأة إلاَّ مع محْرَم لها متحجِّبة متسترة، وذلك في الحالات الضرورية كمراجعة الطبيب، أو للتحقيق مع المرأة، أو الخروج مع السـائق، أو شـراء أشـياء لا يتمكَّن عليها الوالي، وتضطر لحضورها من مجوهرات، أو أقمشة، أو ساعات.

5- عدم السـماح لأصحاب الدكاكين التي يرتدْنَها النسـاء بوضْـع المختصـرات الداخلية، ولا سيَّما لبائعي الأقمشة، أو الساعات، أو المجوهرات، أو الخِياطة، أو من المحلاَّت المحظورة شرعًا، مع إيقاع أشدِّ العقوبات على المخالفين.

6- منْع الخادم أو السـائق، أو مَن هو في حُكمهما ممَّن بلغوا، وشـعروا بالرغبة للنِّســاء - مِن الاختلاء بالمرأة، مهما بلغ من الثِّقة، وخاصَّـــة الخروج بها، ومَن سمح بهذا فهو مخالِفٌ للهدي الإسلامي، وليس كل واحد مِن هؤلاء معصومًا، والقصص القرآنية تُوحي بهذا؛ لِمَا يترتَّب عليه من الأمور الخطيرة، بعكس ما عليه دُعاة الإباحية والتحلُّل.

7- نشْر مبادئ الفضيلة، ومنْع وسائل الغرام والتحلُّل، واللهو والغِناء، ومضاعفة الجهود بتذكير الناس في دِينهم وآخرتهم، إذاعةً وصـــحافةً وتوجيهًا في جميع المجالات، مع تنشِـئة الناس على الشجاعة والرجولة، والشهامة والغَيْرة والمروءة، وتحذيرهم من السلوك السيِّئ من مجارة المرأة بطبيعتها الموهوبة في لبْس الذهب، والميوعة، وإزالة شَعْر الوجه.

8- تعيين الثِّقة بصـــحبة أهلِه لِمَن يتولَّى جلْب العائلات، أو ترحيلهنّ، أو الســـفر بهنّ، أو الاتصال بهنّ، ومراقبتهنّ.

9- إبعاد سجون النِّساء عن أماكن الحرَّاس، وتوجيههن لدينهن، مع تعيين الثِّقة الطاعن بالسِّنِّ بصحبة أهله؛ ليتولَّى الأبواب، والاتصال، ومراقبته.

10- إبراز ما تقتضيه المصلحةُ خارجَ البيوت، كالعدَّادات الكهربائيَّة والمائية، وخاصَّـة للأُسَر الصغيرة.

11- عدم السماح لفَتْح المسارِح والسينمات، ومنْع اختلاط الرِّجال بالنساء، ولا سيَّما في حفلات الزواج، ومنْع السهر.

12- المسارَعة بتخفيف المهور، والنظر في المرأةِ التي منعها وليُّها عن الزواج بدون مبرِّر شرعي، ورفْع ولايتها إلى غيره.[421]

19- قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

البصر مِن نِعم الله العُظمى، التي أنعم بها على الإنسان لكي يشكرَها، ويتمتَّع بها في شؤون حياته، ويستعين بها على أمور دينه ودنياه، ولا يعرف قدرَ هذه النعمة حقَّ المعرفة إلا مَن ابتُلي بذَهاب بصره، والبصر أداة خير إذا استعمل فيما شُرِع له النظر إليه، والتفكُّر فيه ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، وقد يكون وسيلةَ شرٍّ على صاحبه إذا استعمله في المحرَّمات، والنظر إلى العورات، وفضول زِينة الحياة الدنيا نظرة إعجاب ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: 131]؛ لذا أمر الله المؤمنين بالغضِّ من أبصارهم، فقال - تعالى -: مخاطبًا لنبيِّه محمد ρ : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 30، 31]، فأمر المؤمنين بما يمنعهم من الوقوع في ما يخلُّ بالإيمان، وهو غضُّ الأبصار عن النظر المحرَّم إلى العورات، وإلى النِّساء الأجنبيات، ولَمَّا كان إطلاق النظر وسيلةً إلى الوقوع في الزِّنا، أمر الله بحفظ الفروج - بعد الأمر بغض البصر - عن الوطء المحرَّم في قُبل أو دُبر، وعن التمكين من مسِّ الفُروج، والنظر إليها، وأخبر أنَّ غضَّ الأبصار، وحفظ الفُروج أطهرُ وأطيب، وأنْمَى للأعمال، فإنَّ مَن غضَّ بصره، وحفظ فرجه، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهلُ الفواحش، وزكَتْ أعماله بسبب ترْك المحرَّم الذي تطمع به النفس الأمَّارة بالسوء، وتدعو إليه، فمَن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، ومن غضَّ بصره أنار الله بصيرته، ولما أمَر الله المؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم، أَمَر المؤمناتِ بذلك، وألاَّ يُظهرن ما يدعو إلى الافتتان بهنَّ من الزينة والحُلي، والثياب الجميلة، وجميع البدن، إلاَّ ما ظهر منها، كالثياب الظاهرة التي لا يُمكن إخفاؤها[422]، فكما أنَّه يجب على الرجل أن يغضَّ بصرَه عن النساء، فكذلك المرأة يجب عليها أن تغضَّ طرْفَها عن الرجال، فقد دخل ابن أمِّ مكتوم

421 من رسائل "خطر الجريمة الخلقية"؛ للشيخ يوسف بن محمد المطلق (ص: 13 - 15).

422 "تفسير ابن سعدي" (5/201 – 202)، ط-1.

الأعمى على النبي ρ وعنده امرأتان من نسائه، فأمرهما بالاحتجاب منه، فقالتَا: يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يُبصِرُنا ولا يعرفنا؟! فقال ρ : ((أفعمياوانِ أنتما، ألستما تبصرانه؟!))[423]، فإذا وجب الاحتجابُ عن الأعمى، فكيف بغيره؟! والنظرة بمنزلة الشرارة من النار تسري في الحشيش اليابس، فإنْ لم تحرقه كلَّه أحرقت بعضه، وبمنزلة السَّهم من الرميه كما قيل:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ = وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا = فَتْكَ السِّهَامِ بِلاَ قَوْسٍ وَلاَ وَتَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ= لاَ مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

ولَمَّا كان النظرُ من أقرب الوسائل إلى المحرَّم اقتضتِ الشريعة الإسلامية تحريمَه، وإباحته في مواضع الحاجة كنَظر الخاطب إلى مخطوبته، وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ρ أنه قال: ((النظر سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، فمَن غضَّ بصره عن محاسِن امرأة أورثَ الله قلْبَه حلاوةً يجدها إلى يوم يلقاه))، أو كما قال.

وقال جرير بن عبدالله: سألتُ النبي ρ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرفَ بصري[424]، ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصْد من الناظر، فما لم يتعمدْه القلب لا يُؤاخذ عليه، فإذا نَظَرَ ثانية متعمِّدًا أَثِم، فأمر النبي ρ عند نظرة الفجأة أن يصرفَ بصره، ولا يستديم النظر، فإنَّ استدامتَه كتكريره.

ففِتنة النظر أصْلُ كل فتنة، كما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - : أن النبي ρ قال: ((ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرِّجال من النساء))، وفي الصحيح: ((كُتِب على ابن آدم حظُّه مِن الزِّنا، أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني، وزِناها النظر... الحديث))[425]، فالعين تعصي بالنظر المحرَّم، وذلك زناها، وثبت عنه ρ أنه قال: ((يا عليُّ، لا تتبع النظرةَ النظرة، فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخِرة))[426]، وكلَّما تواصلتِ النظرات كانت كالماء يَسْقي الشجرة، فلا تزال شجرةُ الحُبِّ تَنْمي، حتى يفسد القلب، ويُعرِض عن الفِكر فيما ينفعه، فيخرج بصاحبه إلى المِحن، ويُوجِب له ارتكابَ المحظورات والفِتن، ويُلْقي القلْب في القلق،

---

423 رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

424 رواه مسلم.

425 رواه البخاري ومسلم.

426 رواه أحمد.

والسبب في هذا: أنَّ الناظر الْتذَّتْ عينه بأول نظرة، فطلبت المعاودةَ كأكْل الطعام اللذيذ إذا أكل منه لُقْمة، ولو أنَّه غضَّ بصره أولاً لاستراح قلبه.

(من فوائد غض البصر):

ففي غضِّ البصر منافعُ كثيرة، وفوائدُ عديدة، منها: أنَّه امتثال لأمر الله، الذي هو غايةُ سعادة العبد في دنياه وآخرته، وأنَّه يمنع وصولَ أثَر السَّهْم المسموم الذي ربَّما كان فيه هلاكه، ومنها أنه يورِث القلْب نورًا وإشراقًا، كما أنَّ إطلاقه يُكسبه ظلمةً تظهر في الوجه والجوارح.

ومن فوائد غض البصر: أنَّه يُخلِّص القلب من ألَمِ الحسرة، فإنَّ مَن أطلق بصره دامتْ حسرته، وأنه يورث صحةَ الفراسة الصادقة، التي يميّز بها بيْن الصادق والكاذب، ويفتح له بابَ العلم والإيمان، والمعرفة بالله وأحكامه.

ومن ذلك: أنَّ غض البصر يورِث القلب ثباتًا وشجاعة، وفي الأثر: أن "الذي يخالف هواه يفرُّ الشيطان مِن ظِلِّه"، ومنها: أنَّه يورِث القلب سرورًا وفرحًا أعظمَ من اللذة الحاصلة بالنظر، وأنَّه يُخلِّص القلب مِن أَسْر الشهوة، فإنَّ الأسير هو أسيرُ هواه وشهوته، وأنَّه يفرّغ القلْب للتفكُّر في مصالحه، والاشتغال بها، وإطلاق البصر يُشتِّت عليه ذلك، وأنَّ غض البصر يُقوِّي العقل ويَزيده ويثبته، وإطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلاَّ مِن خِفَّة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، قال الشاعر:

وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ عَمَلاً = حَتَّى يُفَكِّرَ مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

وغضُّ البصر يخلِّص القلْب من سُكْر الشهوة، ورقْدة الغفلة، وإطلاق البصر يوجِب استحكامَ الغفلة عن الله، والدار الآخرة.

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أكثرُ من أن تُحْصى[427]، والحرُّ تكفيه الإشارة، وقد قال - تعالى -: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 36]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19]، فليس الإنسان بمهمَل ولا مغفول عنه، وإن غفل ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6].

ومن المؤسِف ما يُشاهد في بعض أسواقنا من نساء كاسيات عاريات، فاتنات مفتونات، قد تجردْنَ من الحياء والشيمة والمروءة، بل ومن الإنسانية، فأبرزْنَ الوجه والرأس والعنق، والذراعين والساقين، يخترقْنَ الأسواق يَمنةً ويَسْرة، من غير خَجَل ولا حياء، ويشاهد هناك بعض الشباب

427 "روضة المحبين"؛ لابن القيم (ص: 90 – 102)، و"الجواب الكافي" (ص: 205 - 208).

المغرورين ينخدعون بهذه المفاتن، فيحدقون بهنَّ الأنظار - إنهنَّ بهذه العادات الممقوتة يُغرين بناتِنا، ويفتنَّ أبناءنا.

إنَّنا نرجو من المسؤولين الكرام أن يتلافوا هذا الخطرَ الفاحش على أبنائنا وبناتنا، وأن يضربوا بيدٍ من حديد على كلِّ مَن يخالف تعاليمَ دِيننا، وتقاليد بلادنا، إنَّ المرأة في هذه البلاد المسلِمة المتمسِّكة بتعاليم دِينها، وتحكيم شريعة الله لم تزَلْ - وما زالت - متحجِّبةً متستِّرة، محتشمةً عفيفة؛ امتثالاً لأمر الله، واقتداء بسُنة رسول الله ρ ومحافظة على أخلاقها وتقاليدها وشرفها، ولذلك ساد الأمنُ في هذه البلاد على النفس والأهل والمال؛ تحقيقًا لوعد الله المؤمنين بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ولعظم نِعمة البصر عوَّض الله مَن ابْتُلي بذَهاب بصره فصَبر الجَنَّة، قال النبي ρ : ((قال الله - تعالى -: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضتُه بهما الجنة؛ يريد: عينيه))، فعلى المسلم أن يُفكِّر في نِعم الله عليه، وأن يرعاها حقَّ رعايتها، فيعترِف بها باطنًا، ويتحدَّث بها ظاهرًا، وأن يستعين بها على ما يحبُّه الله ويرضاه، حتى تستقرَّ وتزداد، ويُثاب عليها في الدنيا والآخرة، وبالله التوفيق.

اللهمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا، وقواتِنا ما أبقيتنا، اللهمَّ طهِّر قلوبنا من النِّفاق، وأعمالَنا من الرياء، وألْسنتَنا من الكذب، وأعيننَا من الخيانة، إنَّك تعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور، اللهم اجعل حواسَّنا وجوارحنا شاهدةً لنا باكتساب الخيرات، لا شاهدةً علينا بانتهاك المحرَّمات، اللهمَّ اجعلنا مِن الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحْسَنه، ومِن الذين قالوا سمعْنا وأطعنا، ربَّنا تقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

110- من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه

ما حرَّم الله على عباده شيئًا إلاَّ عوَّضهم خيرًا منه، كما حرَّم الاستقسامَ بالأزْلام، وعوَّضهم عنه الاستخارة، وحرَّم الرِّبا، وعوَّضهم عنه التِّجارةَ الرابحة، وحرَّم القمار، وأعاضهم عنه المسابقةَ النافعة، وحرَّم عليهم الحرير، وعوَّضهم عنه أنواعَ الملابس الفاخرة، وحرَّم الزنا واللواط، وأعاضهم عنها بالنكاح والتسرِّي بالنِّساء الحسان، وحرَّم آلاتِ اللهو، وعوَّضهم عنها سماعَ القرآن، وحرَّم عليهم شُرْب الخمر، وأعاضَهم عنه الأشربةَ اللذيذة المتنوِّعة، وحرَّم عليهم الخبائثَ من المطاعم وغيرها،

وعوَّضهم عنها الطيبات، فمَن تلمَّح هذا وتأمَّله، هان عليه ترْكُ الهوى المردِي، واعتاض عنه بالنافع المجدي، وعرَف حِكمة الله، ورحمتَه في الأمر والنهي؛ أ. هـ من "روضة المحبِّين لابن القيم"[428].

وهذه القاعدة وردتْ في القرآن في مواضعَ كثيرة، منها ما ذكره الله عن المهاجرين الأوَّلين، الذين هجروا أوطانهم وأموالَهم وأحبابهم لله، فعوَّضهم الله الرِّزق الواسع في الدنيا، والعزَّ والتمكين، وإبراهيم الخليل - عليه السلام - لَمَّا اعتزل قومه وأباه، وما يدعون من دون الله، وَهَب له إسحاق ويعقوب، والذرية الصالحين، ويوسف - عليه السلام - لَمَّا امتنع؛ خوفًا من الله عن الوقوع مع امرأة العزيز، مع ما كانت تُمنِّيه به من الحَظْوة وقوَّة النفوذ في قصْر العزيز ورياسته، وصَبَر على السِّجْن وأحبَّه وطلبه؛ ليبعدَ عن دائرة الفساد والفِتنة، عوَّضه الله أن مكَّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ويستمتع بما يشاء ممَّا أحلَّ الله له من الأموال، والنساء والسلطان، وأهلُ الكهف لَمَّا اعتزلوا قومَهم وما يعبدون من دون الله نشَر لهم من رحمته، وهيَّأ لهم أسبابَ المرافق والراحة، وجعلهم سببًا لهداية الضالِّين، ومريم ابنة عمران لَمَّا أحصنتْ فَرْجها، أكرمها الله، ونَفَخ فيه من رُوحه، وجعلها وابنها آيةً للعالمين، وهكذا مَن تَرَك ما تهواه نفسُه من الشهوات لله تعالى، عوَّضه الله من محبَّته وعبادته، والإنابة إليه ما يفوق لذَّاتِ الدنيا كلَّها؛ ا.هـ من "القواعد الحسان لتفسير القرآن"؛ للشيخ عبدالرحمن السعدي[429]، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

428 "روضة المحبين"؛ لابن القيم (ص: 9).

429 "القواعد الحسان لتفسير القرآن" (ص: 197).

111- المسائل التي انفرد بها شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأئمَّة الأربعة[430]

1- قصْر الصلاة في كل ما يُسمَّى سفرًا.

2- عدم استبراء البِكْر الكبيرة.

3- عدم اشتراط الوضوء لسجود التلاوة.

4- إذا أكل في رمضان معتقدًا أنَّه ليلٌ، فَبَان أنه نهار، فصوْمه صحيح، وليس عليه قضاء؛ لأنَّه كالناسي.

5- المتمتِّع في الحج يكفيه سعيٌ واحد، وهو رواية عن أحمد، وبه يقول ابن عباس.

6- جواز السِّباق بغير محلِّل.

7، 8، 9، 10- المرأة المختلعة، والموطوءة بشبهة، والموطوءة بِملك اليمين، والمطلقة ثلاثًا - تُستبرأ بحَيْضة.

11- جواز عقْد الرِّداء في الإحرام.

12- جواز طواف الحائض إذا لم يُمكِن لها أن تطوف طاهرةً، وخشيتْ فوات رفقتها.

13- جواز بيْع العصير بأصْله، كزيت بزيتون.

14- جواز الوضوء بكلِّ ما يُسمىً ماءً.

15- جواز بيْع الحُلي بالفِضة متفاضلاً، والزائد في مقابلة صنعتها.

16- إذا وقعتِ النجاسة في مائع ولم يتغيَّر لم ينجس، وإن كان قليلاً.

17- إذا خاف فواتَ الجمعة أو العيد، جاز له التيمُّم.

18- اعتبار طلاق الثلاث بلفظٍ واحد طلقةً واحدة، ولو فُرِّقت.

19- إذا حَلَف بالطلاق، فيمينه مكفَّرة.

430 انظر: "الفواكه العديدة في المسائل المفيدة"؛ للشيخ أحمد المنقور (1/ 50).

112- أمراض القلوب وشفاؤها

القلوب ثلاثة:

صحيح: وهو الذي قد سَلِم من كل شهوة تخالف أمرَ الله ونهيَه، ومن كلِّ شُبهة تعارض خبرَه، فسلم من عبودية ما سواه، وسَلِم من تحكيم غير رسوله.

والقلْب الميِّت: ضد هذا، هو الذي لا حياة به، فلا يَعرف ربَّه، ولا يَعبده بأمره.

والقلب الثالث: قلْب له حياة، وبه عِلَّة، ففيه من محبَّة الله والإيمان به، والإخلاص له، والتوكُّل عليه، ممَّا هو مادة حياته، وفيه من محبَّة الشهوات وإيثارها، والأخلاق الرذيلة ما هو مادة عَطَبِه، وهو ممتحَن بين هذَين الداعيين.

فالقلب الأول: حيٌّ مخبِت، ليِّن واعٍ، والثاني: يابس ميِّت، والثالث: مريض، فإمَّا إلى السلامة، وإمَّا إلى العطب.

وأمراض القلوب ترجع كلها إلى أمراض الشهوات والشبهات، وحياةُ القلْب وإشراقه مادةُ كلِّ خير فيه، وموْته وظلمته مادةُ كلِّ شرٍّ فيه، ولا يكون صحيحًا حيًّا إلاَّ بمعرفة الحق وإيثاره، ولا سعادة له، ولا نعيم ولا صلاح، حتى يكونَ الله وحده هو معبودَه، وغاية مطلوبه، ولا يتمُّ ذلك إلا بزكاة قلْبه وتوبته، واستفراغه من جميع المواد الفاسدة، والأخلاق الرذيلة، ولا يحصل له ذلك إلاَّ بمجاهدة نفسه الأمَّارة بالسُّوء ومحاسبتها، ومجاهدة شياطين الإنس والجن؛ شياطين الإنس بالإعراض عنهم، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وشياطين الجنِّ بالاعتصام بالله منهم، ومعرفة مكايدهم وطُرقهم، والتحرُّز منها بذِكْر الله - تعالى - والتعوذ به منهم.[431]

ومدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصْد، ويترتب عليهما داءان قاتلان: الغضب والضلال، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصْد، وهذان المرضان مِلاكُ أمراض القلوب جميعِها، وشفاءُ ذلك بالهداية العلمية، والهداية العملية؛ معرفة الحق واتباعه، والقرآنُ كلُّه شفاء لهذين المرضَين ولغيرهما، ففيه الهداية التامَّة؛ ا.هـ من "مدارج السالكين"؛ لابن القيِّم.[432]

431 انظر: "إغاثة اللهفان"؛ لابن القيِّم (1/7 - 10)، و"مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (10/91- 149).

432 انظر: "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول"؛ لابن سعدي (ص: 204).

آيات الشفاء في القرآن[433]

(1) ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14].

(2) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80].

(3) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

(4) ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

(5) ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44].

(6) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69].

طب الأبدان

قواعد طبِّ الأبدان تدور على ثلاثة أصول: حِفْظ الصحة، والحمية عن المؤذِي، واستفراغ الموادِّ الفاسدة، ومِن أصول الطب: تدبير الغذاء والحركة والنوم، وجميع التصرُّفات، ولا يعدل إلى استعمال الأدوية إلا للضرورة، أو الحاجة.

وأربعة أشياء تُمرِض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجِماع الكثير.

وأربعة تهدم البدن: الهمُّ والحزن، والجوع والسهر.

أربعة تُظلِم البصر: المشي حافيًا، والتصبُّح والمساء بوجه البغيض والثقيل والعدوّ، وكثرة البكاء، وكثرة النظر في الخطِّ الدقيق.

وأربعة تقوِّي الجسم: لبس الثوب الناعم، ودخول الحمَّام المعتدِل، وأكْل الطعام الحلو والدسم، وشمُّ الروائح الطيِّبة.

وأربعة تُيبِّس الوجه، وتذهب بماءَه، وبهجتَه وطلاقته: الكذب والوقاحة، وكثرة السؤال عن غير علم، وكثرة الفجور.

وأربعة تَزيد في ماء الوجه وبهجته: المروءة والوفاء، والكرم والتقوى.

وأربعة تجلب البغضاء والمقْت: الكِبْر والحَسَد، والكَذِب والنميمة.

وأربعة تجلب الرِّزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهُد الذِّكْر أولَ النهار وآخِرَه.

وأربعة تمنع الرِّزْق: نوم الصبيحة، وقلَّة الصلاة، والكَسَل، والخيانة.

---

433 أي: الآيات التي ذكر فيها لفظ الشفاء، وإلا فالقرآن الكريم كله شفاء لأمراض القلوب والأبدان، كما دلَّت عليه هذه الآيات.

وأربعة تضرُّ بالفَهْم: إدمان أكْل الحامض والفواكه، وَالنَّوْم على القَفَا، والهمُّ والغمّ.

وأربعة تَزيد في الفَهْم: فراغ القلْب، وقلَّة التملّي من الطعام والشـــراب، وحُسْـــن تدبير الغذاء بالأشياء الحُلوة والدسمة، وإخراج الفضلاَت المثقلة للبدن.

ومما يضـــرُّ بالعقل: إدمان أكْل البصـــل والباقلا، والزيتون والباذنجان، وكثرة الجِماع، والوَحْدة، والأفكار، والسكر، وكثرة الضَّحِك والغمّ.[434]

فائدة

قال بعضُ العلماء دواء القلْب خمســة أشـياء: قراءة القرآن بالتدبُّر، وخلاء البطن، وقيام اللَّيْل، والتضرُّع بالأسحار، ومجالسة الصالحين قال الشاعر:

دَوَاءُ قَلْبِكَ خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ = فَدُمْ عَلَيْهَا تَفُزْ بِالْخَيْرِ وَالظَّفَرِ
خَلاَءُ بَطْنٍ وَقُرْآنٌ تَدَبُّرُهُ = كَذَا تَضَرُّعُ بَاكٍ سَاعَةَ السَّحَرِ
كَذَا قِيَامُكَ جُنْحَ اللَّيْلِ أَوْسَطَهُ = وَأَنْ تُجَالِسَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْخَبَرِ

113- الوصايا الطبية النافعة

1- اجتنب السَّهر والكَسل والخُمول والتعب الكثير.
2- تعوَّد الاستحمام أسبوعيًّا، وارتدِ الملابس الخفيفة الواسعة الساترة.
3- اعتدلْ في المأكل والمشرب، وتناول اللحمَ في غِذاء الظهر فقط.
4- اجتنب المسْكِرات والتبغ، وقلِّل من القهوة والشاي.
5- تعوَّد على الرِّياضة اليوميَّة المختلفة، واستنشاق الهواء الخلوي.
6- الابتعاد عن الاجتماعات المزدحِمة، واجتناب مخالطة المرضَى بقدر الإمكان.
7- اجتناب الإمساك، وذلك بتعاطي الفاكهة، وشُرْب الماء قبل النوم.
8- الاعتناء في كيفية طبْخ الأغذية، وتنظيف ما لا يُطبخ قبل تعاطيه.
9- منتهى العناية بالأسنان، وتركيب الناقص منها، وتنظيفها بالسواك.
10- بكِّرْ إلى النوم، وقم مبكرًا تصبح عاقلاً ميسورًا.
11- متى استيقظتَ صباحًا لا تتقلَّب في الفراش متثاقلاً، فإنَّ ذلك يُضعف الجِسم.
12- لا تتنفس من فمِك، وتنفَّس من أنفك، فإنَّه يُقوِّي الرئتين.
13- لا تشربِ الماء عقبَ الاستحمام، ولا التَّعَب ولا الأكْل ولا الجِماع.

434 "الطب النبوي"؛ لابن القيم (ص: 323).

14- لا تشرب الماء دفعةً واحدة، فإنك لا تَرْوى، بل تنفس ثلاثًا خارج الإناء.

15- الفم والأسنان بابُ المِعِدة، والمعدة أصلُ الداء، ومبعث البلاء.

16- اشربِ الحليب يوميًّا، فهو غذاء كامل، لذيذ الطعم، سهل الهضم.

17- الخُضَر والفواكه منشِّطة، وأَلْيافها تمنع حدوثَ الإمساك؛ لأنَّها تحتوي على الأملاح المعدنية والفيتامينات.

18- البَيْض غذاء جيِّد غني بالفيتامينات، والأملاح المعدنية، سهل الهضم، يساعد على النموِّ.

19- اللحوم والأسماك، والألبان والبيض، مصادرُ أساسيَّة للتغذية بها يبني الجسم خلاياه، ويعوِّض التالف منها.

20- لا تُسرفْ في تناول الدهون، فيفسد هضمك، وترهق كبدك، وتُصاب بالترهُّل والبدانة.

21- لا تُسرِفْ في الطعام عمومًا، فتُصاب بالتخمة ((ما ملأ ابنُ آدم وِعاءً شرًّا من بطنه)).

22- نوِّع غذاءَك ما استطعتَ؛ لتحصلَ على أكبر فائدة منه، وتظلَّ نشطًا.

23- هل تعلم أنَّ أَكْل التفَّاح بعد غسله جيدًا، وبدون تقشير بعد الأَكْل يُنظِّف الأسنان، ويهدِّئ الأعصاب، ويمنع الإمساك.

24- أَكْل الجزَر، أو شُرْب عصيره أهمُّ مصدر للفيتامين المفيد للعينَين.

25- الخبز الأسمر يحتوي على فيتامينات أكثرَ من الخبز الأبيض[435].

114- محاسن الصِّدْق ومساوئ الكَذِب

الصِّدْق مطابقةُ الخبر للواقع، وهو مطلوب من الإنسان في قوله وعمله واعتقاده، وفي تحقيق مقامات الدِّين كلها، وقد أمر الله بالصدق في عِدَّة آيات من كتابه، وأثْنى على الصادقين، فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وأخبر أنَّه أعدَّ لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، ومدح الصادقين والصادقات، وقال - تعالى -: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: 21].

435 المراجع:-

1- "الدين والصحة"؛ لعباس كرارة (ص: 26).

2- "الموجز فى علم التغذية وتغذية المرضَى" (ص: 145).

والصِّدق عنوان الإسلام، وميزان الإيمان، وعلامة الكمال، والصِّدق يَهدي إلى البِرِّ الجامع لأبواب الخير كلها، الموصلة إلى جنات النعيم ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: 13]، والكذب الممقوت الداعي إلى الفجور، الجامع لأبواب الشرِّ كلها المؤدية إلى نار جهنم ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 14].

وقال ρ : ((عليكم بالصِّدق، فإنَّ الصدق يَهدي إلى البِرّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدُق ويتحرَّى الصِّدق، حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقًا، وإيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يَهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يَهْدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب ويتحرَّى الكذب، حتى يُكتبَ عند الله كذَّابًا))[436].

وإذا تعلَّق الإنسان بشيء، وتخلَّق به عُرِف به، حقًّا كان أو باطلاً، وصار ممدوحًا به، أو مذمومًا عليه، وخير ما يُمدح به المرء هو الصِّدق في الحديث، وتجنب الكذب، ومَن صدق في حديثه مخاطبًا أو مجيبًا، وآمرًا وناهيًا، وتاليًا وذاكرًا، ومعطيًا وآخذًا، كان عند الله وعند الناس صادقًا محبوبًا، مكرمًا موثوقًا به، والصادق في عمله بعيدٌ عن السُّمعة والرياء، لا يريد بفِعْله وتركه إلاَّ الله تعالى، فصلاته وزكاته، وصومه وحجُّه وجهاده، ونطقه وصمته، وحركته وسكونه، كلُّها لله وحدَه لا شريك له، لا يريد بإحسانه غشًّا، ولا خديعة، ولا يطلب من أحد غيرَ الله جزاءً ولا شُكورًا، لا يخالطه أحد إلا وثق به، وأَمِنه على نفسه وأهله وماله، يرغب الناس في جواره، ومعاشرته ومصاهرته، وهو مؤتَمن الأحياء، ووصي الأموات، وناظر الأوقاف، وحافظ الودائع، ومؤدي الحقوق إلى ذويها، وبذلك يكون معتبرًا عند الله، وعند الناس، قال ρ : ((البيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقَا، فإن صدَقَا وبيَّنا بُورِك لهما في بيعهما، وإن كذَبَا وكتَمَا مُحِقت بركةُ بيعهما))؛ رواه البخاري ومسلم.

فالبركةُ مقرونةٌ بالصدق والبيان، والتلفُ والمِحْق مقرون بالكذب والكِتمان، والمشاهدة والواقع أكبرُ دليل على ذلك، لا تجد صادقًا إلاَّ مرموقًا بين الناس بالمحبَّة والثناء والتعظيم، يحوز الشرف، وحسن السمعة والاعتبار، ويُتسابَق إلى معاملته، وبذلك تتمُّ له سعادة الدنيا والآخرة، وهذا بخلاف الكَذِب المرذول، فكلَّما أفرط المرءُ في الكذب والإخبار بما لم يقع عُرِف عندَ الله وعند خَلْقه بأنه كذَّاب، فلا يُقام له وزن، ولا يأمنه أحدٌ على شيء، فالكاذب يَجْني على نفسه قبل أن يَجْني على أحد، لا سيَّما إذا تحرَّى الكذب، حتى يُكتبَ كذَّابا في السماء والأرض، فالكذب دليل على حقارة الكذَّاب وخيانته، وقلة أدبه، والكذب يُفضي بصاحبه إلى اللَّعْن والطرْد، والفجور المؤدي إلى النار، فالكذِب جماع الشرّ، وأصل كلِّ ذمّ؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه.

---

436 متفق عليه.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأعظم الكذب: الكذبُ على الله ورسوله ρ في تحريم حلال، أو تحليل حرام، وغير ذلك، قال – تعالى –: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: 116 – 117]، وقال – تعالى –: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60]، وقال ρ : ((مَن كذَب عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وحسْبُ الكذابِ أنَّه يتَّصف بصفات المنافقين، ويبوء بالعذاب الأليم، قال ρ : ((آية المنافِق ثلاث: إذا حدَّث كذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان))؛ متفق عليه، وفي حديث منام النبيِّ ρ الذي رواه البخاريُّ في صحيحه عن سَمُرة بن جُنْدب قال: ((فأتيْنا على رجل مضطجع لِقفاه، وإذا آخَرُ قائم عليه بكَلُّوب من حديد يُشْرِشر شِدقَه إلى قفاه، وعينَه إلى قفاه، ومُنخرَه إلى قفاه، ثم يذهب إلى الجانب الآخَرِ، فيفعل به مثلَ ما فعل في الجانب الأوَّل، فما يرجع إليه حتى يصحَّ كما كان، فيفعل به مثلَ ما فعل في المرَّة الأولى، قال: فقلت لهما: مَن هذا؟ قالاَ: هو الرجل يغدو مِن بيته فيكذِب الكذبة تبلغ الآفاق)).

وأعظم مِن ذلك الحَلِف وهو كاذب، كما أخبر الله عن المنافقين بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: 14]، وقال ρ : ((ثلاثةٌ لا يُكلِّمهم الله يومَ القيامة، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذاب أليم... فذكر الحديث، وفيه: رجل باع سِلعةً فحَلَف بالله لأخذَها بكذا وكذا، فصدَّقه وهو على غير ذلك))؛ رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وقال ρ : ((كبُرتْ خيانةً أن تحدِّث أخاك حديثًا هو لك فيه مصدِّق، وأنت له به كاذِب))؛ رواه أحمد والطبراني في "الكبير" وغيرهما، وقال – عليه الصلاة والسلام – : ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخِر، فلْيقلْ خيرًا أو ليصمت))؛ رواه البخاري ومسلم، وقال: ((وهل يَكبُّ الناس في النار على وجوههم إلاَّ حصائد ألْسِنتهم))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال ابن مسعود τ : "لا يزال العبد يكذِب ويتحرَّى الكذب، حتى ينكتَ في قلْبه نكتةٌ سوداء، حتى يسودَّ قلْبه، فيكتب عندَ الله من الكاذبين))؛ رواه مالك في "الموطأ".

وعلى كل حال، فالكذب من أكبر الكبائر، وأعظم المحرَّمات، وأشنع الأخلاق والصِّفات، وأبرز صِفات النفاق، وسُئِل بعض العلماء: كم وجدتَ في ابن آدمَ من العيوب، قال: هي أكثرُ مِن أن تُحصى، والذي أحصيتُ ثمانية آلاف عيْب.

ووجدت خصلة إن استعملها سترت تلك العيوب كلها؛ وهي حفظ اللسان، فما أنعم الله على

عبدٍ نعمةً بعد الإسلام أفضل من الصدق، ولا ابتلاه ببليَّة أعظم من الكذب، وقد عُلِّقت سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرورهما بالصدق، فما أنجى الله مَن أنجى إلا بالصدق، وما أهلك اللهُ مَن أهلَك إلا بالكذب، وقد قسم - سبحانه - المخلوقات إلى قسمين: سعداء، وأشقياء، فجعَل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وجعل أبرز صفات المنافقين الكذب في أقوالهم وأفعالهم، وأخبر - سبحانه - أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم، وأنه أعدَّ لهم بذلك جنات النعيم، وأوجب لهم الخلود فيها، ورضِي الله عنهم لصدقهم في معاملته، ورضوا عنه بجزيل ثوابه، ففازوا بأعظم مطلوب: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رضِي الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 119].

اللهم تفضَّل علينا بالصدق في أقوالنا وأفعالنا، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى وصحبه وسلم[437].

* * *

115- الكبائر

الكبائر: جمع كبيرة؛ وهي ما فيه حدٌّ في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيدٌ في الآخرة من عذاب أو غضب أو نار أو تهديد، أو لُعِن فاعله على لسان نبيِّنا ρ فإنه كبيرة، وكذلك ما وَرَد فيه وعيدٌ بنفي إيمان، أو قيل فيه: ليس منَّا مَن فعَل كذا، أو تبرَّأ منه رسول الله ρ .

واختلَف العلماء في عدد الكبائر؛ فقيل: هي سبع، واحتجُّوا بقول النبي ρ: ((اجتنِبُوا السبعَ الموبقات))؛ متفق عليه، وقال ابن عباس - رضِي الله عنهما -: "هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع"؛ رواه عبدالرزاق والطبري في "تفسيره" عند قوله - تعالى -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: 31].

والحديث المتقدِّم ليس فيه حصر الكبائر، وقد أوصلها الذهبي إلى سبعين كبيرة، وأوصلها ابن حجر الهيتمي في "الزواجر عن اقتراف الكبائر" إلى سبع وستين بعد الأربعمائة 467، ورتَّبها على أبواب الفقه.

وقد ضمن الله - تعالى - في كتابه العزيز لِمَن اجتَنَب الكبائر المحرَّمات أن يكفِّر عنه الصغائر من السيئات؛ قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: 31].

فقد تكفَّل الله بهذا النص لِمَن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة، وقال رسول الله ρ: ((الصلوات

437 انظر كتاب "الكبائر"؛ للذهبي ص121، و"إصلاح المجتمع"؛ للبيحاني ص66.

الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفِّرات لما بينهن إذا اجتُنِبت الكبائر))؛ رواه مسلم وغيرُه.

لذا أحبُّ أن أذكِّر القارئ الكريم بعناوين الكبائر التي ذكَرَها الذهبي، وأُحِيله بأدلَّتها وشرحها إلى كتاب "الكبائر"؛ للإمام الذهبي، قال - رحمه الله تعالى -:

1- الكبيرة الأولى: الشرك بالله، وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله ندًّا، أو يعبد معه غيره من حجَر أو شجَر، أو شمس أو قمر، أو نبي أو ولي، أو شيخ أو نجم، أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فمَن أشرك بالله ثم مات مشركًا فهو من أصحاب النار قطعًا، كما أن مَن آمَن بالله ومات مؤمنًا فهو من أصحاب الجنة، وإن عُذِّب بالنار.

والنوع الثاني من الشرك: الرياء بالأعمال.

2- الكبيرة الثانية: قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وهي نفس المسلم المعصوم وقتل المعاهد.

3- الكبيرة الثالثة: السحر؛ لأن الساحر لا بُدَّ وأن يكفر، وأن يشرك بالله - تعالى.

4- الكبيرة الرابعة: ترك الصلاة، وتأخيرها عن وقتها، والتخلُّف عن جماعتها.

5- الكبيرة الخامسة: منْع الزكاة.

6- الكبيرة السادسة: إفطار يوم من رمضان بلا عذر.

7- الكبيرة السابعة: ترك الحج مع القدرة عليه.

8- عقوق الوالدين ومعصيتهما.

9- هجر الأقارب.

10- الزنا؛ قال - تعالى -: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: 32].

11- اللواط: وهو عمل قوم لوط، وهو إتيان الذكران من العالمين في أدبارهم.

12- أكل الربا والمعاملة به: وقد لعن رسول الله ρ آكِل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه، وقال ρ: ((هم سواء))؛ رواه مسلم وغيره.

13- أكل مال اليتيم ظلمًا.

14- الكذب على الله أو على رسوله ρ .

15- الفِرار من الزحف: وهو الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال في سبيل الله.

16- غش الإمام الرعية وظلمه لهم.

17- الكبر والفخر والخُيَلاء والعجب، ويظهر ذلك في عدم قبول الحق واحتقار الناس.

18- شهادة الزور: وهو الكذب.

19- شرب الخمر: المسكر.

20- القمار: وهو المراهنة والمغالبة، ومنه اللعب على عِوَض.

21- قذف المحصنات الغافلات المؤمنات (رميهن بالزنا).

22- الغلول من الغنيمة: ومنه الأخْذ من بيت المال من غير إذْن الإمام أو من الزكاة قبل أن تقسَّم.

23- السرقة: وهي أخذ المال خفية من حرز مثله من غير إذْن صاحبه.

24- قطع الطريق.

25- اليمين الغموس: وهي التي يتعمَّد الكذب فيها، سُمِّيت غموسًا لأنها تغمس الحالف في الإثم، وقيل: تغمسه في النار، ومن ذلك الحلف بغير الله - عزَّ وجلَّ - كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة والشرَف والروح ونحو ذلك؛ قال ρ: ((فمَن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت))؛ حديث صحيح.

26- الظلم بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا، وظلم الناس بالضرب والشتْم والتعدِّي والاستطالة على الضعفاء، ومن الظلم المماطلة بحقٍّ عليه مع قدرته على الوفاء، ومن الظلم أن يظلم المرأةَ حقَّها من صداقها ونفقتها وكسوتها، ومن الظلم أن يستأجر أجيرًا في عمل ولا يعطيه أجرته.

27- المكَّاس: والمكس: الجباية؛ قال في "المصباح": وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلمًا عند البيع والشراء، والمكَّاس من أكبر أعوان الظَّلَمة، بل هو من الظَّلَمة أنفسهم؛ فإنه يأخذ ما لا يستحقُّ، ويعطيه لِمَن لا يستحق؛ قال ρ: ((لا يدخل الجنة صاحب مكس))؛ رواه أبو داود.

28- أكْل الحرام وتناوله على أيِّ وجه كان، سواء كان من سرقة أم غصب أو خيانة، أو على جهة الهزل واللعب؛ كالذي يُؤخَذ في القمار والملاهي وغير ذلك، وفي "صحيح البخاري" أن رسول الله ρ قال: ((إن رجالاً يتخوَّضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)).

قال العلماء: ويدخل في هذا الباب: المكَّاس، والخائن، والسارق، وآكل الربا وموكله، وآكِل مال اليتيم، وشاهِد الزور، ومَن استعار شيئًا فجحَدَه، وآكِل الرشوة، ومنقِص الكيل والوزن، ومَن باع شيئًا فيه عيبٍ فغطَّاه، والمقامِر والساحِر، والمنجِّم، والمصوِّر، والزانية، والنائحة، والدلاَّل إذا أخذ أجرته بغير إذنٍ من البائع، ومَن باع حرًّا فأكل ثمنه.

29- أن يقتل الإنسان نفسه؛ وهو الانتحار.

30- الكذب في غالِب أقواله؛ قال ρ: ((إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار))؛ رواه البخاري ومسلم، فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة؛ فإن في السكوت سلامة، والسلامة لا يعدلها شيء.

31- القاضي السوء؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44].

32- أخذ الرشوة على الحكم، وقد لعن رسولُ الله ρ الراشي والمرتشي في الحكم؛ أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن، فالراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة، وهي من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه في كتابه.

33- تشبُّه المرأة بالرجال، وتشبُّه الرجال بالنساء، وفي "الصحيح": ((لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء))؛ رواه البخاري وغيرُه، وهو عام في اللباس والكلام وغير ذلك.

34- الديُّوث: المستحسن على أهله، والقوَّاد الساعي بين الاثنين بالفساد، وهو متوعَّد بالحرمان من الجنة، ونعوذ بالله من ذلك.

35- المحلِّل والمحلَّل له: صحَّ من حديث ابن مسعود τ أن رسول الله ρ لعن المحلِّل والمحلَّل له؛ رواه النسائي والترمذي وغيرهما.

36- عدم التنزُّه من البول، وهو شعار النصارى، ومن أسباب عذاب القبر، وفي الحديث: ((استَنْزِهوا من البول؛ فإن عامَّة عذاب القبر منه))؛ رواه الدارقطني، ثم إن مَن لم يتحرَّز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة.

37- الرياء بالأعمال، وهو أن يعمل عملاً ممَّا يُبتَغى به وجه الله - تعالى - من أجل رؤية الناس له وثنائهم عليه، وهو يفسد العمل.

38- التعلُّم للدنيا وكتمان العلم، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى، وفي الحديث: ((مَن تعلم علمًا ممَّا يُبتَغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب عرَضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة))؛ يعني: ريحها؛ رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في "صحيحه".

39- الخيانة في الأمانة، وهي من أوصاف المنافقين، والخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس مَن خانَك في فلس كمَن خانَك في أهلك ومالك وارتكَب العظائم.

40- المنَّان بما أعطى وهو الذي يعطي شيئًا أو يتصدَّق به ثم يمنُّ به وهو يمحق الأجر.

41- التكذيب بالقَدَر؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، والإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان الستة؛ وهو أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: 115].

42- التسميع على الناس ما يسرُّون؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12].

والتجسُّس: البحث عن عيوب المسلمين وعوراتهم؛ قال ρ: ((مَن استمَع إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون صُبَّ في أذنَيه الآنُك يوم القيامة))؛ أخرجه البخاري.

والآنُك: الرصاص المذَاب.

43- النمَّام: وهو مَن ينقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، وهي حرام بإجماع المسلمين.

44- اللعَّان: ومعناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله؛ قال ρ: ((لعن المؤمن كقتله))؛ أخرجه البخاري وغيره.

ويجوز لعن أصحاب المعاصي غير المعيَّنين المعروفين، كقولك: لعن الله الظالمين، لعنة الله على اليهود والنصارى.

45- الغدر وعدم الوفاء بالعهد.

46- تصديق الكاهن والمنجِّم.

47- نشوز المرأة على زوجها ومعصيتها له ما لم يأمرها بمعصية الله.

48- التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء، سواء كانت من شمع أو عجين، أو حديد أو نحاس، أو صوف أو قرطاس، أو بالكاميرا أو غير ذلك؛ فإن قضية العموم تأتي عليه؛ قال ρ: ((إن الذين يصنعون هذه الصور يُعَذَّبون يوم القيامة يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم))، ويجب إتلاف الصور لِمَن قدر على إتلافها أو إزالتها، والمحرم هو تصوير الصور ذوات الأرواح.

49- اللطم والنياحة، وشق الثوب، وحلق الرأس ونتفه، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة.

50- البغي: وهو التعدِّي على الناس بغير حق ظلمًا وعدوانًا.

51- الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة؛ فإن الله - تعالى - قد أمَر بالإحسان إليهم.

52- أذى الجار بالقول والفعل.

53- أذى المسلمين وشتمهم.

54- أذيَّة عباد الله والتطاول عليهم.

55- إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل أسفل من الكعبين تعززًا وعجبًا وفخرًا وخيلاء.

56- لبس الذهب والحرير للرجال، فمَن استحلَّه للرجال فهو كافر.

57- إباق العبد.

58- الذبح لغير الله - عزَّ وجلَّ - مثل أن يقول: باسم الشيطان، أو الصنم، أو باسم الشيخ فلان.

59- مَن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فهو كافر، والجنة عليه حرام، كما روى البخاري.

60- الجدل والمراء واللدد والخصومة بغير حق.

61- منع فضل الماء.

62- نقص الكيْل والميزان وما أشبه ذلك؛ قال - تعالى -: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1]، والمطفِّف هو الذي ينقص الكيل والوزن، وذلك ضربٌ من السرقة والخيانة وأكل الحرام، وقد توعَّد الله من فعل ذلك بويلٍ وهو شدة العذاب، وقيل: وادٍ في جهنم لو سُيِّرت فيه جبال الدنيا لذابَتْ من شِدَّة حرِّه - نعوذ بالله منه.

63- الأمن من مكر الله.

64- القنوط من رحمة الله؛ وهو قطع الرجاء من رحمته، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56].

65- تارك الجماعة الذي يصلي وحده من غير عذر.

66- الإصرار على ترك الجمعة والجماعة من غير عذر.

67- الإضرار في الوصية.

68- المكر والخديعة؛ قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

69- مَن جسَّ على المسلمين ودلَّ على عوراتهم، وبالضرورة يدري كل جاسوس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات، فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم - نعوذ بالله من ذلك - قال - تعالى -: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12].

70- الكبيرة السبعون: سبُّ أحدٍ من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - فمَن طعَن فيهم أو سبَّهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين - نعوذ بالله من ذلك.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

116- الكبائر لابن القيم رحمه الله

سُئِل رسول الله ρ عن الكبائر فقال: ((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وقتل النفس التي حرَّم الله، والفرار يوم الزحف، واليمين الغموس، وقتل الإنسان ولده خشية أن يطعم معه، والزنا بحليلة جاره، والسحر، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات))، وهذا مجموع الأحاديث.

بعض الكبائر

ومن الكبائر: ترك الصلاة، ومنع الزكاة، وترك الحج مع الاستطاعة، والإفطار في رمضان بغير عذر، وشرب الخمر، والسرقة، والزنا، واللواط، والحكم بخلاف الحق، وأخذ الرِّشا على الأحكام، والكذب على النبي ρ والقول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وجحود ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، واعتقاد أن كلامه وكلام رسوله لا يُستفاد منه يقين أصلاً، وأن ظاهر كلامه وكلام رسوله ρ باطل وخطأ بل كفر وتشبيه وضلال وترك ما جاء به لمجرَّد قول غيره.

وتقديم الخيال المسمى بالعقل، والسياسة الظالمة، والعقائد الباطلة، والآراء الفاسدة، والإدراكات والكشوفات الشيطانية - على ما جاء به ρ ووضع المكوس، وظلم الرعايا، والاستئثار بالفيء، والكبر والفخر، والعجب والخيلاء، والرياء والسمعة، وتقديم خوف الخلق على خوف الخالق، ومحبَّته على محبَّة الخالق، ورجائه على رجائه، وإرادة العلو في الأرض والفساد وإن لم ينل ذلك.

ومسبَّة الصحابة - رضوان الله عليهم - وقطع الطريق وإقرار الرجل الفاحشة في أهله وهو يعلم، والمشي بالنميمة، وترك التنزُّه من البول، وتخنث الرجل وترجُّل المرأة، ووصل شعر المرأة وطلبها ذلك، وطلب الوصل كبيرة وفعله كبيرة، والوشم والاستيشام، والوشر والاستيشار، والنمص والتنمُّص، والطعن في النسب وبراءة الرجل من أبيه، وبراءة الأب من ابنه، وإدخال المرأة على زوجها ولدًا من غيره، والنياحة ولطم الخدود، وشق الثياب، وحلق المرأة شعرها عند المصيبة بالموت وغيره، وتغيير منار الأرض وهي أعلامها.

وقطيعة الرحم، والجور في الوصية، وحرمان الوارث حقَّه من الميراث، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، والتحليل واستحلال المطلقة به، والتحيُّل على إسقاط ما أوجب الله، وتحليل ما حرم الله وهو استباحة محارمه وإسقاط فرائضه بالحِيَل، وبيع الحرائر، وإباق المملوك من سيده، ونشوز المرأة على زوجها.

وكتمان العلم عند الحاجة إلى إظهاره، وتعلُّم العلم للدنيا والمباهاة والجاه والعلو على الناس، والغدر والفجور في الخصام، وإتيان المرأة في دبرها في محيضها، والمن في الصدقة وغيرها من عمل الخير.

وإساءة الظن بالله، واتهامه في أحكامه الكونية والدينية، والتكذيب بقضائه وقدَره، واستواؤه على عرشه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن رسول الله ρ عُرِج به إليه، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب، وأنه كتب كتابًا فهو عنده على عرشه، وأن رحمته تغلب غضبه، وأنه ينزل كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل، فيقول: "مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟))، وأنه كلَّم موسى تكليمًا، وأنه تجلَّى إلى الجبل فجعله دكًّا، واتَّخذ إبراهيم خليلاً، وأنه نادَى آدم وحواء، ونادَى موسى، وينادِي نبيَّنا يوم القيامة، وأنه خلق آدم بيديه، وأنه يقبض سماواته بإحدى يديه والأرض باليد الأخرى يوم القيامة.

ومنها: الاستماع إلى حديث قوم لا يحبون استماعه، وتخبيب المرأة على زوجها والعبد على سيده، وتصوير صور الحيوان سواء كان لها ظل أو لم يكن، وأن يري عينيه في المنام ما لمترياه، وأخذ الربا وإعطاؤه، والشهادة عليه وكتابته، وشرب الخمر وعصرها واعتصارها وحملها وبيعها وأكل ثمنها، ولعن مَن لم يستحق اللعن.

وإتيان الكهَنَة والعرَّافين والسحَرَة وتصديقهم والعمل بأقوالهم، والسجود لغير الله والحلف بغيره؛ كما قال النبي ρ: ((مَن حلَف بغير الله فقد أشرك))[438].

وقد قصَّر ما شاء أن يُقصِّر مَن قال: إنه مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركًا، فرتبته فوق رتبة الكبائر، واتِّخاذ القبور مساجد، وجعلها أوثانًا أو أعيادًا يسجدون لها تارة، ويصلُّون إليها تارة، ويطوفون بها تارة، ويعتقدون أن الدعاء عندها أفضل من الدعاء في بيوت الله التي شرع أن يدعي فيها ويعبد ويصلي له ويسجد.

ومنها: معاداة أولياء الله، وإسبال الثياب من الإزار والسراويل والعمامة وغيرها، والتبختر في المشي، واتباع الهوى وطاعة الهوى، وطاعة الشح، والإعجاب بالنفس، وإضاعة مَن تلزمه مؤنته ونفقته من أقاربه وزوجته ورقيقه ومماليكه، والذبح لغير الله، وهجر أخيه المسلم سنَة كما في "مستدرك الحاكم" من حديث أبي خراش الهذلي السلمي عن النبي ρ: ((مَن هجر أخاه سنة فهو كقتله))، وأمَّا هجره فوق ثلاثة أيام فيحتمل أنه من الكبائر ويحتمل أنه دونها، والله أعلم.

ومنها: الشفاعة في إسقاط حدود الله، وفي الحديث عن ابن عمر يرفعه: ((مَن حالتْ شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَّ الله في أمره))؛ رواه أحمد وغيره بإسناد جيد.

ومنها: تكلم الرجل بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً.

ومنها: أن يدعو إلى ضلالة أو بدعة أو ترك سنة، بل هذا من أكبر الكبائر، وهو مضادَّة لرسوله

---

(438) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر، ورمز السيوطي لحسنه.

ρ .

ومنها: ما رواه الحاكم في "مستدركه" من حديث المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ρ: ((مَن أكل بمسلمٍ أكلةً أطعمه الله بها أكلةً من نار جهنم يوم القيامة، ومَن قام بمسلمٍ مقام سمعة أقامَه الله يوم القيامة مقام رياء وسمعة، ومَن اكتسى بمسلم ثوبًا كساه الله ثوبًا من نار جهنم يوم القيامة)).

ومعنى الحديث: أنه توصَّل إلى ذلك وتوسَّل إليه بأذى أخيه المسلم من كذب عليه وسخرية، أو همزة أو لمزة أو غيبة، والطعن عليه وازدرائه والشهادة عليه بالزور، والنيل من عرضه عند عدوِّه، ونحو ذلك ممَّا يفعله كثيرٌ من الناس، وأوقع في وسط، والله المستعان.

ومنها التبجُّح والافتخار بالمعصية بين أصحابه وأشكاله، وهو الجهر الذي لا يعافِي الله صاحبه، وإن عافاه من شرِّ نفسه.

ومنها: أن يكون له وجهان ولسانان؛ فيأتي القوم بوجه ولسان، ويأتي غيرهم بوجه ولسان آخر.

ومنها: أن يكون فاحشًا بذيئًا، يتركه الناس ويحذرونه اتقاء فحشه.

ومنها: مخاصمة الرجل في باطل يعلم أنه باطل، ودعواه ما ليس له وهو يعلم أنه ليس له.

ومنها: أن يدَّعي أنه من آل بيت رسول الله ρ وليس منهم، أو يدعي بأنه ابن فلان وليس بابنه.

وفي الصحيحين: ((مَن ادعى إلى غير أبيه فالجنة عليه حرام)).

وفيهما أيضًا: ((لا ترغبوا عن آبائكم، ومَن رغب عن أبيه فهو كافر)).

وفيهما أيضًا: ((ليس من رجل ادَّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا وقد كفر، ومَن ادَّعى ما ليس له فليس منَّا وليتبوَّأ مقعده من النار، ومَن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حارَ عليه)).

فمن الكبائر تكفير مَن لم يكفره الله ورسوله، وإذا كان النبي ρ قد أمَر بقتال الخوارج، وأخبَرَ أنهم شر قتلى تحت أديم السماء، وأنهم يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرمية، ودينهم تكفير المسلمين بالذنوب، فكيف من كفرهم بالسنة ومخالفة أراء الرجال لها وتحكيمها والتحاكم إليها؟!

ومنها: أن يحدث حدثًا في الإسلام، أو يؤوي محدثًا وينصره ويعينه.

وفي الصحيحين: ((مَن أحدث حدثًا أو آوَى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً))، ومن أعظم الحدث: تعطيل كتاب الله وسنة رسوله، وإحداث ما خالفهما ونصر مَن أحدث ذلك والذب عنه، ومعاداة مَن دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ρ .

ومنها: إحلال شعائر الله من الحرم والإحرام، كقتْل الصيد، واستحلال القتال في حرَم الله.

ومنها: لبس الحرير والذهب للرجال، واستعمال أواني الذهب والفضة للرجال والنساء.

وقد صحَّ عن النبي ρ أنه قال: ((الطِّيَرة شِرْكٌ))، فيحتمل أن يكون من الكبائر أو أن يكون دونها.

ومنها: الغلول من الغنيمة، ومنها غش الإمام والوالي لرعيته.

ومنها: أن يتزوَّج ذات رحم محرم منه، أو يقع على بهيمة.

ومنها: المكر بأخيه ومخادعته ومضارته، وقد قال ρ: ((ملعون مَن ضارَّ بمسلم أو مكر به))؛ رواه الترمذي عن أبي بكر، ورمَز السيوطي لحسنه.

ومنها: الاستهانة بالمصحف وإهدار حرمته، كما يفعله مَن لا يعتقد أن فيه كلام الله من وطئه برجله أو نحو ذلك.

ومنها: أن يضلَّ أعمى عن الطريق وقد لعن ρ مَن فعل ذلك فكيف بمَن أضلَّ عن طريق الله أو صراطه المستقيم.

ومنها: أن يَسِمَ إنسانًا أو دابة في وجهها، وقد لعن رسول الله ρ مَن فعل ذلك، رواه الطبراني عن ابن عباس، ورمز السيوطي لحسنه.

ومنها: أن يحمل السلاح على أخيه المسلم، فإن الملائكة تلعنه.

ومنها: أن يقول ما لا يفعل؛ قال الله - تعالى -: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3].

ومنها: الجدال في كتاب الله ودينه بغير علم.

ومنها: إساءة الملَكَة برقيقه، وفي الحديث: ((لا يدخل الجنة سيِّئ الملَكَة))(439).

ومنها: أن يمنع المحتاج فضل ما لا يحتاج إليه ممَّا لم تعمل يداه.

ومنها: القمار، وأمَّا اللعب بالنرد فهو من الكبائر، لتشبيه لاعبه بمَن صبغ يده في لحم الخنزير ودمه، ولا سيَّما إذا أكَل المال به، فحينئذ يتمُّ التشبيه به، فإن اللعب بمنزلة غمس اليد، وأكل المال بمنزلة أكل لحم الخنزير.

ومنها: ترك الصلاة مع الجماعة، وهو من الكبائر، وقد عزم رسول الله ρ على تحريق المتخلِّفين عنها، ولم يكن ليحرق مرتكب صغيرة.

وقد صحَّ عن ابن مسعود أنه قال: "ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عن الجماعة إلا منافق معلوم النفاق"،

---

(439) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي بكر، ورمز السيوطي لحسنه.

وهذا فوق الكبيرة، والحديث رواه مسلم.

ومنها: ترك الجمعة وفي "صحيح مسلم": ((لينتهينَّ أقوام عن ودَعِهم الجُمُعَات، أو ليختمنَّ الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)).

وفي السنن بإسناد جيد عن النبي ρ قال: ((مَن ترك ثلاث جُمَع تهاونًا، طبع الله على قلبه)).

ومنها: أن يقطع ميراث وارثه من تركته، أو يدله على ذلك ويعلمه من الحيل ما يخرجه من الميراث.

ومنها: الغلو في المخلوق حتى يتعدَّى به منزلته، وهذا قد يرتقي من الكبيرة إلى الشرك، وقد صحَّ عن النبي ρ أنه قال: ((إياكم والغلو؛ فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو)).

ومنها: الحسد: وفي السنن أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومنها: المرور بين يدي المصلي، ولو كان صغيرًا لم يأمر النبي ρ بقتال فاعله، ولم يجعل وقوفه عن حوائجه ومصالحه أربعين عامًا خيرًا له من مروره بين يديه، كما في "مسند البزار" والله أعلم(440).

(440) "إعلام الموقعين عن رب العالمين"؛ لابن القيم (ج4/ ص401- 407).

117- من أحكام الملاهي في الشريعة الإسلامية

خلاصة ما كتبه سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد – رحمه الله تعالى.

روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن عقبة بن عامر τ أن رسول الله ρ قال: ((كل ما يلهو به الرجل المسلم فهو باطل إلا رميه بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته أهله، فإنهن من الحق))، وفي هذا الحديث دليل على أن كلَّ لهوٍ يلهو به ابن آدم فهو باطل محرَّم ممنوع، ما عدا هذه الثلاث التي استثناها رسول الله ρ فإنها من الحق أو وسيلة إليه.

قال الخطَّابي: قوله: ((ليس من اللهو إلا ثلاث)) يريد ليس من اللهو المباح إلا ثلاث، وفي هذا بيان إن جميع أنواع اللهو محظورة.

وقال الشوكاني: إنما صدق عليه اسم اللهو لأنه داخل في حيِّز البطلان إلا تلك الثلاثة الأمور.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة على هذا الحديث كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ما معناه: الباطل ضد الحق، فكل ما لم يكن حقًّا أو وسيلة إليه ولم يكن نافعًا – فإنه باطل مُشغِل للوقت، مفوِّت على الإنسان ما ينفعه في دينه ودنياه، فيستحيل على الشرع إباحة مثل هذا.

فهذا كلام العلماء – رحمهم الله – في اللهو الباطل من أنه محرَّم في حين أنه مقصور على صاحبه، ولم يكن بصورة عامة فاتنة للكثير من الناس في قعر بيوتهم، ممَّا يعرض على شاشة التلفزيون من المناظر الفاتنة، والحفلات الداعرة، والمراقص الماجنة، واختلاط الرجال بالنساء، ومعانقة كل منهم للآخر بدون خجل ولا حياء، بانتشار فظيع في كل بيت وفي كل مكان ينظر إليه البطَّالون، فيفسد أخلاقهم ويقتل غيرتهم الدينية ومروءتهم العربية، أين هذا من اللهو الباطل المقصور على صاحبه ممَّا لم يكن بهذا الشكل ولا هذه الكيفية؟ فالله المستعان.

ثم قال: "(من مضار التلفزيون): التلفزيون سرطان في الروح والمجتمع والجسم والمال، هو مائدة للشيطان تُعرَض عليها المفاسد والمجون وتحريفات في القِيَم والأفكار والعادات، وذلك بمختلف الوسائل الفنية: (أغنية – صورة – تمثيلية – حفلة – دعارة) ولا شكَّ أنه آلة بلاء وشر، داعية إلى كلِّ رذيلة ومجون، داعية إلى كل فساد وخراب للعائلات، مشغل للوقت، مُذهِب له بغير فائدة، بل ربما أدَّى إلى ترك الواجبات من صلاة وقيام بطاعة الله، هذا لو سَلِم من الخلاعة والدعارة، كيف وقد يُعرَض على شاشته مناظر مزرية وصور داعرة لنساء خليعات ورجال أراذل، فيتحدثان بكلمات عشق ووصال، وصد وهجران؛ ممَّا يدعو إلى الفجور وارتكاب الجريمة بمشاهدة الخلق الكثير من الرجال والنساء، فتجد الرجل عندما يرى هذه الصورة أمامه ويسمع ما يقع بينهما، وبجانب الرجل أو الرجال امرأة أو نساء أجنبيات وهم ينظرون ويسمعون ما عُرِض على شاشة التلفزيون من غرام وحب

ومعانقة، أليس هذا بأعظم دعوة إلى الفساد وارتكاب الفاحشة؟ وقد وُجِد في مجتمعنا اليوم مَن يكتب ويدعو إلى التلفزيون، وأنه مصلحة وأداة خير للتثقيف والتعليم ودس السم في الدسم.

فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ = سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعِ

* * * *

وَسَامِحْ نُفُوسًا أَطْفَأَ اللهُ نُورَهَا = بِأَهْوَائِهَا لاَ تَسْتَفِيقُ وَلاَ تَسْعَى

إنها لغفلة مخيفة لم ينتبه أكثر الناس إلى ما وراء ذلك من الفسق والدعارة، وفساد البيوت، وخراب الأسر، واختلاط الحابل بالنابل.

بَذَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرجِ اللِّوَا = فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الغَدِ

وها هو التلفزيون الممنوع بالأمس أصبح الآن في حكم المباح إن لم يكن في حكم المستحب أو الواجب، وكل ما نقوله ونعتقده في الماضي كنَّا فيه اليوم على غير هدي فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كَفَى حَزَنًا لِلدِّينِ أَنَّ حُمَاتَهُ = إِذَا خَذَلُوهُ قُلْ لَنَا كَيْفَ يُنْصَرُ

مَتَى يَسْلَمُ الإِسْلاَمُ مِمَّا أَصَابَهُ = إِذَا كَانَ مَنْ يُرْجَى يُخَافُ وَيُحْذَرُ

أيها المسلم، لقد تكاتفتنا الشرور من كل حدب وصوب، ونرغب إلى الله للخروج من هذه المآزق، ولا شكَّ أن اجتماع الجنسين عند هذه الآلة وما يرون على الشاشة من الخلاعة العظيمة والدعارة الفظيعة، لا شكَّ أن القلوب مع هذا ترقص طربًا وتذهب كل مذهب في هذه المناظر الهازلة، وهذه المسرحيات الطبيعية وغير الطبيعية، فإن اختلاط الجنسين وقتئذٍ بالغ منتهاه.

أيها المسلمون، ما لي أراكم تتحمسون وتقومون من أجل حطام قليل من حطام الدنيا أو شبر من الأرض يتعدَّى عليه من بعضكم البعض أو من دولة مجاورة، ولا أراكم تتحمسون لدينكم ولا تغارون من أجل الشرف والعرض والكرامة، فأي الشيئين أهم وأقدس: أوامر دينكم والتمسك بتعاليم إسلامكم أم حطام يسير من الدنيا وشبر من الأرض؟

أتخشون عدوًّا من العباد ولا تخشون عدوًّا من أنفسكم أسُّه الفساد ألاَ ومنه التلفزيون المعروض على شاشاته حفلة خليعة، فرقص، تمثيلية، مسرح، أغنية غرام التي هي رقية الزنا، وقد شاهَد الناس أنه ما اعتاد الغناءَ صبيٌّ إلا فسد ولا امرأةٌ إلا بَغَتْ ولا شابٌّ ولا شيخٌ إلا أفسده، ألاَ فانتبهوا – أيها المسلمون – وناصِحوا بعضكم بعضًا ممَّن امتهن أوامر الإسلام، ونبِّهوا مَن خرج على الآداب والاحتشام، وحارِبوا هذا الداء الوبيل العُضال الذي يهتك ويفتك بالأعراض والأجسام، فلا تعتبروا نفوسًا أَلِفَت الفساد وصارت عمياء، لا ترى للحق نورًا ولا تعرف للفضيلة جمالاً، يظهر أمامها الحق واضحًا جليًّا فتراه مظلمًا، وتتجلى بين يديها الفضائل فتراها رذائل، فهذه النفوس الدنيئة القذرة هي

بالحشرات أشبه وبالديدان أقرب.

أيها المسلمون، لا تعتبروا عقولكم وما تستحسن في هذا السبيل، اعتبروا بغيركم، وقيسوا الأشباه بالنظائر، وتريَّثوا في أمركم حتى تروا الحق واضحًا جليًّا، فإن العقول البشرية لا تستقلُّ بإدراك المصالح الدنيوية، فكيف تستقلُّ بمعرفة المصالح الأخروية؟

وقد تعامى الناس عمَّا في التلفزيون من الأضرار الاجتماعية والأخلاقية والدينية والصحية، فهم يتثاقلون عن استماع ما يقوله الطب عن تأثير الأشعة النووية بأجسام الأطفال خاصة، وإذا استمعوها تغافلوا عنها وربما لا يصدقونها؛ لأن الهوى قد استعبدهم، وافتتنوا ببرامجه الخليعة الضارَّة، كالتدخين يقول الطب والطبيب والناس بمضرَّته، ومع هذا فهم مداومون على استعماله، لا يستطيعون الانفكاك عنه، وهم يصطرخون منه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

118- حكم الإسلام في الغناء

الحمد لله الذي أمَرَنا بذكره وشكره وحُسنِ عبادته وتلاوة كتابه الكريم، وتدبُّره والعمل بما فيه، ورتَّب على ذلك الأجرَ والثواب العظيم، وتكفيرَ السيئات، ومضاعفةَ الحسنات ورفعَ الدرجات، ونَهانا عن مجالس اللَّهو واللَّغو والغفلة؛ لأنها تُورِثُ الحسرةَ والنَّدامة والعذابَ الأليم، وتصُدُّ عن الصراط المستقيم، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، الحقُّ المبين، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، الصادق الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فيا عبادَ الله، اتقوا اللهَ - تعالى - بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتعرَّضوا لأسباب رضاه، وابتعدُوا عن حرماته ومعاصيه، وإنَّ من أعظم المصائب وأقبح المعايب ما انتشر بين الناس اليوم من آلات اللهو والطرب، واستماع الأغاني والمزامير، والربَاب والأعواد، من الإذاعات والتلفزيون، والإسطوانات والبكمات، وغيرها، وإنَّ استعمال هذه الأشياء والاستماع إليها من المحرَّمات التي تصُدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتزرعُ النفاقَ في القلب، وتُذهِبُ الغَيْرة من القلب، وتُذهِبُ نورَ الإيمان، وتُقرِّبُ أهلَها من الشيطان، وتُبعِدهم عن الرحمن، وتبغِّضُ إليهم القرآن، وإن الغناء وآلاتِ اللَّهو من مصايد الشيطان ومكايده، التي كاد بها مَن قَلَّ نصيبُه من العلم والعقل والدين؛ فإنها تصدُّ القلوبَ عن القرآن وتجعلُها عاكفةً على الفسوق والعصيان، وإنَّ الغناء قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن، كادَ به الشيطان النفوسَ المبطلة؛ مكرًا منه وغرورًا، وأوحَى إليها الشُّبَهَ الباطلة على حسنه، فقبلت وحيَه واتَّخذتْ لأجله القرآن مهجورًا، وقد نَهى النبيُّ ρ عن الغناء وسمَّاه الصوت الأحمق والصوت الفاجر، وأخبَرَ أنه ملعونٌ في الدنيا والآخرة، وقَرَنَ تحريمَه بتحريم الزِّنا وشربِ الخمر ولبس الحرير - في حقِّ الرجال - فقال: ((ليكوننَّ من أمَّتي أقوامٌ يستحِلُّون الحِرَ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ))؛ رواه البخاري.

وليس على الناس أضر من سماع آلات اللهو والغناء، ولا أفسد لعقولهم وقلوبهم، وأديانهم وأموالهم وأولادهم وحريمهم منه، وقد شاهَد الناسُ أنه ما اعتاد الغناءَ صبِيٌّ إلاَّ فسد، ولا امرأةٌ إلاَّ بَغَتْ، ولا متدينًا عاقلاً إلاَّ نقص عقلُه وقلَّ حياؤه، وذهبتْ مروءتُه وضعُفَ دينه.

وإن الغناء من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش والزنا، يكون الرجل أو المرأة في غاية الصيانة والعفة، حتى يحضر الغناء فتنحل نفسُه، وتسهُل عليه الفاحشةُ، ويميل إليها، إنَّ الغناءَ يُفسد العقل، ويُنقص الحياء، ويَهدِم المروءة؛ ولذلك يرقصُ أهلُه كما ترقصُ القرود، ويتمايَلون كتمايل المجانين،

ويصفِّقون كما تُصفِّق النساء، إن الغناء يسخط الله – تعالى – لأنَّه يصدُّ عن ذكره وطاعته، إن الغناء سببٌ لأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة؛ قال – تعالى –: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: 6].

وفسَّر الصحابة لهو الحديث بالغناء؛ وقال – تعالى – مخاطبًا إبليسَ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: 64]؛ قال المفسِّرون: صوتُ الشيطان: الغناء والمزامير.

وقد مدح الله المؤمنين، وأثنى عليهم في إعراضهم عن اللَّغو – ومنه الغناء – وأنهم يُكرِمُون أنفسَهم ويُنَزِّهونها عن سماعه؛ قال – تعالى –: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 1 – 3]، وقال – تعالى –: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: 55]، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72].

وعنه ρ أنه قال: ((إنما نُهِيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة الشيطان...))[441]؛ رواه الترمذي وحسَّنه، فسمَّى الغناء صوتاً أحمقَ، ولم يقتصرْ على ذلك حتى وصَفَه بالفجور، ولم يقتصرْ على ذلك حتى سمَّاه مزاميرَ الشيطان، فكيف يستَحِلُّ المسلم إباحةَ ما نهى عنه رسولُ الله ρ وسمَّاه صوتاً أحمقَ فاجرًا ومزامير شيطان، وجَعَلَه والنِّياحةَ – التي لُعِنَ فاعلُها – أخوين، وأخرج النهيَ عنهما مخرجًا واحدًا، ووصفه بالحمق وصفًا واحدًا؟!

وعنه ρ أنه قال: ((إنَّ الله بعثني هدًى ورحمةً للعالمين، وأمرني أن أمْحَقَ المزاميرَ والمعازفَ والأوثانَ التي تُعبَد في الجاهلية))[442]، ومن المجْمَع عليه أن المغنِّي من الرجال يُطلَق عليه اسم (المخَنَّث)، وكفى به خزيًا وعارًا أن يُقال: إنه مُخَنَّث[443]، وقد قال بعضُ أمراءِ بني أمية: "يا بني أمية، إياكم والغناءَ؛ فإنه يُنقِص الحياء، ويهدم المروءة، ويزيد في الشهوة، وإنه لَيَنُوبُ عن الخمر، ويفعل ما يفعل السُّكْر، فإنْ كنتم لا بُدَّ فاعلين، فجنِّبوه النساء؛ فإنَّ الغناء داعيةُ الزنا"[444].

ولا ريبَ أنَّ كلَّ غيورٍ يجنِّبُ أهلَه سماع الغناء كما يجنِّبهم أسباب الريب؛ فإن المرأة سريعة الانفعال إلى الصوت جدًّا، فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من جهتين: من جهة الصوت، ومن جهة معناه؛ فكم من حُرَّة صارت بالغناء من البغايا! وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان والصبايا! وكم

441 رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

442 رواه أحمد.

443- والمخنث هو المتشبه بالنساء، وانظر: "الإعلام بأن الغناء والعزف حرام"؛ لأبي بكر الجزائري، ص23.

444 رواه ابن أبي الدنيا.

من غيور تبدَّل به اسمًا قبيحًا بين البرايا! فاتقوا الله – عبادَ الله – ونزِّهوا أنفسكم وأكرموها عن هذه الفتن القبيحات، وصونوا ألسنتَكم وأسماعَكم وأبصارَكم عن هذه المحرمات، وجنِّبُوها أولادَكم ونساءَكم؛ فإنهم أماناتٌ عندكم، فاحذروا خيانتها؛ قال – تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ [التَّحريم: 6]؛ وذلك بطاعة الله وتقواه، وامتثال ما أمر، واجتناب ما نهى، وبتعليم الأهل والأولاد، وتربيتهم وتنشئتهم على الخير في القول والعمل والاعتقاد، والحب والبغض، والفعل والترك؛ فإنكم مسؤولون عنهم أمام الله؛ ((كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته))[445]، ولا تطيعوهم في معصية الله، ألاَ هلكت الرجال حين أطاعوا النساء في معصية الله!

قال الله – تعالى -: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14]، إن الغناء بريدُ الزنا، ووسيلة إليه، والجنة حرام على الدَّيُّوث الذي يُقِرُّ السوء في أهله ويسكت؛ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: 34]، إنه لا يجتمع حبُّ القرآن وحبُّ الغناء في قلب إنسان أبدًا؛ إن الغناء يُفسِدُ قلوبَ المفتونين به ويُفسِد أخلاقَهم ودينهم ودنياهم، ولا سيَّما النساء والأولاد؛ إنهم إذا نُشِّئوا عليه أَلِفُوه وأحبوه، وعكفوا عليه ولازموه واشتغلوا به عن طاعة الله وذكره، إن تأثير الغناء في القلوب والإيمان كتأثير السُّمِّ في الأبدان.

أيُّها المسلمون، اشغلوا عقولَكم وألسنتَكم، وأسماعكم وأبصاركم فيما خُلِقت له، في التفكُّر في خلق الله، اشغلوها بذكر الله؛ فبذكر الله تطمئنُّ القلوب، اشغلوها بالتسبيح، والتهليل، والاستغفار في الليل والنهار والسرِّ والجهار، إنَّ هذه الحواسَّ مسؤولة عن عملها ووظيفتها، ومعذَّبةٌ على غفلتها ومعصيتها؛ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مسؤولاً﴾ [الإسراء: 36]، إن هذه الجوارح والحواسَّ سوف تشهد على أهلها يوم القيامة؛ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]، ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65].

فاتَّقوا الله – عباد الله – وحاسِبوا أنفسكم قبل يوم الحساب، واعتبروا بعاقبة العاصين من الأولين والآخِرين، فالسعيد مَن وُعِظ بغيره، ولا تتركوا الحقَّ لقلَّة السالكين، ولا تغترُّوا بالباطل لكثرة الهالكين؛ ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾

445 متفق عليه.

[الأنعام: 116]، ولا تكونوا إمَّعة؛ تقولون: إنْ أحسن الناس أحسنَّا، وإنْ ظلموا ظلمْنَا، وإن أطاعوا أطعنا، وإنْ عصوا عَصَيْنَا، بل وطِّنُوا أنفسَكم على حبِّ الخير والعمل به، إنْ أحسن الناس فأحسِنُوا، وإنْ ظلموا فلا تظلموا؛ فإنَّ كلَّ عاملٍ سيلقى عمله ويُجزَى به، وكلَّ زارع سيحصد ما زرع؛ ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33]، واحمدوا ربَّكم الذي عافاكم ممَّا ابتَلَى به كثيرًا من الناس وفضَّلكم على كثير ممَّن خلق تفضيلاً، وسَلُوا ربَّكم الاستقامةَ على دينه والثبات عليه حتى تموتوا؛ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التَّحريم: 8].

أعانني اللهُ وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وثبَّتَنا على دينه وطاعته، وأعاذنا من مضلاَّت الهوى والفِتَن، ما ظهر منها وما بطن، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 96 - 99]، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 45 - 47].

وإليكم هذه المسائلَ مما ذكره العلماء ممَّا يتعلَّق بتحريم الغناء؛ انظر: "إغاثة اللهفان"؛ لابن القيم (ج1/ص224- 268).

قال العلماء - رحمهم الله - كما في "فصل الخطاب في الرد على أبي تراب"؛ للشيخ حمود التويجري:

1- لا يجوز التداوي بسماع آلات اللهو والغناء والطرب.

2- وإذا كانت الأغاني محرَّمة، فيحرُم تسجيلها وبيعها وشراؤها وثمنها؛ لأن الله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه، وفي الحلال كفاية عن الحرام.

3- لا يجوز الاستئجار على الزمر والغناء والضرب بالعود، وغيره من آلات اللهو والطرب.

4- لا ضمانَ في إتلاف آلات اللهو.

5- ولا يجوز حضور الوليمة إذا كان فيها غناء أو شيءٌ من آلات اللهو.

6- ولا قطع على سارق آلات اللهو.

7- ولا تقبل شهادة المغني والرقاص وصانع آلات اللهو، متَّخذها والمتظاهر بسماع الغناء وآلات اللهو، كل هؤلاء محكوم بفسقهم وعدم قبول شهادتهم[446].

* * *

بيان ما في الغناء والمعازف من أنواع المضرات والمفاسد

1- الغناء يُنبِتُ النفاق في القلب.

2- محبة الغناء والمعازف تطرد محبة القرآن من القلب.

3- الغناء والمعازف مسخطةٌ للرب - تبارك وتعالى.

4- الغناء والمعازف ينافي الشكر.

5- الغناء والمعازف سبب العقوبات في الدنيا والآخرة.

6- الغناء واستعمال المعازف مجلبة للشياطين ومطردة للملائكة.

7- الغناء رُقْيَةُ الزنا.

8- الغناء واستعمال المعازف يُغيِّر العقل وينقص الحياء ويهدم المروءة.

9- الغناء واستعمال المعازف ينوب عن الخمر، وتفعل ما يفعل السُّكْر.

10- الغناء وآلات اللهو تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة.

وعلى مَن كان يسجِّل الأغاني ويبيعها أن يتوب إلى الله من ذلك، وأن يُسجِّل ما هو حلال ونافع ومفيد؛ كالقرآن الكريم، والمحاضرات، والندوات، والخطب، والأناشيد الإسلامية؛ حتى يأكل حلالاً ويُسهِمَ في بناء المجتمع، وعلى مَن كان يستمع الأغاني ويشتريها أن يتوب إلى الله - تعالى - وأن يشتري لأسرته ولنفسه الأشياء النافعة المفيدة المتقدمة"[447]، وبالله التوفيق.

* * *

119- عمل اليوم والليلة

شرع الله للمسلم أعمالاً يومية يتقرَّب بها إلى ربه وتقوِّي إيمانه، وتكون سببًا في حفظه وسلامته، وسببًا في تكفير سيئاته ومضاعفة حسناته ورفع درجاته منها:

1- أربعون ركعة كان النبي ρ يحافظ عليها في اليوم والليلة، ولنا فيه أسوة حسنة على النحو التالي:

---

446 انظر: "فصل الخطاب في الرد على أبي تراب"؛ للشيخ/ حمود بن عبدالله التويجري (ص105- 126).

447 انظر: "فصل الخطاب في الرَّدِّ على أبي تراب" للشيخ/ حمُّود بن عبدالله التّويجري (ص105- 126).

سبع عشرة ركعة الفرائض، وعشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة السنن الرواتب، وإحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة صلاة الليل والوتر، ومجموعها أربعون ركعة عدا النوافل المطلقة وصلاة الضحى.

2- ملازمة أذكار الصباح والمساء والنوم والانتباه والأكل والشرب، والأذكار الواردة بعد السلام من الصلاة، وهي موجودة في كتب الأذكار.

3- قراءة ما تيسَّر من القرآن الكريم، وينبغي ألا ينقص عن قراءة جزء من القرآن يوميًّا.

4- ملازمة التوبة والاستغفار في الليل والنهار؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، وقال ρ: ((يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة))(448).

5- ملازمة أذكار الدخول والخروج بالنسبة للمسجد والبيت والحمام التي تطرد الشيطان؛ وفي الحديث: ((مَن لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقَه من حيث لا يحتسب))؛ رواه أبو داود.

6- ذكر الله كثيرًا بلسانك وقلبك قائمًا وقاعدًا وعلى جنبك؛ قال - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191]، وفي الحديث: ((ما عمل آدمي عملاً أنجا له من عذاب الله من ذكر الله))(449)، ((مثَل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثَل الحي والميت))(450).

وقال ρ فيما يرويه عن ربه - تعالى -: ((أنا مع عبدي ما ذكَرني وتحرَّكت بي شفتاه))(451)، وقال - عليه الصلاة والسلام -: ((لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله))(452).

7- مراقبة الله - تعالى - في السر والعلانية، ومحاسبة النفس ومجاهدتها في القول والعمل والفعل والترك، واعلم - أيها المسلم - أن الله - تعالى - يراك ويسمعك ويعلم ما يكنُّه ضميرك، فاحذر أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك، وقد وكل بك ملائكة حافظين، كرامًا كاتبين، يعلمون ما

(448) رواه مسلم.

(449) رواه أحمد عن معاذ، ورمز السيوطي لصحته.

(450) متفق عليه.

(451) رواه ابن ماجه وابن حبان في "صحيحه".

(452) رواه الإمام أحمد.

تفعل، ويكتبون ما تقول، فلا تُملِي عليهم إلا خيرًا.

8- دعاء الله وحمده وشكره والثناء عليه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: 111]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 40]، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

9- الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ρ تسليمًا كثيرًا.

* * *

120- الدعوات المستجابة كما جاء في كتاب "سهام الإصابة في الدعوات المستجابة"؛ للإمام السيوطي

وهي أربعة أنواع:

أولاً: ما يرجع إلى الداعي:

1- دعوة المظلوم[453].

2- ودعوة المسافر[454].

3- ودعوة الوالد[455].

4- ودعوة الصائم حين يفطر[456].

5- ودعوة الإمام العادل[457].

6- ودعوة الذاكر الله كثيراً[458].

7- ودعوة المرء لأخيه وهو غائب عنه[459].

8- ودعوة الحاج[460].

9- ودعوة المعتمر[461].

10- ودعوة المريض حتى يبرأ[462].

11- ودعوة الشيبة المسلم إذا كان ملازمًا للسنة[463].

12- ودعوة المحسَن إليه للمحسِن[464].

---

(453) رواه الترمذي، وحسَّنه، وأبو داود والبزار والطبراني بإسناد جيد.

(454) رواه الترمذي، وحسَّنه، وأبو داود والبزار والطبراني بإسناد جيد.

(455) رواه الترمذي، وحسَّنه، وأبو داود والبزار والطبراني بإسناد جيد.

(456) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الترمذي.

(457) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الترمذي.

(458) رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

(459) رواه مسلم وغيره.

(460) رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(461) رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(462) رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

(463) رواه الطبراني في "الأوسط".

(464) رواه الديلمي.

13- ودعوة حامل القرآن وخصوصًا عند ختمه[465].

14- ودعوة المضطر قال - تعالى -: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62].

15- عند اجتماع القوم فيدعوا بعضهم ويؤمن بعضهم[466].

ثانيًا: ما يرجع إلى الأوقات:

1- الدعاء عند الأذان[467].

2- بين الأذان والإقامة[468].

3- عند الإقامة[469].

4- حين حضور الصف للجهاد[470].

5- في ثلث الليل الآخر[471].

6- عند رؤية الكعبة[472].

7- إذا صلى المسلم بعد زوال الشمس ودعا استجيب له[473].

8- في يوم الجمعة[474].

9- في رمضان وليلة القدر[475].

10- في عشر ذي الحجة ويوم عرفة[476].

---

(465) رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

(466) رواه الحاكم.

(467) أخرجه مالك في "الموطأ" وأبو داود.

(468) أخرجه أبو داود والترمذي، وحسنه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(469) رواه أحمد والحاكم وصحَّحه، وابن حبان في "صحيحه".

(470) أخرجه مالك في "الموطأ" وابن حبان والطبراني.

(471) متفق عليه.

(472) أخرجه الطبراني بسند ضعيف.

(473) أخرجه أبو نعيم في "الحلية".

(474) أخرجه الشيخان؛ البخاري، ومسلم.

(475) رواه الطبراني ورواته ثقات.

(476) أخبر النبي ρأن العمل الصالح فيها أحب إلى الله من العمل في غيرها، وهو شامِل للدعاء وغيره من الأذكار ويستلزم إجابة الدعاء، وروى الترمذي محسِّنًا حديث: ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة)).

11- في السجود[477].

12- عند البكاء من خشية الله[478].

ثالثًا: ما يرجع إلى الأماكن:

1- يستجاب الدعاء بين الركن والمقام[479].

2- في الملتزم[480].

3- دعوة الرجل في البرية[481].

4- الرجل يقوم من الليل فيتوضأ ويصلي ويدعو(58).

5- رجل يكون معه فئة فيفر عنه أصحابه فيثبت في الجهاد(58).

رابعًا: ما يرجع إلى الدعاء:

1- الدعاء بـ(يا بديع السموات والأرض، يا حي يا قيوم)[482].

2- أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان(58).

3- أسألك بأني أشهد إنك أنت لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد[483].

4- تكرار يا رب، يا رب[484].

5- يا أرحم الراحمين[485].

6- يا ذا الجلال والإكرام[486].

---

(477) أخرجه مسلم وغيره.

(478) أخرجه أحمد في "الزهد" عن خالد الحذاء، كان عيسى - عليه السلام - يقول: "إذا وجدتم قشعريرة ودمعة فادعوا عند ذلك".

(479) أخرجه الطبراني.

(480) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي.

(481) أخرجه أبو نعيم في "أخبار الصحابة".

(482) أخرجه أهل السنن وابن حبان والبخاري في "الأدب المفرد" والحاكم وصحَّحه.

(483) أخرجه أهل السنن وابن حبان والحاكم وصحَّحاه.

(484) أخرجه البزار وأبو الشيخ والديلمي.

(485) أخرجه الحاكم.

(486) أخرجه أهل السنن الأربعة والحاكم وابن حبان وصحَّحاه.

7- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين(487).

8- ((يا مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء)) إلخ الآية 26 من سورة آل عمران(488).

9- اللهم إني أسألك باسمك العظيم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سُئِلت به أعطيت من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله(489).

10- من أسباب الإجابة افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ρ وختمه بالصلاة على رسول الله ρ (490).

من موانع الإجابة:

1- أكل الحرام وشربه ولبسه(491).

2- استبطاء الإجابة(492).

3- أن يدعو وقلبه غافل لاهٍ(493).

4- أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم(494).

5- معصية الله ورسوله بترك الواجبات وفعل المحرمات(495).

كما أن الإيمان بالله والاستجابة له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من أسباب الإجابة قال – تعالى -: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، آمين يا رب العالمين.

ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(487) أخرجه الحاكم في "المستدرك"، وأحمد والترمذي وابن جرير.

(488) أخرجه الطبراني في "الكبير".

(489) أخرجه الطبراني في "الأوسط".

(490) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن خزيمة وابن حبان وصحَّحاه.

(491) أخرجه مسلم وغيره.

(492) متفق عليه.

(493) رواه الترمذي.

(494) رواه مسلم.

(495) لقوله – تعالى – : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

121- أذكار وأدعية جامعة لخير الدنيا والآخرة

ينبغي للمسلم حفظها والمداومة عليها ليحفظه الله بها

قال الله – تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.
- سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.
- رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.
- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.
- اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.
- أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.
- رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم.
- حسبي الله لا إله إلا هو عليك توكلت وهو رب العرش العظيم.
- حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا.
- سبحان الله وبحمده زنة عرشه، ورضا نفسه، وعدد خلقه، ومداد كلماته، ومنتهى رحمته.
- ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.
- ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، ووفقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنَّا.
- ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنَّا سيئاتنا، وتوفَّنا مع الأبرار.
- ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.
- اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
- اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.
- اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.
- اللهم رب النبي محمد ρ اغفر لي ذنبي، واذهب غيض قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أبقيتني.
- اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح شأني كله، لا إله إلا أنت.

- اللهم أصلح لي ديني ودنياي وآخرتي، إنك على شيء قدير.

- اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القَصْدَ في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، وقُرَّة عين لا تنقطع، اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّاتنا أبدًا ما أبقيتنا.

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وظاهره وباطنه، وعلانيته وسره، وأوله وآخره، اللهم أعتق رقبتي من النار وأوسِع لي من الرزق الحلال، واصرف عنِّي فسَقَة الجن والإنس.

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمَّن سواك.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنَّا، وعافنا واعفُ عنَّا.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك.

اللهم إنَّا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم طهِّر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنات الأعين وما تخفي الصدور.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا.

ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا ورسولا ρ .

اللهم إنا نسألك من الخير كله، ونعوذ بك من الشر كله، اللهم هوِّن علينا سكرات الموت.

اللهم ذكِّرنا النطق بالشهادة عند الموت، اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين وأذلَّ الشرك والمشركين ودمِّر أعداء الدين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم إنَّا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن عين لا تدمع، ومن دعاء لا يُسمَع، ومن قلب لا يخشع.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبَّل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنِّي سيِّئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك.

اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

رب قِنِي عذابك يوم تبعث عبادك.

رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء.

رب اجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام.

رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين.

ربنا اصرف عنَّا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والعزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

آمين يا رب العالمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء ويا واسع الفضل والعطاء، يا مالك الملك، يا قادرًا على كل شيء، يا مجيب دعوة المضطر إذا دعاك.

سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آل وصحبه وسلم.

تنبيهات:

1- في ذكر الله أكثر من مائة فائدة ذكَرها الإمام ابن القيم في كتابه القيم "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، فعليك به؛ فقد ذكَر فيه من الأذكار والأدعية الخاصة والعامة ما يشفي ويكفي.

2- ينبغي للمسلم أن يلازم هذه الأدعية، وخصوصًا في الزمان الفاضل والمكان الفاضل كرمضان، والحج، وعشر ذي الحجة، وليلة القدر، وآخر الليل، وفي الحرمين الشريفين، وبين الأذان والإقامة، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، وفي السجود، ويكرِّر الدعاء ثلاث مرات.

3- من أسباب إجابة الدعاء طاعة الله ورسوله عمومًا، وأكل الحلال وشربه ولبسه، وإطالة السفر، والإلحاح في الدعاء، والإيقان بالإجابة، وافتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ρ وختمه بذلك.

4- من موانع الإجابة أكل الحرام وشربه ولبسه، ومعصية الله ورسوله ρ عمومًا، أو أن يدعو وقلبه غافل لاهٍ، أو يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل فيستحسر ويدع الدعاء، وعن أبي سعيد الخدري τ أن النبي ρ قال: ((ما من مسلم يدعو الله بدعوة[496] إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث

(496) ليس فيها إثم أو قطيعة رحم.

خصال: إمَّا أن تعجل له دعوته، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها، وإمَّا أن تدخر له في الآخرة))؛ رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة، وفيه قالوا: إذًا نكثر، قال: الله أكثر.

* * *

122- دعاء الاستخارة الشرعية

إذا همَّ بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل:

((اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر(497) خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عنِّي، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به))؛ رواه البخاري.

* * *

123- دعاء السفر

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: 13].

اللهم إنا نسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطوِ عنَّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلَب في المال والأهل والولد.

وإذا رجع قالهن وزادَ فيهن: ((آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون))؛ رواه أحمد والبزار ومسلم وغيرهم.

* * *

124- الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

كما جاء في الكتاب الذي ألَّفه الإمام أحمد بن حجر العسقلاني صاحب كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" بهذا العنوان وهي كالآتي:

1- إسباغ الوضوء خصوصًا على المكاره وفي شدَّة البرد؛ رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر أحمد بن على المروزي شيخ النسائي والبزار في "مسنده"، وأصله في الصحيحين، لكن ليس فيهما:

(497) ويسمي حاجته.

((وما تأخر)).

2- قول: ((رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ρ نبيًّا)) بعد الأذان؛ رواه أبو عوانة الإسفرائيني في "مستخرجه الصحيح على مسلم"، وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وليس عندهم: ((وما تأخر)).

3- صلاة التسبيح بأن يصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغ من القراءة في أول ركعة يقول وهو قائم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، خمس عشرة مرَّة، ثم يقولها في الركوع عشرًا، وفي الرفع من الركوع عشرًا، وفي كل سجدة عشرًا، وبين السجدتين عشرًا، وهكذا في بقيَّة الركعات فذلك خمس وسبعون في كلِّ ركعة، وفي مجموع الركعات ثلاثمائة تسبيحة))؛ رواه أبو داود والترمذي، وأورده ابن خزيمة وله شواهد[498].

4- قول: ((آمين)) خلف الإمام وموافقة الملائكة فيه؛ رواه ابن وهب في "مصنفه"، وأخرجه مسلم وابن ماجه بدون ذكر: ((وما تأخر)).

5- صلاة الضحى إيمانًا واحتسابًا، وفيه حديث ضعيف رواه آدم بن إياس في كتاب "الثواب".

6- قراءة سورة الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين بعد الجمعة ثلاث مرات، ورد فيه حديث ضعيف الإسناد رواه أبو الأسعد القشيري وابن أبي شيبة في "مصنفه".

7- 8- 9- صيام رمضان وقيامه، وقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ رواه أحمد والنسائي، ورواه مسلم وغيره بدون ذكر: ((وما تأخَّر)).

10- صيام يوم عرفة (9) ذي الحجة لغير الحاج؛ رواه مسلم وغيره بلفظ: ((يكفِّر السنة الماضية والمستقبلة)).

11- الإهلال بالحج من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام؛ رواه أبو داود والبيهقي في "شعب الإيمان"، ورواه البخاري في "تاريخه الكبير"، ولم يذكر فيه: ((وما تأخَّر)).

12- الحج المبرور الخالص لله الموافق للسنة، ولم يرتكب الحاج فيه معصية؛ رواه أبو نعيم في "الحلية"، وأبو عبدالله بن منده في "أماليه"، وأحمد بن منيع في "مسنده"، وأبو يعلى في "مسنده الكبير".

13- قراءة آخر سورة الحشر آية (22- 24)؛ رواه أبو اسحاق الثعلبي في "تفسيره".

14- قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، مائة مرة؛ رواه أبو عبدالله محمد بن حيان في "فوائد الأصفهانيين".

15- تعليم الولد القرآن؛ رواه أبو بكر بن لال في كتاب "مكارم الأخلاق".

---

498 يقوِّي بعضها بعضًا، قال الحافظ ابن حجر في أجوبته عن أحاديث المصابيح: والحق أنه في درجة الحسن لكثرة طرقه، وقال المنذري: وقد رُوِي هذا الحديث من طرق كثيرة، وعن جماعة من الصحابة، وصحَّحه جماعة؛ منهم: أبو بكر الآجرِّي، وأبو محمد عبدالرحيم المصري، وأبو الحسن المقدسي - رحمهم الله تعالى - وصحَّحه الحاكم.

16- قيادة الأعمى أربعين خطوة؛ أخرجه أبو عبدالله بن منده في "أماليه" وقال: غريب، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود: رواته ثقات.

17- السعي في قضاء حاجة المسلم قُضِيت أو لم تُقضَ؛ أخرجه أبو أحمد عبدالله بن محمد والمفسر الناصح.

18- المصافحة عند اللقاء والصلاة على النبي ρ ؛ أخرجه الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما وابن حبان.

19- أن يقول بعد الأكل: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة؛ رواه أبو داود في "السنن"، وإسناده حسن.

20- التعمير في الإسلام تسعين سنة؛ رواه جماعة من المحدثين عن جماعة من الصحابة - رضِي الله عنهم أجمعين - وهو مشهور وله شواهد.

وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فلله الحمد والشكر والثناء، لا نحصي ثناء عليه[499].

* * *

(499) انظر هذه الخصال في "مجموعة الرسائل المنيرية" ج1 ص 257- 266.

125- منظومة في السَّير إلى الله والدار الآخرة
للشيخ عبدالرحمن السعدي
- رحمه الله تعالى -

سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى = وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
فَهُمُ الَّذِينَ قَدَ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ = مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيمَانِ
وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ = بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدَّيَّانِ
وَهُمُ الَّذِينَ مَلاَ الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ = بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ
وَهُمُ الَّذِينَ قَدَ اكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ = فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ وَالأَحْيَانِ
يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ = طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ لِلْعِصْيَانِ
فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ = مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ
صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا = شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ
نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَا فَهُمُ بِهَا = قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانِ
شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلاَئِقَ فَضْلَهُ = بِالْقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ
صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ = مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَانِ
عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ = فَتَبَوَّؤُوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ
نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ = بِالْعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ
صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا = أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا = قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ = لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي = تُفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ = وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ عَلَى الإِحسَانِ(500)

* * *

(500) انظر "مجموع الفقه"؛ للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص134- 146.

126- حكم التصوير

قال النَّووي في "رياض الصالحين": "بابُ تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب، أو درهم أو دينار أو مخدَّة، أو وِسادة أو غير ذلك، وتحريمُ اتِّخاذ الصورة في حائط أو ستر، أو عِمامة أو ثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصورة".

عن ابن عمر - رضِي الله عنهما -: أنَّ رسولَ الله ρ قال: ((إنَّ الذين يصنعون هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتم))؛ متَّفق عليه.

وعن ابن عباس - رضِي الله عنهما - قال: سمعتُ رسول الله ρ يقول: ((كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجعَل له بكلِّ صورة صوَّرها نفسٌ يُعذَّب بها في جَهنَّم)).

قال ابنُ عبَّاس: ((فإنْ كنتَ لا بُدَّ فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روحَ فيه))؛ متفق عليه.

وعنه قال: سمعتُ رسول الله ρ يقول: ((مَن صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ))؛ متفق عليه.

وعن ابن مسعود τ قال: سمعت رسولَ الله ρ يقول: ((إن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون))؛ متفق عليه.

وعن أبي هريرة τ قال: سمعتُ رسول الله ρ: ((قال الله - تعالى -: ومَن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخلقي، فلْيخلُقوا ذرَّةً، أو ليخلقوا حبَّةً، أو ليخلقوا شعيرة))؛ متفق عليه.

وعن أبي طلحة τ: أن رسول الله ρ قال: ((لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا صورة))؛ متفق عليه.

وعن أبي التياح حيان بن حصين قال: قال لي عليُّ بن أبي طالب τ: ((ألا أبعثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله ρ ألاَّ تَدَعَ صورةً إلا طمسْتَها، ولا قبرًا مشرِفًا إلا سوَّيْتَه))؛ رواه مسلم[501].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب في "كتاب التوحيد" بعد أن ذكَر الأحاديث المتقدمة:

"فيه مسائل:

الأُولى: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

الثانية: التنبيه على العلة؛ وهي ترك الأدب مع الله؛ لقوله ρ: ((ومَن أظلم ممَّن ذهَب يخلق كخلقي)).

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله ρ: ((فلْيخْلُقوا ذرَّة أو حبَّة أو شعيرة)).

---

501 انظر: "رياض الصالحين" (ص698- 700).

الرابعة: التصريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كلِّ صورة نفسًا يُعذِّب بها المصوِّرَ في جهنم.

السادسة: أنه يُكَلَّف أن يَنفخَ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت"، اهـ.

فالمصوِّر لما صوَّر الصورة على شكل ما خلقه الله - تعالى - من إنسان وبهيمة، صار مُضَاهِيًا لخلق الله، فصار ما صوَّره عذابًا له يوم القيامة، وكُلِّف أن يَنفُخَ فيها الروح، وليس بنافخ، فكان أشدَّ الناس عذابًا؛ لأنَّ ذنبه من أكبر الذنوب[502].

وقال الذهبيُّ في: "الكبائر": "الكبيرة الثامنة والأربعون: التصوير في الثياب والحيطان، والحجر والدراهم وسائر الأشياء، سواء كانت من شمع أو عجين، أو حديد أو نحاس، أو صوف أو غير ذلك، والأمر بإتلافها؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: 57].

قال عكرمة: "هم الذين يصنعون الصور"، ثم ذكر نحو ما تقدَّم من الأحاديث...

إلى أن قال: "وأمَّا الصُّور فهي كلُّ مصوَّر من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاصٌ منتصبةٌ، لو كانت منقوشةً في سقفٍ أو جدار، أو موضوعةً في نمط، أو منسوجة في ثوب، أو ما كان؛ فإن قضية العموم تأتي عليه فلْيتَجنَّب، ويجبُ إتلاف الصور لمن قَدَرَ على إتلافها أو إزالتها"[503]، اهـ.

وقال النَّووي في "شرح صحيح مسلم": باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتِّخاذ ما فيه صورة غير ممتهَنة بالفرش ونحوه، وإن الملائكة - عليهم السلام - لا يدخلون بيتًا فيه صورة أو كلب.

"قال أصحابنا وغيرُهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرامٌ شديدُ التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنه مُتَوَعَّد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواءٌ صنعه بما يُمْتَهن أو بغيره، فصنعتُهُ حرام بكلِّ حال؛ لأنَّ فيه مضاهاةً لخلق الله - تعالى - وسواء ما كان في ثوب أو بساط، أو درهم أو دينار، أو فلس أو إناء، أو حائط أو غيرها.

وأمَّا تصويرُ صورةِ الشجر ورحال الإبل، وغير ذلك ممَّا ليس فيه صورةُ حيوان - فليس بحرام، هذا حكم نفس التصوير، وأمَّا اتخاذ المصوَّر فيه صورة حيوان، فإنْ كان مُعلَّقًا على حائط، أو ثوبٍ ملبوس، أو عمامة، ونحو ذلك ممَّا لا يُعَدُّ مُمْتَهَنًا - فهو حرام.

وإن كان في بساط يُداس، ومخدَّة أو وسادة ونحوها ممَّا يمتهَن، فليس بحرام...".

502- انظر: "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص438، 444).

503 انظر كتاب: "الكبائر"؛ للذهبي (ص176- 178).

إلى أن قال: "ولا فرقَ في هذا كلِّه بين ما له ظِلٌّ وما لا ظلَّ له، هذا تلخيصُ مذهبِنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء مِن الصحابة والتابعين ومَن بَعدَهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم"[504].

وقال بعضُ السلف: "إنما يُنهَى عمَّا كان له ظلٌّ، ولا بأسَ بالصور التي ليس لها ظلٌّ، وهذا مذهب باطل؛ فإن الستر الذي أنكر النبيُّ ρ الصورةَ فيه لا يَشكُّ أحدٌ أنه مذموم، وليس لصورته ظلٌّ، مع باقي الأحاديث المطلقة في كلِّ صورة"[505].

وقد ألَّف الشيخ: حمُّود بن عبدالله التويجري في هذا الموضوع كتابًا سمَّاه: "إعلان النكير على المفتونين بالتصوير"، قدَّم له الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وأيَّد ما فيه، ونَصَحَ بقراءته والعمل به، وإليك - أيُّها القارئ - بعضَ عناوين الكتاب:

1- بدء الشرك في بني آدم كان بسبب الصور، كما حصل لقوم نوح.

2- غالب كفر الأمم كان من جهة الصور.

3- الصور داخلة في مسمَّى الأصنام.

4- تحريم بيع الصور وثمنها؛ لأن الله إذا حرَّم شيئًا حرَّم ثمنه.

5- التصوير من الكبائر.

6- لا فرقَ في التصوير بين ما له ظِلٌّ وما لا ظلَّ له.

7- لا تُقبلُ شهادة المصور.

8- التصوير من أظلم الظلم.

9- مُتَّخذُ الصور أَولى بالوعيد من صانعها.

10- الصور لها تأثير في القلوب.

11- لعْنُ المصوِّرين.

12- المصوِّرون شرار الخلق عند الله.

13- متَّخِذُ الصورة شريكٌ لصانعها في الوزر واللعنة.

14- التسوية بين الصور المجسَّدة وغير المجسدة في الإنكار والتغيير.

15- يجب طمس الرأس المصوَّر وحده؛ لأن تصوير الرأس هو أعظم مقصود بالنهي.

16- يجب طمس الوجه المصوَّر وحده؛ لأنه يسمى صورة شرعًا ولغةً، ويحرم تصويره"، اهـ.

---

504 انظر: "صحيح مسلم بشرح النووي" (81/14).

505 المصدر السابق (ص82).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز في "الجواب المفيد في حكم التصوير": "جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبيِّ ρ في الصحاح والمسانيد والسنن دالَّة على تحريم تصوير كلِّ ذي روح، آدميًّا كان أو غيرَه، وهتْكِ الستور التي فيها الصور، والأمرِ بطمس الصور، ولعْنِ المصورين، وبيانِ أنهم أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة"، ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب ثم قال: "وهذه الأحاديث وما جاء في معناها دالَّة دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكلِّ ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعَّد عليها بالنار، وهي عامَّة لأنواع التصوير، سواءٌ كان للصورة ظلٌّ أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أم ستر أم غيره، بل لَعَنَ المصوِّر وأخبر أنَّ المصوِّرين أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة، وأنَّ كلَّ مصوِّرٍ في النار، وأطلق ذلك ولم يستثنِ شيئًا...".

إلى أن قال: "وبذلك يتبيَّن لطالب الحق أن تصوير الرأس وما يليه من الحيوان داخلٌ في التحريم والمنع؛ لأنَّ الأحاديث الصحيحة المتقدِّمة تَعمُّه، وليس لأحدٍ أن يستثني من عمومها إلا ما استثناه النبيُّ ρ ...".

إلى أن قال: "وبما ذكرناه في هذا الجواب يتبيَّن لمريد الحقِّ أنَّ توسُّع الناس في تصوير ذوات الأرواح في الكتب والمجلات، والجرائد والرسائل خطأٌ بيِّن، ومعصية ظاهرة يجب على مَن نصَح نفسَه الحذرُ منها، وتحذير إخوانه من ذلك، بعد التوبة النَّصوح ممَّا قد سلف، ويتبيَّن له أيضًا ممَّا سلف من الأدلة أنه لا يجوز بقاءُ هذه التصاوير المشار إليها على حالها، بل يجب قطع رأسِها أو طمسُها، ما لم تكن في بساط ونحوه ممَّا يُداس ويُمتهَن؛ فإنه لا بأسَ بتركها على حالها"، اهـ.

وقال ابن حجر الهيتمي: "الكبيرة الثامنة والستون بعد المائتين: تصوير ذي روح على أيِّ شيء كان، من معظَّم أو مُمْتَهن، بأرض أو غيرها، ولو صورةً لا نظيرَ لها؛ كفرسٍ لها أجنحة...".

ثم ذكر الأدلة الواردة في تحريم التصوير، ثم قال: "(تنبيه): عَدُّ ما ذُكِر كبيرةً هو صريحُ هذه الأحاديث الصحيحة، ومن ثَمَّ جزَم به جماعةٌ، وهو ظاهر، وجرى عليه في "شرح مسلم"، وتعميمي في الترجمة الحرمةَ، بل والكبيرةَ لتلك الأقسام التي أشرتُ إليها - ظاهر أيضًا؛ فإن الملحظ في الكل واحد"...

إلى أن قال: "والمراد بالصورة: كلُّ مصوَّر من ذوات الأرواح، سواء كانت أشخاصًا منتصبة، أو كانت منقوشةً في سقف أو جدار، أو منسوجةً في ثوب أو غير ذلك"، اهـ[506].

خلاصة: التصوير ينقسم إلى أقسام:

1- جائز عند الجمهور، كالشجر وما لا روحَ فيه.

506 "الزواجر عن اقتراف الكبائر"، (ج2/ ص25- 27).

2- الصور والتماثيل المجسَّمة، وذلك محرَّم بالإجماع.

3- ما لا ظِلَّ له وليس بجسم كالتصوير بالكمرة ونحو ذلك، وهذا محرَّم[507].

4- يرى البعضُ التَّسامحَ فيما عمَّت به البلوى، من إثبات الشخصيات؛ كصور حفائظ النفوس والجوازات، والجنسية وحفظ الأمن والحقوق، وذلك بمقدار ما يفي بالغرض للضرورة[508].

وأمَّا التصوير في الحفلات والرحلات وللذكريات، فهو من المحرَّمات المتوعَّد عليها بالوعيد الشديد فيمَا تقدَّم في أوَّل البحث من الأحاديث.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

والله أعلم، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

507 عند جمهور العلماء؛ لعموم الأدلة الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ρ.

508 "مقرر التوحيد للصف الثالث المتوسط"، (ص71).

127- خلاصة في علم الفرائض

وقد حثَّ ρ على تَعلُّمه وتعليمه، وأخبر أنَّه يُنسَى، وأنه أوَّل علمٍ يُفقَد من الأمَّة.

الفرائض: جمع فريضة، وهي العلم بفِقه المواريث.

وموضوعه: التركات، وهي: مخلَّفات الميت.

وثمرته: إيصال ذوي الحقوق حقوقَهم.

وحُكمه في الشرع: فرْضُ كفاية، إذا قام به مَن يكفي، سَقطَ الإثم عن الباقين.

وأركانه ثلاثة: وارث وهو الحي، ومورّث وهو الميّت، وحق موروث وهو المال.

وشروطه ثلاثة: تَحقُّق موت المورِّث، وتَحقُّق حياة الوارث، والعلم بمقتضى التوارث، والمراد به معرفةُ سبب الإرث، وجهة الوارث ودرجته، ونحو ذلك.

وأسباب الإرث ثلاثة: نكاح، وولاء، ونسب وهو القرابة.

وموانع الإرث ثلاثة: رِقٌّ، وقَتْل، واختلاف دِين، فلا يَرِث المسلِمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلِم.

والورثة ثلاثة: ذو فَرْض، وعَصَبَة، ورَحِم، والنساء كلهن صاحبات فرْض، إلاَّ المعتقة.

والرِّجال كلهم عصبات بأنفسهم، إلاَّ ولد الأم والزَّوْج، يرثان بالفرْض فقط.

فذووا الفَرْض عشرة: الأبوان، والزوجان، والجد، والجدة، والبنت، وبنت الابن، والأخت، وولد الأم.

والفروض المقدَّرة في كتاب الله سِتَّة: النِّصف، والرُّبُع، والثُّمُن، والثُّلُثان، والثُّلُث، والسُّدُس.

فالنِّصف فرْضُ خمسةٍ: الزوج إن لم يكن للزوجة ولد، ولا ولد ابن، والبنت وبنت الابن مع عدم ولد الصُّلْب، والأخت لأبوين مع عدم الولَد، وولد الابن والأخت للأب عند عدم الأشقَّاء.

والرُّبُع فرْضُ اثنين: الزَّوج مع الولد أو ولد الابن، والزوجة فأكثر مع عدمهما.

والثُّمُن فرضُ الزوجة، أو الزوجات مع الولد أو ولد الابن.

والثلثان فرضُ أربعة: البنتين فأكثر، وبنتي الابن فأكثر، والأختين لأبوين فأكثر، والأختين لأبٍ فأكثر.

والثلث فرض اثنين: ولدَيِ الأم فأكثر، يستوي فيه ذَكرُهم وأُنثاهم، والأم حيث لا ولد للميّت، ولا ولد ابن، ولا عدد من الإخوة والأخوات.

والسدس فرضُ سبعة: الأم مع الولد أو ولد الابن أو عدد من الإخوة والأخوات، والجَدَّة فأكثر مع تساوي الدرجة، وبنت الابن فأكثر مع بنت الصُّلْب، والأخت لأبٍ فأكثر مع أخت لأبوين، والأب مع الولد أو ولد الابن، وهو فرْض واحدٍ مِن أولاد الأم، والجد مع الولد أو ولد الابن.

والعاصب: مَن يرث بلا تقدير، فإن انفرَد أخَذ جميعَ المال، وإلاَّ أخذ ما أبقتِ الفروض، وإلا سقط إذا لم يبقَ شيء، وإن عدمت عصبة النسب وَرِث المولى المعتق، ثم عصبته الذكور الأقرب فالأقرب، وإن لم يكن، عَمِلْنا بالردِّ، فإن لم يكن ورَّثْنا ذوي الأرحام؛ وهم كلُّ قرابة ليس بذي فرْض ولا عصبة، والله أعلم، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وعن ابن عباس - رضِي الله عنهما - قال: قال رسول الله ρ: ((ألْحِقوا الفرائضَ بأهلها، فما بَقِيَ فلأَوْلى رجُل ذَكَر))؛ متفق عليه؛ أي: ما بقي من المال بعدَ أهل الفروض السِّتَّة المتقدمة، فهو لأقرب عَصَبة الميّت، وأقربهم البنون، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم الأب، ثم أبوه وإن علا، ثم الأخ لأبوين، ثم لأب، ثم بنو الإخوة وإن سفلوا، ثم الأعمام، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم المعتق، ثم عصَبَاته، والله أعلم.

أرقام آيات المواريث في القرآن من سورة النساء.

آية ميراث الأولاد والوالدين (11).

آية ميراث الزوج والزوجات والإخوة لأم (12).

آية ميراث الإخوة والأخوات أشقَّاء أو لأب (176).

* * *

غربة الإسلام (1)

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرْضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعِزِّ جلاله، وصلى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

خرَّج مسلم في "صحيحه" من حديث أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: ((بَدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطُوبَى للغُرباء)).

وخرَّجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادةٍ في آخره، وهي: قيل: يا رسول الله، ومَنِ الغرباء؟ قال: ((النُّزَّاع من القبائل)).

وخرَّجه أبو بكر الآجرِّيُّ، وعنده: قيل: ومَن هم يا رسول الله؟ قال: ((الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس)).

وخرَّجه غيرُه، وعنده قال: ((الذين يَفِرُّون بدِينهم من الفِتن)).

وخرَّجه الترمذيُّ من حديث كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جَدِّه، عن النبي ρ: ((إنَّ الدِّين بدأ غريبًا، وسيرجع غريبًا، فطُوبَى للغرباء؛ الذين يُصلِحون ما أفسد الناس مِن سُنَّتي)).

وخرَّجه الطبراني من حديث جابر τ عن النبي ρ وفي حديثه: قيل: ومَن هم يا رسولَ الله؟ قال: ((الذين يَصْلُحون حين فساد الناس)).

وخرَّجه أيضًا من حديث شريك بن سعد بنحوه.

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقَّاص، عن النبي ρ وفي حديثه: ((فطُوبَى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس)).

وخرَّج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ρ قال: ((طُوبَى للغرباء))، قلنا: ومَن الغرباء؟ قال: ((قومٌ قليلٌ في ناس سوءٍ كثيرٍ، مَن يَعْصيهم أكثرُ ممَّن يُطيعهم)).

وروي عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا وموقوفًا في هذا الحديث: قيل: ومَن الغرباء؟ قال: ((الفرَّارون بدِينهم، يبعثهم الله – تعالى – مع عيسى ابن مريم – عليه السلام –)).

شرح قوله: ((بدأ الإسلام غريبًا)):

يريد به: أنَّ الناس كانوا قبلَ مبعثه على ضلالة عامَّة، كما قال النبي ρ في حديث عِياض بن حمار، الذي أخرجه مسلم: ((إنَّ الله نظَرَ إلى أهل الأرض فمَقَتَهم؛ عربَهم وعَجَمَهم، إلا بقايا من أهل الكتاب))، فلمَّا بُعِثَ النبي ρ ودعا إلى الإسلام لم يستجِبْ له في أوَّل الأمر إلا الواحدُ بعدَ الواحد من كلِّ قبيلة، وكان المستجيبُ له خائفًا من عشيرته وقبيلته، يُؤذَى غاية الأذى، ويُنال منه وهو صابرٌ على ذلك في الله – عزَّ وجلَّ .

وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين، يشردون كلَّ مشرد، ويَهرُبون بدِينهم إلى البلاد النائية؛ كما هاجروا إلى الحبشة مرَّتين، ثم هاجروا إلى المدينة، وكان منهم مَن يُعذَّب في الله، ومنهم مَن يُقْتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذٍ غُرَباء، ثم ظهر الإسلامُ بعدَ الهجرة إلى المدينة وعزَّ، وصار أهلُه ظاهرين كلَّ الظهور، ودخَل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجًا، وأكمل الله لهم الدِّين، وأتمَّ عليهم النِّعْمة، وتُوفِّي رسول الله ρ والأمر على ذلك، وأهل الإسلام على غايةٍ من الاستقامة في دِينهم، وهم متعاضدون متناصِرون، وكانوا على ذلك في زمن أبي بكر وعمر - رضِي الله عنهما.

ثم أعمل الشيطانُ مكايدَه على المسلمين، وألْقى بأسهم بينهم، وأفْشى فيهم فتنةَ الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتى استحكمتْ مكيدة الشيطان، وأطاعه أكثرُ الخلْق؛ فمنهم مَن دخل في طاعته في فِتنة الشبهات، ومنهم مَن دخل في فِتنة الشهوات، ومنهم مَن جمَع بينهما، وكلُّ ذلك ممَّا أخبر النبي ρ بوقوعه.

فأمَّا فِتنة الشبهات: فقد رُوي عن النبي ρ من غير وجه: أنَّ أمَّته ستفترق على أزيدَ مِن سبعين فِرْقة، على اختلاف الرِّوايات في عدد الزيادات على السبعين، وأنَّ جميع تلك الفِرق في النار، إلاَّ فرقة واحدة، وهي ما كانتْ على ما هو عليه وأصحابه ρ .

وأمَّا فتنة الشهوات: ففي صحيح مسلم، عن عبدالله بن عمرو عن النبي ρ قال: ((كيف أنتم إذا فُتحتْ عليكم خزائنُ فارس والروم، أيُّ قوم أنتم؟))، قال عبدالرحمن بن عوف τ: نقول كما أمرَنا الله، قال: ((أوَ غَير ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون)).

وفي "صحيح البخاري" عن عمرو بن عوْف، عن النبيِّ ρ قال: ((واللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخْشَى أن تُبْسطَ عليكم الدنيا كما بُسِطتْ على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتْهم)).

وفي الصحيحين من حديث عُقبةَ بن عامر، عن النبيِّ ρ معناه أيضًا.

ولما فُتِحت كنوزُ كِسْرى على عمر بن الخطَّاب τ بكى فقال: ((إنَّ هذا لم يُفتحْ على قومٍ قط إلا جعل الله بأسَهم بينهم))، أو كما قال.

وكان النبي ρ يخشى على أمَّته هاتين الفِتْنَتَيْن، كما في "مسند الإمام أحمد" عن أبي بَرْزةَ، عن النبيِّ ρ قال: ((إنَّما أخْشى عليكم الشهواتِ التي في بطونكم وفروجكم، ومضلاتِ الِفتن))، وفي رواية ((ومضلات الهوى)).

فلمَّا دخل أكثرُ الناس في هاتين الفتنتين أو إحداهما، أصبحوا متقاطِعين متباغضِين، بعد أن كانوا إخوانًا متحابِّين متواصلين؛ فإنَّ فِتنةَ الشهوات عمَّتْ غالب الخلْق، ففُتنوا بالدنيا وزهرتها، وصارتْ

غايةَ قصدهم، لها يطلبون، وبها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، فقطعوا لذلك أرحامَهم، وسفكوا دماءَهم، وارتكبوا معاصيَ الله بسبب ذلك.

وأمَّا فتنة الشبهات والأهواء المضِلَّة: فبسببها تَفرَّقَ أهلُ القِبلة، وصاروا شِيعًا، وكفَّر بعضُهم بعضًا، وأصبحوا أعداءً وفرقًا وأحزابًا، بعد أن كانوا إخوانًا، قلوبهم على قلْب رجلٍ واحدٍ، فلم ينجُ من هذه الفِرق كلها إلا الفرقةُ الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ρ: ((لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خَذَلهم ولا مَن خالفهم، حتى يأتيَ أمر الله وهم على ذلك))؛ رواه البخاري ومسلم.

وهم في آخرِ الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس، وهم الذين يُصلِحون ما أفسد الناسُ مِن السُّنَّة، وهم الذين يفرُّون بدِينهم من الفِتن، وهم النُّزَّاع من القبائل؛ لأنَّهم قلُّوا، فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحدٌ، كما كان الداخلون إلى الإسلام في أوَّل الأمر كذلك، وبهذا فسَّر الأئمَّةُ هذا الحديث.

ولهذا جاء في أحاديثَ متعدِّدة مدْحُ المتمسِّك بدِينه في آخِرِ الزمان، وأنَّه كالقابض على الجَمْر، وأنَّ للعامل منهم أجْرَ خمسين ممَّن قبلهم؛ لأنهم لا يجدون أعوانًا في الخير.

وهؤلاء الغرباء قسمان:

أحدهما: مَن يُصلِح نفسَه عند فساد الناس.

والثاني: مَن يُصلِح ما أفسد الناس من السُّنَّة، وهو أعلى القسمين، وهو أفضلهما.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على محمد. أ.هـ، من كتاب: "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة"؛ للشيخ عبدالرحمن بن رجب.

* * *

129- غربة الإسلام (2)

لا إشكالَ في أنَّ الإسلام اليوم غريبٌ في أكثر الأقطار التي تنتسب للإسلام، ويكاد أن يكون غريبًا في البقية الباقية من بلاد المسلمين، وليس مِن قِلَّةٍ في عدد المنتسبين للإسلام، ولكن ذلك من قِلَّة الذين يَصْدُق عليهم أن يُسمُّوا مسلمين حقيقةً.

ويوضِّح ذلك: أنَّ كثيرًا ممَّن ينتسبون للإسلام يُشرِكون بالله في كثيرٍ من أنواع العبادة، مثل: الدعاء والذبْح والنذر؛ فهم يَدْعُون الأموات، ويطلبون منهم حوائجَهم، أو ردَّ غائبِهم، أو شفاءَ مرضاهم، ويجعلونهم وسائطَ بينهم وبين الله، ويذبحون لغير الله، كذَبْحِهم للقبور وللجِنّ، ويَنْذِرون لغير

الله، إلى غير ذلك من أنواع الشِّرْك الأكبر، وقد قال الله – تعالى –: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: 48 و116].

ومِن المنتسبين للإسلام مَن استهزؤوا بكثير ممَّا جاء به الرسول ρ وأمر به، وسَخِروا بمن يتأسَّى به، ويُطيع أمْرَه والله – سبحانه وتعالى – يقول في حق المستهزئين: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: 65 – 66].

ومن ذلك: استهزاؤهم بالدُّعاة إلى الله، وبالمتمسِّكين بدِينه، واحتقارُهم لهم، ووصفهم إيَّاهم بالرجعية والتخلُّف، ومنه: استهزاؤهم بعمود الدين (الصلاة) وبالمصلِّين – عِياذًا بالله – ومنه: استهزاؤهم باللِّحى وبمن يُعفيها من المؤمنين، وبالحجاب والمتحجِّبات... إلى غير ذلك، بل ربَّما تجرَّأ البعضُ فسَبَّ الدِّين – نعوذ بالله من ذلك كله.

ومنهم مَن أعرض عن دِين الله، فلم يتعلَّمْه، ولم يعمل به، ولم يُعلِّمْه أهلَه وأبناءَه، ولم يُرِد لهم العمل به، وقد قال الله – تعالى – في حقِّ المعرضين عن دينه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: آية 22]، وقال – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: 124 – 126].

وتحاكَم بعضُهم إلى القوانين الوضعية، المخالِفة للكتاب والسُّنة، واعتقدوا أنَّها أكمل من هَدي محمد ρ والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، ويقول – عزَّ وجلَّ –: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، وقال – تعالى –: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

والكراهة والغضب يَظْهران على وجوه كثير من أولئك المنتسبين للإسلام، عندما يُدْعَوْن إلى الله، وعندما تُتْلَى عليهم آياتُه، والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: 72].

وترَك كثيرون – عمدًا – العملَ بما دلَّتْ عليه آياتُ الله وأحاديثُ رسوله ρ بل جادلوا في ذلك، وقد قال الله – تعالى –: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ [غافر: 4].

وكَرِه كثيرٌ من أولئك المنتسبين للإسلام إقامة الدِّين، والاجتماعَ عليه، وأبغضوا أهلَه العاملين به

الداعين إليه وآذوهم، ومن المعلوم: أنَّه لا يكره إقامةَ الدِّين والاجتماع عليه إلا مشركٌ كافر، كما قال الله - تعالى -: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: 13].

ورَكَن كثيرٌ من أولئك المنتسبين للإسلام إلى الكفَّار وتولَّوْهم، وتشبَّهوا بهم في كثير من أفعالهم وأقوالهم، وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، وقال - سبحانه -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113]، وقال النبيُّ ρ: ((مَن تشبَّه بقوْم فهو منهم))[509].

وتَرَك كثيرٌ من أولئك المنتسبين للإسلام الصلاةَ وضيَّعوها عمدًا وعنادًا، وقد قال الله - تعالى -: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، وأخبر - سبحانه - عن المجرمين حينما يقول لهم المؤمنون: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ بأنهم يقولون: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، وقال النبي ρ في الحديث الذي رواه مسلم وغيرُه: ((بيْن الرجل وبيْن الكُفْر تَرْكُ الصلاة)).

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهلُ السُّنن: ((العهْدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن تركها، فقد كَفَر)).

هذه بعضٌ من نواقض الإسلام التي ارتكبَها كثيرٌ من أولئك المنتسبين للإسلام، ومع هذا: فقد تفشَّت بينهم الفواحش، وأمعن الكثيرون في الشّرِّ والانحلال من دِين الله باسم الحريَّة والتقدُّم، ووَصَفوا بالرجعيَّة والجمود كلَّ مؤمن يناديهم إلى ما فيه نجاتُهم من عذاب الله.

هذه مِن فِعال تلك الكثرة التي تدَّعي الإسلام، وتُظهِر الغضب لو وُصِفتْ بالكفر، أما مَن جاهروا بالكفر، وانسلخوا من الإسلام علنًا - والعياذ بالله - كمَنِ اعتنق المبادئَ الإلحادية الهدَّامة، كالشيوعية وغيرها من مذاهب الإلحاد والكفر - هؤلاء المنحرِفون الضالُّون، وكل مَن ظهرت رِدَّتُه عن دين الله، جزاؤهم في الدنيا: ما قاله النبي ρ: ((مَن بَدَّل دِينَه فاقتلوه))[510].

أما في الآخرة: فقد أعدَّ الله لهم من العذاب المهين ما تَقْشعِرُّ لذِكْره جلودُ الذين يخشَوْن ربهم، فإنْ تابوا ورجعوا إلى ربِّهم، وندموا على ردَّتهم، واستغفروا الله، وأدَّوا فرائضه، واجتنبوا محارمَه، ورضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ρ نبيًّا رسولاً، وآمنوا بجميع الرسل والكتب السماوية، وكفروا

509 رواه أحمد وأبو داود، وصحَّحه ابن حبان.

510 رواه أحمد والبخاري، وأهل السنن.

بمذاهب الكُفْر كلِّها، فعسى الله أن يقبل توبتَهم، ويغفر لهم، وإلا فسيجدون عاقبةَ مكرِهم وتكبُّرهم وجحودهم.

نسأل الله مقلِّبَ القلوب أن يُثبِّت قلوبنا على دِينه، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، ا.هـ من كتاب "الإرشاد إلى طريق النجاة"؛ للشيخ عبدالرحمن بن حماد العمر.

* * *

130- مشكلة التسوُّل، والحلول المناسبة لها

يُلاحظ مَن يصلي في المساجد كثرةَ المتسوِّلين، وسوف يَزيدون بحسب العادة بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك، وهم بحسب ما يظهر منهم أقسام:

منهم أصحاب حوادث السيَّارات، الذين تحمَّلوا ديات، ويملون معهم صكوكًا تثبت صدقَ دعواهم، إلا أنَّه من المعروف أنَّ دية الخطأ على العاقلة، وهم عصبات الإنسان وليس على القاتل نفسِه، وإذا لم يكن للقاتل عاقلة أو كانت فقيرة؛ فإنَّه يتكفَّل بالدِّيةِ بيتُ مال المسلمين، فلماذا يُخْفي أصحابُ الحوادث الناسَ بالمسألة في مساجدهم؟!

ومِن السائلين أصحابُ عاهات، كالمرض والعَمى، والعرج والشَّلل، وهم معذورون؛ لأنَّهم يظهر عليهم آثارُ البؤس والحاجة والمسْكَنة، ولكن مَن رآهم يتساءَل: أين الأغنياء؟ أين الزكوات؟ أين الضمان الاجتماعي؟ أين صناديق البِرِّ الخيرية عن هؤلاء الفقراء والمساكين، البؤساء المعوزين؟!

وبعضُ السائلين أقوياء، اتَّخذوا السؤال حرفةً ومهنة، وقد يحمل بعضهم صُكوكًا مزوَّرة، ويتساءل مَن رآهم: أين مكافحةُ التسوُّل عن هؤلاء؟

ومن السائلين مَن يدَّعي أنَّه مدِين، أو مسافر "ابن سبيل" وهؤلاء لهم حقٌّ في الصدقات إذا صَدَقوا.

وعلى كلِّ حال، فأنا لا أمنع من إعطاء السائلين، فلهم حقٌّ في أموال الأغنياء؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24 - 25]، وقال - تعالى - : ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10]، وفي الحديث[511]: ((للسائل حقٌّ، وإن جاء على فَرَس)).

إلاَّ أنَّ الإسلام يحرِّم التسوُّلَ لغير ضرورة وحاجة مُلِحَّة، ويحثُّ على العمل، وعلى الصبر والعِفَّة، والاستغناء عمَّا في أيدي الناس؛ لأنَّ في السؤال مهانةً وذِلَّة، وعبودية للمخلوقين، وإراقةَ ماءِ الوجه.

(511) الذي أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود.

كما يحثُّ الإسلام على التكافُل الاجتماعي، والتضامن الإسلامي، ومساعدة المحتاجين، وإغْناء الفقراء والمساكين، ويحثُّ على الصدقة، ويُرغِّب فيها، ويَعِدُ عليها بالخلف العاجل والآجل، قال الله – تعالى –: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]، وقال – تعالى –: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، وقال ρ: ((والصَّدَقة تُطفِئ الخطيئةَ كما يُطفئ الماءُ النار))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال ρ: ((ما مِن يوم يُصبح العباد فيه إلا ومَلَكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهمَّ أعطِ منفقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعطِ ممسكًا تلفًا))؛ متفق عليه.

وعلاج التسوُّل في نظري يكون بأمرين:

1– بإشغال العاطلين الأقوياء بالأعمال المناسِبة لهم في المصانِع والمزارِع والحِرَف المهنيَّة.

2– وبإغْناء الفقراء والمساكين والعاجزين، وسدادِ الدَّيْن عن المدينين من بيت مال المسلمين، ومن الزكوات المفروضة لهم، وبتوفير المساكن لِمَن ليس له مسكنٌ، فإنَّه يُستغرب أن يوجدَ الفقراء والبؤساء في دولة غنيَّة.

لذا فإني أقترح أن تُكوَّن لجنةٌ دائمة؛ للنظر في أمر هؤلاء المتسوِّلين، والتحقيق في شأنهم، فمَن كان منهم قويًّا على العمل يُمنع من التسوُّل، ويُوجَّه إلى مكتب العمل والعمَّال لتشغيله في شُغْل وعمل يناسبه، ومَن كان من أصحاب الحوادث يَحمل صكوكًا حديثةً تُثبت دعوى أنَّ عليه دياتٍ، فتكلف عاقلتُه بدفعها؛ بحيث تؤجَّل عليهم ثلاثَ سنوات، وإن لم يكن له عاقلة، أو كانت فقيرةً، يدفع عنه مِن بيْت مال المسلمين، ومَن كان منهم فقيرًا عاجزًا عن الكَسْب، وليس له مَن يصرف عليه، ولا دَخْلَ له يكفيه، فهذا يُساعَد ويُعان، وتحلُّ له المسألة، ومَن كان مدينًا لنفسه، وعاجزًا عن الوفاء، فهذا يستحقُّ المساعدة، وتحل له المسألة إذا ثبتَ إعسارُه.

فالمسألة – كما ترى – تحتاج إلى فحْص وتمحيص، وأن تُوزنَ بميزان الشَّرْع المطهَّر المنزَّل من لدن حكيم خبير، والذي ما تَرَك خيرًا إلاَّ أمَر به، ولا شرًّا إلا حذَّر منه، ويلاحظ أنَّ كثيرًا من المتسوِّلين من خارج المملكة من بعض البلدان المجاورة.

وقبل أن أختمَ هذه الكلمة، يجدر بي أن أذكُرَ مَن تَحِلُّ له المسألة على ضوء الأدلَّة، وقد أوضحت السُّنَّةُ المطهَّرة مَن تحلُّ له المسألة، وهم أصناف:

1– المدين الذي استدان لنفسه مع الفقر، ولا يجد الوفاء، أو استدان للإصْلاح بيْن الناس، فهذا قد أتى معروفًا عظيمًا، فكان من المعروف الوفاءُ عنه؛ تشجيعًا له على ذلك.

2- الفقير الذي ثَبَت إعسارُه، ولا يجد ما يكفيه طعامًا وكسوة، أو لا يجد له مسكنًا، أو أُجْرة مسكن.

3- مَن أصاب مالَه جائحةٌ اجتاحتْ ماله، وأتلفتْه إتلافًا ظاهرًا، كالسيل والحريق، فهؤلاء الثلاثة جاءتْ السُّنَّة بإباحة المسألة لهم بقَدْر الحاجة، ولكنَّ الكثير من الناس اليوم لا يقفون عند حدِّ الحاجة.

4- وهناك قسم رابع: وهو مَن قَتَل غيرَه عمدًا، وعفا أولياء المقتول عن القِصاص إلى الدِّية، فإنَّها تكون على القاتل نفسِه، فيُعان إذا كان فقيرًا، وتَحِلُّ له المسألة.

والدليل على إباحة المسألة لهؤلاء ما يلي:

1- عن أنس τ عن النبيِّ ρ أنَّه قال: ((إنَّ المسألة لا تَحِلُّ إلاَّ لأحد ثلاثة: لذِي فَقْر مُدْقِع، أو لذي غُرْم مُفْظِع، أو لذي دَم موجِع))؛ رواه أحمد وأبو داود.

والفقر المدقع: هو الشديد الملصِق صاحبَه بالدقعاء، وهي الأرض التي لا نباتَ بها، ومعناه: الفقر الذي يُفْضي به إلى التراب؛ أي: لا يكون عندَه ما يتَّقي به التراب.

والغرم: ما يلزم أداؤه تكلفًا، لا في مقابلة عوض.

والمفظِع: هو الشديد الشنيع، الذي جاوَز الحد.

والدم الموجع: كناية عن الدِّية يتحمَّلها، فترُهِقه وتوجعه، فتحِلُّ له المسألة.

2- وعن قبيصة بن المخارِق الهلالي τ- قال: تحمَّلْتُ حَمَالةً، فأتيت رسولَ الله ρ أسأله فيها، فقال: ((أقِمْ حتى تأتيَنا الصدقة فنأمر لك بها))، ثم قال: ((يا قبيصةُ، إنَّ المسألة لا تحِلُّ إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمَّل حَمَالةً، فحلَّت له المسألة، حتى يصيبَها ثم يمسك، ورجل أصابتْه جائحةٌ اجتاحتْ مالَه، فحلَّتْ له المسألة، حتى يصيبَ قِوَامًا من عيش، أو قال: سِدَادًا من عيش، ورجل أصابتْه فاقةٌ، حتى يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحِجَا من قومه: لقد أصابتْ فلانًا فاقةٌ، فحلَّت له المسألة، حتى يصيبَ قِوامًا من عيش، أو قال: سِدَادًا من عيش، فما سواهنَّ من المسألة يا قبيصة، سُحْتٌ يأكلها صاحبُها سحتًا))؛ رواه أحمد ومسلم، والنسائي وأبو داود.

و(الحَمَالة): ما يتحمَّله الإنسان ويلتزمه في ذِمَّته بالاستدانة؛ ليدفعَه في إصْلاح ذات البَيْن، وإنما تحلُّ له المسألة بسببه.

و(القِوام): ما تقوم به حاجته ويستغني به، و(السداد): ما تسدُّ به الحاجة، و(الحِجَا): العقل، وإنما جعل العقل معتبرًا؛ لأنَّ مَن لا عقلَ له، لا تحصل الثِّقة بقوله، وإنما قال: ((مِن قومه))؛ لأنهم أخبرُ بحاله، وأعلمُ بباطن أمره.

و(الفاقة): الفقر والحاجة، و(السحت): الحرام، وسُمِّي سحتًا؛ لأنَّه يسحت؛ أي: يمحق البركة والأجْر

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

131- تحية الإسلام الخالدة

السلام تحيةُ المسلمين، وأتمُّ هذه التحية وأكملُها (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فهو دعاءٌ للمُسلَّم عليه بالسلامة والرحمة والبركة.

و(السلام): اسم من أسماء الله الحُسْنى، و(السلام) من محاسن الإسلام، ومن حقِّ المسلِم على أخيه المسلِم، وابتداؤه سُنَّة عند اللقاء على مَن عرفتَ ومَن لم تعرفْ، من صغير وكبير، وغنيٍّ وفقير، وشريف ووضيع

وهو يتضمَّن تواضعَ المسلِم، وأنَّه لا يتكبَّر على أحد، فـ((مَن بدأ الناس بالسلام، فقد بَرِئ مِن الكِبْر))[512]، و((أوْلى الناس بالله مَن بدأهم بالسلام[513]، وأبخلُ الناس الذي يبخل بالسلام))[514].

وإفشاء السلام مِن أسباب المحبَّة والألفة بيْن المسلمين، الموجِبة للإيمان، الذي يوجب دخولَ الجنة، والنجاةَ من النار، كما قال النبي ρ: ((لا تدخلوا الجَنَّةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألاَ أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[515]

وعلى المسلَّمِ عليه ردُّ السلام بمثلِه أو بأحسنَ منه، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86]

وهذه تحية المسلمين، التي جاء بها الإسلام ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61]، بخلاف تحيةِ اليهود والنصارى؛ فتحيةُ اليهود الإشارة بالأصابع، وتحية النصارى الإشارة بالأكُفِّ، وقد نُهينا عن تقليدهم ومشابهتهم، وأن نبدأهم بالسلام، قال ρ: ((ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا، لا تشبَّهُوا باليهود ولا بالنصارى، فإنَّ تسليم اليهود الإشارةُ بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارةُ

512 رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

513 رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

514 رواه الطبراني بإسناد جيد.

515 رواه مسلم.

بالأكُفِّ))[516]، وقال: ((لا تبْدؤوا اليهودَ ولا النصارى بالسلام))[517]، وقال: ((مَن تشبَّه بقوم فهو منهم))[518]، والله - تعالى - هو السلام ومنه السلام.

وتحية المسلمين في الدنيا والآخرة هي السلام ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾ [الأحزاب: 44] ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا﴾ [الواقعة: 25 - 26]، يُسلِّم عليهم الربُّ الكريم، وتُسلِّم عليهم الملائكة، ويُسلِّم بعضُهم على بعض، وقد سَلِمُوا من كل آفة ونقْص.

وقال الشاعر:

الدَّارُ دَارُ سَلامَةٍ وَخِطَابُهُمْ = فِيهَا سَلامٌ وَاسْمُ ذِي الغُفْرَانِ

أخي المسلم، إذا كان هذا شأنَ الإسلام؛ دِينِ المحبَّة والسلام، دين الأُلْفة والإخاء، والعاقبة الحميدة، والراحة التامة، والكرامة الدائمة، والخلود في النعيم، فما أجدرَنا نحن - المسلمين - بتطبيق تعاليمه، والعمل بأحكامه والسَّيْر على مناهجه!

اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، فحيِّنا ربَّنا بالسلام، وسلِّمنا من كلِّ مكروه، وصلَّى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

132- ما جاء في فصل الشتاء

روى الإمام أحمد من حديث أبي سعيد τ عن النبي ρ قال: ((الشِّتاءُ ربيعُ المؤمن))، وأخرجه البيهقي وغيرُه، وزاد فيه: ((طال ليلُه فقامَه، وقَصُر نهارُه فصامَه)).

إنما كان الشتاءُ ربيعَ المؤمن؛ لأنَّه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، ويُنزِّه قلبَه في رياض الأعمال الميسَّرة فيه، كما ترتع البهائمُ في مرعى الربيع، فتسمُن وتصلُح أجسادُها، فكذلك يصلح دِينُ المؤمن في الشتاء بما يسَّر الله فيه من الطاعات، فإنَّ المؤمن يَقْدِر في الشتاء على صيام نهارِه من غير مشقَّة، ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش؛ فإنَّ نهاره قصير بارد، فلا يحس فيه بمشقَّة الصيام.

وفي "المسند" والترمذي، عن النبي ρ قال: ((الصِّيام في الشتاء الغنيمةُ الباردة))، وكان أبو هريرة τ يقول: "ألاَ أدلُّكم على الغنيمة الباردة؟ قالوا: بلى، فيقول: الصِّيامُ في الشتاء".

---

516 رواه الترمذي والطبراني، ورمز السيوطي لضعْفه، وله شاهد من حديث جابر مرفوعًا: ((التسليم بأصبع واحد فعل اليهود))؛ رواه أبو يعلى، ورواته رواة الصحيح.

517 رواه مسلم وغيره.

518 رواه أحمد وأبو: داود، وحسَّنه السيوطي، وصحَّحه ابن حبان.

ومعنى كونها غنيمةً باردة: أنها غنيمةٌ حصلتْ بغيْر قتال، ولا تَعَب ولا مشقَّة، فصاحبُها يحوز هذه الغنيمةَ عفوًا صفوًا، بغير كُلفة.

وأمَّا قيامُ ليْل الشتاء، فلطُولِه يُمكن أن تأخذَ النفْسُ حظَّها من النوم، ثم تقوم بعدَ ذلك إلى الصلاة، فيقرأ المصلِّي وِردَه كلَّه من القرآن، وقد أخذتْ نفسُه حظَّها منَ النوم، فيجتمع له فيه نومُه المحتاج إليه، مع إدراك وِردِه من القرآن، فيكمل له مصْلحة دِينه، وراحة بدنه.

ويُروى عن ابن مسعود τ أنَّه قال: "مرحبًا بالشتاء؛ تنزل فيه البَرَكة، ويطول فيه اللَّيْل للقيام، ويقصر فيه النهار للصِّيام، وعن الحَسَن قال: نِعْمَ زمانُ المؤمن الشتاءُ؛ ليله طويل يقومه، ونهاره قصيرٌ يصومه، وعن عبيد بن عمير: أنَّه كان إذا جاء الشِّتاء قال: يا أهل القرآن، طالَ ليلُكم لقراءتكم، فاقرؤوا، وقصُر النهار لصيامكم، فصُومُوا.

وهذا الكلام موجَّه إلى المؤمنين بالله وباليوم الآخر، الذين يتأدَّبون بآداب النبوَّة، ويعملون بالقرآن والسُّنَّة، وقد مَدَح الله المؤمنين القائمين المتهجِّدين في اللَّيْل بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 17 - 18]، وبقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: 16]، وبقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

وأخبر ρ: أنَّ صلاة الرجل في جَوْفِ اللَّيْل تُطفئ الخطيئةَ كما يُطفِئ الماءُ النارَ[519]، وأنَّ الله - تعالى - يَنْزِل إلى السماء الدنيا حين يَبْقى ثُلُث اللَّيْل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن يسألني فأُعطيَه؟ مَن يستغفرني فأغفرَ له؟ حتى يطلع الفجر[520].

وهذه الفضائل محرومٌ منها أكثرُ الناس اليوم، الذين يسهرون أمامَ الملاهي إلى نصف اللَّيْل، ثم ينامون عن صلاة الفَجْر، وكان النبي ρ يكره النوم قبل صلاة العشاء، والحديثَ بعدها إلاَّ في خيرٍ، وفي الحديث: ((لا سَمَرَ إلا لثلاثة: مصلٍّ، أو مسافِر، أو عروس))[521].

وقيام لَيْل الشتاء يعدلُ صيامَ نهار الصَّيْف في الفضْل العظيم، والثواب الجسيم؛ ولهذا بكى معاذُ بن جبل عند موته، وقال: إنما أبكي على ظمأِ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عندَ حِلَق الذِّكْر.

---

519 في الحديث الذي رواه الترمذي وصحَّحه.

520 كما في الحديث الذي رواه مسلم في "صحيحه".

521 رواه أحمد بلفظ: ((لا سمر إلا لمصلٍّ أو مسافر))، ورمز السيوطي لحسنه.

وإسباغ الوضوء في شدَّة البرد من أفضل الأعمال، وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: ((ألاَ أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدَّرَجات؟))، قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: ((إسباغُ الوضوء على المكارِه، وكثرة الخُطَى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعدَ الصلاة، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط)).

وفي حديث معاذ بن جبل عنِ النبي ρ أنَّه رأى ربَّه - عزَّ وجلَّ - يعني: في المنام - فقال له: "يا محمَّد، فيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟"، قال: ((في الدرجَات والكفَّارات، قال: والكفَّارات: إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجُمُعات - وفي رواية: الجَمَاعات - وانتظار الصلاة بعدَ الصلاة، مَن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيومَ ولدتْه أمُّه، والدرجات: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة باللَّيْل والناس نِيام))[522]، وفي بعض الرِّوايات: ((إسباغ الوضوء في السبرات))، والسبرة: شدَّة البَرْد.

وقد امتنَّ الله على عبادِه بأنْ خَلَق لهم من أصواف بهيمة الأنعام، وأوبارها وأشعارها ما فيه دفءٌ لهم من البَرْد، قال - تعالى -: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: 5]، وقال - تعالى -: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: 80].

وكان عمر بن الخطَّاب τ إذا حَضَر الشتاء تعاهدَهم، وكتب لهم بالوصية: "إنَّ الشتاء قد حضر، وهو عدوٌّ، فتأهَّبوا له أُهبتَه من الصُّوف والخِفاف والجوارب، واتَّخِذوا الصوفَ شِعارًا ودِثارًا، فإنَّ البرد عدوٌّ سريعٌ دخولُه، بعيدٌ خُرُوجُه"، وذلك من تَمام نصيحته، وحُسْن نظره وشفقته، وحياطته لرعيته - رضِي الله عنه.

وممَّا يُؤمَر به في الشتاء وغيره: مواساةُ الفقراء والمساكين بما يدفع عنهم البَرْدَ، وفي ذلك فضلٌ عظيم، خرَّج الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعًا: ((مَن أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمَه الله يومَ القيامة من ثِمار الجَنَّة، ومَن سقاه على ظمأٍ، سقاه الله من الرَّحيق المختوم، ومَن كساه على عُرْي، كساه الله من خُضْر الجنة))؛ أي: من حُلَل الجنة الخضراء.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن مسعود، قال: "يُحشَر الناس يومَ القيامة أعْرَى ما كانوا قط، وأجوعَ ما كانوا قط، وأظمأَ ما كانوا قط، فمَن كسا لله - عزَّ وجلَّ - كساه الله، ومَن أطعم لله، أطعمَه الله، ومَن سقى لله سقاه الله، ومَن عفا لله أعفاه الله".

---

522 رواه الإمام أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ومن فضائل الشتاء: أنَّه يُذكِّر بزمهرير جهنم، ويوجِب الاستعاذةَ منها، وتجنُّب الأعمال الموصلة إليها، مِن تَرْك الواجبات، وعمَل المحرَّمات، وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ρ قال[523]: ((إذا كان يومٌ شديد البَرد، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، ما أشدَّ بردَ هذا اليوم! اللهمَّ أَجِرْنِي من زمهرير جهنَّم، قال الله - تعالى - لجهنم: إنَّ عبدًا من عبادي استجار بي من زمهريرك، وإني أُشهدك أنِّي قد أجرتُه، قالوا: وما زمهريرُ جهنم؟ قال: بيْتٌ يُلْقَى فيه الكافر، فيتميَّز من شِدَّة بردِه)).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ρ قال: ((اشتكتِ النارُ إلى ربِّها، فقالت: يا ربِّ، أكَلَ بعضي بعضًا، فأَذِن لها بنَفَسَين: نفَس في الشتاء، ونفَس في الصيف، فأشدُّ ما تَجِدون من الحرِّ من سَمُوم جهنم، وأشد ما تجدون من البَرْد من زمهرير جهنَّم))[524].

ورُوِي عن ابن عبَّاس، قال: "يستغيث أهلُ النار من الحر، فيُغاثون بريحٍ باردة، يَصْدَع العظامَ بردُها، فيسألون الحر"، وعن مجاهد قال: "يهربون إلى الزمهرير، فإذا وقعوا فيه حطم عظامَهم، حتى يُسمعَ لها نقيض.

وقد قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا * إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 24 - 26]، وقال الله - تعالى -: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: 57].

قال ابن عبَّاس: (الغساق): الزمهرير البارد الذي يحرِق من برده، وقال مجاهد: هو الذي لا يستطيعون أن يذوقوه مِن برْده، وقيل: إنَّ الغساق: البارد المنتِن - أجارَنا الله - تعالى - من جهنمَ بفضله وكرمه.

يا مَن تُتْلى عليه أوصافُ جهنم، ويشاهد تنفُّسَها كلَّ عام، حتى يحسَّ به ويتألَّم، وهو مصرٌّ على ما يقتضي دُخُولَها مع أنه يعلم، ستعلم إذا جيء بها تُقاد بسبعين ألْفِ زِمام، مع كلِّ زمام سبعون ألْفِ مَلَك يجرُّونها مَن يندم، ألك صبرٌ على سعيرها وزمهريرها؟!

قل لي وتكلَّم، ما كان صلاحك يُرْجَى!!

والله أعلم[525].

ربَّنا آتنا في الدنيا حَسَنة، وفي الآخرة حَسَنة، وقِنا عذابَ النار، ربَّنا اصرفْ عنَّا عذاب جهنم، إنَّ عذابها كان غرامًا، إنها ساءتْ مُستقرًّا ومقامًا.

523 ذكره ابن رجب في "اللطائف"، وقال: أخرجه عثمان الدارمي وغيره.

524 رواه البخاري ومسلم.

525 انظر: "لطائف المعارف"؛ لابن رجب، ص: 340 - 349.

ربَّنا إنَّنا آمنا فاغفرْ لنا ذنوبنا، وقِنا عذاب النار، ربَّنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتِنا، وتوفَّنا مع الأبرار، اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر، ومِن فِتنة المحيا والممات، ومِن فتنة المسيح الدجَّال، اللهمَّ إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها مِن قول وعمل، ربَّنا تقبَّلْ منَّا، إنك أنت السميع العليم.

* * *

133- ما جاء في فصل الصَّيف

في الصحيحَيْن عن أبي هريرة عن النبي ρ قال: ((اشتكتِ النار إلى ربِّها، فقالت: أَكَل بعضي بعضًا، فأَذِن لها بنَفَسَين: نفَس في الشتاء، ونفَس في الصَّيْف، فأشدُّ ما تَجِدون من الحرِّ من سَمُوم جهنم، وأشدُّ ما تَجِدون من البَرْد من زمهرير جهنم)).

فهذا الحر يُذكِّرنا بحرِّ جهنم، ويوجِب لنا الاستعاذةَ بالله منها، وتجنُّبَ الأعمال الموصِّلة إليها، من ترْك الواجبات، وفِعْل المحرَّمات، وإضاعة الأوقات فيما لا تُحمد عقباه، وفي الحديث الصحيح: ((إذا اشتدَّ الحرُّ، فأَبرِدوا بالصلاة؛ فإنَّ شدَّة الحرِّ من فَيْح جهنم))[526]؛ يعني: صلاة الظهر.

وفي الحديث: ((إذا كان يومٌ شديد الحر، فقال العبد: لا إله إلا الله، ما أشدَّ حرَّ هذا اليوم! اللهم أجِرْني من حرِّ جهنم، قال الله لجهنم: إنَّ عبدًا من عبادي استجار بي منك، وقد أجرتُه))[527].

وممَّا يؤمَر بالصَّبْر عليه في شدَّة الحر: النفر للجهاد، والدعوة إلى الله تعالى، قال - تعالى - عن المنافقين: ﴿وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

وممَّا يؤمَر بالصبر عليه في شدَّة الحر: المشيُ إلى المساجِد لصلاة الجُمَع والجماعات، وشهود الجنائِز وتشييعها، إلى غير ذلك من العبادات كالحج.

وينبغي لِمَن كان في حرِّ الشمس أن يتذكَّر حرَّها يوم القيامة، حين تدنو من رؤوس العباد، ويزاد في حرِّها.

ويَنبغي لِمَن لا يصبر على حرِّ الشمس في الدنيا أن يتجنَّبَ من الأعمال ما يستوجب به صاحبُه دخولَ النار، فإنه لا صبرَ لأحدٍ عليها.

وممَّا يُضاعَف ثوابُه في شدَّة الحر: الصيام؛ لِمَا فيه من ظمأ الهواجر، ولهذا كان معاذ بن جبل يتأسَّف عند موته على ما فاته من ظمأ الهواجر، وكذلك غيره من السَّلَف، وكان أبو الدرداء يقول:

---

526 رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

527 قال في "لطائف المعارف": خرجه عثمان الدارمي وغيره.

صوموا يومًا شديدًا حرُّه لحرِّ يوم النشور، وصلُّوا ركعتَين في ظلمة اللَّيْل لظلمة القبور، وتصدَّقوا بصدقة السِّرِّ لحرِّ يوم عسير[528].

ومن أعظم ما يُذكِّر بنار جهنم: النارُ التي في الدنيا، قال - تعالى -: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: 73]؛ يعني: أنَّ نار الدنيا جعلها الله تذكرةً بنار جهنم، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وغسلت بالبحر مرَّتين، حتى خفَّ حرُّها، ولولا ذلك ما انتفع بها أهلُ الدنيا[529]، وكان عمر بن الخطاب τ يقول: أكْثِروا ذِكْرَ نار جهنم، فإنَّ حرَّها شديد، وقعرَها بعيد، ومقامعَها حديد.

والمصيبة العُظْمى حين تنطبق النار على أهلها، وييئسون من الفَرَج والمخْرَج، وهو الفَزَع الأكبر الذي يأمَنُه أهلُ الجنة؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 101 - 103].

قال البيضاوي في "تفسيره": "الفَزَع الأكبر هو النفخة الأخيرة؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: 87]، أو الانصراف إلى النار، أو حين يُطبق على النار، أو حين يُذْبح الموت، والله أعلم.

كل ما في الدنيا مِن نعيم يُذكِّر بنعيم الجنة، وما فيها مِن عذاب يُذكِّر بعذاب النار، وما فيها من حرٍّ يُذكِّر بحرِّ جهنم، وما فيها من برْد يذكِّر بزمهرير جهنم؛ فإنَّ الله - تعالى - جعل في الدنيا أشياءَ كثيرةً تذكِّر بالنار المعَدَّة لِمَن عصاه، وما فيها من آلام وعقوبات.

يا مَن تُتْلى عليه أوصاف جهنم، ويشاهد تنفُّسَها كل عام، حتى يحس به ويتألَّم، وهو مصرٌّ على ما يقتضي دخولَها مع أنه يعلم، ستعلم إذا جيء بجهنم تُقاد بسبعين ألْف زمام مَن يندم، ألك صبرٌ على سعيرها وزمهريرها؟! قل لي وتكلَّم[530].

أجارنا الله وإيَّاكم من عذاب جهنم بمَنِّه وكرمه.

ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار، ربَّنا اصرفْ عنَّا عذاب جهنم، إنَّ عذابها كان غرامًا، ربَّنا تقبَّل منَّا، إنك أنت السميع العليم.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

528 ذكره عنه ابن رجب في "لطائف المعارف" (177).

529 كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة.

530 انظر: "لطائف المعارف"؛ لابن رجب، ص 332 - 341، و349.

* * *

134- الزواج وفوائده وآثاره النافعة[531]

الحمد لله الذي خَلَق الإنسان، وجعل من فطرته الزوجيَّة، شأنه شأن كلِّ شيء خَلَقه في هذا الوجود: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49].

وأشهد ألاَّ إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك، وَعَد المتزوجين بالغِنى، إن هم اختاروا طريقَ العِفَّة النظيفة والإحصان، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبدُه ورسوله، الهادي إلى شريعة العدل والأمن والأمان، اللهمَّ صلِّ وسلِّم، وبارِكْ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه على السُّنة والقرآن.

أمَّا بعد، فقد قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

أيها المسلمون، الزواج في الإسلام حَرْثٌ للنسل، وسكنٌ للنفس، ومتاع للحياة، وطُمأنينة للقلْب، وإحصان للجوارح، كما أنَّه نِعمةٌ وراحة، وسُنَّة وسِتر، وصيانة ولذَّة، ولهذه المعاني المحبَّبة للنفس البشريَّة، ولِمَا ركَّبه الله - تعالى - في الإنسان من غرائز جنسيَّة، فلا بُدَّ للرجل من زوجةٍ يسكن إليها، ولا بُدَّ للمرأة من زوْج تسكن إليه.

وإنَّ تسمية الله - تعالى - لكلٍّ من الرجل والمرأة زوجًا في أكثرَ من آية لدليلٌ على أنَّ كلاًّ منهما شطر، لا يتمُّ وجوده، ولا تكتمل حياتُه إلا بصاحبه.

وفي هذه الآية الكريمة آنفة الذِّكر يأمر الله - عزَّ وجلَّ - الأولياءَ بتزويج مَن تحت ولايتهم من الأيامى رجالاً ونساءً وأبكارًا، وأن يُعينوا مَن يقف المال عقبةً في طريقهم إلى النِّكاح الحلال، ولا يجعلوا الفقر عائقًا عن تزويجهم، متى كانوا صالحين للزواج، راغبين فيه، رجالاً ونساءً، فالرِّزْق بيد الله - تعالى - وقد تكفَّل بإغنائهم إن هم اختاروا العِفَّة النظيفة والإحصان، كما في قوله — تعالى -: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

وإذا كان الله - عزَّ وجلَّ - قد أمر الأولياءَ بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرُهم بالنكاح بأنفسهم من باب أوْلَى وأحرى.

وقد رغَّب الإسلام في الزواج بصور متعدِّدة: فتارة يذكر أنَّه من سنن المرسلين، وأنهم القادة الذين يجب علينا أن نقتديَ بهداهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:

---

531 من كتاب "الخطب الطوالع والحكم الجوامع"؛ للشيخ إبراهيم بن علي الناصر ص: 285.

38]، وفي الحديث عن أبي أيوب τ: أنَّ رسول الله ρ قال: ((أربعٌ مِن سنن المرسلين: الحياء والتعطُّر، والسواك والنِّكاح))[532].

وتارةً يذكره في معرض الامتنان: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وتارةً يحرص على إتاحة فُرصة للجميع، ويُذلِّل عقباتِه ووسائلَ البحث عنه، بحيث يقدِر عليه الفقراء، فعن عائشة – رضِي الله عنها –: أنَّ النبي ρ قال: ((إنَّ أعظم النِّكاح بركةً أيسرُه مؤونة))[533]، وقال رسولُ الله ρ: ((إذا جاءكم مَن ترضون دِينَه وأمانته فزوِّجوه، إلاَّ تفعلوا تكن فِتنةٌ في الأرض، وفسادٌ كبير))؛ رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

ولَمَّا كان الإنسان بطبيعته يعشق الجمالَ، ويهوى الملاحةَ والحُسن، تَرَك الإسلامُ له الحرية في اختيار الزوجة، وأباح له النظرَ إليها قبلَ الخِطْبة، ولم يُسقط الإسلام الجمالَ من حسابه، ولكن على أساس أنَّ جمالَ الظاهر بغير جمال الباطن أمرٌ لا تُحمَد عقباه، ولَمَّا خطب المغيرة بن شعبة امرأةً وأخبر النبي ρ قال له: ((اذهب فانظرْ إليها، فإنَّه أحْرى أن يُؤدَم بينكما))؛ أي: تدوم بينكما العِشرة.

وفي الصحيحين قال رسولُ الله ρ: ((تنكح المرأة لأربع: لمالِها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدِّين تَربتْ يداك)).

وإنما رغَّب الإسلام في الزواج، وحبَّب فيه، وسهَّل طُرقَه لِمَا يترتَّب عليه من آثار نافعة، تعود على الفرْد نفسه، وعلى الأمَّة جميعًا، وعلى النوع الإنساني عامَّة، فإنَّ الغريزة الجنسيَّة من أقوى الغرائز وأعنفها، وهي تلحُّ على صاحبها دائمًا في إيجاد مجال لها، فما لم يكن ثَمَّة ما يشبعها، انتابَ الإنسانَ الكثيرُ من القلق والاضطراب، ونزعت به إلى شرٍّ منزع؛ ولهذا فالزواج واجبٌ على مَن قدر عليه، وخشي العَنَت؛ لأنَّ صيانة النفس وإعفافها من الحرام واجب، ولا يتمُّ ذلك إلا بالزواج، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب.

فمَن خاف الضررَ على نفسه ودِينه من العزوبة لا يختلف في وجوب التزوُّج عليه، فإن عَجَز عن الإنفاق على الزوجة فإنَّ الله يأمره بالعِفَّة، ويَعِدُه – سبحانه – بالغنى، فيقوله – تعالى –:: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 33].

532 رواه أحمد والترمذي، والبيهقي في "شعب الإيمان"، ورمز السيوطي لحسنه.

533 رواه أحمد والحاكم، والبيهقي في "شعب الإيمان"، ورمز السيوطي لحسنه.

ويقول الرسول ρ: ((يا معشرَ الشباب، مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّجْ، فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفَرْج، ومن لم يستطعْ فعليه بالصوم، فإنَّه له وِجاء))[534].

وفي الحديث: أنَّ رسول الله ρ قال: ((ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العَفاف))[535].

والعزوبة بدون سببٍ شذوذٌ عن الفِطْرة، لا يحبُّه الله – تعالى – لعبده المؤمن؛ ولهذا نهى – سبحانه – عن منْع المرأة المطلقة دون الثلاث من أن تنكحَ زوجها الأوَّل إذا تراضيَا بينهما على ما يُرضِي اللهَ ورسولَه، فقال – تعالى –: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [232 من سورة البقرة].

أيها الإخوة، الزواج في الإسلام عقدٌ مُقدَّس، وميثاق غليظ، وواجبٌ اجتماعي، وسكنٌ نفساني، وسبيل مودَّة ورحمة بيْن الرجال والنِّساء، يزول به أعظمُ اضطراب فطري في القلْب والعقل، ولا ترتاح النَّفْس وتطمئن في سريرتها بدونه، كما أنَّه عبادة، يستكمل الإنسان بها نصفَ دِينه، ويلقى بها ربَّه على أحسن حال مِنَ الطُّهْر والنقاء، فعن أنس τ: أنَّ رسول الله ρ قال: ((مَن رَزَقه الله امرأةً صالحة، فقد أعانه على شَطْر دِينه، فليتقِ الله في الشطر الباقي))[536]، وفي الصحيح قال رسول الله ρ: ((الدنيا متاع، وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة)).

ويُستحسن أن تكون الزوجةُ بكرًا؛ فإنَّ البكر ساذجة، لم يسبق لها عهدٌ بالرجال، فيكون التزوُّج بها أدْعى إلى تقوية عُقدة النِّكاح، ويكون حبُّها لزوجها في الغالب ألْصق بقلْبها، ولَمَّا تزوَّج جابر بن عبدالله ثيِّبًا قال له رسولُ الله ρ: ((هلاَّ بِكْرًا تلاعبها وتلاعبك؟)).

كما أنَّ مِن مقاصد الزواج الأولى إنجابَ الأولاد، فينبغي أن تكون الزوجةُ منجبة، ويعرف ذلك من سلامة بَدنِها، وبقياسها على مثيلاتها من أخوات وعمَّات وخالات، فعندما خَطَب رجلٌ امرأةً عقيمًا لا تلد، وأخبر رسولَ الله ρ نهاه، وقال: ((تزوَّجوا الودود الولود، فإنِّي مكاثرٌ بكم الأممَ يوم القيامة))؛ رواه أحمد.

وقال – تعالى –: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم آية 21].

---

534 رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

535 رواه أحمد والترمذي والنسائي، ورمز السيوطي لصحته.

536 رواه الطبراني في "الأوسط"، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وليعلم أنَّ في خُلُق المرأة عوجًا طبيعيًّا، وأنَّ محاولة إصلاحه غيرُ ممكن، فلا نتصوَّر في المرأة أو الخطيبة الكمال؛ لقول رسول الله ρ: ((المرأةُ خُلِقتْ من ضِلَع أعوج، وإنَّ أعوجَ ما في الضِّلَع أعلاه، فإنْ ذهبتَ تقيمه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزل أعوج))[537].

ولكن علينا أن نقبلَها ونصاحبها على ما هي عليه، ونعاملها كأحسن ما تكون المعاملة، ونحرِص على تأديبها وتعليمها، وإرشادها إلى الصواب إذا اعوجَّتْ في أيِّ أمر من الأمور؛ قال رسول الله ρ: ((استوْصوا بالنِّساء خيرًا))، ولا نكون كمَن يغضُّ عن مزايا الزوجة وفضائلها، ويتجسَّد في نظره بعض ما يكره من خِصالها.

فالإسلامُ يَنْصح بوجوب الموازنة بيْن حسنات المرأة وسيِّئاتها، وإنَّ الرجل إذا رأى منها ما يكره فإنَّه يرى منها ما يحب، قال رسولُ الله ρ: ((لا يَفركْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كرِه من خُلقًا، رَضِي منها خلقًا آخر))؛ رواه مسلم.

فاتَّقوا الله يا شبابَ الإسلام ورجالاته، وغُضُّوا أبصاركم عن النظر المحرَّم، وحصِّنوا فروجَكم بالحلال الطيِّب، وأطيعوا ربَّكم فيما أمركم به من النِّكاح، ينجزْ لكم ما وعدكم مِنَ الغنى، وإيَّاكم والإحجامَ عن الزواج؛ خوفًا من الاضطلاع بتكاليفه، فالأمر منوطٌ بالله - تعالى - في الفَرَج بعد الضِّيق، واليسر بعد العُسْر، وقد سمعتم آنفًا وعدَه - عزَّ وجلَّ - للمتزوِّجين بالغِنى، وأنه سيحمل عنهم الأعباءَ، ويمدُّهم بالقوة التي تجعلهم قادرين على التغلُّب على أسباب الحاجة والفقر..

فأَوْلَى للمؤمن أن يتَّبع مرضاةَ الله، وأن يعقدَ به الأمل، وأن يتَّجه إليه بالأمر كلِّه، وأن يُراقبه، ويتَّقيَه، ويُحسن الظنَّ به، فهو المانح والمانع، والقابض والباسط، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

اللهمَّ أرِنا الحق حقًّا، وارزقنا اتباعه، وأرِنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابَه، وآتنا في الدنيا حَسَنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار، برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه، إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في

537 رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

حفلات الزواج

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى مَن يراه مِن إخواننا المسلمين - وفَّقني الله وإياهم لِمَا يحبُّه ويرضاه، وجنَّبَنا جميعًا الوقوعَ فيما حرَّمه، ونهى عنه، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد شكَا إليَّ العديدُ من أهل الغَيْرة والصلاح ما فشَا في المجتمع من ظاهرة المغالاة في المهور، والإسراف في حفلات الزواج، وتنافُسِ الناس في البَذَخ، وإنفاق الأموال الطائلة في ذلك، وما يقع في الحفلات غالبًا من الأمور المحرَّمة المنكرة؛ كالتصوير واختلاط الرِّجال بالنِّساء، وإعلان أصوات المغنِّيين والمغنِّيات بمكبِّرات الصوت، واستعمال آلات الملاهي، وصَرْف الأموال الكثيرة في هذه المحرَّمات، وكل ذلك ممَّا أدَّى بكثيرٍ من الشباب إلى الانصراف عن الزواج؛ لعدم قُدرتهم على دفْع تكاليفه الباهظة، وإنَّما الجائز في الأعراس للنِّساء خاصَّة ضرْب الدف، والغِناء العادي بينهنَّ؛ إعلانًا للنكاح، وتمييزًا له عن السِّفاح، كما جاءتِ السُّنة بذلك، بدون إعلان ذلك بمكبِّرات الصوت.

وحيث إنَّ الكثير مِن الناس يفعلون تلك الأمورَ المحرَّمة؛ تقليدًا للآخرين، وجهلاً بسُنَّة سيِّد الأولين والآخرين، رأيت كتابة هذه الكلمة؛ نصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامتهم، فأقول والله المستعان:

مِن المعلوم: أنَّ النكاح من سُنن المرسلين، وقد أمر الله ورسوله به قال - تعالى -: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾ [النساء: 3] الآية، وقال - تعالى -: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32].

وقال النبي ρ: ((يا معشرَ الشباب، مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّجْ، فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفَرْج، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصوم، فإنَّه له وِجاء))[538]، وقال في حديثٍ آخر: ((لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوَّج النِّساء، فمَن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي))[539].

وأنَّ على المسلمين عامَّة، وولاة أمورهم خاصة أن يعملوا على تحقيق هذه السُّنة وتيسيرها؛ تحقيقًا لما روي عنه ρ أنه قال: ((إذا أتاكم مَن تَرْضَوْن دِينه وخُلُقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فِتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير))[540].

وروى مسلم في "صحيحه"، وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن قال: "سألتُ

---

538 رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

539 رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

540 رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

عائشة – رضِي الله عنها –: كم كان صَداقُ رسول الله ρ ؟ قالت: كان صَداقُه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونَشًّا، قالت أتدري ما النشُّ؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم".

وقال عمر τ: "ما علمتُ رسول الله ρ نكح شيئًا من نسائه ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية"؛ قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن سهْل بن سعد الأنصاري τ: أنَّ النبي ρ زوَّج امرأة على رجل فقير ليس عندَه شيء من المال بما معه من القرآن.

وروى أحمد والبيهقي والحاكم: ((أنَّ مِن يُمن المرأة تيسيرَ خِطبتها، وتيسير صَداقها))، ومع هذه السُّنة الواضحة الصريحة من أقوال الرسول ρ وفعله، فقد وقع كثيرٌ من الناس فيما يخالفها، كما خالفوا أمرَ الله ورسوله في إنفاق الأموال في غير وجهها، فقد حذَّر الله في كتابه العزيز من الإسراف والتبذير، فقال: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 26 – 27]، وقال – سبحانه –: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

وأخبر – عزَّ وجلَّ –: أنَّ من صفات المؤمنين التوسطَ والاعتدالَ في الإنفاق، فقال – تعالى – ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، وقال – تعالى –: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32]، فأمر بإنكاح الأيامى أمرًا مطلقًا؛ ليعمَّ الغني والفقير، وبيَّن أنَّ الفقر لا يمنع التزويج؛ لأنَّ الأرزاق بيده – سبحانه – وهو قادرٌ على تغيير حال الفقير حتى يصبح غنيًّا، وإذا كانت الشريعة الإسلاميَّة قد رغَّبتْ في الزواج، وحثَّت عليه، فإنَّ على المسلمين أن يبادروا إلى امتثال أمْر الله، وأمر رسوله ρ بتيسير الزواج وعدم التكلُّف فيه، وبذلك يُنجِزُ الله لهم ما وعَدَهم.

قال أبو بكر الصِّدِّيق τ: "أطيعوا الله فيما أمرَكم به مِنَ النكاح، يُنجزْ لكم ما وعَدَكم من الغِنى"، وعن ابن مسعود τ قال: "الْتمسوا الغنى في النكاح".

فيا عباد الله، اتَّقوا الله في أنفسكم، وفيمَن ولاَّكم الله عليهنَّ من البنات والأخوات وغيرهنَّ، وفي إخوانكم المسلمين، واسعَوا جميعًا إلى تحقيق البرِّ في المجتمع، وتيسير سُبل نموِّه وتكاثره، ودفْع أسباب انتشار الفساد والجرائم، ولا تجعلوا نعمةَ الله عليكم سُلَّمًا إلى عصيانه، وتذكروا دائمًا أنكم مسؤولون، ومحاسبون على تصرُّفاتكم، كما قال – تعالى –: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الحجر: 92 – 93].

ورُوي عنه ρ أنَّه قال: ((لن تزول قدمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأَلَ عن أربع عن عمره فيمَ أفناه،

وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله مِن أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن عِلْمه ماذا عَمِل به))[541].

وبادِروا إلى تزويج أبنائكم وبناتِكم، مقتدين بنبيِّكم وصحابتِه الكِرام، والسائرين على هديهم وطريقتهم، واحْرِصوا على تزويج الأتقياء ذوي الأمانة والدِّين، واقتَصِدوا في تكاليف الزواج ووليمته، ولا تغالوا في المهور، أو تشترطوا دفْع أشياء تثقل كاهلَ الزوج، وإذا كانتْ لديكم فضولُ أموال، فأنفقوها في وجوه البِرِّ والإحسان، ومساعدة الفقراء والأيتام، وفي الدعوة إلى الله وإقامة المساجد، فذلك خيرٌ وأبقى، وأسلم في الدنيا والآخرة، مِن صَرْفها في الولائم الكبيرة، ومباهاة الناس في مثل هذه المناسبات.

وليتذكَّرْ كلُّ مَن فكَّر في إقامة الحفلات الكبيرة، وإحضار المغنِّيين والمغنيات لها، ما في ذلك من الخَطَر العظيم، وأنَّه يُخشى عليه بذلك أن يكون ممَّن كَفَر نعمة الله ولم يشكرْها، وسوف يَلْقى الله ويسأله عن كلِّ ما عمل، فلْيقتصدْ في ذلك، وليتحرَّ في حفلات الأعراس وغيرها ما أباح الله دون ما حَرَّم.

وينبغي لعلماء المسلمين وأمرائهم وأعيانهم أن يُعنَوا بهذا الأمر، وأن يجتهدوا في أن يكونوا أسوةً حسنة لغيرهم؛ لأنَّ الناس يتأسَّوْن بهم، ويسيرون وراءَهم في الخير والشر، فرحم الله امرأً جعل من نفسه أسوةً حسنة، وقُدوةً طيِّبة للمسلمين في هذا الباب وغيره، ففي الحديث الصحيح عن النبي ρ أنه قال: ((مَن سنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنة، فله أجْرُها وأجر مَن عمِل بها مِن بعده، لا ينقص ذلك مِن أجْره شيئًا...)) الحديث.

وأسأل الله أن يمنَّ على المسلمين بالتوبة الصادقة، والعمل الصالِح، والفِقه في الدِّين، والعمل بالشريعة المطهَّرة في كلِّ شؤونهم، حتى تستقيمَ أمورُهم، وتصلح أحوالُهم، ويسعد مجتمعُهم، ويَسْلَموا من غضب الله وأسبابِ عقابه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

* * *

135- فوائد

1- الخلق العظيم:

541 رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

الخُلُق العظيم الذي وَصَف به الله محمدًا ρ هو الدِّين الجامِع لجميع ما أَمَر الله به مطلقًا، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبُّه الله بطِيب نَفْس، وانشراح صَدْر.

2- أرجح المكاسب:

أرجحُ المكاسِب التوكُّلُ على الله، والثِّقة بكفايته، وحُسْن الظنِّ به، وأخْذ المال بسخاوة نَفْس، مِن غير أن يكون له في القلْب مكانة، ولكنَّه يسعى في تحصيله وتنميته لإقامة ما عليه من واجبات ومستحبَّات، وللاستغناء عن الخَلْق.

3- أكمل أنواع طلب العلم:

وأكمل أنواع طلب العلم: أن تكونَ همَّة الطالب مصروفةً في تلقِّي العلم الموروث عن النبي ρ وفَهْم مقاصِد الرسول في أمره ونهيه، وسائرِ كلامه، واتِّباع ذلك وتقديمه على غيره، وليعتصم في كلِّ باب من أبواب العلم بحديثٍ عن الرسول ρ من الأحاديث الصحيحة الجوامع[542].

4- الشكر:

وهو مبنيٌّ على خمس قواعد: خضوعِ الشاكر للمشكور له، وحبِّه له، واعترافِه بنعمته، والثناءِ عليه بها، وألاَّ يستعملها فيما يكره.

5- الحياء:

الحياء خُلُق ناشئ عن حياة القَلْب، ورؤية الآلاء (النِّعم الغزيرة)، ورؤية التقصير في حقوق ربِّه، ويثمر اجتنابَ المحرَّمات، والقيامَ بالواجبات؛ ولهذا قال ρ: ((الحياءُ لا يأتي إلاَّ بالخير))؛ متفق عليه.

6- الجود والبخل:

البخل ثمرة الشح، وهو منْع الحقوق الواجبة، والإيثار ثمرةُ الجود، والجود عشر مراتب: الجود بالنَّفْس، والجود بالراحة، والجود بالعِلم، والجود بالمال، والجود بالجاه، والجود بنَفْع البدن، والجود بالعِرْض، والجود بالعفو عن جنايات الخَلْق، والجود بالخُلُق والبِشْر والبَسْطة، والجود بتركه ما في أيدي الناس، وهذا غيرُ الجود بالمال، ولكلِّ واحدةٍ من هذه ثمراتٌ جليلة طيِّبة.

7- الأدب:

الأدب اجتماعُ خصال الخير في العبد، وهو ثلاثة أنواع:

أدب مع الله - تعالى -: بأن يصون قَلْبه أن يلتفتَ إلى غيره، أو تتعلَّق إرادته بما يَمقُته عليه، ويصون معاملتَه أن يشوبها بمعصية.

542 انظر: "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول"؛ مما اختاره الشيخ عبدالرحمن السعدي من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ص: 166- 167.

وأدب مع الرسول ρ: بكمال الانقياد، وتلقِّي خبرِه بالقَبول والتسليم والتصديق، وألاَّ يعارضه بغيره بوجه من الوجوه.

وأدب مع الخَلْق: بمعاملتهم على اختلاف مراتِبهم بما يليق بهم، ويُناسِب حالَهم.

8- الأخلاق:

الدِّينُ كلُّه خُلُق، فمَن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدِّين، وحسن الخُلق يقوم على أربعة أركان: الصَّبْر، والعِفَّة، والشجاعة، والعدل، فالصبر يحمله على الاحتمال، وكظْم الغَيْظ، والحِلم والأناة، والرِّفق وعدم الطيش والعَجَلة.

والعِفَّة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القوْل والفِعْل.

والشجاعة تحمله على عِفَّة النفس، وإيثار معاني الأخلاق والشِّيَم، وعلى البذْل والنَّدى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كَظْم الغيظ والحِلم، فإنَّه بقوَّة نفسه وشجاعتها أمسكَ عِنانَها عن النَّزْع والبَطْش، وحقيقة الشجاعة مَلَكةٌ يقتدر بها على قَهْر خصمِه.

والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسُّطه بيْن طرفي الإفراط والتفريط، فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة، ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم، والشهوة والغضب[543].

وجِماع حُسْن الخُلُق مع الناس: أن تصلَ مَن قطعَك بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار والثناء، والزِّيارة له، وتُعْطي مَن حَرَمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفوا عمَّن ظلَمك في دمٍ أو مال أو عِرْض، وبعض هذا واجب، وبعضه مستحب[544].

9- الصراط المستقيم:

القول الجامع في تفسير "الصراط المستقيم": هو الطريق الذي نَصَبَه الله لعباده على ألْسِنة رُسلِه، وجَعَله موصلاً لعباده إليه، ولا طريقَ لهم سواه، وهو إفراده بالعبودية، وإفرادُ رسله بالطاعة، وهو مضمونُ شهادة ألاَّ إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله.

ونُكتة ذلك وعَقْده: أن تحبَّه بقلْبِك كلِّه، وترضيَه بجهدك كله، فلا يكون في قلْبِك موضعٌ إلا معمور بحبِّه، ولا تكون لك إرادةٌ إلا متعلِّقة بمرضاته، وهذا هو الهُدى ودِين الحق، وهو معرفةُ الحق والعمل به، ومعرفة ما بعث الله به رُسلَه، والقيام به عِلمًا وعملاً، واعتقادًا ودعوةً، فقُلْ ما شئت من

543 المصدر السابق ص: 258- 259.

544 المصدر السابق 166.

العبارات التي هذا أحسنُها، وقُطْب رَحاها[545].

10- ما أمر الله به أن يوصل:

قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21]، يدخل في هذا ظاهرُ الدِّين وباطنُه، وحقُّ الله وحقُّ خَلْقه، فيَصِلون ما بيْنهم وبيْن الله بالقيام بحقِّ عبوديته، والاجتهاد في تكميلها ظاهرًا وباطنًا.

وأَمَرَنا أن نَصِل ما بيْننا وبيْن الرسول ρ بالإيمان به وتصديقه، وتحكيمه في كلِّ شيء، واتباعه، وتقديم محبَّته على محبَّة كلِّ أحد.

وأَمَرَنا أن نصلَ ما بيننا وبين الوالدَيْن ببرِّهم، وبصلة الأرحام، والقيام بحقِّ الجيران والأصحاب والعيال، والمعاملين وجميع المخالطين، بأن نأتيَ إليهم ما نحبُّ أن يأتوه إلينا، وأن نصلَ ما بيْننا وبيْن الحفَظَة الكِرام الكاتبين، بأن نُكرِمَهم، ونستحي منهم، فهذا كله ممَّا أَمَرَ الله به أن يُوصَل[546].

11- قاعدة في الإنابة:

الإنابةُ التي تكرَّر ذِكرها في القرآن أمرًا ومدحًا، وترغيبًا وآثارًا جميلة، هي: الرجوعُ إلى الله، وانصراف دواعي القلْب وجواذبه إليه، وهي تتضمَّن المحبَّةَ والخشية.

والناس في إنابتهم درجاتٌ متفاوتة:

فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفاتِ والمعاصي، والحامل عليها الخوف والعلم.

ومنهم المنيب إلى الله في أنواع العبادات، فهو ساعٍ بجهده، ومصدرها الرَّجاء، ومطالعة الوعد والثواب، وهؤلاء أبسطُ نفوسًا من الأوَّلين، وكلٌّ منهما منيب بالأمرين، ولكن يغلب الخوفُ على الأوَّلين، والرجاءُ على الآخرين.

ومنهم المنيب إليه بالتضرُّع والدُّعاء، وكثرة الافتقار، وسؤال الحاجات كلِّها، مع قيامهم بالأمْر والنهي.

ومنهم المنيب إلى الله عندَ الشدائد فقط إنابةَ اضطرار، لا إنابة اختيار.

وأعلى أنواع الإنابات: إنابة الرُّوح بجملتها إليه؛ لشِدَّة المحبَّة الخالصة، المغنِية لهم عمَّا سوى محبوبهم، وحين أنابتْ إليه لم يتخلَّف منهم شيءٌ عن الإنابة، فإنَّ الأعضاء كلها رعيتَها، وأدَّت وظائفَها كاملةً، فساعةٌ مِن إنابة هذا أعظمُ مِن إنابة سِنين مِن غيره، وذلك فضْلُ الله يؤتيه مَن

545 انظر: "بدائع الفوائد" ج 2 ص 40.

546 "عدة الصابرين"؛ لابن القيم ص: 25.

يشاء[547].

12- قاعدة شريفة:

الناس قسمان: عِلْيَة وسَفِلَة، فالعِلية مَن عرف الطريقَ إلى ربِّه، وسلكها قاصدًا للوصول إليه، والسفلة مَن لم يعرف الطريقَ إلى ربِّه، ولم يتعرَّفها، والطريق إلى الله واحد لا تَعدُّد فيه، وهو صراطُه المستقيم، الذي نصَبَه موصلاً لِمَن سلكه إلى الله.

فمِن الناس مَن يكون سيِّدُ عمله وطريقه إلى ربِّه طريقَ العلم والتعليم، قد وفر عليه زمانَه، مبتغيًا به وجهَ الله، فلا يزال عاكفًا على طريق العِلم، حتى يصلَ من تلك الطريق إلى الله - تعالى - ويفتح له فيها الفتح الخاص، أو يموت في طريق طلبه، فيُرجى له الوصول إلى مطلبه.

ومنهم مَن يكون سيِّدُ عمله الذِّكْر، ومنهم مَن يكون سيِّد عمله الصلاة، ومنهم مَن يكون طريقُه الإحسانَ والنفع المتعدي، ومنهم مَن يكون طريقُه الصوم، ومنهم مَن يكون طريقُه كثرةَ تلاوة القرآن، ومنهم مَن طريقه الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم مَن طريقه الحجَّ والاعتمار، ومنهم مَن يكون طريقُه قطعَ العلائق، وتجريد الهِمَّة، ودوام المراقبة، وحِفْظ الأوقات أن تذهب ضائعة، ومنهم الجامع الفَذُّ السالك إلى الله في كلِّ وادٍ الواصل إليه من كلِّ طريق، فهو جَعَل وظائف عبوديتَه قِبلة قلبه، ونصب عينيه، وقد شارَكَ أهلَ كلِّ عمل، وذلك فضْل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضْل العظيم[548].

13- قاعدة نافعة:

العبدُ من حين استقرَّت قدمُه في هذه الدار، فهو مسافرٌ فيها إلى ربِّه، ومُدَّةُ سفره هي عُمُره، والأيام والليالي مراحلُ، فلا يزال يطويها حتى ينتهيَ السَّفر، فالكيِّس لا يزال مهتمًّا بقطْع المراحِل فيما يُقرِّبه من الله؛ ليجدَ ما قدَّم مُحضرًا.

ثم الناس منقسمون إلى أقسام: منهم مَن قطعها متزودًا ما يقرِّبه إلى دار الشقاء من الكُفْر، وأنواع المعاصي، ومنهم مَن قطعوها سائرين فيها إلى الله، وإلى دار السلام، وهم ثلاثة أقسام:

سابقون أَدَّوُا الفرائض، وأكثروا من النوافل بأنواعها، وتركوا المحارمَ والمكروهات، وفضولَ المباحات.

ومقتصدون أَدَّوُا الفرائض، وتركوا المحارِم.

ومنهم **الظالم لنفسه** الذي خَلَط عملاً صالحًا وآخرَ سيئًا، وهم في ذلك متفاوتون تفاوتًا

547 "طريق الهجرتين وباب السعادتين"؛ لابن القيم ص: 218 - 220.

548 "طريق الهجرتين وباب السعادتين"، ص: 223 - 227.

عظيمًا[549].

* * *

136- أحكام المغالبات

المغالبات ثلاثة أقسام:

الأول: محبوب مرضيٌّ لله ورسوله، مُعِين على محابِّه كالسِّباق بالخيل والإبل والسِّهام، فهذا يُشرع مفردًا عن الرَّهْن، ويُشرع فيه كلُّ ما كان أدْعى إلى تحصيله، فيشرع فيه بَذْلُ الرهن من هذا وحدَه، ومنهما معًا، ولو لم يكن فيه مُحلِّل على الصحيح، ومِن الأجنبي، وأكْل المال به أكلٌ بحق، ليس أكْلاً بباطل، وليس من القمار والميسر في شيء.

والنوع الثاني: مبغوضٌ مسخوطٌ لله ورسوله، موصل إلى ما يكرهه الله ورسوله، كسائرِ المغالبات التي تُوقِع العداوةَ والبغضاء، وتصدُّ عن ذِكْر الله وعن الصلاة، كالنرد والشطرنج، وما أشبهها، فهذا محرَّم وَحْدَه ومع الرهان، وأكْلُ المال به ميسرٌ وقِمار كيف كان، سواء من أحدهما، أو مِن كليهما، أو مِن ثالث، وهذا باتِّفاق من المسلمين، فأمَّا إن خلاَ عن الرهان فهذا حرامٌ عند الجمهور.

الثالث: ليس بمحبوب لله ولا مسخوط له، بل هو مباح لعدم المضرَّة الراجحة؛ كالسِّباق على الأقدام، والسباحة وحمل الأحجار والصراع، ونحو ذلك، فهذا النَّوْع يجوز بلا عوض، وأمَّا مع العوض فلا يحل؛ لأنَّ تجويز أكْلِ المال به ذريعةٌ إلى إشغال النفوس به، واتخاذه مكسبًا، لا سيَّما وهو من اللهو واللعب الخفيف على النفوس، فتشتدُّ رغبتُها فيه من الوجهين، فأُبيح بنفسه؛ لأنه إعانةٌ، وإجمام للنفس وراحة لها، وحرم أكْل المال به؛ لئلاَّ يُتَّخذَ صناعة ومتجرًا، فهذا من حِكمة الشريعة ونظرها في المصالِح والمفاسِد ومقاديرها.

والمسابقة على حِفْظ القرآن، وأخذ الرهان فيه، وفي الحديث والفِقه وغيره من العلوم النافعة، والإصابة في المسائل، جوَّزَه أصحابُ أبي حنيفة، وشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وهي صورة مراهنة الصِّدِّيق لكفَّار قريش على صِحَّة ما أخبرهم به وثبوته[550]، ولم يقم دليلٌ على نسخه، وقد أخذ الصديق رهنَهم بعد تحريم القِمار، والدِّينُ قيامُه بالحُجَّة والجهاد، فإذا جازتِ المراهنة على آلات

549 المصدر السابق ص: 223 - 226.

550 من غلبة الروم للفرس بعد نزول قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1 - 4].

الجهاد، فهي بالعِلم أوْلى بالجواز، وهذا هو القول الراجح[551].

* * *

137- كليات الأحكام

النبي ρ قد نصَّ على كليات الأحكام؛ ما يحرُم من النِّساء وما يَحِلُّ، فجميع أقارب الرجل من النِّساء حرامٌ عليه، إلا بنات عمِّه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته.

وحرَّم في الأشربة كلَّ ما يُسكِر، وقد جاء حَصْر المحرَّماتِ في قوله - تعالى -﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32].

فكل ما حُرِّم تحريمًا مطلقًا عامًّا لا يُباح في حال، فهو داخل في هذه المذكورات، وجميع الواجبات في قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: 29]، فالواجب كلُّه محصور في حقِّ الله وحقِّ عباده، وحق الله على عباده: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقوق عباده: العدل.

ثم إنَّه - تعالى - فصَّل أنواعَ الفواحش والبغي، وأنواعَ حقوق العباد في مواضعَ أُخَر، ففصَّل المواريثَ، ومَن يستحقُّ الإرث ممَّن لا يستحقُّه، وما يستحقُّ الوارث بالفَرْض والتعصيب، وبَيَّن ما يَحِلُّ من المناكح وما يَحرُم، وغير ذلك من نصوصه الكُليَّة، التي لا يشذُّ عنها شيء[552].

* * *

138- علامات صحة القلب

1- كَثرةُ ذِكْر الله - تعالى - سرًّا وجهرًا، وخدمته في كلِّ حال، بلا عجز ولا مَلَل.

2- إذا فات الإنسان ورِدُه مثل: الصلاة مع الجماعة، والقراءة، وأذكار الصباح والمساء، مِن لَيْل أو نهار، تألَّمَ لذلك، وتحسَّر على فواته.

3- شُحُّه بالوقت يمضي ضياعًا، بلا علم ولا عمل، ولا ذِكْر، كالشحيح ببَذْل المال.

4- الاهتمامُ بالله وحدَه دون سواه.

---

551 انظر: "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول"؛ لابن سعدي، ص: 287، نقلاً عن كتاب "الفروسية"؛ لابن القيم، وانظر: كتاب "الفروسية" ص: 4 و22 - 23.

552 "طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول"، ص: 212، ممَّا اختاره الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي من كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة وفتاواه، ومؤلفات ابن القيم.

5- ذَهابُ الهمِّ في الدنيا وقتَ الصلاة، والاهتمام بها، وشدة الخروج منها.

6- الاهتمام بتصحيح الأقوال والأعمال، وإخلاص النيَّات، وتخليص النصيحة من غير غشٍّ يمازج صفوَها، والحرص على اتِّباع الأمر والنهي الشرعي، وذلك فضْل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم[553].

* * *

139- أقسام المشهود عليه

1- ما لا يُقبَل فيه إلا أربعةُ شهود عدول، يُصرِّحون برؤيتهم له، وهو الزِّنا واللواط.

2- ما لا يُقبَل فيه إلا ثلاثة رجال، وهو مَن عُرِف بغنًى إذا ادَّعى أنه فقير؛ ليأخذَ من الزكاة.

3- ما لا يَكْفي فيه إلا رجلان عدلان، كالحُدود والقِصاص، والنكاح والطلاق والرَّجْعة.

4- ما يُقبَل فيه رجلان، أو رجل وامرأتان، أو شاهِد ويمين المدَّعِي، وهو المال، وما يقصد به المال.

5- ما يُقبل فيه شهادةُ امرأة عدل، وهو ما لا يطَّلع عليه الرِّجال غالبًا من عيوب النِّساء والرضاع، والجراحات التي لا يحضرُها إلا النِّساء.

6- ما يُقبَل فيه شهادةُ الكفَّار، كالوصية في السَّفَر إذا تعذَّر وجود غيرهم[554].

* * *

140- إعلان عن الدخان وغيره

الحمد لله ربِّ العالمين، المستحقِّ لجميع المحامد والكمال والجلال، وأصلِّي وأُسلِّم على نبيِّه ورسوله محمَّد ρ الذي اصطفاه واجتباه، وفضَّلَه على جميع بريَّتِه، وقرَن ذِكْرَه بذكْرِه، وشَقَّ له مِن اسمه؛ ليجلِّه، فحاز من ربِّه أسْنَى المقامات وأعلى الكمال، وعلى آله وصحبه خيرِ صَحْب وآل.

أمَّا بعدُ:

فهذه نُبْذَة مختصرة في ذِكْر شيءٍ من أضرار الدُّخان، وما يَتَرَتَّب عليه، وذِكْر الأدلَّة الدالَّة على أنَّه من الخبائث التي حرَّمَها الله؛ قال - تعالى -: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا

---

553 انظر: "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" (1/71 – 72) لابن القيم.

554 "القواعد والأصول الجامعة"؛ لابن سعدي ص: 152 - 153.

عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 156 - 157]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172].

فبيَّن - تعالى - أنَّه بعَث نبيَّه محمدًا ρ إلى جميع الثَّقَلَين يأمرهم بالمعروف.

والمعروف هو الذي تَعْرِف حُسنَه العقولُ والفِطَرُ السليمة، وتطمئن له، ويعود نفعُه إلى الخُلق في مَعَاشِهم ومَعَادِهم، وتستقيم به حياتُهم ومجتمعاتُهم، وينهاهم عن المنكر الذي تنكره وتنفر منه العقولُ السَّليمة، وتعرف ضررَه في العاجِل والآجِل، ممَّا يضرُّها في معاشها ومعادها، وأبدانها وعقولها، وعاجِل أمرها وآجله.

وأخبر - جلَّ ذِكْرُه -: أنَّه أمَر نبيَّه أن يُحِلَّ لهم الطيبات، ويُحَرِّم عليهم الخبائث، فأمَرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين بالأكْل من الطيبات، فصرَّح لهم - جل ثناؤُه - بإباحتها واستعمالها، والتلذُّذ بها وشكره عليها، ومِنْ شكرها الاستعانةُ بها على طاعته ومرضاته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وأخبر في مُحكَم كتابه العزيز: أنَّه أمَر نبيَّه عن أمره وتشريعه بحِلِّ الطيبات وتحريم الخبائث، وهذا من بلاغةِ القرآن، فإنَّ هذه الجملة القصيرة عامَّةٌ بحِلِّ الطيبات من المآكِل والمشارب، والملابس والمناكِح، وجميع المباحات.

كذلك حرَّم عليهم جميعَ الخبائث ممَّا يضرُّهم من المآكل والمشارب، والملابس والمناكِح، وجميع المحرَّمات، فإنَّ الشارع الحكيم لَم يُحَرِّم على الأُمَّة إلا ما يضرُّهم في معاشهم ومعادهم، وعاجِل أمرهم وآجله.

ومِن جملة الخبائث الظاهِر ضررُها: الدُّخَان، الذي ابتُلِي به جُملةٌ من الناس، وصار لديهم - والعياذ بالله - كالمباح، مِن جهلهم بما ينفعهم ويضرُّهم، فاستحسنوا القبيح، مع أنَّه لا يَخفى قُبحُه وضررُه على جميع الناس، ممَّن استعمله، وممَّن لم يستعملْه، وفيه من الضرر ما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ، ولنذكر من ذلك طَرَفًا من مضارِّه:

1- فمن ذلك: أنَّه يُضعِف البدن، ويُوهِي قوَاه المادية والرُّوحيَّة.

2- ومن ذلك: أنَّه يُحْدِث السُّعال المؤدِّي إلى مرض السُّل الرِّئَوي، ومرض القلب؛ فيحدث موتَ السَّكْتة القلبية، فيا عجبًا ممَّن يضرُّ نفسه، بل يقتل نفسه بنفسه!

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ = مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

3- ومن ذلك: أنَّه يُحدِث الرائحةَ الكريهة في الفم، من اصفرار الأسنان، وتراكُم الأوساخ عليها، فيؤدِّي ذلك إلى تآكُلِها وذَهابها.

4- ومن ذلك: أنَّ جملةً منَ الأطبَّاء المعتبرين الحُذَّاق قرَّروا أنَّه يُحدِث داءَ السرطان الرِّئوي، ولو لَمْ يكن فيه إلا هذه المضَرَّة الواحدة، لكان الجديرُ بالعاقل اللبيب - الذي يحافظ على صحته وحياته وكيانه - أن يجتنبَه.

5- ومن ذلك: أنَّه مِن أكبرِ دسائس الشيطان، التي يستدرج بها الإنسانَ إلى ما هو أعظم منه، فإنه وسيلةٌ وبريد للمُسْكِرات - أمهات الخبائث - من الحشيشة والخمر والأفيون - أعاذنا الله من ذلك.

6- ومن ذلك: ما فيه من إضاعة المال، الذي يعود عليه ضررُه ووِزرُه، ويعاقَب عليه.

7- وجميع المسلمين قد رَأَوا خبثه وضَرَرَه، وما رآه المؤمنون حسنًا، فهو عندَ الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحًا، فهو عند الله قبيح.

8- وقد قال بعض الأطباء المعْتَبَرِين: إنَّه لا يشرب الدخان إنسانٌ سليم العقل، بل كلُّ مَن يشربه فإنَّه مصابٌ في عقله بشُعبةٍ من الجنون؛ لأنَّه لو كان عنده عقل قويم، مستقيم كامل، لَمْ يُدْخِلْ دخانًا في جوفه، فإنَّه يعمل في جوفه، ويؤثِّر فيه، كما يؤثر الدخان في جدران المنزل الذي تشبُّ فيه النار.

فليُحَكِّمِ الإنسانُ عقْلَه، ولينظرْ في مصلحته، وليحتفظ بصحَّته، وليتدبَّر إرشادات سيِّدِه أرحم الراحمين، الذي هو أرحمُ بك من نفسك، قال - تعالى -: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، ومَن قتل نفسه أو تَسَبَّب لها بقتْل، فقد أوجبَ الله له النار - والعياذ بالله - وكلُّ عاقلٍ ينظر لعواقب الأمور، وما تؤول إليه، والعاقل يبذل كلَّ سبب لصحَّة بدنِه.

وقد حاولتْ بعضُ الدول الأوروبية منعه؛ لِمَا رَأَتْ فيه من الضرر والفَتْك في العالَم، فكم له من ضحية! وكم أوقع في بلية! وكم جرَّ إلى رَزيَّة، مع إخلالٍ في المروءة والشرَف، والقَدْح في الشهادة!

9- ومن ذلك: أنَّه يؤدِّي إلى مصاحبة قُرَناء السُّوء، مِن الفَسَقة، والسَّفِلة، وذوي الأخلاق المنْحَطَّة، الذين كثيرٌ منهم لا خَلاقَ لهم في الآخرة.

ولو استَقْصَيْنا ذِكْرَ مضارِّه لَسَجَّلْنا من ذلك سِفْرًا ضخمًا، ولكن العاقل اللبيب تكفيه الإشارة، فما أجدرَ ذوي العقول الحصيفة، المريدين السلامة لصحتهم، ومروءاتهم وذويهم، أن يجتنبوا هذا الخبيثَ الذي تَقدَّم بيانُ شيء من مضارِّه، والأدلَّة عليها، مع أنَّ العالَمَ بأجمعه لَمْ يعرفْ فيه فائدةً واحدة، بل إنَّه محشوٌّ بالمضارِّ التي لا يُحصيها إلا الله!

وقد عوَّضَنا اللهُ عن الخبائث بالطيِّبات النافعة اللذيذة، بما فيه غُنية وكفاية تامَّة عمَّا حرَّم الله علينا، قال – تعالى –: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: 32]، فقد أباحها المنْعِم المتفضِّل بها، ومنَحَها عبادَه المؤمنين، وأمَرَهم بتناولها والاستمتاعِ بها في الحياة الدنيا حلالاً طيِّبًا، خالصةً لهم يومَ القيامة من الشوائب، وحرَّمها على الكافرين في الدنيا، وأخْبر أنَّهم محاسَبون عنها، معاقَبون عليها، محرومون منها يومَ القيامة.

وبالجملة، يجب على جميع المسلمين محاربةُ جميع الخبائث والمنكرات، وتغييرُ وإنكار ما فشَا منها وظهر، ومن أعظم ذلك:

1- ترْك الصلاة، الذي هو الكُفْر.

2- ومن ذلك: تأخيرها عن وقتها؛ كتأخير صلاة الفَجْر إلى ما بعد طُلُوع الشمس، والعصر إلى غروبها، فإنَّ ذلك من أعظمِ الذنوب، وهو أعظمُ من الزِّنا وشُرب الخمر – أعاذنا الله جميعًا من ذلك كلِّه.

3- ومن ذلك: تبرُّج النساء في الملابس والزِّينة الخليعة، واختلاطهنَّ بالرِّجال في بعض الدوائر والمعارض، الذي أرْبَى على تبرُّج الجاهلية الأولى، فهذا – واللهِ – لا يقرُّه الدِّين، ولا يرْضى به، بل إنه يضادُّ الشَّرْع الشريف من كافَّة الوجوه، ويضادُّ الأخلاق السامية، والمروءة والشَّرَف، بل لا يَرْضى به مَنْ في قلْبه إيمانٌ، ولا يقرُّه، فالله المستعان.

فإنْ دام هذا ولَم يحدث له تغييرٌ، فإنه — واللهِ – مُؤْذِن بعقوبة تحول مِن السَّرَّاء إلى الضرَّاء، وتحول النِّعْمة نقمةً، وسُنَّة الله في عباده واحدة.

وقد شاهدْنا وسمعْنا ما حلَّ من العقوبات المنوَّعة في الماضين والحاضرين، والمجاورين والقاصِين، من الزلازل والرَّجْف، والتدمير والخَسْف، والغرَق والقصْف ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53]، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14]، لمن ضيَّع أمره، وارتكب نهيه ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: 16]، فقد كاد يكون المنكرُ معروفًا، والمعروفُ منكرًا، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

4- ومن ذلك: عكوف كثيرٍ من الناس على الملاهي، من راديو وتلفزيون، وسينما وفيديو، بما فيها مِنَ النَّشرات والأصوات الخليعة، التي تَهدِم الأخلاقَ الفاضلة، وتنشأ العوائل عليها نشأةً لا تُحمَد عُقْباها من الأخلاق الرذيلة:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ = فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوا

5- ومن ذلك: إضاعةُ أوقاتهم وأعمالهم النفيسة على تلك الملاهي والمنكَرات، التي تُفْضِي بهم إلى الأخلاقِ السافلة:

.... = فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْضِي سَبَهْلَلاَ

فإنَّ الوقت أنفسُ النفائس، والوقت إنْ قطعتَه بما ينفعُك، وإلا قطعَك بما يضرُّك، والنفس إن شغلتها بالحق، وإلا أشغلتْك بالباطل، وكلُّ ما خلا الله باطل، وكل لحظة تُبْعِد الإنسانَ من الدنيا، وتقرِّبه مِن الآخرة، والدنيا نَفَسٌ من أنفاس الآخرة:

فَمَا هِيَ إِلاَّ سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي = وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ

* * * *

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ = إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِ

فساعات عمرك ثلاثٌ: ساعة مضتْ بما فيها، وساعتك الراهنة، فاغتنم عملاً صالحًا فيها، وساعتك الغائبة ما تدْري ما الله قاضٍ فيها.

وليس ينفعُ العبدَ سوى الباقياتِ الصالحات، التي يقدِّمها لنفسه، ولا مَنْجى من عذاب اللهِ وعقوبته إلا بتقواه وعبادته، وإقامة شرْعه، وتحكيم كتابه وسُنَّة نبيه؛ قال - تعالى -: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: 43]، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

عصَمَنا الله وجميعَ المسلمين عن جميع ما يَترَتَّب عليه غضبه، ومَنَّ علينا جميعًا بالاستقامة على ما يُرْضيه، إنَّه جوادٌ كريم، وهو حسبُنا ونعْم الوكيل، وهو المستعان وعليه التُّكلان.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحْبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

في 15 ذو القعدة سنة 1383هـ.

أملاه الفقيرُ إلى الله عبدالله المنصور الزامل - رحمه الله.

* * *

كيف تترك التدخين[555]؟

555 للأستاذ حمد بن بكر العليان.

أخي الشاب، التدخين إحْدى وسائل الاعتداء على جسدِك باتِّفاق الأطبَّاء، وهو مِن العادات التي انتشرتْ في المجتمع رغمَ ضررها البالِغ عليه، والسيجارة التي يتناولها المدخنون تُصنَع من نبات يُقال له: (التبغ)، وهو مادة مُرَّة الطَّعْم مخدِّرة، تحتوي على مواد سامة، وقد قُدِّمت لبعض الكلاب والقِطَط، فعافتها واستَقْذَرَتْها، والدخان الذي يتطايَر من السيجارة به أنواع من السُّموم الفتَّاكة، تؤثِّر في جِسْم المدخن، كلها توجد في الدُّخَان الذي تتناوله، فبعضها يسبب تخريشًا في الجلد، والآخر يسبِّب البُصاق، والسُّعال، وظهور اللَّوْن الأصفر عند المدخن، وقد أُجريت تَجارِبُ للتخلص من هذه السموم، ولكنَّها باءتْ بالفشل، والآن نذكر أضرار التدخين:

أولاً: أضرار التدخين الصِّحيَّة:

في الحقيقة أنَّ التدخين يُعتبر أَلَدَّ أعداء الصِّحة، وسنذكر بعضَ الأضرار التي يُسَبِّبها التدخينُ على صِحَّة الإنسان، تاركين الكيفيَّة، والحالات الشاذَّة:

1- السموم التي ذكرْناها تفتك بالأغشية الرقيقة، الملتَفَّة حولَ الأوتار الصوتية، فيُسبِّب ذلك البحَّةَ عند المدخن.

2- يسبِّب التدخين ضِيقًا في التنفُّس؛ بسبب خراب الأكياس الهوائية في الرِّئتين، ويُسَبِّب آلام الحلْق.

3- يُضعِف حاسَّةَ الشم والذوق، والنظر والقدرة على تمييز الألوان.

4- يَزيد من عدد نبضات القلْب، فينتج عن ذلك السكْتةُ القلبية.

5- تتكدَّس السُّموم في الكبد، فيشعر المدخِّن بالتعَب والإرهاق لأيِّ مجهود؛ لأنَّ الكبد لا يستطيع حجزَ السموم بهذه الكثرة.

6- ارتفاع في ضغْط الدم، وتَصلُّب الشرايين، الذي يؤدِّي إلى موت الفَجْأة.

7- أثبت أحدُ الأطبَّاء أنَّ التدخين هو سببٌ مباشر لسرطان الرِّئة، وذلك بأن أحضر عددًا من الفئران، ووَضَع على جلدها محلولَ دخان السيجارة، فظهر بعد خمسة عشر يومًا ورمُ سرطان، وكذلك سرطان الرِّئة يندر بيْن غير المدخنين، وقد مات بهذا المرض في عام 1963م في بريطانيا 25 ألف شخص، وفي أمريكا 41 ألف شخص.

8- كثره السُّعال عند المدخنين، والتدخين يسبِّب كذلك توقفًا في نموِّ الجسم.

9- التدخين مُفَتِّرٌ للأعصاب والمخ؛ لأنَّه يُحدِث انتعاشًا وقتيًّا فيها، فيظن المدخن أنَّه يشعر بالراحة عندَ التدخين.

10- المدخِّن لا يستطيع القيامَ بأيِّ نشاط رياضي، وإنْ قام به فهو مهْزُوز.

ثانيًا: أضرار التدخين النفسيَّة:

1- هبوط مستوى الذَّكاء.

2- حب التَّسَلُّط عند المدخن.

3- المزاج العصبي، والقلق، والشرُود.

4- ملامِح شخصية المدَخِّن غير متميزة، بل متذبذبة (إمَّعة).

ثالثًا: أضرار اجتماعيَّة واقتصاديَّة:

1- وُجِدَ أنَّ ما يصرفه 60 مليون مدخن في أمريكا، يساوي 4 مليارات دولار في العام... (فكِّر).

2- يسبِّب معظمَ الحرائق بسبب تحرُّك بقايا السجائر.

3- أنَّ إنفاق المال فيه إسرافٌ وتبذير في معصية الله.

4- كون رائحتِه تؤذي الناسَ الذين لا يستعملونه وتضايقهم.

كيف تترك التدخين:

وبعد أن اقتنعتَ بأضرار التدخين على نفسِك ومجتمعك، أرجو أن تعزمَ على تركه، والابتعاد عنه، وسؤالك الآن: كيف أتركه؟

والجواب: اتَّبع الخُطواتِ التالية، والله يوفقك:

1- تعرَّفْ على أضراره، واقتنعْ بها، وابدأ بالتفكير في تركه، وشُدَّ العزم على ذلك، مع التوكُّل على الله.

2- اعملْ قائمة يوميَّة بمساوئه على نفسك، وعلى أصدقائك، وأولادك وجيرانك.

3- ابتعد قدْرَ الإمكان عن المدخنين ورائحة التدخين، وحاولِ البقاءَ في الهواء الطَّلْق، واشتغلْ بالأمور النافعة.

4- إذا أدركت - أيها المسلم - مضارَّ الدخان، وتحققتَ حُرمته، فعليك بما يلي: كراهته لله، تركه لله، اجتنب مجالسة مَن يدخنه.

5- استعمِل سواكًا أو علكًا إذا وجدتَ في نفسك حنينًا إلى التدخين، والسِّواك أنفعُ من غيره.

6- قلِّل من شُرْب القهوة والشاي، وأَكْثِرْ من تناول الفاكهة، والغذاء الجيِّد الخالي من التوابل.

7- تناول يوميًّا بعدَ الإفطار كأسًا من عصير الليمون، أو العِنَب، أو البرتقال؛ لأنَّه يُخَفِّف من شدَّة الرغبة في التدخين.

8- واعلم أنَّ مَن ترك شيئًا لله، عوَّضه الله خيرًا منه، عاجِلاً وآجلاً.

ملاحظات:

1- التدخين عادة، والعادة تتغيَّر كما هو معروف.

2- ترْك التدخين ليس مستحيلاً، بل هو من أبسط الأشياء، فما عليك إلا اتِّباع طريقةٍ ناجحة ومجرَّبة، ولا تتركه ثم تعود إليه، ولا تخَفْ من شيء أبدًا إذا عزمتَ على تركه.

3- استنبَطَ علماءُ الشريعة الإسلامية، وفقهاء الأمة حُرمةَ التدخين، واتَّفقوا على ذلك؛ لأنَّه - كما رأيتَ - مُضرٌّ بالصحة، مُنفِّق للمال، مفتِّر للأعصاب، ذو رائحة كريهة.

4- قبل أن تشتريَ الدخان وتشربه، فكِّرْ: هل هو حرام أو حلال؟ وهل هو نافع أو ضار؟ وهل هو طيِّب أو خبيث؟ فسوف تجده حرامًا ضارًّا خبيثًا.

5- إذا ثبت أنَّ الدخان محرَّم، فيحرم بيعُه وشراؤه، وثمنه؛ لأنَّ الله إذا حرَّم شيئًا، حرَّم ثمنَه.

وفَّقَ الله الجميع لتركه، وترْك كلِّ محرَّم.

* * *

رسالة إلى القضاة

من صالِح بن أحمد الخريصي إلى مَن يراه من إخواننا القُضاة - وفَّقني الله وإيَّاهم لأسباب النجاة، وعصمَني وإيَّاهم من سلوك طرق الغي والضلالات، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

تعلمون أيُّها الإخوان، أنَّكم قد حملتُم حملاً ثقيلاً، وطُوِّقت برِقابكم أمانةٌ عظيمة، وأنَّكم مَوْقوفون بين يدي الله - سبحانه - ومسؤولون عن أدائها، فأَعدُّوا للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، ومن أعظم ما يُستعَان به على أداء هذه الأمانة أسباب:

أولها: تقوى الله - عزَّ وجلَّ - ومراقبته في السِّرِّ والعلانية، فإنَّ بتقوى الله يتبيَّن وجهُ الصواب؛ قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، وقال - تعالى -: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: 28].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولهذا لَمَّا قيل للإمام أحمد - رحمه الله -: مَن نسأل بعدَك؟ قال: سلوا عبدالوهاب الورَّاق، فإنَّه رجلٌ صالِح، مِثلُه يُوفَّق للصواب، واستدلَّ الإمام أحمد - رحمه الله - بقول عمر τ: "اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنَّهم تُجلى لهم أمورٌ صادقة،

وذلك لقُرْب قلوبهم من الله، وكلَّما قرب القلْب من الله زالتْ عنه معارضات السوء، وكان كشفُه للحق أتمَّ وأقوى، وكلَّما بعُدَ عن الله كثُرتْ عليه المعارضات، وضَعُف نور كشفه للصواب، فإنَّ العلم نور يقذفه الله في القلْب، يُفرِّق به العبدُ بيْن الخطأ والصواب".

ثانيًا: ومن ذلك أن يتأدَّب بالآداب التي ذكَرها العلماء - رحمهم الله - في هذا الباب.

ثالثًا: أن يكون قويًّا على حمْل ما كُلِّف به من غير عُنف يمنع صاحبَ الحق من استيفاء حقِّه، ومن غير ضعْف يجترئ به صاحبُ الباطل عليه وعلى خَصْمه، قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: "لا يصلح القاضي إلا أن تكون فيه خِصال: أن يكون صليبًا نزهًا، عفيفًا حليمًا، عليمًا بما كان قبلَه من القضاء والسُّنن".

ومن ذلك: أن يكون ذا بصيرةٍ وبَصر بأهل زمانه لا سيَّما أهل هذه الأزمان، فإنَّ أكثرهم أروغُ من الثعالب، وليحذر حلاوةَ ألسن أكثرهم، فإنَّ لهم في ذلك أهدافًا وأغراضًا، وحوائج يحومون حولَ تحصيلها بكلِّ ممكن.

رابعًا: أن يكون ذا أناة يتثبَّتْ، وفِطنة فيما يحكم به.

خامسًا: ألاَّ يعجل في البتِّ بالحُكم، حتى يتبيَّنَ له وجه الصواب، من غير تأخير يخلُّ بالمقصود، ويوجب للضعيف ترْكَ حقِّه، كما قال عمر τ في كتابه لمعاوية: "وتعاهد الغريب، فإنه إن طال حبسُه تَرَك حقَّه، وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقَّه مَن لم يرفع به رأسًا".

سادسًا: الحِرْص على لزوم العمل، والمبادرة إليه في أوقاته؛ لإنجاز مهمَّات المسلمين، وقضاء حوائجهم، فإنَّ كثيرًا من إخواننا - هداهم الله - يرددون الخصوم أكثر من الحاجة من غير سبب يدعو إلى ذلك.

سابعًا: ما ينبغي للقاضي أن يتخلَّق ويتأدَّب ويتزيَّا به من الآداب الشرعية، التي لا ينبغي له أن يخل بتركها؛ لأنَّه منظور إليه، ترمُقه العيون بلحظاتها، وتقتدي به الأرواحُ والنفوس في صفاتها، فإذا أكملَ نفسه وأصلحها، فينبغي له - بل يتعيَّن عليه - أن يُكمِّل غيرَه بالدعوة إلى الله والإرشاد، والأمر والنهي والتعليم، ويكون قدوةً في ذلك يُقتدَى به، ويُؤتَم به، وهذا من أجَلِّ المقاصد في نصب القضاة، وبعض إخواننا من القُضاة قد أهمل هذا المقام العظيم، ولم يرفعْ به رأسًا، فتجده في أخلاقه وأعماله وآدابه إلى الانحراف أقربَ - عافانا الله وإيَّاهم، وألهمنا وإياهم رُشْدَنا.

ثامنًا: أن يعلم القاضي أنَّ الخصومات ستُعاد يومَ القيامة، ويحكم فيها العدل الذي لا يجور، وإنما القضاءُ في الدنيا للفصْل بيْن الناس، فليتَّئدْ عند ذلك، وليتلمحْ وجه الصواب في القضية، مهما أمكنَه من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ρ وأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين لهم بإحسان،

وعلماء الشريعة الذين لهم لسانُ صِدق في الأمَّة، فإذا اجتهدَ وبذَلَ وسعَه وطاقتَه حسبَ الإمكان رُجيَ له أن يُوفَّق لإصابة الحق، وألا يفوته أجْران مع الصَّواب، أو أجْر مع الخطأ.

ولا ينظر إلى كثرة الأساليب التي استعملَها بعضُ القضاة؛ خشيةَ أن يقال في حُكمه، أو يعترض عليه، بل إذا تبيَّن له الحقُّ حَكَم به ولا يُبالي بمَن اعترض عليه، أو قال في حكمه كما قيل:

أَقَامَ الحَيُّ أَمْ جَدَّ الرَّحِيلُ = إِذَا رَضِيَ الحَبِيبُ فَلاَ أُبَالِي

تاسعًا: أنه ينبغي له إذا خَفِيَ عليه وجهُ الصواب، وأعيتْه الأمور بإغلاق الأبواب، أن يستغيثَ بمعلِّم إبراهيم، فإنَّ هذا من أنجح الأسباب الموصلة إلى المقصود، كما ذكر الأصحاب: أنَّه ينبغي للقاضي أن يدعوَ بدعاء الاستفتاح ((اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكُم بيْن عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لِمَا اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تَهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم)).

وكان شيخ الإسلام ابن تيميَّة - قدَّس الله رُوحَه ونَوَّر ضريحَه - كثيرَ الدعاء بذلك، وكان إذا أشكلت عليه المسائل يقول: يا مُعلِّمَ إبراهيم، علِّمني، وكان بعض السلف يقول عند الإفتاء: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32].

وكان مكحول يقول: "لا حولَ ولا قوّة إلا بالله"، وكان مالك - رحمه الله - يقول: "ما شاء الله لا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم".

وكان بعضهم يقول: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 25 - 28]، وكان بعضهم يقول: "اللهمَّ وفِّقْني، واهدني، وسدِّدني، واجمعْ لي بين الصواب والثواب، وأعذِني من الخطأ والحرمان"، وكان بعضهم يقرأ الفاتحة.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -: "جربْنا ذلك، فرأيناه من أقوى أسباب الإصابة"، وقال النبي ρ لعلي τ: ((قل: اللهمَّ إني أسألك الهُدَى والسداد))[556].

والمعول في ذلك كله على حُسْن النية، وخلوص المقصِد، وصِدْق التوجُّه في الاستمداد من المعلِّم الأول معلِّم الرسل والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فإنَّه لا يُردُّ مَن صَدَق في التوجه إليه لتبليغ دِينه، وإرشاد عبيده، ونصيحتهم، والتخلص من القول عليه بلا عِلم.

عاشرًا: وممَّا ينبغي لِمَن عُيِّن للقضاء: أن يعرض نفسَه على الأمور المتقدِّم ذكرُها، ويحاسبها، ويبحثَ معها بحثًا دقيقًا هل هذه الخِصال موجودة فيه أم لا؟ وهل هو أهل لذلك أم لا؟

وقد كتب سلمان τ إلى أبي الدرداء لَمَّا ولي القضاء، وقال: "بلغني أنَّك جُعلتَ طبيبًا، فإن

556 رواه مسلم.

كنت تُبرئ فنِعمَّا، وإن كنت متطببًا، فاحذرْ أن تقتل إنسانًا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء τ إذا قضى بيْن اثنين، وأدبرَا عنه، نظر إليهما وقال: متطبِّب والله، ارجعَا أُعِدْ قضيتكما".

فهذه حال أهل المعرفة بالله، كما أنَّه ينبغي للجهات المختصَّة المسؤولة ألاَّ يُعيِّنوا إلا مَن يصلح، وتكون فيه كفاءةٌ لذلك، وأخلاقٌ دينية على حسب الطاقة؛ لأنَّ الولاية أمانة، وإذا كان تقديم الرجل في الجماعة، وفيهم مَن هو أفضلُ منه يوجب ألاَّ يزالوا في سفال، فكيف بالقاضي الذي يَقتدي به فئاتٌ من الناس، فيجب عليهم أن يولوا أفضلَ مَن يجدون علمًا وورعًا؛ لأنَّهم ناظرون للمسلمين، فيجب أن يختاروا الأصلحَ لهم، واختيار الأفضل علمًا من لازم القضاء؛ لأنَّه إنما يمكنه القضاءُ بيْن المترافعين بالعلم؛ لأنَّ القضاء بين المترافعين بالعلم؛ لأنَّ القضاء بالشيء فرْعُ العلمِ به، والأفضل أَوْلى من المفضول؛ لأنَّه أثبت وأمكن، وكذا كل مَن كان ورعُه أكثرَ كان سكون النَّفْس فيما يحكم به أعظمَ، وكان من ترك التحرِّي والميل في جانبه أبعد.

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: لا يَنبغي للرجل أن ينصبَ نفسَه، حتى يكون فيه خمس خِصال: أولها: أن يكون له نِيَّة، فإن لم يكن له نِيَّة لم يكن له نور، ولا على كلامه نور، الثانية: أن يكون له حِلم ووقار وسَكينة، الثالثة: أن يكون قويًّا على ما هو فيه، وعلى معرفته، الرابعة: الكفاية، وإلا مضَغَه الناس، فإنَّه إن لم يكن له كفايةٌ احتاج إلى الناس وإلى الأخْذ ممَّا في أيديهم، الخامسة: معرفة الناس[557].

فهذه نُبذة ينبغي للعاقل تأمُّلُها؛ لأنَّها تُطلع على ما وراءها، وقد ذكَر العلماء - رحمهم الله - ما يكفي ويَشفي، ولكن لعلك لا تجد كلامًا مجموعًا كهذه الكلمات اليسيرات، وأسأل الله الكريم أن ينفع بها كلَّ طالب للحق ومستفيد، ومراقب لله فيما يُبدي ويُعيد، والله يوفِّق الجميع للقول السديد، والأمر الرشيد.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

قلت: وينبغي للقاضي - وفَّقه الله - مع ما تقدَّم أن يدرس الكُتبَ المؤلَّفة في السياسة الشرعيَّة، والأحكام السلطانية، وأقضية الرسول ρ فيقضي بموجبها.

* * *

143- التقوى

557 انظر "إعلام الموقعين" لابن القيم (4/ 199).

أصْل التقوى: أن يجعل العبدُ بيْنه وبيْن ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربِّه أن يجعلَ بينه وبيْن ما يخشاه من ربِّه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهي فعْل طاعتِه واجتناب نواهيه ومعاصيه، من فِعْل الواجبات، وترْك المحرَّمات والشبهات.

قال بعض السلف: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تتركَ معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله، وقال عبدالله بن مسعود في قوله - تعالى -: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]: هي أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكَر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر.

ويدخل في الشكر فِعْلُ جميع الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى: ذِكْر العبد بقلْبه لأوامر الله في حَرَكاته وسكناته فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كلِّه فيجتنبها.

والتقوى وصية الله لجميع خَلْقه الأولين والآخرين قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]، وهي وصية رسول الله ρ لأمَّته، وكان ρ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سَرِيَّة، أوصاه في خاصَّة نفسه بتقوى الله، وبِمَن معه من المسلمين خيرًا؛ الحديث رواه مسلم.

ولَمَّا خطَب ρ في حجَّة الوداع في يوم النَّحْر، أوصى الناس بتقوى الله، وبالسمع والطاعة لأئمتهم[558].

وفي حديث أبي ذر τ- قال: قلت: يا رسولَ الله، أوصني، قال: ((أوصيك بتقوى الله؛ فإنَّها رأسُ الأمر كله))[559]، وقال ρ: ((اتقِ الله حيثُما كنت))[560]؛ يعني: في السر والعلانية، حيث يراك الناس، وحيث لا يرونك، في أيِّ مكان وزمان.

من فضائل التقوى المستنبطة من القرآن الكريم، وهي خمس عشرة:

1- الهُدى لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].

2- المغفرة والعلم لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: 29][561]؛ أي: علمًا تُفرِّقون به بيْن الحق والباطل، والهُدى والضلال، والحلال والحرام.

---

558 في حديث أبي أمامة، الذي رواه مسلم.

559 رواه ابن حبان في "صحيحه".

560 رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح.

561 تمام الآية: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾.

3-4- الخروج من الغم، والرّزق من حيث لا يحتسب؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: 2 - 3].

5- والنصرة؛ لقوله – تعالى -: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [النحل: 128].

6- والولاية؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 19].

7- والمحبَّة؛ لقوله – تعالى -: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 7].

8- وتيسير الأمور؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

9-10- غفران الذنوب، وإعظام الأجور؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

11- وتقبُّل الأعمال؛ لقوله – تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

12- والفلاح؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130].

13- والبشرى؛ لقوله – تعالى -: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ﴾ [يونس: 62 - 64].

14- ودخول الجنة؛ لقوله – تعالى -: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [ن: 34].

15- والنجاة من النار؛ لقوله – تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: 71 - 72].

البواعث على التقوى عشرة:

1- خوف العقاب الأُخروي.

2- وخوف العقاب الدنيوى.

3- ورجاء الثواب الدنيوي.

4- ورجاء الثواب الأُخروي.

5- وخوف الحساب.

6- والحياء مِن نَظَر الله، وهو مقام المراقبة.

7- والشكر لله على نِعَمِه بطاعته.

8- والعلم؛ لقوله – تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]؛ أي: إنما يخاف اللهَ من عباده هم العلماءُ، بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وكلُّ مَن أطاع الله فهو عالِم، وكل مَن عصاه فهو جاهل، وكفي بخشية الله عِلمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

9- وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهَيْبة.

10- وصِدْق المحبَّة؛ لقول القائل:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ = هَذَا لَعَمْرِي فِي القِيَاسِ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَهُ = إِنَّ المحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقول الآخر:

شَرْطُ المحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبْـ = ـبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلا عِصْيَانِ
فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ المحَبَّةَ مَعْ خِلاَ = فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذو بُهْتَانِ

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى = تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ = وَلاَ خَيْرَ فِي مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

درجات التقوى ثلاث:

1- أن يتقيَ العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

2- أن يتقي المعاصي والحرمات، وهو مقام التوبة.

3- أن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع[562].

علامة المتقي:

أن يكون معتقدًا لأصول الإيمان؛ وهي: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعدَ الموت والجزاء، والإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه، عاملاً بشرائع الإسلام، وهي شهادة ألاَّ إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، مراقبًا لله في جميع شؤونه، مخلصًا له في القوْل والعمل والنية، محافظًا على الصلوات الخمس في أوقاتها، مؤديًا الزكاة إلى مستحقيها، محافظًا على الصيام والحج، بارًّا بِوَالِدَيْه، واصلاً لأرحامه، محسنًا إلى جيرانه، صادقًا في مُعاملته مع الله ومع خلقه، سليم القلب منَ الكِبْر والحقْد والحسَد، مملوءًا من النصيحة ومحبة الخير لكل أحدٍ، لا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، قد حقَّق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، ولا يرجو ولا يخشى أحدًا إلا مَوْلاه، وقد وصف الله المتقين، وبيَّن أعمالهم وثوابهم؛ فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا

562 انظر كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"؛ للشيخ محمد بن جزي الكلبي (1/35- 36).

عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 133 - 136].

144- محاضرة كبيرة الفائدة
للشيخ الفاضل محمد الأمين الشنقيطي
(رحمه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحْبه، ومَن دعا بدعوته إلى يوم الدِّين، وبعدُ:

فهذه محاضرة ألقيتها في المسجد النبوي، بطلبٍ من ملك المغرب، فطلب مني بعض إخواني تقييدها لنشرها، فلبَّيْتُ طلبه راجيًا من الله أن ينفعَ بها.

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، ذلك اليوم يوم عرفة، وهو يوم الجمعة في حجَّة الوداع، نزلتْ هذه الآية الكريمة والنبي ρ واقفٌ بعرفات عشية ذلك اليوم، وعاش ρ بعد نُزُولها إحدى وثمانين ليلة، وقد صرَّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أكْمَل لنا ديننا، فلا ينقصه أبدًا، ولا يحتاج إلى زيادةٍ أبدًا، ولذلك ختَم الأنبياء بنبيِّنا - عليهم صلوات الله وسلامه جميعًا - وصرَّح فيها أيضًا بأنه رضي لنا الإسلامَ دِينًا، فلا يسخطه أبدًا، ولذا صرح بأنه لا يقبل غيره مِنْ أحدٍ؛ قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، وفي إكْمال الدِّين وبيان جميع أحكامه كل نِعَم الدارَيْن، ولذا قال: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3].

وهذه الآية الكريمة نصٌّ صريح في أن دين الإسلام لَم يترك شيئًا يحتاج إليه الخلْق في الدُّنيا، ولا في الآخرة، إلا أوضحه وبيَّنَه، كائنًا ما كان، وسنضرب لذلك المثَل ببيان عشر مسائل عظام عليها مدار الدنيا، من المسائل التي تهمُّ العالَمَ في الدارَيْن، وفي البعض تنبيه لطيفٌ على الكُلِّ:

الأولى: التوحيد.

الثانية: الوعظ.

الثالثة: الفرق بين العمل الصالح وغيره.

الرابعة: تحكيم غير الشرْع الكريم.

الخامسة: أحوال الاجتماع بين المجتمع.

السادسة: الاقتصاد.

السابعة: السياسة.

الثامنة: مشكلة تسليط الكفَّار على المسلمين.

التاسعة: مشكلة ضعف المسلمين عن مقاومة الكفار في العدد والعُدد.

العاشرة: مشكلة اختلاف القُلُوب بين المجتمع.

ونوضِّح علاج تلك المشاكل منَ القرآن، وهذه إشارة خاطِفةٌ إلى بيان جميع ذلك بالقرآن، تنبيهًا به على غيره.

أمَّا الأولى: وهي التوحيد:

فقد علم باستقراء القُرآن أنَّه مُنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده - جل وعلا - في رُبوبيته، وهذا النوع منَ التوحيد جُبِلَتْ عليه فِطَر العُقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: 87] الآية، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: 31] إلى قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]، والآيات بنحو ذلك كثيرة، وإنكار فرعون لهذا النوع في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23] مُكابرة وتجاهُل؛ بدليل قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: 102] الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

ولهذا كان القرآنُ ينزل بتقرير هذا النوع منَ التوحيد بصيغة استفهام التقرير؛ كقوله: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: 10]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 164]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: 16]، ونحو ذلك؛ لأنهَّم يُقرُّون به.

وهذا النوع من التوحيد لَم ينفع الكفار؛ لأنهم لَم يوحدوه - جل وعلا - في عبادته؛ كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ [يونس: 18] الآية.

النوع الثاني: توحيده - جلَّ وعلا - في عبادته:

وهو الذي وقعتْ فيه جميعُ المعارك بين الرسل والأمم، وهو الذي أُرسلت الرسل لتحقيقِه، وحاصله هو معنى: لا إله إلا الله، فهو مبني على أصلَيْن؛ هما: النفي والإثبات مِن (لا إله إلا الله)، فمعنى النفي منها: خلْع جميع أنواع المعْبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادة كائنة ما كانتْ، ومعنى الإثبات منها: هو إفراده - جل وعلا - وحده بجميع أنواع العبادة على الوجه الذي شرع أن يعبدَ به، وجُل القرآن في هذا النوع؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

[النحل: 36]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256] الآية، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45]، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: 108]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

النوع الثالث: هو توحيده - جل وعلا - في أسمائه وصفاته:

وهذا النوع من التوحيد ينْبَنِي على أصلَيْن، كما بيَّنَه - جل وعلا -:

الأول: هو تنْزيهه تعالى عن مشابهة صفات الحوادث.

والثاني: هو الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسولُه ρ حقيقةً لا مجازًا على الوَجْه اللائق بكمالِه وجَلالِه، ومعلوم أنه لا يصف الله أعلم بالله منَ الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله مِنْ رسول الله، والله يقول عن نفسه: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 140].

ويقول عن رسوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4]، فقد بيَّن تعالى نفْي المماثلة عنه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وبيَّنَ إثبات الصفات له على الحقيقة بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فأول الآية يقْضي بعَدَم التمثيل، وآخرها يقْضي بعدم التعطيل، فيتَّضح منَ الآية أن الواجب إثبات الصفات حقيقة من غير تمْثيل، ونفي المماثلة مِنْ غير تعطيل، وبيَّن عجز الخلق عن الإحاطة به - جلَّ وعلا - فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: 110].

وأمَّا المسألة الثانية: التي هي الوعْظ:

فقد أجمع العلماء على أنَّ الله تعالى لَم يُنزل من السماء إلى الأرض واعظًا أكبر، ولا زاجرًا أعظم مِنْ موعظة المراقبة والعلم، وهي أنْ يُلاحظ الإنسان أنَّ ربَّه - جلَّ وعلا - رقيب عليه، عالِم بكُلِّ ما يخفي وما يُعلن، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثَالاً، يصير به المعقول كالمحسوس، قالوا: لو فرضْنا مَلِكًا سفَّاكًا للدِّماء، قتَّالاً للرجال، شديد البطْش والنَّكال، وسيَّافه قائمٌ على رأسه، والنطع مبسوط، والسيف يقْطُر دمًا، وحول ذلك الملِك بناته وأزواجه، أيخطُر في البال أن يهمَّ أحدٌ من الحاضرين بريبة أو نيل حرام من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو عالم به ناظر إليه؟

لا وكلا، ولله المثَل الأعلى، بل كلُّ الحاضرين يكونون خائفين، خاضعة قلوبهم، خاشعة عيونهم، ساكنة جوارحهم، غاية أمانيهم السلامة، ولا شك - ولله المثَل الأعلى - أنَّ الله - جلَّ وعلا - أعظم اطِّلاعًا، وأوسع علمًا من ذلك الملِك، ولا شكَّ أنه أعظم نكالاً، وأشد بطشًا، وأفظع عذابًا،

وحماه في أرضه محارمه، ولو علم أهلُ بلد أن أمير البلد يصبح عالما بكلِّ ما فعلوه بالليل لباتوا خائفين، وتركوا جميع المناكر خوفًا منه.

وقد بيَّن تعالى أنَّ الحكمة التي خلق الخلْق مِن أجلها هي أن يبتليهم؛ أي: يختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7]، قال في أول سورة هود: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: 7]، ولم يقل: (أيكم أكثر عملاً)، وقال في الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2].

وهاتان الآيتان تُبينان المراد من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، ولما كانت الحكمة في خلْق الخلائق الاختبار المذكور، أراد جبريل أن يُبيِّن للناس طريق النجاح في ذلك الاختبار؛ فقال للنبي ρ: أخبرني عن الإحسان، فبيَّن ρ أن طريق الإحسان هي هذا الزاجر الأكبر، والواعظ الأعْظم المذكور؛ فقال: ((هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك))؛ رواه مسلم، ولهذا لا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأعظم؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: 7]، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5]، ونحو هذا في كل موضع من القرآن.

وأما المسألة الثالثة: التي هي الفرق بين العمل الصالح وغيره:

فقد بيَّن القرآن العظيم أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور، ومتى اختلَّ واحدٌ منها، فلا نفع فيه لصاحبه يوم القيامة:

الأول: أن يكونَ مُطابقًا لِمَا جاء به النبي ρ لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]، ويقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: 31] الآية، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21]، ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 59].

الثاني: أن يكون خالصًا لِوَجْهه تعالى؛ لأنه يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] الآية، ويقول: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 11 - 15].

الثالث: أن يكون مبنيًّا على أساس العقيدة الصحيحة؛ لأنَّ العمل كالسقف، والعقيدة كالأساس؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: 124]، فقيَّد ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، وقال في غير المؤمن: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 16]... إلى غير ذلك من الآيات.

وأمَّا المسألة الرابعة: التي هي تحكيم غير الشرْع الكريم:

فقد بيَّن القرآن أنها كُفر بَواح، وشِرْك بالله تعالى، ولما أوحى الشيطان إلى كفَّار مكة أن يسألوا نبينا ρ عن الشاة تصبح ميتة، مَن قَتَلَها؟ فقال: ((الله قتلها))، فأوحى إليهم أنْ يقولوا له: ما ذبحتموه بأيديكم حلال، وما ذبحَه الله بيده الكريمة حرام؟! فأنتم إذًا أحسن منَ الله، فأنزل الله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121].

وعدم دخول الفاء على جُملة: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قرينة ظاهِرة على تقدير لام توطئة القَسَم، فهو قسم منَ الله، أقسم به - جلَّ وعلا - في هذه الآية الكريمةِ على أنَّ مَنْ أطاع الشيطان في تشريعه تحليل الميتة أنه مُشرك، وهو شِرْك أكْبر مُخرج عن الملة الإسلامية بإجماع المسلمين، وسيوبِّخ الله يوم القيامة مرتكبه بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 60، 61]، وقال تعالى عنْ خليله: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: 44]؛ أي: باتِّباعه في تشريع الكفر والمعاصي، وقال: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: 117]؛ أي: ما يعبدون إلا شيطانًا، وذلك باتِّباعهم تشْريعه.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: 137] الآية، فسماهم شُركاء لطاعتهم لهم في معْصية الله بقتْل الأولاد.

ولما سأل عدي بن حاتم τ النبيَّ ρ عن قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: 31]، أجابَه النبي ρ بأن معنى اتخاذهم إياهم أربابًا هو اتِّباعهم لهم في تحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرمه، وهذا أمر لا نِزاع فيه؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114]، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115]، فقوله: ﴿صِدْقًا﴾؛ أي: في الإخبار، ﴿وَعَدْلاً﴾؛ أي: في الأحكام، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وأمَّا المسألة الخامسة: التي هي أحوال الاجتماع بين المجتمع:

فقد شفى فيها القرآن الغليل، وأنار فيها السبيل، فانظر إلى ما يأمر الرئيس الكبير أن يفعلَه مع مجتمعه؛ ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، وانظر إلى ما يأمر المجتمع العام أن يفعلَه مع رؤسائه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وانظر إلى ما يأمر الإنسان أن يفعله مع مجتمعه الخاص؛ كأولاده وأزواجه؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، وانظر كيف يُنبهه على الحذر والحزْم مِن مجتمعه الخاص، ويأمره إن عثر على ما لا ينبغي أن يعفوَ ويصفح، فيأمره أولاً بالحزْم والحذر، وثانيًا بالعفو والصَّفح؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14].

وانظر إلى ما يأمر أفراد المجتمع العام أن يتعاملوا به فيما بينهم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: 12]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، إلى غير ذلك.

ولَمَّا كان المجتمع لا يسلم فردٌ من أفراده كائنًا من كان، من مناوئ يناوئه، ومعاد يعاديه من مجتمعه الإنسي والجني.

لَيسَ يَخْلُو المرْءُ مِنْ ضَدٍّ وَلَوْ = حَاوَلَ العُزْلَةَ فِي رَأْسِ الجَبَلْ

وكان كل فردٍ مُحتاجًا إلى علاج هذا الداء الذي عمَّتْ به البَلْوى، أوْضَح تعالى عِلاجه في ثلاثة مواضع من كتابه، بيَّن فيها أن علاج مُناوأة الإنسي هي الإعراض عن إساءتِه ومقابلتها بالإحسان، وإن شيطان الجن لا علاج لدائه إلا الاستعاذة بالله مِنْ شرّه.

الموضع الأول: **قوله تعالى في أخريات الأعراف** في الإنسي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وفي نظيره من شياطين الجن: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200].

الموضع الثاني: **في سورة المؤمنون**؛ قال فيه في الإنسي: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]، وفي نظيره الآخر: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 97، 98].

الموضع الثالث: **في فُصِّلَت**؛ وقد زاد فيه تعالى التصريح بأن ذلك العلاج السماوي يقطع ذلك الداء الشيطاني، وزاد فيه أيضًا أن ذلك العلاج السماوي لا يعلم لكلِّ الناس، بل لا يعطاه إلا صاحب النصيب الأوْفر، والحظ الأكْبر؛ قال فيه في الإنسي: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 34، 35]، وقال في نظيره الآخر: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، وبيَّن في مواضع أخرى أن ذلك الرِّفق واللين لخصوص المسلمين دون الكافرين؛ قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73]، و[التحريم: 9]، فالشِّدَّة في محل اللين حُمْق وخَرْق، واللين في محل الشدة ضعْفٌ وخور.

إِذَا قِيلَ: حِلْمٌ، قُلْ: فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ = وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

وأما المسألة السادسة: التي هي مسألة الاقتصاد:

فقد أوْضح القرآن أُصُولها التي يرجع إليها جميع الفُرُوع، وذلك أن مسائل الاقتصاد راجعة إلى أصلَيْن:

الأول: حسن النظَر في اكتساب المال.

الثاني: حسن النظر في صرْفه في مصارفه.

فانظر كيف فتح الله في كتابه الطرُق إلى اكتساب المال بالأسباب المناسبة للمروءة والدِّين، وأنار السبيل في ذلك؛ قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10]، وقال: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198]، وقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 29]، وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: 275]، وقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: 69] إلى غير ذلك.

وانظر كيف يأمر بالاقتصاد في الصرف؛ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219] الآية.

وانظر كيف ينهى عن الصرف فيما لا يحل الصرف فيه؛ ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: 36].

وأمَّا المسألة السابعة: التي هي السياسة:

فقد بيَّن القرآن أصولها، وأنار معالِمها، وأوْضح طرقها، وذلك أنَّ السياسة - التي هي مصْدر ساس يسوس: إذا دبَّر الأُمور وأدار الشُّؤون - تنقسم إلى قسمَيْن: خارجيَّة، وداخليَّة.

- أما الخارجية: فمدارها على أصلَيْن:

أحدهما: إعداد القوة الكافية لقمْع العدو والقضاء عليه، وقد قال تعالى في هذا الأصل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

الثاني: الوحدة الصحيحة الشاملة حول تلك القوة، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، وقد أوضح القرآن ما يتبع ذلك من الصلح والهدنة، ونبذ العهود إذا اقتضى الأمر ذلك، قال: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: 4]، وقال: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: 7]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58] الآية، وقال: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3]، وأمر بالحذر والتحرُّز مِنْ مكائدهم، وانتهازهم الفُرَص؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71] الآية، وقال: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ [النساء: 102] الآية، ونحو ذلك من الآيات.

- **وأمَّا السياسة الداخلية**: فمسائلها راجعة إلى نشْر الأمن والطمأنينة داخل المجتمع، وكف المظالم، ورد الحُقُوق إلى أهْلِها، والجواهر العِظام التي عليها مدار السياسة الداخلية ستّ:

الأول: الدِّين:

وقد جاء الشرعُ بالمحافَظة عليه، ولذا قال ρ: ((مَن بدَّل دينه فاقتلوه))، وفي ذلك ردْع بالِغ عنْ تبْديل الدِّين وإضاعته.

الثاني: الأنْفُس:

وقد شرع الله في القرآن القِصاص مُحافظة عليها؛ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179] الآية، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: 178] الآية، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: 33] الآية.

الثالث: العُقُول:

وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، وفي الحديث: ((كل مسكر حرام، ما أسكر كثيره فقليله حرام))، ولأجل المحافظة على العقول وجَب الحد على شارب الخمر.

الرابع: الأنساب:

وللمُحافظة عليها شرع الله حدَّ الزِّنا؛ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 2] الآية.

الخامس: الأعراض:

ولأجل المحافظة عليها شرع الله جلد القاذف ثمانين: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4] الآية.

السادس: الأموال:

ولأجل المحافظة عليها شرع الله قطْع يد السارق، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38] الآية.

فتبيَّن أنه من الواضح أنَّ اتِّباع القرآن كفيل للمجتمع بجميع مصالحه الداخلية والخارجية.

وأما المسألة الثامنة: التي هي تسْليط الكفَّار على المسلمين:

فقد استشكلها أصحابُ رسول الله ρ وهو موجود بين أظْهُرهم، وأفتى الله - جل وعلا - فيها بنفسه في كتابه فتوى سماوية، أزال بها ذلك الإشكال، وذلك أنه لما وقع بالمسلمين ما وقع يوم أُحُد

استشكلوا ذلك، فقالوا: كيف ينال منَّا المشركون ويسلطون علينا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فأفتاهم الله في ذلك بقوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165].

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أوضحه على التَّحقيق بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: 152]، فبيَّن في هذه الفتوى السماوية أنَّ سبب تسليط الكفَّار عليهم جاءهم مِن قبَل أنفسهم، وأنه هو فشلهم وتنازعهم في الأمر، وعصيان بعضهم الرسول، ورغبتهم في الدنيا، وذلك أن الرماة الذين كانوا بسفْح الجبل يمنعون الكفار أن يأتوا المسلمين مِنْ جِهة ظهورهم طمعوا في الغنيمة عند هزيمة المشركين في أول الأمر، فتركوا أمر الرسول ρ لأَجْل رغْبتهم في عرض من الدُّنيا ينالونه.

وأمَّا المسألة التاسعة: التي هي مسألة ضعْف المسلمين، وقلة عَدَدِهم وعُدَدِهم بالنِّسبة إلى الكفَّار:

فقد أَوْضح الله - جلَّ وعلا - علاجها في كتابه، فبيَّن أنه إن علم من قلوب عباده الإخلاص كما ينبغي كان من نتائج ذلك الإخلاص أن يقهروا ويغلبوا من هو أقوى منهم، ولذا لما علم - جل وعلا - من أهل بيعة الرضوان الإخلاص كما ينبغي، ونوَّه بإخلاصهم في قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 18]، بيَّن أن مِن نتائج ذلك الإخلاص أنه تعالى يجعلهم قادرين على ما لَم يقدروا عليه؛ قال: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: 21]، فصرَّح بأنهم غير قادرين عليها، وأنه أحاط بها، فأقدرهم عليها، وجعلها غنيمة لهم لما علم مِنْ إخْلاصهم، ولذلك لما ضرب الكفَّار على المسلمين في غزوة الأحزاب ذلك الحصار العسكري العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 10، 11]، كان علاج هذا الضَّعف والحِصار العسكري الإخلاص لله، وقوة الإيمان به؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

فكان مِنْ نتائج ذلك الإخلاص ما ذكَره الله بقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ

تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 25-27]، وهذا الذي نصرهم الله به ما كانوا يظنونه، وهو الملائكة والريح؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9] الآية.

ولأجل هذا كان منَ الأدلة على صحَّة دين الإسلام أن الطائفة القليلة الضعيفة المتمسِّكة به تغلب الكثيرة القوية الكافرة؛ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، ولذلك سمّى الله تعالى يوم بدر آية وبينة وفُرقانًا؛ لدلالته على صحة دين الإسلام؛ قال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: 13] الآية، وذلك يوم بدر، وقال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: 41] الآية، وذلك يوم بدر، وقال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42] الآية، وذلك يوم بدْر على ما حقَّقه بعضُهم، ولا شكَّ أنَّ غلبة الفِئة القليلة الضعيفة المؤمنة للكثيرة القويَّة الكافرة دليلٌ على أنَّها على الحقِّ، وأنَّ الله هو الذي نصرها؛ كما قال في وقعة بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123]، وقال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 12] الآية.

والمؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر، وبيَّن الله تعالى صفاتهم، وميَّزهم بها عن غيرهم، قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40]، ثم ميزهم عن غيرهم بصفاتهم في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].

وهذا العلاج الذي أشرنا إليه أنه علاج للحصار العسكري، أشار تعالى في سورة المنافقين إلى أنه أيضًا علاج للحِصار الاقتصادي، وذلك في قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ [المنافقون: 7]، وهذا الذي أراد المنافقون أن يفعلوه بالمسلمين هو عين الحصار الاقتصادي، وقد أشار تعالى إلى أنَّ عِلاجه قوة الإيمان به، وصدق التوجُّه إليه - جلَّ وعلا - بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7]، لأنَّ من بيده خزائن السموات والأرض لا يضيع ملتجئًا إليه مطيعًا له: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 2، 3]، وبيَّن ذلك أيضًا بقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: 28].

وأمَّا المسألة العاشرة: التي هي مُشكلة اختِلاف القُلُوب:

فقد بيَّن تعالى في سورة الحشر أنَّ سببها عدم العقل بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: 14]، ثم بيَّن السبب بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 58].

ودواء ضعف العقل هو إنارته باتِّباع نُور الوحْي؛ لأنَّ الوحْي يرشد إلى المصالح، التي تقصر عنها العقول، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: 122]، فبيَّن في هذه الآية أنَّ نور الإيمان يحيا به من كان ميتًا، ويضيء له الطريق التي يمشي فيها، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبالجملة فالمصالحُ البشريَّة التي بها نظام الدُّنيا راجعة إلى ثلاثة أنواع:

الأول: درء المفاسد: المعروف عند أهْل الأُصُول بالضروريات، وحاصله دفْع الضرر عن الستة التي ذكرنا قبلُ، أعني: الدين، والنفس، والعقل، والنسَب، والعِرْض، والمال.

الثاني: جلْب المصالح: المعروف عند أهل الأُصُول بالحاجات، ومِن فروعه: البيوع على القول بذلك، والإجارات، وعامة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه الشَّرْعي.

النوع الثالث: التحلِّي بمكارم الأخلاق، والجَرْي على محاسِن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينات والتَّتْميمات، ومِنْ فروعه: خصال الفِطْرة؛ كإعفاء اللِّحية، وقص الشارب... إلخ.

ومِنْ فروعه أيضًا تحريم المستقذرات، ووجوب الإنفاق على الأقارب الفقراء، وكل هذه المصالح لا يُمكن شيء أشد محافظة عليها بالطرق الحكيمة السليمة من دين الإسلام؛ ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

145- وُجُوب إعفاء اللحية، وتحريم حلْقها، ووجوب قص الشارب

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما، عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ρ: ((خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب))، ولهما عنه أيضًا: ((أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى))، وفي رواية: ((أنهكوا الشوارب، وأعفوا اللحى))، واللحية اسم للشعر النابت على الخدين والذقن، قال ابن حجر: وفروا - بتشديد الفاء - من التوفير، وهو الإبقاء؛ أي: اتركوها وافرة، وإعفاء اللحية تركها على حالها.

ومُخالفة المشركين يُفَسِّره حديث أبي هريرة τ: «**أن أهل الشرك يعفون شواربهم، ويحفون لحاهم، فخالفوهم؛ فأعفوا اللحى، وأحفوا الشوارب**»؛ رواه البزار بسند صحيح، ولمسلم عنه قال: قال رسول الله ρ : «**خالفوا المجوس؛ لأنهم كانوا يقصرون لحاهم، ويطولون الشوارب**».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمه الله -: يحرم حلق اللحية، وقال القرطبي: لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قصها، وحكى ابن حزم الإجماع على أن قص الشارب وإعفاء اللحية فرض، واستدل بحديث ابن عمر: «**خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى**»، وبحديث زيد بن أرقم المرفوع: «**من لم يأخذ شاربه فليس منا**»؛ صحَّحه التِّرْمذي.

والله - تبارك وتعالى - جَمَّل الرجال باللحى، ويروى مِن تسبيح الملائكة: «سبحان مَن زين الرجال باللحى، وقال في التمهيد: ويحرم حلق اللحية، ولا يفعله إلا المخنثون من الرجال»[(563)].

فاللحية زينة الرجال، ومِن تمام الخَلْق، وبها ميز الله الرجال من النساء، ومن علامات الكمال، ونتفها في أول نباتها تشبُّه بالمرأة، ومن المنكرات الكبار، وكذلك حلقها أو قصها أو إزالتها بالنورة من أشد المنكرات، ومعصية ظاهرة ومخالفة أمر رسول الله ρ ، ووقوع فيما نهى عنه؛ قال الإمام أبو شامة: وقد حدث قوم يحلقون لحالهم، وهو أشد مما نقل عن المجوس من أنهم كانوا يقصونها، وهذا في زمانه - رحمه الله - فكيف لو رأى كثرة منَ يفعله اليوم؟ وما لهم هداهم الله أنَّى يُؤفكون؟ أمرهم الله بالتأسي برسوله ρ فخالفوه وعصوه، وتأسوا بالمجوس والكَفَرة، وأمرهم الله بطاعة رسوله ρ ، وقد قال ρ : «**أعفوا اللحى، أوفوا اللحى، أرخوا اللحى، أرجوا اللحى، وفروا اللحى**»، فعصوه وعمدوا إلى لحاهم فحلقوها، وأمرهم بحلْق الشوارب فأطالوها، فعكسوا القضيَّة، وعصوا الله جهارًا بتشْويه ما جمل الله به أشرف شيء من ابن آدم وأجمله.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر:

---

(563) المخنثون: المتشبهون بالنساء.

8]، اللهم إنَّا نعوذ بك مِن عمى القلوب، ورين الذنوب، وخزْي الدُّنيا، وعذاب الآخرة.

وإعفاء اللحية مِنْ مِلَّة إبراهيم الخليل التي لا يرغب عنها إلا مَن سَفِه نفسه، ومِنْ سُنة محمد ρ التي تبرأ ممن رغب عنها بقوله: «**وَمَن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**»؛ متفق عليه.

فالواجب على كل مسلم أن يسمعَ ويطيع لأمر الله، وأمر رسوله ρ ، وأن يتبعَ ولا يبتدع، وأن لا يكون من الذين قالوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

إنَّ جمال الرُّجولة وكمالها في إعفاء اللحية، والهيبة والوقار هما وشاح الملتحي، والمحلوق ليس له منهما نصيب.

أيها المسلم:

إن اللحية جمال الرجال، وشعار المسلمين، وحلقها شعار الكفَّار والمشركين، وتوفيرها مِنْ سُنن الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، وقد ميَّز الله بها بين الذُّكور والإناث، وأكرم بها الرجال، وقد نصَّ العلماء على أن من جنى على لحية أخيه فأزالها على وجه لا يعود فعليه الدية كاملة، ثم هو بعد ذلك يجني على نفسه، ويذهب جمال وجهه، وقد يكون إعفاء اللحية في هذا الوقت شاقًّا على كثيرٍ منَ الناس؛ لِمُخالفته عادات المجتمع، وعلى الأخص الزملاء والنظراء، ولكن الأمر يسهل إذا قارن بين مصلحة إعفائها، ومضرة حلقها، ومجاملة المخلوقين في معصية الخالق؛ استسلامًا للهوى والنفس الأمَّارة بالسُّوء، وضعف في الإيمان والعزيمة، وسوف يموت الإنسانُ فينفرد في قبره بعمله ولا ينفعه أحد، فكن - أخي المسلم - قدوة حسنة لأبنائك وغيرهم، وكن عبدًا لله لا عبدًا للهوى، وقد يظن بعض الناس أن إعفاء اللحية وحلقها من الأمور العادية التي يتبع فيها عادات المجتمع والبيئة التي يعيش الإنسان فيها، وليس الأمر كذلك، فأمر الرسول ρ للوجوب، ونَهْيه للتَّحْريم.

وصفوة القول: إنَّ الوُقُوف عند حدِّ الأمر والنَّهي هو وصْف المسلم المؤمن الراضي بأحكام الله، الراجي رحمته، الخائف من عذابه، أما يخشى حالقُ اللحية إذا سُئل في قبره: مَن ربُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ألا يعرف الجواب؟ أما يخاف أن يطرد في القيامة عن حوض نبيه؟ أما يخشى أن يحرم من شفاعته؛ لأنه خالَف سُنته؟

أيها المسلم: إن توفير اللحية وحُرمة حلقها مِن دين الله وشرعه الذي لم يشرع لخلْقه سواه، والعمل على غير ذلك سفه وضلالة، وفسق وجهالة، وغفلة عن هدي سيد المرسلين ρ ، على أن هناك فوائد صحية في إعفاء اللحية؛ فإن هذا الشعر تجري فيه مفرزات دهنيَّة من الجسد يلين بها الجلد، ويبقى مشرقًا نضرًا تلوح عليه حيوية الحياة وطراوتها، وإشراقها ونضرتها، كالأرض الخضراء، وحلق

اللحية يفوت هذه الوظائف الإفرازية على الوجه، فيبدو قاحلاً يابسًا، وفيها فائدة صحية أخرى: وهي حماية لثة الأسنان من العوارض الطبيعية، فهي لها وقاء منها كشعر الرأس للرأس، والإسلام يريد أن يجعل لأتباعه كيانًا خاصًّا، وعلامة فارقة تُميزهم عن سائر الناس، فلا يذوبون في غيرهم اضمحلالاً وتقليدًا وتبعية، فيكونوا (إمعة)، فكيف يسوغ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالفَ سُنة نبيه وهو يتلو ويسمع الأوامر والنواهي القرآنيَّة والنبويَّة؟

وكيف يجترئ المسلم على ارتكاب ما نهي عنه، وهو يقرأ ويسمع قول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ **[الأحزاب: 36]**؟ فليس المؤمن مخيرًا بين الفِعْل والتَّرْك؛ ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[النور: 63]**، وفي إعفاء اللحية طاعة لله، واقتداء بسنة رسول الله ρ ، ومخالفة لهدْي الكفَّار والمشركين والمجوس، وفي حلْقها معصية لله، ومخالفة لسنة رسول الله ρ ، وتشبه بالنِّساء الملعون فاعله، وتشبه بأعداء الله من الكفَرة والمشركين، وقد نُهينا عن مشابهتهم، وأُمِرنا بمُخالفتهم.

هذا، وقد اتَّفق العلماء منَ الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم على وُجُوب توفير اللحية، وحُرمة حلْقها؛ عملاً بأمر الرسول ρ وفعله، فكيف تطمئن نفسُ مسلم بمخالفة أمر الله ورسوله، وهو يزعم أنه يؤمن بالله، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجزاء والحساب والجنة والنار؟ فالعجب كل العجب ممن ينتسب إلى العلم والدين كيف يخالف سنة نبيه ρ بحلق لحيته بلا مبالاة بما جاء عن النبي ρ تقليدًا وتبعيَّة لأهل الأهواء؟! أين الإسلام؟ وأين الإيمان؟ وأين الحياء؟ وأين العقول؟ وأين الخوف والرجاء؟ وأين المحبة لله ورسوله المقتضية للطاعة والاستسلام؟ وأين تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بالمحبة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي؟

أيها المسلم، إن التأسِّي برسول الله ρ هو الصراط المستقيم الذي سار عليه سلفنا الصالح وتمسك به المؤمنون، وإن خالفهم الأكثرون؛ ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو**

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: 21]، وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد[564] [565] [566] [567] [568].

(564) شمس الضحى في إعفاء اللحى؛ الشيخ عبدالستار الدهلوي.

(565) تحريم حلق اللحى؛ للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

(566) دلائل الأثر على تحريم التمثيل بالشعر؛ للشيخ حمود بن عبدالله التويجري.

(567) حكم اللِّحية في الإسلام؛ للشيخ محمد الحامد.

(568) وُجوب إعفاء اللِّحية؛ للشيخ محمد زكريا.

146- وصايا إسلامية

الحمد لله القائل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 131]، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا ونبينا محمد ρ القائل: ((أوصيكم بتقوى الله - عز وجل - والسمع والطاعة))(569)، وتقوى الله طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وهي تثمر سعادة الدنيا والآخرة، وبعدُ:

فهذه وصايا إسلامية قيّمة في مواضيعَ مختلفةٍ في العبادات والمعاملات، والأخلاق والآداب، وغير ذلك من شؤون الحياة، نُقَدِّمها إلى الشباب المسلم الحريص على معرفة ما ينفعه للذِّكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، راجين أن ينفعَ الله بها مَن قرأها أو سمعها، وأن يعظم الأجْر والمثوبة لمن ألفها أو كتبها، أو نشرها أو عمل بها، وهو حسبنا ونِعْم الوكيل، وهي كالآتي:

1- أخلص النية لله تعالى، واحذَر الرّياء في القَوْل والعمل.

2- اتبع السنة المحمدية في جميع الأقوال والأفعال والأخلاق.

3- اتَّق الله تعالى، واعزم على فعل جميع الأوامر، وترك جميع النواهي.

4- تُب إلى الله تعالى توبةً نصوحًا، وأكثر من الاستغفار.

5- راقب الله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك، واعلم أن الله تعالى يراك ويسمعك، ويعلم ما يكنه ضميرك.

6- آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدَر خيره وشره.

7- لا تقلد غيرك تقليدًا أعمى، ولا تكن إمعة.

8- كن سابقًا في عمل الخير تؤجر عليه، وتنل ثواب مَن اقتدى بك فيه.

9- اقْتَنِ كتاب "رياض الصالحين"، واقرأ فيه على نفسك وعلى أسرتك.

10- حافظ على الوضوء وجدده، وكن دائمًا على طهارة من الحدَث والنجاسة.

11- حافظ على الصلاة في أول وقتها مع الجماعة في المسجد، ولا سيما العشاء والفجر.

12- لا تأكل ما له رائحة كريهة؛ كالثوم والبصل إذا أردتَ دُخُول المسجد، ولا تشرب الدخان المعروف لئلا تؤذي نفسك والمسلمين.

13- حافظ على صلاة الجماعة لتفوز بالأجْر المترتب عليها.

14- أدِّ الزكاة المفروضة، ولا تبخلْ بها على المستحقين.

15- بادر إلى صلاة الجمعة مبكرًا، واحذر أن تتأخر بعد النداء الثاني فتأثم.

---

(569) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

16- صم رمضان إيمانًا واحتسابًا لله تعالى؛ ليغفر لك ما تقدَّم مِنْ ذنبك وما تأخر.

17- احذر أن تفطرَ يومًا من رمضان من غير عُذْر شرعي فتأثم بذلك.

18- قم ليالي رمضان، ولا سيما ليلة القدر منه إيمانًا واحتسابًا؛ لتنال المغفرة لما مضى من ذنوبك.

19- بادر بالحج والعمرة إلى بيت الله الحرام إذا كنت مستطيعًا، واحذر التأخير.

20- اقرأ القرآن بتدبُّر معناه، وامتثل أمره، واجتنب نَهْيه؛ ليكون حجة لك عند ربك، وشفيعًا لك يوم القيامة.

21- داومْ على الإكثار من ذكر الله تعالى سرًّا وجهرًا، قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبك، وإياك والغفلة.

22- احضر مجالس الذِّكر؛ فإنها مِنْ رِياض الجنة.

23- احذر الربا، والغصب، والسرقة، والغلول، والخيانة.

24- غض بصرك عن العورات والمحارم، وإياك وإطلاقه، فإنَّ النظرة سهْمٌ مسموم من سهام إبليس.

25- لا تطل ثيابك إلى ما تحت الكعبين، ولا تتبخترْ في مشيتك.

26- لا تلبس الحرير ولا الذهب؛ فإنهما حرام على الذُّكور.

27- لا تتشبَّه بالنِّساء، ولا تدع نساءك يتشبهْن بالرِّجال.

28- أطلق لحيتك لقوله ρ: ((أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى))؛ متفق عليه.

29- لا تأكل إلا حلالاً، ولا تشربْ إلا حلالاً تكن مستجاب الدعوة.

30- سم الله تعالى على الطعام والشراب، واحمد الله إذا انتهيت.

31- كل بيمينك، واشرب بيمينك، وخذ بيمينك، وأعط بيمينك.

32- إياك والظلم، فإن الظلم ظُلُمات يوم القيامة.

33- لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي.

34- إياك والرِّشوة، أخذًا وإعطاءً وتوسطًا؛ فإن فاعلها ملعون.

35- لا تطلب رضا الناس بسخط الله - عز وجل - فيسخط عليك.

36- أطعْ وُلاة الأمر في كلِّ أمر مشروع، وادعُ لهم بالصلاح.

37- احذر شهادة الزور، ولا تكتم الشهادة؛ ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283].

38- ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ[570] وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾.

39- اترك جميع المحرمات؛ صغيرها وكبيرها، ولا تعصِ الله تعالى، ولا تعنْ أحدًا على معصيته.

40- لا تقرب الزنا؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

41- عليك ببر الوالدين، وإياك والعقوق.

42- عليك بصلة الرحم، وإياك والقطيعة.

43- أحسن إلى جارك، ولا تؤذه، وتحمَّل أذاه.

44- أكثر من زيارة الصالحين وإخوانك في الله تعالى.

45- أحبب في الله تعالى، وابْغَضْ في الله، فإن ذلك مِنْ أوثق عُرى الإيمان.

46- عليك بالجليس الصالح، واحذر جليس السوء.

47- بادرْ إلى قضاء حوائج المسلمين، وأدْخِل السرور عليهم.

48- عليك بالرفق والأناة والحلْم، واحذر الغِلْظة والعجلة.

49- لا تقطعْ كلام غيرك، وعليك بحُسْن الاستماع.

50- أفش السلام على من عرفت ومَن لَم تعرف.

51- تلفظ بالسلام المسنون، وهو قولك: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا تكتفِ بالإشارة باليد أو الرأس فقط.

52- لا تسب أحدًا، ولا تصفه بسوء.

53- لا تلعن أحدًا حتى البهائم والجمادات.

54- احذر قذف الناس واتهامهم في أعْراضِهم؛ فإنه مِنْ أكبر الكبائر.

55- إياك والنميمة، وهي نقل الكلام بين الناس على وجْه الإفساد بينهم.

56- إياك والغيبة، وهي ذِكْرُك أخاك بما يكره.

57- لا تروعْ مسلمًا، ولا تؤذه.

58- عليك بالإصلاح بين الناس، فإنه من أفضل الأعمال.

59- قلْ خيرًا وإلا فاصْمت.

60- كن صادقًا ولا تكذب، فإن الكذب يهْدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

61- لا تكنْ ذا وجهَيْن، تأتي هؤلاءِ بِوَجْه، وهؤلاءِ بِوَجْه.

62- لا تحلفْ بغير الله تعالى، ولا تُكْثر الحلف ولو على الصدق.

---

(570) المعروف ما أمر الله به ورسوله، والمنكر ما نهى الله عنه ورسوله.

63- لا تحتقرْ غيرك، فإنه لا فضل لأحدٍ على أحد إلا بالتقوى.

64- لا تأتِ الكَهَنة، ولا العرَّافين، ولا السحَرة، ولا تصدقهم.

65- لا تصور صورة إنسان أو حيوان، فإن مِن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورين.

66- لا تَقْتَنِ في بيتك صورة ذي روح، فتحرم دخول الملائكة بيتك.

67- شمت العاطس بقولك: يرحمك الله، إذا حمد الله تعالى.

68- احترز منَ الصَّفير والتصفيق؛ (المكاء والتصْدية).

69- بادر إلى التوبة مِنْ كلِّ ذنب، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، واحْذر التسْويف.

70- كن راجيًا عفو الله تعالى ورحمته وحسن ظنك بالله - عز وجل.

71- كن خائفًا من عقاب الله تعالى، ولا تأمن عقوبته.

72- كن صابرًا عند البلاء، وشاكرًا عند الرخاء.

73- أكثر من الأعمال الصالحة التي يبقى لك أجرها بعد الموت؛ كبناء المساجد، ونشر العلم.

74- سل الله تعالى الجنة، واستعذْ به منَ النار.

75- أكثر من الصلاة والسلام على رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - دائمًا إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين(571).

ملاحظة:

الإسلام أمر ونهي، والأمر نوعان: فرض وسنة، والنهي قسمان: حرام ومكروه.

فالمسلم الكامل يحرص على السنة حرصه على الفرْض؛ لأنَّ التهاون بالسنَّة يؤدي به إلى التهاون بالفريضة، ويفر من المكروه فراره من الحرام؛ لأنَّ التهاوُن في المكروه يجُرُّ إلى التهاوُن في الحرام، وارتكاب الصغيرة يسوق إلى اقتراف الكبيرة.

والإسلام كل لا يتجزَّأ، وليس مِنْ شأن المسلم الكامل، أن يمتثلَ أمرًا ويخالف آخر، وإلا كان كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85].

المسلم الكامل لا يقول: هذه سنة يحل تركها، وهذا مَكْروه على التنْزيه لا يضر فِعْله.

المسلم الكامل لا يقول مثلاً: اللحية سنة يجوز تركها، والنظرة الحرام صغيرة لا يضر إطلاقها، وخاتم الذهب في يد الرجل يسير يتغاضى عنه، والأمر الفلاني مستحب فلا بأس بتركه، لا، من قال هذا فقد حلَّ من ثوب إسلامه عروة، وعرض عراه إلى الانحلال.

من قال هذا رضي بهدم حجر من صرح إسلامه، وعرَّضه للخراب والدمار.

---

(571) ملاحظة: كل واحدة من هذه الوصايا عليها دليل من كتاب الله وسنة رسوله ρ.

مَن قال هذا نزل من أوج إسلامه درجة، ومنها إلى أخواتها، وانحدر إلى الحضيض.

مَن قال هذا انحرف عن صراط الإسلام السوي ومحجته البيضاء درجة ثم ابتعد عنه.

ومن هنا أصيب المسلمون في دينهم، ووصلوا إلى ما نرى من تضييع وضياع.

هدانا الله وإخواننا المسلمين سواء السبيل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم - والحمد لله رب العالمين.

"مختصر من كتاب "سبيل الهدى والعمل - وصايا إسلامية"؛ تأليف أحمد عز الدين البيانوني - رحمه الله تعالى - ببعض تصرُّف.

بسم الله الرحمن الرحيم

147- أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيميَّة - رحمه الله -:

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وفرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلالة، والرشاد والغي، والمؤمنين والكفار، والسعداء أهل الجنة والأشقياء أهل النار، وبين أولياء الله وأعداء الله، فمن شهد له محمد ρ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان.

وقد بيَّن - سبحانه وتعالى - في كتابه وسُنة رسوله ρ أنَّ لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء، ففرَّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ فقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62، 63]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257]، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف/44].

وذكَر أولياء الشيطان فقال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: 119، 120]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27]، وقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتّقون؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62، 63]، وفي الحديث الصحيح

الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: ((يقول الله تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب... الحديث)).

وهذا أصح حديث يروى في ذكر الأولياء، فبين النبي ρ أن من عادى وليًّا لله فقد بارز الله بالمحاربة، وذلك لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما ينهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع؛ كما في الترمذي وغيره، عن النبي ρ قال: ((أوثق عُرى الإيمان الحب في الله والبُغض في الله))، وفي حديث آخر رواه أبو داود: ((مَنْ أحَبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان))، والولاية ضد العداوة.

وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، فإذا كان ولي الله هو الموافق لما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معاديًا له، فمَن عادى وليًّا لله فقد عاداه، ومَن عاداه حاربه، ولهذا قال: ((مَن عادي لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة)).

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلى الله وسلم عليهم أجمعين - وأفضل أولو العزم: محمد ρ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم إمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض الموْرُود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعَثَه الله بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع لأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقًا، وأول الأمم بعثًا، كما قال ρ في الحديث الصحيح: ((نحن الآخرون السابقون يوم القيامة))[572]، وفضائله ρ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، فلا يكون وليًّا لله إلا من آمن به، وبما جاء به، وتبعه باطنًا وظاهرًا، ومن ادِّعى محبة الله وولايته وهو لم يتبع رسوله فليس هو من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله ومن أولياء الشيطان؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

قال الحسن البصري - رحمه الله -: ادعى قوم أنهم يحبُّون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم، وقد بيَّن الله فيها أن مَن اتبع الرسول فإن الله يحبه، ومن ادِّعى محبة الله ولم يتبع الرسول، فليس من أولياء الله، وفي الحديث: ((إن أوليائي المتقون أيًّا كانوا وحيث كانوا))[573].

---

(572) رواه مسلم وغيره.

(573) رواه الطبراني بلفظ: ((أوليائي المتقون يوم القيامة)).

والكفرة من اليهود والنصارى والمشركين يدَّعون أنهم أولياء لله وليس كذلك، بل هم أعداء الله، وكذلك المنافقون الذين يظهرون الإسلام، ويُضْمرون الكُفْر.

وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62، 63] ، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، ولا بد في الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكُتُبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بكل رسول أرسله الله، وبكلِّ كتاب أنزله الله، كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 136، 137]، ولا بد في الإيمان أن تؤمن أنَّ محمدًا ρ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلَيْن الجن والإنس، فكل مَن لَم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين، ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر ليس بمؤمن، ومن الإيمان به: الإيمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمْرِه ونَهْيه، ووَعْده ووعيده، وحلاله وحرامِه.

فالحلالُ ما أحَلّه الله ورسوله، والحرام ما حرّمه الله ورسوله، والدِّين ما شرعه ورسوله محمد ρ فمَن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد ρ فهو كافر من أولياء الشيطان، وأما خلق الله تعالى للخلق، ورزقه إياهم وإجابته لدُعائهم، وهدايته لقلوبهم، ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع، ودفع المضار، فهذا لله وحده، يفعله بما يشاء من الأسباب لا يدخل في مثل هذا وساطة رسل، ثم لو بلغ الرجل من الزهد والعبادة ما بلغ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به الرسول محمد ρ فليس بمؤمن ولا ولي لله تعالى؛ كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعُبَّادهم، وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين، فمن له عبادة في دينه وعلم وزهد وليس مؤمنًا بجميع ما جاء به الرسول محمد ρ فهو كافر، عدو لله، ولهذا نزلتْ عليهم الشياطين، واقترنت بهم، فصاروا من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسوله محمدًا ρ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره، ويعتقد وجوب أمره، فقد أعرض عنه، فيُقَيَّض له شيطان فيقترن به، ويصده عن الطريق السوي؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]، فدلَّ ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها، ولهذا لو ذكر العبد الله تعالى دائمًا ليلاً ونهارًا، مع غاية الزهد، وعبده مجتهدًا في عبادته، ولم

يكن متبعًا لذكره الذي أنزله، وهو القرآن، كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، فإن الشيطان يحمله في الهواء، وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله، فمَن كان أكثر إيمانًا وتقوى كان أكمل ولاية لله، والناس متفاضلون في ولاية الله - عزَّ وجلَّ - بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وكذلك متفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، وأولياء الله على طبقتَيْن: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي سورة الإنسان والمطففين، وفي سورة فاطر.

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إلى الله بالفرائض، يفعلون ما أوْجَب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فُضُول المباحات، وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرَّمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبهم الرب حبًّا تامًّا، كما قال تعالى في الحديث القدسي: ((ولا يزال عبدي يتقرَّب إلي بالنوافل حتى أحبه))، فهؤلاءِ المقربون صارت المباحات في حقِّهم طاعات، يتقرَّبون بها إلى الله - عز وجل - فكانتْ أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفًا كما عملوا له صرفًا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوا لنفوسهم، فلا يعاقبون عليه ولا يثابون، فلم يشربوا صرفًا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا، فالمقربون السابقون أفضل من الأبرار أصحاب اليمين، وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين، والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى، فهم يتفاضَلون في ولاية الله بحسب ذلك، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والفسوق والمعاصي والنفاق، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك، وأصل الإيمان والتقوى الإيمان برسل الله، وجماع ذلك الإيمان بخاتم الرسل محمد ρ فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله، وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤوا به، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة، فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد بلوغ الرسالة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وإذا كان العبدُ لا يكون وليًّا لله حتى يكون مؤمنًا تقيًّا، ولا يكون مؤمنًا تقيًّا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض، فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين، ومعلوم أن أحدًا من الكفار والمنافقين لا يكون وليًّا لله، فمن لَم يتقرب إلى الله بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لَم يكن من أولياء الله، وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأموال إذا كان مباحًا كما قيل: كم من صديق في قباء! وكم من زنديق في عباء!

وقد دلَّ الكتابُ والسنة على أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يظن بعض أمور الدين مما أمر الله به ومما نهى عنه وليس كذلك، ولم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى؛ فإنَّ الله تعالى تجاوَزَ لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه.

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ρ وتقوى الله حق تقاته، بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، كما فسر التقوى بذلك عبدالله بن مسعود τ والحقيقة حقيقة الدين، دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاجٌ، فالشريعة هي الشريعة، والمنهاج هو الطريق، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمَن يستسلم لغيره كان مشركًا؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48]، ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85] عام في كل زمان ومكان، فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الإسلام، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فدين الأنبياء واحد، وإن تنوعتْ شرائعهم.

وأولياء الله المؤمنون المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه.

وأعداؤه أولياء الشيطان، وإن كانوا تحت قدرته، فهو يبغضهم ويغضب عليهم، ويلعنهم ويعاديهم، وبسط هذه الجمل له مَوْضع آخر، وإنما كتبت هذا تنبيهًا على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ρ فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما نهى عنه، ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية: سماع الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين، ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا ρ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق أنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ρ واتباعه، فعليه أن يُصدِّقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومَن قامتْ عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به، فهو كافر، سواء كان إنسيًّا أو جنيًّا.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلى الله على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه وأنصاره وأتباعه وخلفائه، صلاة وسلامًا تستوجب بهما شفاعته؛ آمين.

مختصر من كتاب: "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله تعالى.

148- مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها

الطبقة الأولى - وهي العليا على الإطلاق - مرتبة الرسالة:

فأكرم الخلْق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله، وهم المصطفون مِن عباده الذين سلم عليهم في العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 181]، وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، ويكْفي في فَضْلهم وشرفهم أن الله - سبحانه وتعالى - اختَصّهم بوَحْيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته، فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليمًا، ومنهم من رفعه مكانًا عليًّا على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحدًا منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه.

وبالجملة، فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلتْ محابه تعالى في الأرض، وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق، وعليهم تدور الشفاعة يوم القيامة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم محمد ρ وعليهم أجمعين.

الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيلهم بعضهم على بعض.

الطبقة الثالثة: الذين لَم يرسلوا إلى أممهم، وإنما كانتْ لهم النبوة دون الرسالة، فاختصوا عن الأمَّة بإيحاء الله إليهم، وإرساله ملائكته إليهم، واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأمة بدَعْوَتهم إلى الله بشريعته وأمْره، واشتركوا في الوَحْي ونزول الملائكة عليهم.

الطبقة الرابعة: ورثة الرُّسُل وخلفاؤهم في أُممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علْمًا وعملاً، ودعوة للخلق إلى الله على طرقهم ومنهاجهم، وهذه أفضل مراتب الخلْق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصِّدّيقين، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، فجعل درجة الصديقيَّة معطوفة على درجة النبوة، وهؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه، وحزبه وخاصته، وحملة دينه وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق، لا يضرهم مَن خزلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19].

والمقصود أن درجة الصديقيَّة والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة، هي أفضل درجات الأمة، ولو لَمْ يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علم بتعليمهم وإرشادهم أو علم غيره شيئًا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريًا في الأمة على آباد الدهور، وقد صح عن النبي ρ أنه قال لعلي بن أبي طالب: ((والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم))(574)، وصح عنه ρ أنه قال: ((مَن سَنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا)) (575).

وصح عنه ρ أيضًا أنه قال: ((إذا مات العبد انقطع عمله إلا مِنْ ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))(576).

وصح عنه ρ أنه قال: ((من يرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين))(577)، وفي السنن عنه ρ أنه قال: ((إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى النملة في جحرها))، والأحاديث في هذا كثيرة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد، يريد به "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، فيا لها من مرتبة ما أعلاها! ومنقبة ما أجلَّها وأسناها! أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة، وأوصالاً متفرقة، وصُحُف حسناته متزايدة، يملي فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضْل الله يُؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضْل العظيم.

وحقيقٌ بمرتبةٍ هذا شأنها أن تنفقَ نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات، فنسأل الله الذي بِيَدِه مفاتيح كل خيْر أن يفتحَ علينا خزائن رحمته، ويجعلنا مِنْ أهل هذه الصِّفة بمَنِّه وكرمه.

الطبقة الخامسة: أئمة العدل وولاته الذين تؤمن بهم السبل، ويستقيم بهم العالم، ويستنصر بهم الضعيف، ويذل بهم الظالم، ويأمن بهم الخائف، وتقام بهم الحدود، ويدفع بهم الفساد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويُقام بهم حكم الكتاب والسنة، وتطفأ بهم نيران البدَع والضلالة،

(574) رواه أبو داود عن سهل بن سعد الساعدي، (النعم): بفتح النون والعين: الإبل، وخص حمرها لأنها كرامها.

(575) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

(576) رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه.

(577) رواه البخاري ومسلم.

وهؤلاء الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن - عزَّ وجلَّ - يوم القيامة فيكونون عليها، والوُلاة الظلمة قد صهرهم حر الشمس، وقد بلغ بهم العرق مبلغه، وهم يحملون أثقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيفة في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيل أحدهم إما إلى الجنة وإما إلى النار؛ قال النبي ρ: ((المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن - تبارك وتعالى - وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلوا))(578)، وهم أحد السبعة الأصناف الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وكما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا، كانوا في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، جزاءً وفاقًا، ولو لَم يكن من فضلهم وشرفهم إلا أن أهل السموات والأرض والطير في الهواء يصلون عليهم ويستغفرون لهم، ويدعون لهم، وولاة الظلم يلعنهم من بين السموات والأرض حتى الدواب والطير، كما أن معلم الناس الخير يصلي عليه الله وملائكته، وكاتم العلم والهدى الذي أنزله الله يلعنه الله وملائكته، ويلعنه اللاعنون، فيا لها من منقبة ومرتبة! ما أجلها وأشرفها أن يكون الوالي والإمام العادل على فراشه ويعمل بالخير وتكتب الحسنات في صحائفه، فهي متزايدة ما دام يعمل بعدله، ولساعة واحدة منه خير من عبادة أعوام من غيره، فأين هذا من الغاش لرعيته الظالم لهم، قد حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار، ويكفي في فضله وشرفه أنه يكف عن الله دعوة المظلوم، فأين مَن هو نائم وأعين العباد ساهرة، تدعو الله له وآخر أعينهم ساهرة تدعو عليه؟

الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يُقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأس أعدائه، ويحفظ بهم بيضة الإسلام، ويحمي بهم حوزة الدين، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، قد بذلوا أنفسهم في محبة الله، ونصر دينه، وإعلاء كلِمته، ودفْع أعدائه، وهم شركاء لكل مَن يحمونه بسيوفِهم في أعمالِهم التي يعملونها، وإن باتوا في ديارهم، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم، فإنهم كانوا هم السبب فيه، والشارع قد أنزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجْر والوِزْر، ولهذا كان الداعي إلى الهدى والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجْر مَن تبعه، وقد تظاهرتْ آيات الكتاب، وتواترتْ نُصُوص السنة على الترغيب في الجِهاد، والحضّ عليه، ومدْح أهله، والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم، فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف:

(578) رواه مسلم.

11]، فكأن النفوس ضنتْ بحياتها وبقائها، فقال: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]؛ يعني: أن الجهاد خير لكم مِنْ قُعُودكم للحياة والسلامة، فكأنَّها قالتْ: فما لنا في الجهاد من الحظ، فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف: 12]، ومع المغفرة ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12]، فكأنها قالتْ: هذا في الآخرة، فما لنا في الدنيا؟ فقال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13]، فلله! ما أحلى هذه الألفاظ! وما ألصقها بالقلوب! وما أعظمها جذبًا لها! وتسييرًا إلى ربها! وما ألطف موقعها من قلب كل محب! وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تُباشره معانيها، فنسأل الله مِنْ فَضْله، إنَّه جواد كريم، فهذه الدرجات الثلاث هي درجات السبق؛ أعني: درجة العلم والعدل والجهاد، وبها سبق الصحابة، وأدركوا من قبلهم، وفاتوا من بعدهم، واستولوا على الأمد البعيد، وحازوا قصبات العلى، فسبحان مَن يختص بفضْله ورحمته مَن يشاء، وهذه مراتب السبق التي يهبها الله لِمَنْ يشاء مِنْ عباده.

الطبقة السابعة: أهل الإيثار والصدقة والإحسان إلى الناس بأموالهم على اختلاف حاجاتهم ومصالحهم؛ مِنْ تفريج كرباتهم، ودفع ضروراتهم، وكفايتهم في مهماتهم، وهم أحد الصنفين اللذين قال النبي ρ فيهم: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق))[579]، يعني أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة، ويتمنى مثلها إلا أحد هذَيْن، وذلك لما فيهما من منافع النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلْق، فهذا ينفعهم بعلْمه، وهذا ينفعهم بماله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين، ولا يعمر العالم إلا بهما؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274]، فذكر عموم الأوقات وعموم الأحوال، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وجد من ليل أو نهار، وعلى أي حالة وجد من سر وعلانية، فإنه سبب للجزاء على كل حال، فليبادرْ إليه العبد، ولا ينتظر به غير وقته وحاله، ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار، ولا نفقة النَّهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر، ولا بنفقة السر وقت العلانية، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وجدت سبب في إخراجه وثوابه، فتدبر هذه الأسرار في القرآن، فلعلك لا تظفر بها تمر بك في التفاسير، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له.

---

(579) رواه البخاري ومسلم.

فهذه الطبقات الأربعة مِنْ طبقات الأمة هم أهل الإحسان والنفع المتعدي، وهم العلماء وأئمة العدل، وأهل الجهاد، وأهل الصدقة وبذل الأموال في مرضاة الله، فهؤلاءِ ملوك الآخرة، وصحائف حسناتهم متزايدة، تملى فيها الحسنات وهم في بطون الأرض ما دامت آثارهم في الدنيا، فيا لها مِن نعمة ما أجلها! وكرامة ما أعظمها! يختص الله بها من يشاء من عباده.

الطبقة الثامنة: من فتح الله له بابًا من أبواب الخير القاصر على نفسه؛ كالصلاة، والحج، والعمرة، وقراءة القرآن، والصوم، والاعتكاف، والذِّكر، ونحوها، مضافًا إلى أداء فرائض الله عليه، فهو جاهد في تكثير حسناته، وإملاء صحيفته، وإذا عمل خطيئة تاب إلى الله منها، فهذا على خيرٍ عظيم، وله ثواب أمثاله من أعمال الآخرة، ولكن ليس له إلا عمله، فإذا مات طويتْ صحيفته، فهذه طبقة أهل الربح، والحظوة أيضًا عند الله.

الطبقة التاسعة: طبقة أهل النجاة، وهي طبقة من يؤدي فرائض الله، ويترك محارم الله، مقتصرًا على ذلك لا يزيد عليه ولا ينقص منه، فلا يتعدى إلى ما حرم الله عليه، ولا يزيد على ما فرض عليه، هذا من المفلحين بضمان رسول الله ρ لمن أخبره بشرائع الإسلام فقال: ((والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه))، فقال: ((أفلح إنْ صدَق))[580].

وأصحاب هذه الطبقة مضمون لهم على الله تكفير سيئاتهم، إذا أدوا فرائضه، واجتنبوا كبائر ما نهاهم عنه؛ قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]، وصحَّ عنه ρ أنه قال: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))[581]، فتكفير الصغائر يقع بشيئَيْن: أحدهما: الحسنات الماحية، والثاني: اجتناب الكبائر، وقد نص عليها - سبحانه وتعالى - في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

الطبقة العاشرة: طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم، وغشوا كبائر ما نهى الله عنه، ولكن رزقهم الله التوبة النصوح قبل الموت، فماتوا على توبةٍ صحيحةٍ، فهؤلاءِ ناجون من عذاب الله، إما قطعًا عند قوم، وإما رجاء وظنًّا عند آخرين.

وهم موكولون إلى المشيئة، ولكن نصوص القرآن والسنة تدل على نجاتهم وقبول توبتهم، وهو وعدٌ وعدهم الله إياهم، والله لا يخلف الميعاد.

---

(580) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(581) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

الطبقة الحادية عشرة: طبقة أقوام خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فعملوا حسنات وكبائر، ولقوا الله مُصرّين عليها، غير تائبين منها، لكن حسناتهم أغلب من سيئاتهم، فإذا وزنت بها ورجحت كفة الحسنات فهؤلاء أيضًا ناجون فائزون، قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8، 9]، قال حذيفة وعبدالله بن مسعود وغيرهما من الصحابة: "يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، فمَن رجحتْ حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومَن رجحتْ سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومَن استوتْ حسناتُه وسيئاته فهو مِن أهل (الأعراف)، وهذه الموازَنة تكون بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته، فإذا بقي شيء منها وزن هو وسيئاته".

الطبقة الثانية عشرة: قوم تساوتْ حسناتهم وسيئاتهم، فتقابل أثرهما فتقاوما، فمنعتهم حسناتُهم المساوية مِنْ دُخُول النار، ومَنَعَتْهم سيئاتُهم المساوية مِنْ دُخُول الجنة، فهؤلاءِ هم أهل الأعراف، والأعراف جمع عرف، وهو المكان المرتفع، وهو سور عالٍ بين الجنة والنار، عليه أهل الأعراف، قال حذيفة وعبدالله بن عباس: هم قوم استوتْ حسناتهم وسيئاتهم، فقصرتْ بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزتْ بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضيَ الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 46، 47]، فهؤلاءِ الطبقات هم أهل الجنة الذين لَم تمسهم النار.

الطبقة الثالثة عشرة: طبقة أهل المحنة والبلية - نعوذ بالله - وإن كانتْ آخرتهم إلى عفو وخير، وهم قوم مسلمون خفَّتْ موازينهم، ورجحتْ سيئاتهم على حسناتهم، فغلبتْها السيئات، فهذه الطبقة التي اختلفتْ فيها أقاويل الناس، وكثر فيها خوْضهم، وتشعبتْ مذاهبهم، وتتشتتْ آراؤُهم.

فطائفة كفرتهم وأوجبتْ لهم الخلود في النار، وهذا مذهبُ أكثر الخوارج، بل يكفرون من هو أحسن حالاً منهم، وهو مرتكب الكبيرة الذي لم يتبْ منها ولو استغرقتها حسناته.

وطائفة أوجبتْ لهم الخلود في النار، ولَم تطلق عليهم اسم الكفر، بل سموهم منافقين.

وطائفة نزلتهم منْزلة بين منزلة الكفَّار والمؤمنين، فجعلوا أقسام الخلْق ثلاثة: مؤمنين، وكفارًا، وقسمًا لا مؤمنين ولا كفارًا، بل بينهما، وأوجبتْ لهم الخلود في النار، وهذا هو الرأي الذي عليه أهل الاعتزال، فهذه ثلاث فرق أوجبت لهذه الطائفة الخلود في النار، وقالت المرجئة على اختلاف آرائهم: لا يدرى ما يفعل الله بهم، فيجوز أن يعذبهم كلهم، وأن يعفوَ عنهم كلهم، وأن يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم، غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار، فهم موكولون عندهم إلى محض المشيئة، لا يدرى

ما يفعل الله بهم، بل يرجأ أمرهم إلى الله وحكمه، وهذا قول كثير من المتكلمين والفقهاء والصُّوفيَّة وغيرهم.

وقول الصحابة والتابعين وأئمة الحديث: إن من ترجحتْ سيئاته بواحدةٍ دخل النار، وهؤلاء هم القسم الذين جاءتْ فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله، فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم، فمنهم مَن تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ويلبثون فيها على قدر أعمالهم، ثم يخرجون منها فينبتون على أنهار الجنة، فيفيض عليهم أهل الجنة بالماء حتى تنبت أجسادهم، ثم يدخلون الجنة، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مرارًا أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان، وإخبار النبي ρ أنهم يكونون فيها على قدْر أعمالِهم مع قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: 24]، ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وأضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة يدل على ما قاله أفضل الأمة وأعلمها بالله وكتابه وأحكام الدارين أصحاب محمد ρ والعقل والفطرة تشهد له، وهو مقتضى حكمة العزيز الحكيم، الذي بهرت حكمته العقول.

الرابعة عشرة: قوم لا طاعة لهم ولا معصية، ولا كفر ولا إيمان، وهؤلاء أصناف، منهم من لم تبلغه الدعوة بحال، ولا سمع لها بخبر، ومنهم المجنون الذي لا يعقل شيئًا ولا يُميِّز، ومنهم الأصم الذي لا يسمع شيئًا أبدًا، ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئًا.

فاختلفت الأمة في حكم هذه الطبقة اختلافًا كثيرًا، والمسألة التي وسعوا فيها الكلام هي مسألة أطفال المشركين.

وأما أطفال المسلمين، فقال الإمام أحمد: لا يختلف فيهم أحد؛ يعني: أنهم في الجنة، وحكى ابن عبدالبر عن جماعة أنهم توقَّفوا فيهم وأن جميع الولدان تحت المشيئة.

وأما أطفال المشركين، فللناس فيهم ثمانيةُ مذاهب:

أحدها: الوقف فيهم وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار؛ بل يوكل عِلمُهم إلى الله - تعالى - ويقال فيهم كما قال النبي ρ في الحديث الصحيح المتفق عليه: ((الله أعلم بما كانوا عاملين)).

الثاني: أنهم في النار، وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير.

الثالث: أنهم في الجنة، وهذا قول طائفة من المفسرين والمتكلمين وغيرهم.

الرابع: أنهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار، وهذا قول طائفة من المفسرين.

الخامس: أنهم تحت مشيئة الله - تعالى - إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم.

السادس: أنهم خدمُ أهل الجنة ومماليكهم، وهم معهم بمنزلة أرِقّائهم ومماليكهم في الدنيا.

السابع: أن حُكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة، فلا يفردون عنهم بحكمٍ في الدارين.

الثامن – وهو أرجحها –: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول، وإلى كل من لم تَبلُغْه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وبهذا يتألف شمل الأدلة كلّها.

الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفرَ ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال – تعالى –: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]، والمقصود أن هذه الطبقة أشقى الأشقياء؛ ولهذا يُستهزأ بهم في الآخرة، ويُعطَون نورًا يتوسطون به على الصراط، ثم يطفئ الله نورَهم، ويقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: 13]، وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء – نعوذ بالله من غضبه وعقابه.

من أوصاف المنافقين

ومَنْ تأمّل ما وصف الله به المنافقين في القرآن من صفات الذم، علِم أنهم أحقُّ بالدَّرْك الأسفل من النار؛ فإنه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده، ووصف قلوبَهم بالمرض، وهو مرض الشبهات والشكوك، ووصفهم بالإفساد في الأرض، وبالاستهزاء بدينه وبعباده، وبالطغيان واشتراء الضلالة بالهدى، والصمم والبكم والعمى والحيرة، والكسل عند عبادته، والزنا وقلة ذِكره، والتردُّد، وهو التذبذب بين المؤمنين والكفار، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، والحلف باسمه – تعالى – كذبًا وباطلاً، وبغاية الجبن، وبعدم الفقه في الدين، وبعدم العلم، وبالبخل، وبعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبكراهتهم لظهور نور الله، وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر، ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء، وأنهم يتربَّصون الدوائر بالمسلمين، وبعيب المؤمنين ورميهم بما ليس فيهم، فيلْمِزُون المتصدقين، ووصفهم بأنهم عبيد الدنيا: إن أعطوا منها رضوا، وإن منعوا منها سخطوا، وبأنهم يؤذون رسول الله ρ ويعيبونه، وأنهم يقصدون إرضاء المخلوقين ولا يطلبون إرضاء رب العالمين، وأنهم يسْخرون من المؤمنين، ووصفهم بأنهم رجس، والرجس من كل جنس أخبثُه وأقذره؛ فهم أخبث بني آدم وأقذرُهم وأرذلهم، ووصَفهم – سبحانه – بالاستهزاء به وبآياته وبرسله، وبأنهم يأمُرون بالمنكر وينهَون عن المعروف، ويقبضون أيديَهم عن الإنفاق في مرضاته، ووصَفَهم بنسيان ذِكره، وبأنهم يتولَّون الكفار ويدَعون المؤمنين، وبأن الشيطان قد استحوذ عليهم فأنساهم ذِكر الله، فلا يذكرونه

إلا قليلاً، وأنهم حزب الشيطان، وأنهم يوادُّون من حادَّ الله ورسوله، وبأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

ومن صفاتهم التي وصفهم بها رسول الله ρ الكذبُ في الحديث، والخيانة في الأمانة، والغدر عند العهد، والفجور عند الخصام، والخلف عند الوعد، وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها، ونقرُها عجلة وإسراعًا، وتركُ حضورها جماعة، وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء.

ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذِّب أقوالَهم، وباطنهم يكذِّب ظاهرهم، وسرائرهم تناقض علانيتَهم، ومن صفاتهم أنك إذا دعوتَهم عند المنازعة للتحاكُم إلى القرآن والسنة أبَوْا ذلك، وأعرضوا عنه، ودعَوْك إلى التحاكم إلى طواغيتهم؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 61].

ومن صفاتهم معارضةُ ما جاء به الرسول ρ بعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها على ما جاء به، فهم معرضون عنه، معارضون له.

ومن صفاتهم كتمان الحق، والتلبيس على أهله.

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزيف في النقود، يرُوج على أكثر الناس؛ لعدم بصيرتهم بالنقْد، وليس على الأديان أضرُّ من هذا الضرب من الناس، وبلية المسلمين بهم أعظمُ من بليتهم بالكفار المجاهرين، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأنَّ الطائفتين اشتركتا في الكفر، ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق؛ ولهذا قال - تعالى - في حقهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: 4]، فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يحلوا بالمحل الذي أحلَّهم الله من دار الهوان، وأن ينزلوا في أردأ منازل أهل العناد والكفران.

وبحسب إيمان العبد ومعرفته، يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة؛ ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر بن الخطاب يقول: يا حذيفة، ناشدتُك الله، هل سمَّاني رسول الله ρ مع القوم؟! فيقول: لا، ولا أزكِّي بعدك أحدًا[582]، وقال ابن أبي مُلَيْكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب رسول الله ρ كلهم يخاف النفاقَ على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل[583].

الطبقة السادسة عشرة: رؤساء الكفر وأئمته ودُعاته، الذين كفروا وصدُّوا عبادَ الله عن الإيمان بالله، وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة، فهؤلاء عذابُهم مضاعفٌ، ولهم عذابان: عذاب بالكفر،

(582) رواه البخاري.

(583) رواه البخاري.

وعذاب بصد الناس عن الدخول في الإيمان، قال الله – تعالى –: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: 88]، وقد استقرَّت حكمة الله وعدلُه أن يجعل على الداعي إلى الضلال مثلَ آثام من اتَّبعه واستجاب له، ولا ريب أن عذاب هذا يتضاعف ويتزايد بحسب من اتَّبعه وضلَّ به.

الطبقة السابعة عشرة: طبقة المقلِّدين وجُهَّال الكفرة وأتباعهم الذين هم معهم تبعٌ لهم يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، وقد اتَّفقت الأمَّة على أن هذه الطبقةَ كفارٌ، وإن كانوا جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم، وسوف يتبرأ المتبوعون ممن تبعهم على كُفرهم يومَ القيامة، وتنقطع صلتُهم بهم، ولا يغني عنهم تقليدهم شيئًا؛ قال – تعالى –: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166].

الطبقة الثامنة عشرة: طبقة الجن، وقد اتفق المسلمون على أن منهم المؤمن والكافر، والبَرَ والفاجر، قال – تعالى – إخبارًا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: 11]، قال مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين.

وقد اتَّفَق المسلمون على أن كفار الجن في النار، وقد دلَّ على ذلك القرآن في غير موضع؛ كقوله – تعالى –: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13]، وقال – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: 179]، وبالجملة، فهذا أمرٌ معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو يستلزم تكليفَ الجن بشرائع الأنبياء، ووجوب اتباعهم لهم، وأجمع المسلمون على أنَّ محمدًا ρ بُعث إلى الجن والإنس، وأنه يجب على الجنِّ طاعتُه كما يجب على الإنس.

وأما حكم مؤمنيهم في الدار الآخرة، فجمهور السلف والخلف على أنهم في الجنة، وترجم على ذلك البخاريُّ في صحيحه؛ فقال: باب ثواب الجن وعقابهم؛ لقوله – تعالى –: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام: 30].

فهذه مذاهب الناس في أحكامهم في الآخرة.

وأما أحكامهم في الدنيا، فاختلف الناس: هل هم مكلَّفون بالأمر والنهي أو لا؟

والصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام أنهم مأمورون منهيُّون مكلَّفون بالشريعة الإسلامية، وأدلةُ القرآن والسنة على ذلك أكثر من أن تُحصَر، ومما يدل على تكليفهم قولُه – تعالى –: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29]، فهذا يدل على تكليفهم من وجوه متعددة:

1- أن الله - سبحانه وتعالى - صرَفهم إلى رسوله يستمعون القرآن؛ ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه.

2- أنهم ولَّوا إلى قومهم منذرين، والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد انعقاد أسبابه، فعُلم أنهم منذرون لهم بالنار إن عصَوُا الرسول.

3- أنَّهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وهذا يدل على تمكُّنهم من العلم الذي تقوم به الحُجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه، والتكليفُ إنما يستلزم العلْمَ والقُدْرة.

3- أنهم قالوا لقومهم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: 31]، وهذا صريح في أنهم مكلَّفون مأمورون بإجابة الرسول ρ وهي تصديقُه فيما أخبر، وطاعتُه فيما أمر.

5- أنهم قالوا: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: 31]، والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب، وهو مخالفة الأمر.

6- أنهم قالوا: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: 31]، وهذا يدلُّ على أن من لم يستجبْ منهم لداعي الله لم يُجِرْه من العذاب الأليم، وهذا صريح في تعلُّق الشريعة الإسلامية بهم.

7- أنهم قالوا: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ [الأحقاف: 32]، وهذا تهديد شديد لمن تخلَّف عن إجابة داعي الله منهم.

وقد صحَّ أن رسول الله ρ: "قرأ عليهم القرآن، وأنهم سألوه الزاد لهم ولدوابهم، فجعل لهم كلَّ عَظمٍ ذكر اسم الله عليه، وكل بعرة علف لدوابهم، ونهانا عن الاستنجاء بهما"(584)، ولو لَم يكن في هذا إلا قولُه - تعالى -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وقد أخبر أنه يعذِّب كفرة الجن، لكفى به حجة على أنهم مكلَّفون باتباع الرسل.

فإذا علم تكليفهم بشرائع الأنبياء، ومطالبتهم بها، وحشرهم يوم القيامة للثواب والعقاب، علم أن مُحسنهم في الجنة، كما أن مسيئهم في النار.

وإذا ثبت تكليفُهم بانقسامهم إلى المسلمين والكفار، والصالحين ودون ذلك - كما تضمنتْه سورة الجن - فهم في الموازنة على نحو طبقات الإنس المتقدِّمة، إلا أنهم ليس فيهم رسول؛ بل فيهم النذر، وأفضل درجاتهم درجةُ الصالحين، ولو كان لهم درجة أفضل منها لذكروها، فقد دلَّ القرآن على انقسامهم إلى ثلاثة أقسام: صالحين، ودونهم، وكفار، وزاد عليهم الإنسُ بدرجة الرسالة والنبوة ودرجة المقرَّبين، والله أعلم.

---

(584) رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود، وقد تكرر حضور الجن واستماعهم للنبي ρفسمعوه في أول الوحي، وسمعوه بنخلة مرجعَه من الطائف، وقد كذبه أهلها وناله منهم ما ناله، وسمعوه وكلموه وسألوه غير ذلك... والله أعلم.

فهذا ما وصل إليه الإحصاء من طبقات المكلَّفين في الدار الآخرة، وهي ثماني عشرة طبقة، كل طبقة منها لها أعلى وأدنى ووسط، وهم درجات عند الله - تعالى - يحشر الشكل مع شكله، والنظير مع نظيره، ويقرن بينهما في الدرجة، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى من كتاب "طريق الهجرتين وباب السعادتين"، من ص453 - 566 باختصار.

149- من أسباب المغفرة

قال - تعالى -: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82].

ذكر الله في هذه الآية للمغفرة أربعةَ أسباب:

1- التوبة النصوح في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات؛ قال الله - تعالى -: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، فإذا تبتم أفلحتم ونجحتم وسعدتم في الدنيا والآخرة؛ وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: 8]، وتكفيرُ السيئات، ودخول الجنات، المشتملة على ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، حاصلٌ لمن تاب إلى الله - تعالى - توبة نصوحًا صادقة بأن يفعل التائب الواجبات، ويترك المحرَّمات، ويندم على ما فات، من ذنوب وسيئات، ويعزم ألا يعود إليها في المستقبل؛ فإنها تكفر سيئاته، ويدخل الجنة برحمة الله - تعالى - بسبب توبته النصوح، وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 153]، وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

2- ومن أعظم أسباب المغفرة الإيمانُ الصادق بالله - تعالى - وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، والإيمان بملائكة الله الكرام البررة، وأنهم عبادٌ مكرَمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، والإيمان بكتب الله المنزلة على رسله لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وفي مقدمتها القرآن الكريم، أفضل الكتب السماوية؛ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41، 42]، وقال - تعالى -: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقال - تعالى -: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15، 16]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57].

والإيمان برسل الله - عليهم الصلاة والسلام - جملة وتفصيلاً، وفي مقدمتهم خاتمهم محمدٌ ρ الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وجعل أمَّتَه خيرَ الأمم، وكتابه القرآن خير الكتب، وشريعته أفضل الشرائع وأسمحها وأسماها، وأكمل الله له ولأمَّته دينَهم ورضيه منهم، وأتم عليهم به النعمة، فلله الحمد

والشكر والثناء على ذلك.

والإيمان بالبعث بعد الموت، والجزاء والحساب، والثواب والعقاب، والحوض والميزان والصراط، والجنة والنار، وأنهما دار ثواب للمحسنين، وعقاب للمسيئين، والإيمان بالقدر خيره وشره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصاب الإنسانَ لم يكن لِيخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليصيبَه، قال - عليه الصلاة والسلام -: ((من أحبَّ أن يُزحزَح عن النار ويَدخُل الجنة، فلتأتِه منيتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه))؛ رواه مسلم.

3- ومن أعظم أسباب المغفرة: العمل الصالح - الخالص لله، الموافق لسُنة رسول الله ρ من صلاة وصدقة، وصوم وحج، وتلاوة قرآن، وذكر لله، ودعاء واستغفار، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران؛ قال الله – تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [لقمان: 8، 9]، وقال – تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾ [الكهف: 107، 108]، وفي القرآن ما يزيد على خمسين: يقرن الله فيها الإيمانَ بالعمل الصالح، ويرتِّب عليهما سعادة الدنيا والآخرة، والسلامة من شقاوة الدنيا والآخرة.

4- والاستمرار على الإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتوبة النصوح مدى الحياة حتى الممات، قال الله – تعالى -: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: 99]؛ أي: حتى تموت، وقال – تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف: 13، 14].

وطلَب رجل من النبي ρ وصيةً جامعة لأبواب الخير، فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: ((قل: آمنت بالله، ثم استقم))، وفي رواية: ((قل: ربي الله، ثم استقم))؛ رواه مسلم.

والاستقامة هي لزوم طاعة الله - تعالى - وتشمل فعْلَ جميع الواجبات، وترْكَ جميع المحرَّمات، قال ρ: ((استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمنٌ))؛ رواه أحمد وغيره، ورمز السيوطي لصحته.

فأسباب المغفرة كلُّها منحصرةٌ في هذه الأسباب الأربعة: الإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتوبة النصوح، والاستقامة على ذلك؛ فإن التوبة تجبُّ ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدِم ما قبله، والعمل الصالح - الذي هو الحسنات - يُذهِب السيئات، وسلوك طرق الهداية؛ من تعلُّم علم وتعليمه،

والدعوة إليه، والعمل به، والصبر عليه - كلُّها مكفرات للذنوب، وموجبات للمغفرة والرحمة والرضوان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم(585).

150- أسباب العذاب

قال الله – تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وقال – تعالى -: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: 14 - 16]، وقال – تعالى – في حق بعض الكفار: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: 31، 32].

فأسباب العذاب منحصرةٌ في هذين السببين، وهما: تكذيب القلب بخبر الله ورسوله، وإعراض البدن عن طاعة الله ورسوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والعزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

151- تنبيه

كثيرٌ من الجهال اعتمدوا على مغفرة الله ورحمته وكرمه، فضيَّعوا أَمْرَه ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرَدُّ بأسُه عن القوم المجرمين.

وأعظم الخلق غرورًا من اغترَّ بالدنيا وعاجِلِها، فآثرها على الآخرة، ورضي بها بديلاً من الآخرة، وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله.

وينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا، استلزم رجاؤه ثلاثةَ أمور:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

(585) انظر: "تفسير ابن سعدي"، ج5، صفحة 88، ط1.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني(586).

فحسن الظن بالله إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، كما قال – تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]، فانظر كيف قدَّموا أمام الرجاءِ الإيمانَ والهجرة والجهاد في سبيل الله.

وقال – تعالى -: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]؛ أي: المحسنين في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، ولم يقل: إن رحمة الله قريب من العصاة والفسقة والملحدين.

وقال – تعالى -: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 156-157]، فهؤلاء المؤمنون المتقون لله بطاعته وترْك معصيته، المتَّبعون لرسوله محمدٍ ρ هم أهل رحمة الله.

اللهم رحمتَك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

152- أسباب النجاة

قال الشاعر:

بِأَرْبَعَةٍ أَرْجُو نَجَاتِي وَإِنَّهَا = لآكَدُ مَذْخُورٍ لَدَيَّ وَأَعْظَمُ

شَهَادَةُ إِخْلَاصِي وَحُبِّي مُحَمَّدًا = وَحُسْنُ ظُنُونِي ثُمَّ أَنِّيَ مُسْلِمُ

ذكر في هذين البيتين أربعة أسباب للنجاة:

1- شهادة أن لا إله إلا الله، عن علمٍ ويقين وإخلاص، وصدق ومحبَّة وانقياد وقبول لها، ولِمَا دلَّتْ عليه من الأوامر والنواهي؛ قال ρ: ((من قال: لا إله إلا الله، مخلصًا، دخل الجنة))587، وقال: ((فإن الله حرَّم على النار مَن قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله))588، وقال: ((مَن قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله، حَرُمَ مالُه ودمُه، وحسابه على الله – عز وجل))؛ رواه مسلم.

2- وحُب الرسول محمدٍ ρ قال – عليه الصلاة والسلام -: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين))589، وقال: ((ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه، وجد بهِنَّ حلاوة

(586) انظر: "الجواب الكافي"، لابن القيم، ص 22 - 40.

587 رواه البزَّار عن أبي سعيد، ورواه الطبراني في "الأوسط"، و"الكبير" عن زيد بن أرقم، ورمز السيوطي لصحته.

588 رواه البخاري، ومسلم.

589 رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه ممن سواهما...)) الحديث[590]، وقال: ((المرء مع من أحب))[591].

ولا شك أن المحبة تقتضي وتستلزم الانقيادَ والمتابعة والطاعة في القول والعمل؛ قال – عليه الصلاة والسلام –: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جِئتُ به))[592].

ومن علامة محبة الله – تعالى – اتّباعُ رسوله ρ قال – تعالى –: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، فأوجب اتّباعُ الرسول محبةَ الله لمن اتبعه ومغفرةَ ذنوبه برحمة الله الغفور الرحيم.

3– ومن أسباب النجاة حُسن الظنِّ بالله – تعالى – في أنه يغفر له ويرحمه، بعد الجِد والاجتهاد فيما يقرِّب إلى الله من طاعته وطاعة رسوله؛ قال الله – تعالى – في الحديث القدسي: ((أنا عند ظنِّ عبدي بي))[593]، وقال – عليه الصلاة والسلام –: ((لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن الظنَّ بالله))[594]، وقال – تعالى – عن الكافرين والمنافقين: ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: 6]، وقال: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: 145]؛ حيث ظنوا أن الله لا ينصر رسولَه، وأن أمره سيضمحلُّ ويذهب ويتلاشى، وأن ما أصابهم لم يكن بقَدَرِ الله وحِكْمته، ففسر هذا الظن بإنكار الحِكْمة، وإنكار القَدَر، وإنكار أن يُتمَّ الله أمرَ رسوله، ويُظهِره على الدين كلِّه، وإنما كان ظنَّ سوءٍ؛ لأنه ظنَّ غيرَ ما يليق بالله وحِكْمته ووعده الصادق؛ قال – تعالى –: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: 23].

4– ومن أعظم أسباب النجاةِ الإسلامُ، وهو الاستسلام لله والانقياد له بالقول والاعتقاد والعمل، والحب والبغض، والفعل والترْك، بأن يعتقد المسلم أصولَ الإيمان، ويعمل بشرائع الإسلام وأركانه، ويتَّصف بحقائق الإحسان، فلا يترك واجبًا، ولا يعمل محرَّمًا، ولا يخالف أمرًا، ولا يرتكب نَهيًا؛ بل يمتثل ما أمر الله به ورسوله، راجيًا ثوابَ ربِّه، خائفًا من عقابه، مُحبًّا له بكلِّ قلبه، مُرْضِيًا له بكل جهده، وإذا كان كذلك، فهنيئًا له بالثواب العظيم، والنجاة من العذاب الأليم.

---

590 رواه البخاري، ومسلم.

591 رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

592 قال النووي: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحُجَّة بإسناد صحيح.

593 رواه البخاري، ومسلم.

594 رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه.

153- أسباب الرزق

يُؤمن المسلم أنه مكتوبٌ ومقدَّرٌ رزقُه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته وهو في بطن أُمه، ينال ذلك بالأسباب المقدَّرة له؛ كما في حديث ابن مسعود المتفق عليه، فمن أسباب الرزق:

1- السعي في تحصيله بالأسباب المقدَّرة له؛ من زراعة، أو تجارة، أو صناعة، أو وظيفة، أو غير ذلك من الأسباب المقدَّرة؛ قال الله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

2- وتقوى الله - تعالى - وطاعته، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3]؛ أي: مَن أطاع الله، جعل له مخرجًا من كلِّ ضِيقٍ، ورزقه من حيث لا يخطر بباله.

3- وكثرة الاستغفار - طلب المغفرة من الله تعالى -: قال - تعالى - إخبارًا عن نبيِّه ورسوله نوحٍ - عليه السلام -: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10- 12]، وفي الحديث: ((من لَزِمِ الاستغفار، جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضِيق مخرجًا، ورزَقَه من حيث لا يحتسب))؛ رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، والحاكم وصححه.

4- والتوكُّل على الله، والاعتماد عليه، والاستعانة به في حصول الرزق؛ فإن من توكَّل على الله كفاه؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]؛ أي: مَن يعتمد على الله وحدَه في حصول مطلوبه، فهو كافيه[595].

5- والدعاء بحصول الرزق؛ فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؛ قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، فقد أمر بالدعاء وتكفَّل بالإجابة إذا لم يمنع من ذلك مانعٌ من معصية الله؛ بترك واجب، أو فِعل محرَّم، أو أكلِ حرام، أو لبسهِ، أو استبطاء الإجابة، تقول: "يا رزَّاق، ارزقني وأنت خير الرازقين، اللهم إني اسألك رِزقًا طيبًا واسعًا، يا من لا تغيض خزائنه مع كثرة الإنفاق، اللهم اكْفِني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سواك، اللهم قنِّعني بما رزقتني، وبارك لي فيما آتيتني"، قال ρ: ((قد أفلح من أسلم ورُزِق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه))؛ رواه أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو، ورمز السيوطي لصحته[596].

---

595 وقال ρ -: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكُّله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا))؛ رواه الإمام أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والحاكم.

596 من أسباب الرزق: الكرم والجود والإنفاق في سبيل الله؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ

7 – والحمدُ والشكر لله على رِزقه ونِعَمِه عمومًا؛ فإن الشكر مقرونٌ بالمزيد؛ قال – تعالى -: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

اللهم لك الحمد والشكر والثناء على جزيل إنعامك، والحمد لله الذي بنعْمتِه تتمُّ الصالحات، والحمد لله الذي فضَّلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه، وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

تنبيه: الإنسان بطبيعته يحب الغِنى ويكره الفقر، وهو لا يعلم عواقب الأمور، ورُبَّ قليلٍ خير من كثير، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كَثُر وألهى، ولعلَّه يجمع المال من حلال وحرام، ثم يموت ويتركه لورثته، فيكون لهم غُنْمه وعليه غُرْمه، له الشوك وللوارث الرطب، وسوف يُسْأل عن ماله: مِن أين اكتسبه؟ وفِيمَ أنفقه؟ وأغبطُ الناس في هذه الحياة وأسعدهم فيها من كان رزقه بقَدْرِ حاجته وكفايته، لا فقر يُنسي، ولا غِنًى يُطغي؛ ولهذا حَكَمَ الرسول ρ بالفلاح لمن أسلم ورُزِق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه، في الحديث الذي رواه مسلم، ودعا لأهل بيته أن يكون رزقهم في الدنيا بقدر القوت، فقال في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي وابن ماجه: ((اللهم اجعل رزق آل محمدٍ في الدنيا قوتًا))، ولا يختار لهم إلا الأفضل، وقلة المال أيسرُ للحساب، وقال – تعالى -: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 1 – 17]، وقال – عليه الصلاة والسلام -: ((مَن كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق الله عليه أمْرَه، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتب له، ومَن كانت الآخرة نيَّته، جمع الله عليه أمْرَه، وجعل غناه في قلبه، وأتتْه الدنيا وهي راغمة))؛ رواه أحمد، وابن ماجه، والترمذي.

154- موجبات الشكر

قال الشاعر:

إِذَا اجْتَمَعَ الإِسْلاَمُ وَالقُوتُ لِلْفَتَى = وَكَانَ صَحِيحًا جِسْمُهُ وَهْوَ فِي أَمْنِ
فَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَحَازَهَا = وَحَقَّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ لِلَّهِ ذِي المنِّ

يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]؛ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالأجر والثواب، وفي الحديث القدسي قال الله – تبارك وتعالى -: ((يا ابن آدم أنْفِق أُنْفِق عليك))؛ رواه مسلم، وقال ρ -: ((ما مِن يومٍ يُصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلَفًا))؛ رواه البخاري ومسلم، وقال – عليه الصلاة والسلام -: ((ما نقصتْ صدقةٌ من مال))؛ رواه مسلم، فليثقِ المنفق بوعد الله، وينفق مما رزقه الله.

ذكر في هذين البيتين أعظمَ النِّعم الموجِبة للحمد والشكر والثناء لله ربِّ العالمين:

1- الإسلام الذي يَسلم به المسلمُ من الشقاوة ويفوز بالسعادة، فهو دين الله الذي خَلقَ خَلْقَه لأجْله، وبه أنزل كُتبَه وأرسل رُسُله، وهو الدين المقبول عند الله، فلا يقبل من أحدٍ دينًا سواه، وقد أكمله الله لعباده، وأتمَّ عليهم به النعمة، ورضيه منهم، فلن يسخطه أبدًا، ولن يتطرَّق إليه نقصٌ أبدًا، فهو الدين الشامل الكامل الذي لم يترك خيرًا إلا أمر به، ولا شرًّا إلا حذَّر منه؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: 19]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: 5]، فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك؛ فهو دين الأمن والأمان، والكمال والشمول، والسعادة الأبديَّة في الدنيا والآخرة.

2- ومن موجبات الشكر حصولُ القوت الضروري للإنسان، الذي به قوام البدن وراحته وقوَّته: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: 40]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وفي الحديث: ((مَن أصبح آمنًا في سِرْبه، معافًى في جسده، عنده قُوت يومه، فكأنَّما حِيزت له الدنيا بحذافيرها))؛ رواه البخاري في "الأدب المفرد"، والترمذي، وابن ماجه، ورمز السيوطي لحُسنه.

3- ومن أعظم النِّعم الموجِبة للشكر: صحةُ البدن والعقل، والسمع والبصر، واليدين والرجلين، والعينين واللسان والشفتين، وقد قيل: "الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحَّاء، لا يعرفها إلا المرضَى"، وقال الله - تعالى -: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك.

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 8 - 10]، وقد حثَّ النبيُّ ρ على اغتنام الصحة بالعمل الصالح قبل المَرَض؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: ((اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سقمِك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شُغْلك، وغِناك قبل فَقْرك))؛ رواه الحاكم وصححه.

4 - ومِن أعظم النعم الموجِبة للشُّكر: الأمن والاستقرار في الأوطان؛ حيث يأمن الإنسان على نفسه وأهله وماله، وهو من النِّعم التي لا يعرفها إلا من فَقَدَها، ولا يحصل الأمن التام في الدُّنيا والآخرة إلا للمؤمنين؛ قال الله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، فيا لها من نِعَمٍ ما أجلَّها وأعظمها!

فإذا أراد المسلم أن تستقرَّ عليه هذه النِّعم، فليحمدِ الله وليشكره بقلبه ولسانه وعمله بمحبته وطاعته لله ربِّ العالمين، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وفِعل ما أوجب، وتَرْك ما حرَّم، والإكثار من ذِكره وشُكره وحُسن عبادته.

اللهم أعنَّا على ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك.

اللهم لك الحمد والشكر والثناء على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة، وآلائك الجسيمة؛ حيث أنزلتَ علينا خيرَ كُتبك، وأرسلتَ إلينا أفضلَ رُسلِك، وشرعتَ لنا أفضل شرائع دينِك، وجعلتنا مِن خيرِ أُمَّةٍ أُخرجتْ للناس.

ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل صالحًا ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي؛ إني تبتُ إليك، وإني من المسلمين.

والحمد لله ربِّ العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرضى، كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه، وصلوات الله وسلامه على خير خَلْقه وأنبيائه، نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

155- موعظة وذكرى

قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 1 - 8].

يقول الله تعالى: أشَغَلَكم عن طاعة الله وعن ما يُنجيكم من عذابه المكاثرةُ بالأموال والأولاد، والعَدَد والعُدد، حتَّى متّم ودُفِنتم في المقابر؟

ثمَّ زجر عن هذا التَّكاثُر بقوله: ﴿كَلاَّ﴾ ثمَّ قال: حقًّا سوف تعلمون سوءَ عاقبة هذا التكاثُر، وهذه الغفلة عن طاعة الله إذا نزل بكم الموت، ويئِسْتُم من الحياة وغشيتْكم الكربات، وعلَتْكم الحسرات، وعاينتم ما أعدّ لكم من الجزاء، وسوف تعْلمون إذا متُّم ودُفِنتُم في المقابر ما يحصل لكم هنالك، ثمَّ كلاَّ سوف تعلمون إذا بُعِثتم من قبوركم للحساب والجزاء، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:

30]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 34 - 37].

أي: والله، يا قوم سوف تعلمون إذا بُعِثتم من قبوركم لربِّ العالمين حُفاةً عراة فرادى، ليس معكم شيء سوى العمل، وسوف تعلمون حين تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه، مَن يبيضّ وجهُه ومن يسودُّ وجهُه، وسوف تعلمون إذا تطايرتْ صحُف الأعمال في الشَّمائل والأيْمان، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 7 - 9]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: 25، 26].

وسوف تعلمون حين توزن الأعمال من يثقل ميزان حسناته ومن يخف؟ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: 6 - 9]، وسوف تعلمون إذا جاء الله لفصْل القضاء، والحكم بين العباد بالحقِّ، وسوف تعْلمون إذا جِيء بجهنَّم تُقاد بسبعين ألفَ زمام، ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: 21 - 23].

وسوف تعْلمون حين تُبْعثون من قبورِكم عطاشًا، مَن يَرِد حوضَ نبيِّه فيشرب منه شربةً لا يظْمأ بعدها أبدًا، ومَن يُطْرَد عنه بسبَب مخالفته لسنَّته، وسوف تعلمون حين يوضع الصِّراط على متْن جهنَّم فيمرُّ النَّاس عليْه على قدْر أعمالِهم في السرعة وعدَمها، وحين تورَد النَّار، وسوف تعلمون مَن يتجاوزُها ومَن يُلقى فيها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 71، 72].

نعم، سوف تعْلمون السَّعيدَ من الشَّقيّ والرَّابح من الخاسر، وسوف تعْلمون من يدخُل النَّار ومَن ينجو منها، ومَن يفوز بالجنَّة ومَن يُحرم منها بسبب معصِيته لله ولرسوله، وسوف تعلمون حين يجاء بالموت على صورة كبشٍ أمْلح فيُذْبح بين الجنَّة والنَّار، فيُقال: يا أهل الجنَّة، خلود ولا موت، ويا أهل النار، خلود ولا موت؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما.

لهذا وغيره؛ قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ *كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 1 - 4].

ثم قال: لو تعلمون عِلْمًا يقينًا سوء عاقبة هذا التَّكاثُر لَما تكاثرتُم، ثمَّ توعَّد الله النَّاس برؤْية جهنَّم عيانًا بأبصارِهم، فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: 6]، ثمَّ بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

[التكاثر: 7]؛ أي: رؤية هي اليقين نفسه، قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53]، فابتعِدوا عن أسباب دخولها، وعمَّا يقرِّب إليْها من قولٍ وعملٍ واستعِدُّوا لما يُنجيكم منها.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]؛ أي: لتُسألُنَّ مِن شُكر ما أنعم الله به عليْكم في الدنيا من نعمةِ الإسلام، والصِّحَّة في الأبدان، والأمْن في الأوْطان، ونعمة العقول والأسْماع والأبصار، ولذَّة النَّوم والرَّاحة والظِّلال والمأكل والمشرب، واللِّباس وغير ذلك ممَّا لا يُعَدُّ ولا يُحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 38، النحل: 18]، هل شكرتُم الله عليها فيزيدكم منها، ويرضى عنكم ويُثيبكم على ذلك؟ أم كفرتُموها واستعنْتم بها على معاصيه، فيعذِّبكم على ذلك؟ قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، وفي الحديث: ((إنَّ أوَّل ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النِّعم أن يقال له: ألَمْ نصحَّ لك بدنَك، ونُرْوِك من الماء البارد؟))؛ أخرجه الترمذي وابن حبَّان.

وفي الحديث: ((نِعْمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصّحَّة والفراغ))؛ رواه البخاري.

يعني: أنَّهم مقصّرون في شُكْر هاتَين النعمتين، ومَن لا يقوم بشُكْر ما أنعم الله به، فهُو مغْبون.

قرأ النَّبيّ ρ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقال: ((يقول ابنُ آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابنَ آدمَ مِن مالِك إلاَّ ما أكلْتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليْت، أو تصدَّقتَ فأمضيْت، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للنَّاس))؛ أخرجه أحمد ومسلم والتِّرمذي والنَّسائي.

وفي الحديث: ((يتْبع الميِّت ثلاثةٌ: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهلُه ومالُه ويبقى عملُه))؛ أخرجه البخاري ومسلم والتِّرمذي.

وفي الحديث: ((مَن كانت الدُّنيا همَّه فرَّق الله عليه أمْره، وجعل فقْرَه بين عينيْه، ولم يأتِه من الدُّنيا إلاَّ ما كُتِب له، ومَن كانت الآخرة نيَّته جمع الله عليْه أمره وجعل غناه في قلبِه، وأتتْه الدُّنيا وهي راغمة))؛ رواه أحمد وابن ماجه والترمذي.

ولسنا نأمُر بترْك الدنيا ولكن كما قيل: "اعملْ لدُنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا، واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا".

وإنَّما المحذور أن تجعل الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك، وتنسى الآخرة، والإسلام حثَّ على العمل وأمر بالكسب الحلال؛ قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77].

وسُئِل النبي ρ: أي الكسب أطيب؟ قال: ((عمَل الرَّجُل بيده، وكلّ بيع مبرور))[597]، وقال: ((نِعْم المال الصَّالح للرَّجُل الصَّالح، يتقي فيه ربَّه ويصِل فيه رحِمه، ويعلم لله فيه حقًّا))[598].

ومنَ الخطأ أن يكون الإنسان عبدًا للمال والهوى بحيث يكون حبّه لغير الله وبغضه لغير الله، وسخطه لغير الله ورضاه لغير الله، وقد قال النبي ρ: ((مَن أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقدِ استكمل الإيمان))[599]، وقال – عليْه الصَّلاة والسَّلام –: ((تعِس عبد الدّينار تعِس عبد الدِّرْهم، إن أُعطي رضي وإن مُنع سخط))[600]، وقال ρ: ((ما الفقْرَ أخشى عليْكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتْهم))[601].

وقال الشاعر:

وَمَا المالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدَائِعٌ = وَلا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وقال آخر:

أَلا إِنَّمَا الإِنْسَانُ ضَيْفٌ لأَهْلِهِ = يُقِيمُ قَلِيلاً عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ

وقال ρ: ((قد أفلح مَن أسلم وكان رِزْقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه))[602]، وفي الحديث: ((القناعة كنزٌ لا يفنى))؛ أخرجه القضاعي والعسكري والطبراني بمعناه عن جابر.

وقال الشاعر:

هِيَ القَنَاعَةُ فَالْزَمْهَا تَعِشْ مَلِكًا = لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ رَاحَةُ البَدَنِ

وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا = هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الحَنْطِ وَالكَفَنِ

وقال آخر:

إِذَا اجْتَمَعَ الإِسْلامُ وَالقُوتُ لِلفَتَى = وَكَانَ صَحِيحًا جِسْمُهُ وَهْوَ فِي أَمْنِ

فَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَحَازَهَا = وَحُقَّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ لِلَّهِ ذِي المَنِّ

---

597 رواه البزار، وصححه الحاكم.

598 قال في كشف الخفا: رواه أحمد وابن منيع.

599 رواه أبو داود والضياء عن أبي أمامة، ورمز السيوطي لصحته.

600 رواه البخاري.

601 رواه البخاري ومسلم.

602 رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: 5].

وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16، 17].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27].

فعليْنا - أيها المسلمون رحمكم الله - أن نختمَّ بآخرتِنا وأن نستعدَّ لها بالأعمال الصَّالحة، وأن نغتنم الفرصة قبل فواتِها؛ فإنَّ الحياة محدودة، والأنفاس معدودة، وسوف ننتقِل من هذه الدَّار القليلة الفانية إلى دار عظيمةٍ باقية، لا تفنى ولا تبيد.

فما الذي قدَّمناه لأنفسنا من عمل نُقدم عليه ونُجازى عليه؟

عبادَ الله، أكثِروا ذِكْر هاذِم اللذَّات - الموت - واستعدّوا له بالأعمال الصَّالحة، فوالله إنَّ أحدَنا لا يدري متَى يَحضرُه أجله؟ صباحًا أو مساء، فمبشَّر بالجنَّة أو مبشَّر بالنَّار، لا يدري أحدُنا إذا أصبح هل يُمسي، وإذا أمسى هل يصبح؟

فكم من إنسانٍ نام صحيحًا معافى، ونعِي صباحًا! وكم من إنسان خرج من بيته صحيحًا وعاد محمولاً! وكم من مسافر لم يرجع من سفره! وكم من عاصٍ مات على معصيته ولقِي ربَّه بجريمته، فلنتب إلى الله توبةً نصوحًا ما دام في العمر فسحة، وما دام في الوقت مهلة، وما دُمنا نستطيع العمل والتَّوبة قبل أن يُحال بيْننا وبينها.

واغتنِموا شبابَكم قبل هَرمكم، وصحَّتَكم قبل مرضكم، وحياتَكم قبل موتكم، وفراغَكم قبل شغلكم، وغناكم قبل فقْرِكم، فوالله ما بعد الموت من مستعْتب ولا بعد الموت من دار إلاَّ الجنَّة أو النَّار.

إنَّ النَّار لا يفكُّ أسيرها، ولا يَستغني فقيرها، فاتَّقوا الله عبادَ الله، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

اللَّهُمَّ وفِّقنا للعمل بما يرضيك، وجنِّبنا معاصيك، اللهمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم أصلِحْ قلوبَنا وأزِلْ عيوبَنا.

اللهُمَّ ألْهِمنا رشْدَنا، وأعِذْنا من شرور أنفُسنا وسيِّئات أعمالِنا، اللهُمَّ قِنا عذابَك يوم تبعث عبادك، اللّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ عِلْمنا، ولا غايةَ قصدِنا، ولا إلى النَّار مصيرنا يا حيّ يا قيّوم، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهُمَّ اغفِرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتِك يا أرحمَ الرَّاحمين آمين.

ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السَّميع العليم، يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام، يا مالكَ الملك يا قادرًا على كلّ شيء، يا مجيبَ دعوة المضطرّ إذا دعاك.

وصلَّى الله على محمَّد، وعلى آله وصحْبِه وسلَّم.

فضل سورة "ألهاكم التكاثر"

عن عبدالله بن عمر - رضِي الله عنْهما - قال: قال رسولُ الله ρ: ((ألا يَستطيع أحدُكم أن يقرأ ألْفَ آيةٍ في كلِّ يوم؟))، قالوا: ومَن يستطيع أن يقرأ ألفَ آية؟ قال: ((أما يستطيع أحدُكم أن يقرأ "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ"؟))؛ رواه البيهقي في "شعب الإيمان".

156- التحذير من الافتِتان والاغتِرار بالدنيا الفانية

والإعراض عن الآخرة الباقية

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 5، 6].

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16، 17].

وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39].

وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: 1 - 4].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 54 - 58].

وضرب المثل للحياة الدُّنيا فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 45، 46].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64] أي: الحياة الحقيقيَّة لأنَّه لا موت فيها.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: 7، 8] والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النَّبيِّ ρ قال: ((كُن في الدّنيا كأنَّك غريب أو عابرُ سبيل))، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظِر الصَّباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظِر المساء، وخُذ من صحَّتك لمرضِك ومن حياتِك لموْتك؛ رواه البخاري.

وقال ρ: ((واللهِ ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليْكم الدنيا كما بُسِطَت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهْلككم كما أهْلكتْهم))؛ متَّفق عليه.

وقال ρ: ((إنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله مستخْلِفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا واتَّقوا النّساء))؛ رواه مسلم.

وقال في ذمّ عبيد الدُّنيا: ((تعِس عبد الدينار والدِّرْهم والقطيفة والخميصة، إن أُعْطي رضي وإن لم يُعْطَ سخط))؛ رواه البخاري.

وقال – عليه الصَّلاة والسَّلام –: ((مَن أصبحَ آمنًا في سِرْبِه، معافًى في جسده، عنده قوتُ يومِه، فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقال ρ: ((ما لِي والدنيا! ما أنا في الدنيا إلاَّ كراكِب قالَ في ظلِّ شجرة ثمَّ راح وتركها))؛ رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

وقال – عليه الصَّلاة والسَّلام –: ((نِعْمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصِّحَّة، والفراغ))؛ رواه البخاري.

وفي صحيح الحاكم أنَّ رسولَ الله ρ قال لرجُل وهو يعظه: ((اغتنم خمسًا قبل خَمس: شبابك قبل هَرَمك، وصحَّتك قبل سقْمِك، وغِناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتَك قبل موتِك)).

وقال ρ: ((انظُروا إلى مَن هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى مَن هو فوقَكم؛ فهو أجدر ألاَّ تزْدروا نعمة الله عليْكم))؛ متَّفق عليه.

وقال: ((الدُّنيا سجْنُ المؤمن وجنَّة الكافر))؛ رواه مسلم.

وقال: ((ازْهد في الدّنيا يحبّك الله، وازهدْ فيما عند النَّاس يحبّك النَّاس))؛ حديث حسن رواه ابن ماجه.

وقال ρ: ((الدّنيا ملعونةٌ، ملعون ما فيها إلاَّ ذكر الله وما والاه، أو عالما أو متعلّمًا))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وقال – عليه الصَّلاة والسَّلام –: ((قد أفلح مَن أَسْلَم ورُزِق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه))؛ رواه مسلم.

وقال ρ: ((مَن كانت الدنيا همَّه فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقْرَه بين عينيْه ولم يأْتِه من الدّنيا إلاَّ ما كُتِب له، ومَن كانت الآخرة نيَّته جمع الله عليه أمرَه وجعل غناه في قلبه وأتتْه الدُّنيا وهي راغمة))؛ رواه أحمد وابن ماجه والترمذي.

وقال ρ: ((مَن أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرتِه، ومن أحبَّ آخرتَه أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى))؛ رواه أحمد، ورواته ثقات.

وقال ρ: ((الدّنيا دارُ مَن لا دارَ له، ومالُ مَن لا مال له، ولها يجمع من لا عقْلَ له))؛ رواه أحمد والبيهقي.

وقال الشَّاعر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا = وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ المَوْتِ مُجْتَهِدًا = فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَلِ

وقال آخر:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا = حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَلا يَغْرُرْكُمُ مِنِّي ابْتِسَامٌ = فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالفِعْلُ مُبْكِي

وقال الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف – رحمه الله تعالى:

وَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ إِنَّهَا = هِيَ السِّحْرُ فِي تَخْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ
مَتَاعُ غُرُورٍ لا يَدُومُ سُرُورُهَا = وَأَضْغَاثُ حُلْمٍ خَادِعٍ بِبَهَائِهِ
فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا = وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنَتْ بِبُكَائِهِ
أَلا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ العِدَا = وَيَحْسَبُهَا المغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَّاتُهَا مَسْمُومَةٌ وَوُعُودُهَا = سَرَابٌ فَمَا الظَّامِئُ يروى مِنْ عَنَائِهِ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا = وَكَمْ ذَمَّهَا الأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
وَمَنْ يَكُ جَمْعُ المالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ = فَمَا قَلْبُهُ إِلاَّ مَرِيضٌ بِدَائِهِ
فَدَعْهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحَتَّمٌ = وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الوَرَى بِأَدَائِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذَرْهَا زَاهِدًا فِي حَيَاتِهِ = سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
فَتَتْرُكُهُ يَوْمًا صَرِيعًا بِقَبْرِهِ = رَهِينًا أَسِيرًا آسِيًا مِنْ وَرَائِهِ
وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ المفَدَّى لَدَيْهِمُ = وَتَكْسُوهُ ثَوْبَ الرُّخْصِ بَعْدَ غَلائِهِ
وَيَنْتَهِبُ الوُرَّاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي = عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ
وَتُسْكِنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً = تَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ
يُقِيمُ بِهَا طُولَ الزَّمَانِ وَمَا لَهُ = أَنِيسٌ سِوَى الدُّودِ يَسْعَى فِي حَشَائِهِ
وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمُ الحِسَابِ وَهَوْلُهُ = فَيُجْزَى بِهِ الإِنْسَانُ أَوْفَى جَزَائِهِ
وَلا تَنْسَ ذِكْرَ الموْتِ فَالموْتُ غَائِبٌ = وَلا بُدَّ يَوْمًا لِلفَتَى مِنْ لِقَائِهِ
فَخُذْ أُهْبَةً لِلمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التُّقَى = لِتَغْنَمَ وَقْتَ العُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
وَإِيَّاكَ وَالآمَالَ فَالعُمْرُ يَنْقَضِي = وَأَسْبَابُهَا مَحْدُودَةٌ مِنْ وَرَائِهِ
وَحَافِظْ عَلَى دِينِ الهُدَى فَلَعَلَّهُ = يَكُونُ خِتَامَ العُمْرِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ
أُصَلِّي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا = عَلَى خَاتَمِ الرُّسْلِ الكِرَامِ وَآلِهِ[603]

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131].

603 ديوان بن مشرف (32، 33).

وقال الشاعر:

إِذَا اجْتَمَعَ الإِسْلامُ وَالقُوتُ لِلفَتَى = وَكَانَ صَحِيحًا جِسْمُهُ وَهْوَ فِي أَمْنِ

فَقَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَحَازَهَا = وَحَقَّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ لِلَّهِ ذِي المَنِّ

فلِلَّه الحمد والشُّكْر والثَّناء ملْء الأرض والسَّماء.

157- ما يلْقاه الإنسان بعد موته

إذا بلغ الأجَل الَّذي قدر له واستوفاه، جاءتْه رسل ربِّه - عزَّ وجلَّ - ينقلونه من دار الفناء إلى دار البقاء، فجلسوا منه مدَّ البصر، ثمَّ دنا منه الملَك الموكَّل بقبض الأرْواح فاستدعى بالرُّوح، فإن كانت روحًا طيّبة، قال: اخرجي أيَّتها النَّفس الطيِّبة كانتْ في الجسد الطيّب، واخرجي حميدة، وأبْشِري بروح وريحان وربّ غير غضبان، فتخرج من بدنِه كما تخرج القطرة من في السِّقاء، فإذا أخذها لم يدعها الرُّسُل في يديْه طرفة عين، فيحنِّطونها ويكفِّنونها بحنوط وكفَن من الجنَّة، ثُم يصلُّون عليها، ويوجد لها كأطْيب نفحة مسك وجدتْ على وجْه الأرض.

ثمَّ يصعد بها للعرْض الأوَّل على أسرع الحاسبين، فيُنتهى بها إلى سماء الدّنيا فيستأذن لها، فتُفتح لها أبواب السَّماء، ويصلي عليها ملائكتُها ويشيعها مقرَّبوها إلى السَّماء الثانية، فيفعل بها كذلك ثمَّ الثَّالثة ثمَّ الرَّابعة، إلى أن ينتهى بها إلى السَّماء التي فيها الله - عزَّ وجلَّ - فتُحيي ربَّها - تبارك وتعالى - بتحيَّة الربوبيَّة: "اللهُمَّ أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"، فإن شاء الله أذِن لها بالسجود، ثم يخرج لها التَّوقيع بالجنَّة، فيقول الرَّبّ - جلَّ جلاله -: "اكتبوا كتاب عبدي في علّيّين، ثم أَعيدوه إلى الأرض فإنِّي منها خلقْتُهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى".

ثم ترجع روحه إلى الأرض، فتشهد غسله وتكفينه، وحمْله وتجهيزه، ويقول: قدِّموني، قدِّموني، فإذا وُضِع في لَحْدِه وتولَّى عنه أصحابه، دخلت الرّوح معه، حتَّى إنَّه ليسمع قرع نعالهِم على الأرض، فيأتيه حينئذ فتَّانا القبر، فيُجلسانه ويسألانه: من ربّك؟ وما دينك؟ ومَن نبيُّك؟ فيقول: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمَّد، فيصدقانِه ويبشِّرانِه بأنَّ هذا الَّذي عاش عليْه ومات عليه، وعليْه يُبْعَث.

ثمَّ يفسح له في قبره مدَّ بصره، ويفرش له خضر، ويقيَّض له شاب حسن الوجه طيّب الرَّائحة فيقول: أبشِر بالَّذي يسرك، فيقول: مَن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصَّالح، ثمَّ يفتح له طاقة إلى النَّار يقال: انظر ما صرف الله عنك، ثمَّ يفتح له طاقة إلى الجنَّة، ويقال: انظُر ما أعدَّ الله لك، فيراهما جميعًا.

وأمَّا النفس الفاجرة: فبالضّدّ من ذلك كله، إذا آذنتْ بالرَّحيل نزل عليها ملائكة سود الوجوه، معهم حنوط من نارٍ، وكفَن من نار فجلسوا منه مدَّ البصر، ثمَّ دنا الملَك الموكَّل بقبض النفوس، فاستدعى بها، وقال: اخرجي أيَّتها النَّفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أبشري بحميم وغسَّاق، وآخر من شكْلِه أزواج، فتطاير في بدنه فيجتذبها من أعماق البدن فتنقطِع معها العروق والعصب، كما ينتزع الشوك من الصّوف المبلول، فإذا أخذها لَم يدعوها في يدِه طرفة عين.

ويوجد لها كأنتن رائحة جيفة على وجْه الأرض، فتحنَّط بذلك الحنوط وتلفّ في ذلك الكفَن، ويلعنُها كلُّ ملَك بين السَّماء والأرض، ثمَّ يُصْعَد بها إلى السَّماء فيُستفْتح لها، فلا تفتح لها أبواب السَّماء، ثمَّ يجيء النّداء من ربّ العالمين: اكتُبوا كتابَه في سجّين، وأعيدوه إلى الأرض، فتُطرَح روحه طرحًا، فتشهد تجهيزه وتكفينه وحمله، وتقول وهي على السَّرير: يا ويلَها، إلى أين تذهبون بها؟ فإذا وُضِع في اللَّحد أعيدت إليه وجاءه الملَكان، فسألاه عن ربّه ودينِه ونبيّه، فيتلجلج ويقول: لا أدري، فيقولانِ له: لا دريتَ، ولا تليت، ثمَّ يضربانِه ضربة ويصيح صيحة يسمعه كلّ شيءٍ إلاَّ الثقلَين، ثمَّ يضيق عليه قبرُه حتَّى تختلف فيه أضلاعه، ثمَّ يفرش له نار، ويُفتح له طاقة إلى الجنَّة، فيقال: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثمَّ يفتح له طاقة إلى النار، فيقال: انظُر إلى مقعدك من النَّار، فيراهما جميعًا، ثمَّ يقيَّض له أعمى، أصمّ أبكم، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيءُ بالشَّرّ، فيقول: أنا عملك السيئ.

ثم ينعَّم المؤمن في البرزخ على حسب أعماله، ويعذَّب الفاجر فيه على حسَب أعماله، ويختصّ كل عضو بعذاب يليق بجناية العضو، فتقرض شفاه المغتابين الذين يمزّقون لحوم النَّاس ويقعون في أعراضِهم بِمقاريضَ من نار، وتُسْجَر بطون أكَلَة أموال اليتامى بالنَّار، ويُلْقم أكلة الرّبا بالحجارة، ويسبحون في أنْهار الدَّم كما سبحوا في الكسب الخبيث، وتُرضّ رؤوس النَّائمين عن الصَّلاة المكتوبة بالحجر العظيم، ويشقّ شدق الكذَّاب الكذبة العظيمة بكلاليب الحديد إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، كما شقَّت كذبته النواحي، وتعلَّق النّساء الزَّواني بثديهنَّ وتحبس الزناة والزواني في التنّور المحمي عليْه، فيعذب محلّ المعصية منهم وهو الأسافل.

وتسلَّط الهموم والغموم، والأحزان والآلام النفسانيَّة على النفوس البطَّالة، التي كانت مشغوفة باللَّهو واللّعب والبطالة، فتصنع الآلام في نفوسِهم كما تصنع الهوامّ والديدان في لحومهم، حتَّى يأذن الله سبحانه بانقضاء أجل العالم وطيّ الدنيا، فتمطر الأرض مطرًا غليظًا أبيض كمني الرِّجال أربعين صباحًا، فينبتون من قبورهم كما تنبت الشَّجرة والعشب، فإذا تكاملت الأجنَّة وأقربت الأم، وكان وقت الولادة، أمر الله - سبحانه - إسرافيل فنفخ في الصّور نفخةَ البعث، وهي الثَّالثة، وقبلها نفخة الموت وقبلها نفخة الفزَع، فتشقَّقت الأرض عنهم فإذا هُم قيام ينظرون، يقول المؤمن: "الحمد لله الَّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليْه النشور"، ويقول الكافر: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52].

فيُساقون إلى المحشر حفاةً عراةً غرلا بُهمًا، ومع كلّ نفس سائقٌ يسوقها وشهيدٌ يشهد عليها، وهم بين مسرور ومثبور، وضاحك وباك، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: 38 - 41]، حتَّى إذا استكملت عدَّتهم، وصاروا جميعًا على وجْه الأرض، تشقَّقت السَّماء وانتثرت الكواكب، ونزلت ملائكة السَّماء، فأحاطت بهم، ثمَّ نزلت ملائكة السَّماء الثَّانية، فأحاطت بملائكة السَّماء الدنيا، ثمَّ كلّ سماء كذلك، فبينما هم كذلك إذ جاء ربّ العالمين - سبحانه - لفصْل القضاء فأشرقت الأرض بنوره، وتميَّز المجرمون من المؤمنين، ونصب الميزان وأحضر الديوان واستُدْعِي بالشهود، وشهدت يومئذ الأيدي والألسن والأرجُل والجلود، ولا تزال الخصومة بين يدي الله - سبحانه - حتَّى يختصم الرُّوح والجسد، فيقول الجسد: إنَّما كنت ميّتًا لا أعقل ولا أسْمع ولا أُبْصِر، وأنت كنتِ السميعةَ المبصرة العاقلة، وكنت تصرفينني حيث أردتِ، فتقول الروح: وأنتَ الذي فعلت وباشرت المعصية وبطشْت.

فيرسل الله - سبحانه - إليْهما ملكًا يَحكم بيْنهم، فيقول: مَثَلُكما مثل بصير مقْعد، وأعمى صحيح، دخلا بستانًا فقال المقعد: أنا أرى الثِّمار ولا أستطيع أن أقوم إليْها، وقال الأعمى: أنا أستطيع القيام ولكن لا أرى شيئًا، فقال له المقعد: احملْني حتَّى أصِل إلى ذلك، ففعلا، فعلى مَن تكون العقوبة؟ فيقولانِ: عليهما، فيقول: فكذلك أنتُما.

فيحكم الله - سبحانه - بين عباده بحكمه الَّذي يحمَده عليه جميع أهل السَّموات والأرض، وكلّ برٍّ وفاجر ومؤمن وكافر، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8] ثم يُنادي منادٍ: لتتبع كلُّ أمَّة ما كانت تعبد.

فيذهب أهلُ الأوثان مع أوثانِهم، وأهلُ الصَّليب مع صليبِهم، وكلّ مُشْرِك مع إلَهِه الَّذي كان يَعبد، لا يستطيع التخلُّف عنْه، فيتساقطون في النَّار.

ويبقى الموحِّدون فيُقال لهم: ألا تنطلِقون حيث انطلق النَّاس؟ فيقولون: فارقْنا النَّاسَ أحوج ما كنَّا إليهم، وإنَّ لنا ربًّا ننتظره، فيُقال: وهل بينكم وبينه علامة تعْرفونه بها؟ فيقولون: نعم، إنَّه لا مثل له، فيتجلَّى لهم - سبحانه - في غير الصّورة التي يعرفونه، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتَّى يأتينا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيتجلَّى لهم في صورته الَّتي رأوْه فيها أوَّل مرَّة ضاحكًا، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعم أنت ربّنا، ويخرّون له سجَّدًا إلاَّ مَن كان لا يصلِّي في الدّنيا أو يصلّي رياءً، فإنَّه يحال بينه وبين السجود.

ثُمَّ ينطلق - سبحانه - ويتبعونه، ويضرب الجسْر، ويساق الخلْق إليه، وهو دحض مزلَّة مظلم، لا يمكن عبوره إلاَّ بنور، فإذا انتهوْا إليه قسمتْ بينهم الأنوار على حسب نور إيمانِهم وإخلاصهم وأعمالهم في الدُّنيا، فنور كالشَّمس، ونور كالنَّجم، ونور كالسّراج في قوَّتِه وضعْفه.

وترسل الأمانة والرَّحم على جنبتَي الصراط، فلا يجوزه خائن، ولا قاطع رحِم، ويختلف مُرُورهم عليه بحسب اختِلاف استقامتِهم على الصِّراط المستقيم في الدُّنيا، فمارّ كالبرق، وكالرّيح، وكالطَّير، وكأجاود الخَيل، وساعٍ، وماشٍ، وزاحف وحابٍ حبوًا.

ويُنْصَب على جنبتَيْه كلاليب لا يعلم قدْر عظمِها إلاَّ الله - عزَّ وجلَّ - تعوقُ مَن علقت به عن العبور على حسب ما كانتْ تعوقُه الدنيا عن طاعة الله ومرضاته وعبوديَّته، فناجٍ مسلم ومخْدوش مسلم، ومقطَّع بتلك الكلاليب، ومكْدوس في النَّار، وقد طفئ نور المنافقين على الجسْر أحوج ما كانوا إليْه كما طُفئ في الدنيا من قلوبهم، وأعطوا دون الكفَّار نورًا في الظَّاهر كما كان إسلامهم في الظَّاهر دون الباطن، فيقولون للمؤمنين: قفوا لنا ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ ما نَجوز به، فيقول المؤمنون والملائكة: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.

قيل المعنى: ارجعوا إلى الدُّنيا، فخذوا من الإيمان نورًا تَجوزون به كما فعل المؤمنون، وقيل: ارجِعوا وراءكم حيث قسمت الأنوار، فالتمِسوا هناك نورًا تجوزون به.

ثمَّ ضُرِب ﴿بَيْنَهُمْ﴾، وبين أهل الإيمان ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾ الَّذي يلي المؤمنين ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ﴾ الَّذي يليهم ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 13 - 15].

فإذا جاوَز المؤمنون الصِّراط، ولا يَجوزه إلاَّ مؤمن، أمنوا مِنْ دخول النار، فيحبسون هناك على قنطرةٍ بين الجنَّة والنَّار، فيقتصّ لبعضِهم من بعض مظالِمَ كانتْ بيْنهم في دار الدّنيا، حتَّى إذا هذّبوا أُذِن لهم في دخول الجنَّة.

فإذا استقرَّ أهل الجنَّة في الجنَّة، وأهل النَّار في النَّار، أُتِي بالموت في صورة كبْش أملح، فيُوقف بين الجنَّة والنَّار، ثُمَّ يقال: يا أهلَ الجنَّة، فيطلعون وجِلين، ثُمَّ يقال: يا أهل النَّار، فيطْلعون مستبْشِرين فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، وكلّهم قد عرفه، فيُقال: هذا الموت، فيُذْبح بين الجنَّة والنَّار، ثمَّ يقال: يا أهل الجنَّة، خلود ولا موت، ويا أهل النَّار خلود ولا موت.

فهذا آخر أحوال هذه النُّطْفة الَّتي هي مبدأ الإنسان، وما بين هذا المبدأ وهذه الغاية أحْوال وأطباق قدَّر العزيز العليم تنقُّل الإنسان فيها، وركوبه لها طبقًا بعد طبق، حتَّى يصل إلى غايته من السعادة والشقاوة.

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: 17 - 23].

فنسأل الله العظيم أن يَجعلنا من الَّذين سبقتْ لهم منه الحُسنى، ولا يجعلنا مع الَّذين غلبت عليهم الشقاوة فخسِروا في الدنيا والآخرة، إنَّه سميع الدُّعاء وهو حسبنا ونعم الوكيل آمين.

والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على خيْر خلقه محمَّد خاتَم النبيّين، وعلى آله وصحْبه وسلَّم.

"من تحفة المودود بأحكام المولود"؛ لابن القيم - رحمه الله تعالى - (303 - 311).

158- من أهوال القيامة

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 185]، كما أنَّ للموت شدَّة في أحواله وسكراته، وخطرًا في خوف العاقبة وسوء الخاتمة، كذلك الخطر في مقاساة ظُلْمة القبر وديدانه، ثمَّ لمنكر ونكير وسؤالهما، ثمَّ لعذاب القبر وخطره، وأعظم من ذلك كلّه الأخطار التي بين يديه مِن نفخ الصور والبعث يوم النشور، والعرض على الجبَّار، والسؤال عن القليل والكثير، ونصْب الميزان لمعرفة المقادير، ثم جواز الصراط، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إمَّا بالإسعاد، وإمَّا بالإشقاء.

فهذه أحوال وأهوال لا بدَّ لك منها ومِنْ معرفتها، ثمَّ الإيمان بها على سبيل الجزْم والتَّصديق ثمَّ تطْويل الفِكْر في ذلك؛ لينبعث مِنْ قلبك دواعي الاستعداد لها، وأكثر النَّاس لَم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميمَ قلوبهم، ولم يتمكَّن من سويداء أفئدتهم، ويدلّ على ذلك شدَّة تشميرهم واستِعْدادهم لحرّ الصيف وبرْد الشتاء، وتهاوُنهم بحرّ جهنَّم وزمْهريرها، فمثّل لنفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتًا من شدَّة الصاعقة، شاخص العين نحو النّداء: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 51 - 54]، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: 43، 44].

فكيف حالُك وحال قلبِك هنالك، وقد بُدلت الأرض غير الأرض والسَّموات، وبرزوا لله الواحد القهَّار، وطمس ضوْء الشَّمس والقمر، وأظلمت الأرْض واشتبك النَّاس وهم حفاة عُراة مشاة، وازدحموا في الموقِف، شاخصة أبصارهم، منفطِرة قلوبهم.

فتأمَّل – يا مسكين – في طول ذلك اليوم، وشدَّة الانتظار فيه، وفي الخجْلة والحياء من الافتضاح عند العرْض على الجبَّار، وأنت عارٍ مكشوف ذليل متحير مبهوت، منتظر لما يجري عليك القضاء بالسَّعادة والشقاء، وأعظِمْ بهذه الحال فإنها عظيمة! استعدَّ لهذا اليوم العظيم شأنُه، القاهر سلطانُه، القريب أوانه، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2]، فالويل كلّ الويل للغافلين.

ثمَّ تفكَّر – يا مسكين – بعد هذه الأحوال فيما يتوجَّه عليك من السؤال شفاهًا من غير ترجمان، فتُسأل عن القليل والكثير، والنَّقير والقِطْمير، فعند ذلك ترتعِد الفرائص، وتضطرب الجوارح، وتُبْهَت العقول، وفي الحديث: ((لا تزول قدَمَا عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسأل عن أربعِ خصال: عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله مِن أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟))؛ رواه البزَّار، والطبراني بإسناد صحيح.

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

فأعدَّ للسؤال جوابًا صحيحًا، ثمَّ لا تغفل عنِ الفِكْر في الميزان، وتطاير الكُتُب إلى الشمائل والأيمان ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: 7 – 12]، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: 6 – 11].

إنَّه لا ينجو من خطر الميزان ولا يسهل الحساب إلاَّ على مَن حاسب في الدّنيا نفسَه، ووزن فيها بميزان الشَّرع أقواله وأفعاله، وخطرات قلبه ولحظات عينِه، وإنَّما حسابه لنفسه أن يتوب من كلّ معصية قبل أن يموت توبةً نصوحًا، ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله تعالى، ويردّ المظالم إلى أهلها حبَّة بعد حبَّة، حتَّى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنَّة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤُه، فهذا يأخذ بيده وهذا يقْبض على ناصيته، هذا يقول: ظلَمْتَني، وهذا يقول: شتمْتَني، وهذا يقول: استهزأتَ بي، وهذا يقول: جاورْتَني فأسأت جواري، وهذا يقول: عاملْتَني، فغششْتَني، وهذا يقول: أخفيت عيْبَ سلعتك عني، وهذا يقول: كذبت في سعْر متاعك،

وهذا يقول: رأيتَني محتاجًا وأنت غني فما أكرمتني، وهذا يقول: وجدتَني مظلومًا وأنت قادر على نُصْرتي فلم تنصرني.

ثمَّ يُنادي منادٍ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 17]، فاحذرْ من التعرُّض لسخط الله وعقابِه الأليم، واستقِمْ على صراطه المستقيم[604].

604 انظر كتاب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ص 374 - 379.

159- من مشاهِد القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: 40]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1، 2]، ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: 34 - 42].

حقًّا، إنَّ أمر السَّاعة عظيم، وشأنها جسيم، وموعدها قريب، فإنَّ مَن مات قامت قيامته وانتقلت روحه إلى الجنَّة أو إلى النَّار، ونال جسمه في قبْره نعيمٌ أو عذابٌ، فالقبر إمَّا روضة من رياض الجنَّة أو حفرة من حُفَر النَّار، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الَّذي لا ينطق عن الهوى[605].

فنعيم القبر وعذابه حقٌّ ثابت للبَدَن والرّوح بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة، وهو مِن الإيمان بالغيب الَّذي لا ينكره إلا مُلحد معانِد، وقد استعاذ النَّبي ρ من عذاب القبر[606]، وأمرنا بالاستعاذة منه في كلّ صلاة بعد التشهُّد[607]، فإذا تَمَّت المدَّة المقدرة لهذا العالم نفخ في الصور فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض، وماتوا إلا مَنْ شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هُم قيام ينظرون، ويقومون من قبورهم لربِّ العالمين حفاةً عراةً فرادى، كما خلقوا أوَّل مرَّة، ليس معهم شيءٌ سوى أعمالهم، من حسنات وسيِّئات، وتدْنو الشَّمس من رُؤوس الخلائق، ويشتدّ الحرّ، ويعظم الهول، وتبدَّل الأرض غير الأرْض والسَّموات، وبرزوا لله الواحِد القهَّار، وتذهل كلُّ مرضعةٍ عمَّا أرضعتْ، وتضع كلُّ ذات حَمْل حملَها، ويَشيب الولدان من هوْل ذلك اليوم وطوله، حيثُ يقدَّر بخمسين ألفَ سنة، ويبلغ النَّاس الكرب والغمّ ما لا يطيقون ولا يَحتمِلون، فيطْلُبون مَن يشفع لهم إلى ربِّهم، ليُحاسبهم ويُريحهم من كرب الموقف، فيذهبون إلى آدم أبي البشَر، ثمَّ إلى نوح، ثمَّ إلى إبراهيم الخليل، ثمَّ إلى موسى، ثمَّ إلى عيسى، فيعتذِرون ويقول كل واحدٍ منهم: إنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضبْ قبله مثله، ولن يغضبَ

605 في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن أبي سعيد.

606 في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، عن عائشة - رضي الله عنها.

607 متَّفق عليه.

بعده مثله، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، فيذهبون إلى محمَّد ρ فيقول: أنا لها، فيذهب فيسجد تحت العرْش فيفتح الله عليه مِنْ مَحامِدِه ثُم يقال: يا محمَّد ارفع رأسك، وقلْ تُسمع، وسلْ تعطَ، واشفع تشفَّع[608]، فيشفع في أعلى الموقف أن يحاسبوا فيحمَده على ذلك الأوَّلون والآخرون، وهذه هي الشَّفاعة العظمى والمقام المحمود لنبيّنا محمَّد ρ .

فيَجِيء الربُّ – سبحانه وتعالى – للحكم والقضاء بين عباده بالحقّ، وجزاء كلّ عامل بعمله، ويُجاء بِجهنم تقاد بسبعين ألفَ زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف مَلَك يجرُّونها، لها تغيّظ وزفير؛ قال تعالى: ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 21 – 24]، ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: 69، 70]، فيحاسب الله الخلائق، ويجزي كل عامل بعمله؛ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30]، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8]، وتنشر دواوين الأعمال التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، فيأخذ كلّ كتابه بيمينه أو بشماله، وتُنْصَب الموازين فتُوزن بها أعمال العباد من حسنات وسيئات؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 102 – 104].

أمَّا المؤمنون، فتبيضّ وجوهُهم في ذلك اليوم العظيم، وتثقل موازين حسناتِهم، ويعطون كتب أعمالهم بأيمانهم، ويرِدُون حوض نبيّهم محمد ρ، وهو أشدّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وألْيَن من الزبد وأطيب رائحة من المسك، فيشْربون منه شربة هنيئة لا يظمؤون بعدها أبدًا، وينصب الصِّراط على متن جهنَّم فيمرّ النَّاس عليه على حسب أعمالهم في السرعة وعدمها، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73]، كلّ طائفةٍ مع نُظَرائها حتَّى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها بشفاعة محمَّد ρ فتلقاهم خزنتها يسلِّمون عليهم ويهنِّئونَهم بسلامة الوصول إلى دار النَّعيم، والسَّلامة من عذاب الجحيم والخلود الأبدي فيما تشتهيه الأنفُس، وتلذّ الأعين من نعيم القلوب والأرواح والأبدان، مما يشاؤون في جنَّات النعيم، وتمام ذلك أن يحلَّ الكريم عليهم رضْوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72].

---

608 متفق عليه.

وأنَّه يقال لهم: إنَّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تصحّوا فلا تمرضوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا[609]، ولهم نعيم أعلى من ذلك وهو التمتُّع بالنَّظر إلى وجه الله الكريم، وسماع خطابه، والابتهاج برضاه وقربه، والسرور بمحبَّته وذكره، فتبارك الله ربّ العالمين؛ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: 74].

لِمِثْل هذه الدَّار فليعمل العاملون، وفي أعمالها الموصّلة إليها فليتنافس المتنافسون، طريقها يسير على من يسّره الله عليه، وهو الإيمان الصَّادق والعمل الصَّالح، وامتثال الأوامر واجتِناب النَّواهي، والتوبة النَّصُوح في جميع الأَوْقات، من جميع الذنوب والسيّئات، والإنابة إلى الله في كلّ وقت وحين، وكثْرة ذكره ودعائه واستِغْفاره.

وأمَّا الكافرون والمجرمون والمشركون والعصاة والملحدون، فيخرجون من قبورهم قلِقين، فزِعين مرعوبين خائفين، يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: 52]، ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: 31]، ويُحاسبهم الله على ما أسلفوا من الجرائم، ويُخزيهم بين الخلائق، فتسودّ وجوههم، وتخفّ موازين حسناتِهم، ويُعْطَون كتب أعمالهم بشمائلهم، ويُساقون إلى جهنَّم جياعًا عطاشًا ﴿زُمَرًا﴾، كلّ طائفةٍ مع شكْلِها من أهل الشَّرّ، حتى إذا جاؤوها فتحتْ أبوابُها في وجوههم، ففاجأهم حرُّها الشَّديد المزعج، وحلَّ بهم الفزع الأكبر الَّذي لا يشبهه فزع، فتلقَّتهم خزنة جهنَّم يوبّخونهم على ما قدَّموا لأنفسهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71]، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10، 11]، وينادون مالكًا خازن جهنم قائلين: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ أي: ليُميتنا فنستريح، فيقول: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف: 77]، ثُم يُنادون ربَّهم قائلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 107، 108]، فحينئذ يأخذون في الزَّفير والشَّهيق، وييئَسون من كلّ خير ومن كلّ فرج وراحة، ويتيقَّنون أنَّه الخلود الدَّائم، والعذاب الأبدي المستمرّ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [غافر: 49، 50].

609 حديث شريف رواه مسلم في صحيحه.

ما أشدَّ شقاءَهم! وما أعظم عناءَهم! ينوِّع عليهم العذاب، تارة يعذَّبون بالسعير المحرق لظواهرهم وبواطنهم، كلَّما نضجتْ جلودهم بدِّلوا جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب، وتارةً بالزَّمهرير الذي قد بلغ مِن بردِه أن يهري اللحوم، ويكسر العظام، وتارة يعذبون بالجوع الشَّديد والعطش المفزع، وإذا استغاثوا من ذلك أُغيثوا بعذاب آخَر ولون من الشقاء ينسي ما سبقه، يُغاثون بطعام ذي غصَّة من شجر الزَّقوم والضَّريع الذي لا يُسمن ولا يغني من جوع، قد بلغ نهاية الحرارة، وشدَّة المرارة وقبح الرَّائحة، إذا وصل إلى بطونِهم غلَى كغلْي الحميم الذي يوقد عليه في النَّار، وإذا استغاثوا للشراب أُغيثوا بماء كالمهْل وهو الرصاص المذاب، إذا قرب من وجوههم شواها، فإذا شربوه من شدَّة العطش قطَّع أمعاءهم، لا يفتَّر عنه العذاب ساعة ولا يرجون فرجًا ولا مخرجًا، قد نسيهم الله في العذاب كما نسوه، وانتقم منهم لما آسفوه[610].

إنَّه لا يدخل النَّار إلا الأشْقى الذي كذَّب وتولَّى، وجمع فأوعى، ونسِي المبتدأ والمنتهى، وتجبَّر على الخلق وآثر الحياة الدنيا، والجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

فإذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار جيء بالموت في صورة كبش، فيُذبح بين الجنَّة والنَّار، فيُقال: يا أهل الجنَّة خلود ولا موت، فيزدادون فرحًا إلى فرحِهم، ويا أهل النَّار خلود ولا موت، فيزدادون حسرةً إلى حسرتهم، وأكثر النَّاس لَم يدخل الإيمان بالآخرة صميمَ قُلُوبِهم، ولم يبلغ سويداء أفئدتهم، ويدلّ على ذلك شدَّة استعدادهم لحرّ الصَّيف وبرد الشتاء وعدم استعدادهم لحرِّ جهنَّم وزمهريرها.

وقد أقام الله الحجَّة على خلْقه في هذه الدار، وقطع المعذرة، وأرسل الرُّسُل مبشِّرين ومنذرين؛ لئلاَّ يكون للنَّاس على الله حجَّة بعد الرُّسُل، وأنزل الكتب بالبراهين السَّاطعة والأدلَّة الجليَّة الواضحة، وأسبغ على عباده نِعَمَه ظاهرة وباطنة، ورزقَهم ممَّا يحتاجون إليه، وأكثر من ذلك، وأعطاهم وسائل العلْم والإدراك والمعرفة من الأسماع والأبصار والعقول ليعقلوا بها عن الله أمره ونهيه، وخلق لهم ما في الأرض جميعًا ليشكروه عليها باستِعْمالها فيما يرضيه والاستعانة بها على طاعتِه، وأمر العباد بما ينفعهم ويصلحهم وحذَّرهم ممَّا يضرُّهم، ووعد مَن أطاعه بعظيم الأجر وحسن الجزاء وجزيل الثواب، وتوعَّد مَن عصاه بأليم العذاب، وأخبرنا بقصَص الماضين من المؤمنين والكافرين لأخْذ العبرة منها، ومِن لُطْفِه تعالى وكرمه أنَّه يجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، وبالسيِّئة مثلها أو يعفو الله عنها إذا تِيب منها، فلِلَّه الحمد والشكر والثناء على ذلك، ولن يهلك على الله إلا هالك.

610 انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص (26 – 28)؛ للشيخ عبدالرحمن السعدي.

اللهُمَّ إنَّا نسألك الجنَّة وما قرَّب إليها من قول وعمل واعتِقاد، ونعوذ بك من النَّار وما قرَّب إليها من عملٍ وقول واعتِقاد، ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النَّار.

ربَّنا آتِنا من لدنك رحمةً وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا.

ربَّنا اغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنَّا سيِّئاتنا وتوفَّنا مع الأبرار.

ربَّنا لا تزغ قلوبنَا بعد إذ هديْتَنا، وهَب لنا من لدنك رحمةً إنَّك أنت الوهَّاب.

ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السَّميع العليم، وتُب عليْنا إنَّك أنت التوَّاب الرَّحيم، آمين يا رب العالمين، يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

160- وصْف جنات النعيم وأهلها

أحاديثُ نبويَّة شريفة في وصْف الجنة التي وُعِد المتَّقون:

1- عن جابر τ قال: قال رسول الله ρ : «**يأكل أهل الجنَّة فيها ويشربون، ولا يتغوَّطون، ولا يمتخَّطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جُشاءٌ كرشْح المِسك، يُلهمون التسبيحَ والتَّكبيرَ كما يُلهمون النَّفَس**»؛ رواه مسلم.

2- وعن أبي هريرة τ قال: قال رسولُ الله ρ قال الله تعالى: «**أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطَر على قلْب بشَر، واقرؤوا إن شِئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**»؛ متفق عليه.

3- وعنه قال: قال رسولُ الله ρ : «**أوَّل زُمرة يدخلون الجنةَ على صُورة القَمر ليلةَ البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، لا يَبولون ولا يتغوَّطون، ولا يَتْفُلون، ولا يمتخَّطون، أمشاطُهم الذهب، ورشْحُهم المِسْك، ومجامرهم الأَلُوَّة** - عُود الطِّيب - **أزواجهم الحُور العِين على خَلْق رجُلٍ واحدٍ على صورة أبيهم آدم؛ سِتُّون ذراعًا في السَّماء**»؛ متفق عليه.

4- وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما -: أنَّ رسولَ الله ρ قال: «**إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجنةَ، ينادي منادٍ: إنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعَموا فلا تبأسوا أبدًا**»؛ رواه مسلم.

5- وعن صُهَيب τ: أنَّ رسول الله ρ قال: «**إذا دَخَل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئًا أَزيدُكم؟ يقولون: ألَمْ تُبيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدخلْنا الجنة، وتُنجِنا من النار؟ فيُكشَف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم**»؛ رواه مسلم [611].

6- وقال ρ : «**ألاَ مُشمِّرٌ للجنة؟ هي - وربِّ الكعبة - نورٌ يتلألأ، وريْحانةٌ تهتزُّ، وقَصْر مَشِيد، ونهر مطَّرِد، وثَمرَة نضيجة، وزَوْجةٌ حسناءُ جميلة، وحُللٌ كثيرة، ومقامٌ في أبدٍ في دار سليمة، وفاكِهة وخضرة، وحَبْرة ونِعْمة، في محلَّة عالية بهيَّة**»؛ رواه ابن ماجه، وصلَّى الله على محمَّد وسلَّم.

اللهمَّ يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، نسألك الجنَّة وما قرَّب إليها من قوْل وعمل، ونعوذ بك مِن النَّار، وما قرَّب إليها مِن قول وعمل.

اللهمَّ إنَّا نسألك بوجِهك الجنة، ونعوذ بوجهك مِن النار، اللهمَّ إنَّا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ

611 انظر هذه الأحاديث في كتاب رياض الصالحين للنووي (ص: 776 - 782).

بك مِن سخطك والنار، ربَّنا آتِنا في الدنيا حَسَنة، وفي الآخرة حَسَنة، وقِنا عذاب النار، ربَّنا تقبَّل منَّا، إنك أنت السميع العليم، يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

وصلَّى الله وسلم على عبده ورسوله محمَّد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدِّين.

161- شِعر في وصْف الجنة مِن نونية الإمام محمَّد بن القيِّم المتوفَّى عام 751 – رحمه الله تعالى –

فَاسْمَعْ إِذًا أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِهَا = تِيكَ الْمَنَازِلُ رَبَّةُ الْإِحْسَانِ

هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا = فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِ

دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ الْمَأْوَى وَمَنْ = زِلُ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالقُرْآنِ

فَالدَّارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ = فِيهَا سَلَامٌ وَاسْمُ ذَا الْإِحْسَانِ

دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ = نِ فَذَاكَ بِالتَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ

مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَا = ذِي الأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ البُرْهَانِ

أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ = فِي النَّصِ وَهْيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

بَابُ الجِهَادِ وَذَاكَ أَعْلَاهَا وَبَا = بُ الصَّوْمِ يُدْعَى البَابُ بِالرَّيَّانِ

وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبْ = بُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ

سَبْعُونَ عَامًا بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْ = هَا قُدِّرَتْ بِالعَدِّ وَالحُسْبَانِ

لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةَ أَرْبَعِيْ = نَ رَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْبَانِي

هَذَا وَفَتْحُ البَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ = إِلاَّ بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانِ

مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتْ = تَوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْإِيمَانِ

لاَ تُلْغِيَنْ هَذَا المِثَالَ فَكَمْ بِهِ = مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ

هَذَا وَمَنْ يَدْخُلْ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ = إِلاَّ بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

هَذَا وَإِنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَعْ = مِائَةٍ وَهَذِي الأُمَّةُ الثُّلُثَانِ

هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ = كَالْبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ(612)

وَالزُّمْرَةُ الْأُخْرَى كَأَضْوَءِ كَوْكَبٍ = فِي الأُفْقِ تَنْظُرُهُ بِهِ العَيْنَانِ

أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمُ فَمِسْ = كٌ خَالِصٌ يَا ذِلَّةَ الحِرْمَانِ

وَيَرَى الَّذِينَ بِذَيْلِهَا مَنْ فَوْقَهُمْ = مِثْلَ الْكَوَاكِبِ رُؤْيَةً بِعِيَانِ

مَا ذَاكَ مُخْتَصٌّ بِرُسْلِ اللَّهِ بَلْ = لَهُمُ وَلِلصِّدِّيقِ ذِي الْإِيمَانِ

****

هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَاظِرُ رَبِّهِ = فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتُهُ الطَّرَفَانِ

---

612 أي: ليلة 14 من الشهر حين يكتمل القمر.

لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي = إِذْ لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ

فَهُوَ الَّذِي يَلْقَى مَسَافَةَ مُلْكِهِ = بِسِنِينِنَا أَلْفَانِ كَامِلَتَانِ

فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْ = يَتِهِ لِأَدْنَاهُ القَرِيبِ الدَّانِ

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ = نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ = تَفْسِيرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

أَوَ مَا سَمِعتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا = يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْغُفْرَانِ

أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْ = ثَالٍ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

هَذَا وَسِنُّهُمُ ثَلَاثٌ مَعْ ثَلَا = ثِينَ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ

وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى = حَدٍّ سَوَاءٍ مَا سِوَى الوِلْدَانِ

وَالطُّولُ طُولُ أَبِيهِمُ سِتُّونَ لَا = كِنْ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِلَا نُقْصَانِ

أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحًى = جُعْدُ الشُّعُورِ[613] مُكَحَّلُو الْأَجْفَانِ

هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ = وَشُعُورِهِمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ لِسَانَهُمْ = بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرُ لِسَانِ

وَالرِّيحُ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِيـ = نَ وَإِنْ تَشَأْ مِائَةً فَمَرْوِيَّانِ

هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولاً خَيْرُ خَلْـ = قِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ

وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التْـ= تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ

هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سَبَّاقُ بَا = قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ بِجِنَانِ

وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْـ = إِسْلَامِ وَالتَّصْدِيقِ بِالْقُرْآنِ

هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولاً فَهْوَ حَمْـ = مَادٌ عَلَى الْحَالَاتِ لِلرَّحْمَانِ

إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِدًا = أَوْ كَانَ فِي الضَّرَّا فَحَمْدٌ ثَانِ

وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ = جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ

ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتَاهُ مِنْ = حُلْيٍ وَآنِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ

وَكَذَاكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ = حُلْيٍ وَبُنْيَانٍ وَكُلِّ أَوَانِي

****

وَبِنَاؤُهَا اللَّبِنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْـ = ـرَى فِضَّةٌ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ

غُرُفَاتُهَا فِي الْجَوِّ يُنْظَرُ بَطْنُهَا = مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بُطْنَانِ

---

613 جعد الشعر: جعوده إذا كان فيه الْتواء وتقبض، خلاف المترسل؛ "المصباح المنير" (111/1).

سُكَّانُهَا أَهْلُ القِيَامِ مع الصِّيَا = مِ وَطَيِّبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ

وَثِمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عُجْمٍ كَأَمْ = ثَالِ القِلاَلِ فَجَلَّ ذُو الإِحْسَانِ

وَظِلاَلُهَا مَمْدُودَةٌ لَيْستْ تَقِي = حَرًّا وَلاَ شَمْسًا وَأَنَّى ذَانِ

أَنْهَارُهَا فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ جَرَتْ = سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الفَيَضَانِ

عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمْ = رٌ ثُمَّ أَنْهَارٌ مِنَ الْأَلْبَانِ

وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ = وَلُحُومُ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانِ

وَفَوَاكِهٌ شَتَّى بِحَسْبِ مُنَاهُمُ = يَا شِبْعَةً كَمُلَتْ لِذِي الْإِيمَانِ

لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَا وَفَوَاكِهٌ = وَالطِّيبُ مع رَوْحٍ ومع رَيْحَانِ

وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلِيهِمِ = بِأَكُفِّ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيُرْسِلُ رَبُّنَا = رِيحًا تَهُزُّ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ

فَتُثِيرُ أَصْوَاتًا تَلَذُّ لِمَسْمَعِ الْ = إِنْسَانِ كَالنَّغَمَاتِ بِالْأَوْزَانِ

يَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ لاَ تَتَعَوَّضِي = بِلَذَاذَةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ

لاَ خَيْرَ فِي صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا = وَالرَّقْصِ وَالْإِيقَاعِ فِي الْقُضْبَانِ

إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ = عَنْ صَوْتِ أَلْحَانٍ وَسَمْعِ أَغَانِ

أَوَ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا = ءُ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ

نَزِّهْ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذَيْ = يَاكَ الغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ

لاَ تُؤْثِرِ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْ = رَمَ ذَا وَذَا يَا ذِلَّةَ الْحِرْمَانِ

إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْ = أَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ

وَاللهِ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ = إِيمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ

وَاللهِ مَا انْفَكَّ الَّذِي هُوَ دَأْبُهُ = أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَانِ

فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ = حُبًّا وَإِخْلاَصًا مَعَ الْإِحْسَانِ

فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ = عَبْدًا لِكُلِّ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا = فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ = أَبَدًا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ

بِاللهِ مَا عُذْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ = حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيصَةً = بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلاَنِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا = فِي الْأَلْفِ إِلاَّ وَاحِدٌ لاَ اثْنَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كُفْؤُهَا = إِلاَّ أُولُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي؟ = فَلَقَدْ عُرِضْتِ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ = فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبُّرُ الْ = عُشَّاقِ عَنْكِ وَهُمْ ذَوُو إِيمَانِ؟
يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ = جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانِ
فَاتْعَبْ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَدْنَى تَجِدْ = رَاحَاتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

وأختم قولي بالصلاة مسلمًا على النبي المصطفى العدنان.

الفتاوى

162- الفتوى اللاذقية

أسئلة

مُوَجَّهة إلى حضرة صاحب السَّماحة

الشيخ: محمد بن إبراهيم

المفتي الأكبر للملكة العربية السعودية

المُتوفَّى عام 1389 هـ - رحمه الله تعالى

مِنْ

عبدالحفيظ بن إبراهيم اللاذقي

سنة 1375 هـ.

1- السؤال الأول: هل يجوز للرِّجال والنِّساء لُبْسُ النَّظَّارة والخاتم والسِّوار والسِّلسلة والساعة، أو غيرها من الذَّهب أو الفضَّة أو النُّحاس، أو مِن الحديد أو غيره، أم لا؟

2- السؤال الثاني: هل يجوز لإنسانٍ أن يعتقدَ أو يُصدِّق، أو يَتَشاءَم أو يتوهَّم أن يُصيبَه ضررٌ - كمرض أو غيره - من الأعداد، أو مِن السِّنين، أو من الشهور، أو من الأيَّام أو مِن الأوقات، أو مِن قراءة سورة أو آية، أو مِن قراءة وِرْد، أو من قراءة فائدة، أو مِن دخول بيْت، أو مِن لبس ثوْب أو مِن غيره، أم لا؟

3- السؤال الثالث: ما هي أسماءُ الكُتب الشرعيَّة الدِّينية الإسلاميَّة الصحيحة المعتمَدَة، النافِعة المفيدة السَّهلة، التي يجوز اقتناؤها، والعملُ بها في العقائد والعبادات، والمعاملات وغيرها؟

فأجاب سماحة المفتي - رحمه الله - بما نَصُّه:

الجواب

الحمد لله، النَّظَّارةُ تارةً تكون مُفَضَّضة، وتارةً تكون مذهَّبَة، وتارةً تكون مُجَرَّدة من ذلك، وتارةً تكون مذهَّبة مُفَضَّضَة، فالجميع جائزُ الاستعمال للرِّجال والنِّساء عدَا المذهَّبة كثيرًا؛ فإنَّها ممنوعةٌ للرِّجال فقط مُحَرَّمة؛ والدليل ما رواه أحمد في "مسنده"، والنَّسائي، والتِّرمذي، وصحَّحه عن أبي موسى τ: أنَّ النبيَّ ρ قال: «أُحِلَّ الذهبُ والحرير لإناث أُمَّتي، وحُرِّم على ذكورها».

وعن معاوية τ قال: «نهى رسولُ الله ρ عن لُبس الذهب إلا مُقطَّعًا»[614]؛ إسناده جيِّد، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وعن عليٍّ τ قال: «نهاني رسولُ الله ρ عن التَّخَتُّم بالذَّهَب، وعن لباس القَسِّيِّ والمعصْفَر»[615]؛ رواه مسلم.

والدَّليل على إباحة المفَضَّضة: ما رواه أحمدُ وأبو داود: أنَّ النبي ρ قال: «ولكن عليكم بالفضَّة، فالعَبُوا بها لَعِبًا»، وفي رواية: «كيف شِئتُم».

وقال الشيخ تقيُّ الدين: لم يدلَّ الدَّليل على تحريم لبْس الفِضَّة، فليس فيها نصٌّ في التحريم، بخِلاف الذَّهب والحرير، وأمَّا الخاتم ذهبًا كان أو فِضَّة، أو حديدًا أو نُحَاسًا أو رَصاصًا، فلا يحرُم مطلقًا؛ عدَا خاتمَ الذَّهب، فتحريمُه على الرِّجال ظاهِر، وقد حُكي الإجماعُ على ذلك، وأدلَّة تحريم خاتَم الذهب على الرِّجال معروفة - كما تقدَّم.

أمَّا خاتم الحَديد والصُّفر والنُّحاس، فقد صرَّح بعضُ العلماء بكراهته، وقد سأل الأثرمُ أحمدَ عن خاتم الحديد: ما ترى فيه؟ فذكر حديثَ عمرو بن شُعَيب: أنَّ النبي ρ قال: «هذه حِليةُ أهل النار»، وابن مسعود قال: "لُبْسة أهل النار"، وابن عمر قال: "ما طَهُرتْ كفٌّ فيها خاتمُ حديدٍ"، وقال بعض العلماء بإباحة خاتم الحديد بدليل ما في الصحيحيْن: أنَّ النبي ρ قال لرجل: «التَمِسْ ولو خاتمًا من حديد»، وهذا أصحُّ مِن الأحاديث المتقدِّمة الدالَّة على الكراهة[616].

وأمَّا السَّاعة، فحُكمها حُكم النَّظَّارة، وتقدَّم الكلامُ عليها فارجعْ إليه.

وأما السِّوار، فإمَّا أن يكون من ذهَب أو غيره، وعلى كلِّ حالٍ هو مباحٌ للنساء مطلقًا، وأما الرِّجال فغير مباحٍ لهم مطلقًا، فما كان مِن ذهب فمنعُه لعلَّتَين: **إحداهما**: كونه ذهبًا، **والثانية**: ما فيه من التشبُّه بالنِّساء، وإنْ كان مِن غير ذهب، فعِلَّة المنْع فيه التشبُّه بالنِّساء، وقد صرَّح العلماء بأنَّه يحرُم تشبُّه رجل بأُنثى في لباسٍ وغيرِه وبالعكس، والمرْجع فيما هو مِن خصائص الرِّجال والنساء في اللباس إلى عُرْفِ البلد، ذكَرَه في "التَّلخيص"؛ لحديث: لعَن رسولُ الله ρ المتَشَبِّهين من الرِّجال بالنِّساء، والمتَشَبِّهات من النِّساء بالرِّجال؛ رواه البخاري، ولعن أيضًا الرجلَ يلبس لُبْسةَ المرأة، والمرأةَ تلبس لبسةَ الرجل؛ إسناده صحيح، رواه أحمد وأبو داود.

---

614 إسناده جيد، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي.

615 رواه مسلم.

616 وقد أجاب الحافظُ ابن حجر عن هذا في "فتح الباري" (10/ 323)، فقال: لا حُجَّة فيه؛ لأنَّه لا يلزم من جواز الاتخاذ جواز اللبس، فيحتمل أنَّه أراد وجوده لتنتفعَ المرأة بقيمته - والله أعلم.

وأما لبس السِّلسلة التي يلبس أهلُ التَّأنُّث، فإنْ كانت ذهبًا أو فِضَّة، فقد تقدَّم الكلامُ على حُكم لبس الرجلِ الذهبَ والفضَّة، وإنْ كانتْ غيرَ ذلك، ولَبِسها تأنيثًا وتشبُّهًا بالنساء، فحُرمتُه أيضًا بعلَّة التأنُّث؛ إذِ التَّخَنُّثُ ومشابهة النِّساء في أزيائهنَّ وحركاتهنَّ حرام.

فعن ابن عبَّاس – رضي الله عنهما – قال: "لَعَن رسولُ الله ρ المخَنَّثِين من الرِّجال، والمترَجِّلاتِ من النِّساء"، وفي رواية: "لَعَن رسولُ الله ρ المتشبِّهين من الرِّجال بالنِّساء، والمتَشبِّهاتِ من النِّساء بالرِّجال؛ رواه البخاري.

واللَّعن يدلُّ على أنَّه من الكبائر، والحِكمةُ مِن النهي إخراجُه الشيءَ عن صفته التي وضعَه عليها أحكمُ الحكماء.

وعن أبي هريرة τ: أنَّ النبي ρ أُتِيَ بمخنَّث قد خضَّب يدَيه ورجلَيه بالحنَّاء، فقال النبي ρ: «ما بالُ هذا؟!»، فقيل: يا رسولَ الله، يتشبَّه بالنِّساء، فأمر به فنُفِي إلى النقيع، فقيل: يا رسولَ الله، ألاَ نقتُله؟ فقال: إنِّي نُهِيتُ عن قتْل المصَلِّين»، قال العلماء: المخَنَّث من يُشبه النِّساء في حركاته وكلماته، وقال المنذري: المخنَّث – بفتح النون وكسرها –: مَنْ فيه الخناث؛ وهو: التكسُّر والتَّثَنِّي، كما يفعله النِّساء، لا الذي يفعل الفاحشةَ الكبرى.

وقال في "الفتح": "قال الطَّبري: لا يجوز للرِّجال التشبُّهُ بالنِّساء وبالعكس، قلت: وكذا في الكلام والمشي، فأمَّا هيئة اللِّباس فمُختَلِف باختلاف عادة كلِّ بلد، فرُبَّ قومٍ لا يفترق زيُّ نسائهم عن رِجالهم في اللبس، لكن يمتاز النِّساء بالاحتجابِ والاسْتِتار، وأمَّا ذمُّ التشبُّه بالكلام والمشي، فمُخْتَصٌّ بمَنْ يتعمَّد ذلك، وأمَّا مَنْ كان ذلك مِن أصْل خِلْقته، فإنما يُؤمَر بتَكَلُّف تَرْكِه والإدْمان على ذلك بالتدريج، فإنْ لم يفعل وتَمادَى دخل في الذَّم، ولا سيَّما إن بَدَا منه ما يدُلُّ على الرِّضا به، وأخْذه واضحٌ من لفظ المتشبِّهين".اهـ.

وعلَّل بعضُ العلماء تحريمَ لبس الحرير على الرِّجال؛ لِمَا يورثه بملامسته للبدن من الأُنوثة والتَّخَنُّث، وضد الشهامة والرُّجولة، فإنَّ لبسَه يُكسِب القلبَ صفةً من صفات الإناث، ولهذا لا تجد مَنْ يلبسه في الأكثر إلاَّ ويَظْهر على شمائله مِن التخنُّث والتأنيث والرَّخاوة ما لا يَخْفَى، حتى ولو كان مِن أَشْهَم الناسِ وأكبرهم فحوليةً ورُجولة، فلا بدَّ أن ينقصه الحريرُ منها، وإن لم يُذهبها مرَّةً.

ولهذا؛ كان أصحُّ القولين أنَّه يحرُم على الوليِّ إلباسُه الصبيَّ؛ لما ينشأ عليه من صِفات أهل التأنُّث، فلبس الحرير يليق بالنِّساء، فإنَّ من طبعهنَّ اللِّينَ والنعومة والتحلِّي.

قال الله – سبحانه –: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18]، ويُرْوَى: (تمَعدَدُوا واخْشَوْشِنوا)؛ لأنَّ الرِّجال من طبعهم الخشونة والشهامة والرجولة، وهذا الذي ينبغي ويليق بهم، ويتناسب مع أخلاقهم.

وعن فَضَالة بن عُبَيد قال: "كان رسولُ الله ρ ينهانا عن كثيرٍ من الإرْفاه، ويأمرنا أن نحتفيَ أحيانًا»؛ رواه أبو داود.

وفيما تقدَّم أعظمُ دليلٍ على تحريم التَّخَنُّث، وأنَّه من كبيرِ الذنوب، وفيها أعظمُ تنفير منه، ومِن وسائله وأسبابه؛ وذلك لعِظَم ضرره؛ إذ هو يُفقِد الإنسانَ نفسَه ومعنويَّته وأخلاقَه، فهو من أعظم الأمراض، فلعِظَم ضَرَرِه صرَّحتِ الأحاديث بلعْن المخنَّثين، والأمر بنَفْيِهم وإبعادهم؛ تفاديًا من سريان مرضهم، إذْ هم خطرٌ على المجتمع الإنساني.

وأمَّا (البُرنيطة) فلا يجوز لبسُها؛ لأنَّها من ألبسة الكفَّار وزيِّهم الخاصِّ، ففي لبسِها تشبُّهٌ بهم، والتشبُّه بالكفَّار مُحرَّمٌ، والأدلَّة على ذلك كثيرةٌ، منها: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبدالله بن عمر: أنَّ النبي ρ قال: «ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم»، قال الإمام أحمد: إسنادُه جيِّد، قال الشيخ تقيُّ الدين ابن تيمية: فأقلُّ أحوال هذا الحديث أنَّه يقتضي تحريمَ التَّشَبُّه بهم، وإن كان ظاهرُه يقتضي كفْرَ المتشبِّهين بهم؛ كما قال – سبحانه وتعالى –: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51].

وعن أبي هريرة τ: أنَّ النبي ρ قال: «جُزُّوا الشوارب، وأرخوا اللِّحى، ولا تَشَبَّهوا بالمجوس»؛ رواه مسلم، وحديث: «خالَفَ هَديُنا هديَ المشركين».

وعن ابن عبَّاس: أنَّ النبي ρ قال: «اللَّحد لنا، والشَّقُّ لغيرنا»؛ رواه أهل السنن، ورَوى البخاريُّ في "صحيحه": أنَّ عمرَ كتَب إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس: "إيَّاكم وزيَّ أهلِ الشِّرْك".

ويُروى أنَّ حذيفة بن اليمان دُعي إلى وليمة، فرَأَى شيئًا من زِيِّ العَجَم، فخرج وقال: «مَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم»؛ رواه الخلال، وروى الإمام أحمدُ من حديث ابن عبَّاس قال: قال رسولُ الله ρ: «صوموا يومَ عاشوراء، وخالِفوا فيه اليهودَ، صوموا يومًا قبلَه، أو يومًا بعده».

وعن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جَدِّه: أنَّ رسول الله ρ قال: «ليس منَّا مَن تشبَّه بغيرنا»؛ رواه الترمذي.

قال الشيخ تقيُّ الدِّين: وهذا وإنْ كان فيه ضَعْفٌ، فهو يصلح للاعتضاد، وبكلِّ حال فهو يقتضي تحريمَ التشبُّه بهم؛ لِعلَّة كونه تشبُّهًا، والتَّشَبُّه يعمُّ مَنْ فَعَل الشيء لأجل أنَّهم فعلوه – وهو نادر – ومَنْ تَبع غيرَه في فعلٍ لغرض له في ذلك، إذا كان أصلُ الفعل مأخوذًا عن ذلك الغَيْر، فأمَّا

مَنْ فعَل الشيء، واتَّفق أن غيره فعلَه أيضًا ولم يأخذْه أحدُهما عن صاحبه، ففي كَوْن هذا تَشبُّهًا نظر، لكن يُنْهَى عنه؛ لئلاَّ يكون ذريعةً إلى التشبُّه، ولِمَا فيه مِن المخالفة، مع أنَّ قوله: «غيِّروا الشَّيب، ولا تَشبَّهوا باليهود» دليلٌ على أنَّ التشبُّه بهم يحصُل بغير قصدٍ مِنَّا ولا فِعْل، بل بمجرَّد ترْك تغيير ما خُلِق فينا، وهذا أبلغُ مِن الموافَقة الفعليَّة الاتفاقيَّة.

قال الشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيمية - رحمه الله -: "وأَمَر بمخالفتهم في الهَدي الظاهر لأمور؛ منها: أنَّ المشاركةَ في الهَدْي الظاهر تُورِث تناسبًا وتشاكلاً بيْن المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمرٌ محسوس، فإنَّ اللاَّبِس لثياب أهل العِلم يجد مِن نفسه نوعَ انضمام إليهم.

ومنها: أنَّ المخالَفة في الهَدي الظاهر تورِث مباينةً ومفارقةً تُوجِب الانقطاعَ عن مُوجِبات الغَضَب، وأسباب الضلال، والانعطاف إلى الهُدَى، وكُلَّما كان القلْب أتمَّ حياةً كان إحساسُه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتمَّ، وبُعدُه عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشدَّ.

ومنها: أنَّ مشاركتَهم في الهَدْي الظاهر تُوجِب الاختلاطَ الظاهر، حتى يرتفعَ التمييزُ ظاهرًا بيْن المهديِّين والمغضوب عليهم، إلى غير ذلك من الأسباب الحِكَمية، هذا إذا لم يكن ذلك الهَديُ الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرَّد عن مشابهتهم"[617].

فأمَّا ما كان مِن مُوجِبات كفْرهم، فإنَّه يكون شعبةً من شُعَب الكفر، فمُوافقَتهم فيه موافقةٌ في نوْع مِن أنواع ضلالهم ومعاصيهم، فهذا أصلٌ ينبغي التَّفطُّن له. ا.هـ.

وهذه المسألة - أي: مسألة تحريم تَشبُّه المسلِم بالكافر - أدلَّتُها ظاهرةٌ جليَّةٌ، وقد صُنِّفَتِ المصنَّفَات الكثيرة في خصوص هذه المسألة وفروعها وأدلَّتها، وذِكْر الأسباب والعِلَل التي مُنِع من أجلها التَّشبُّه بهم، ولا شكَّ أنَّ الدِّين الإسلاميَّ هو الدِّين الكامل التامُّ الذي جاء بأحسنِ الأخلاق، وأرْقى النُّظُم والتعليمات، فلم يَعُد بحاجة معه إلى غيره، فما قَرَع الأسماعَ مِن لدن ذَرْءِ الله البشرَ دينٌ أكملُ منه ولا أتم، فكلُّ ما دعا إليه مِن أخلاق ومعاملات فهي النهاية في الحُسن والكمال والعدل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ولتمامِه وكمالِه وملاءمته لكلِّ زمان ومكان، وعدم حاجة البَشَر معه إلى غيره، نَسَختْ شريعتُه سائرَ الشرائع، فهو الدِّين الباقي الخالِد إلى أوَانِ خراب هذا العالَم، وانتهاء أَمَده، وقيام الساعة.

إنَّ الأمَّة التي اعتنقتْه وعمِلتْ بجميع تعاليمه، وطبَّقتْه تطبيقًا تامًّا في أقوالها وأفعالها واعتقاداتها - سَعِدتْ أكملَ سعادةٍ، ورَقَتْ أعلى رُتْبَة في المجد، ووصَلت إلى جميع ما تَصْبُو إليه، وانتصرتِ انتصارًا باهرًا بلغ حدودَ المعجِزات، أقرَّ التاريخُ أنَّهم - مع قلَّة عددهم وعُدَّتهم - ملكوا الدنيا في رُبع قرن،

617 انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى.

مع كثرة عدوِّهم، ووفرة ما لديه من عَدَد وعُدَّة، وهذا مِصداق قوله – تعالى –: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: 33].

وبالاطِّلاع على التاريخ نجد أنَّه بحَسَب تَمَسُّكِ الأمَّة بالدِّين الإسلامي وتطبيقه يكون انتصارُها، وبحَسَب إعراضِها وتساهلها بالدِّين يكون ضعفُها وانهيارُها، فانظرْ حالة المسلمين في زمن الخِلافة والدولة الأُمويَّة والعباسية، وزمن نور الدِّين الشهيد وصلاح الدِّين الأيوبي، ثم حالة المسلمين بعدَ ذلك حينما تساهلوا بالدِّين وضَعُف تمسُّكُهم به إلى ما وصلوا إليه مِن ذُلٍّ واستعباد، (وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين)، وهذا مصداقُ قوله – تعالى –: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، ووَرَد في بعض الآثار: (إذا عَصَاني مَنْ يعرِفُني سَلَّطتُ عليه مَن لا يعرفني).

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما –: أنَّ النبيَّ ρ قال: «إذا ضَنَّ الناسُ بالدِّينار والدِّرهم، وتَبَايَعوا بالعِينَة، وتَبِعوا أذنابَ البقر، وتركوا الجهادَ في سبيل الله – أَدْخَل اللهُ عليهم ذلاًّ لا يرفعُه عنهم حتى يُراجعوا دِينَهم»؛ أخرجه الحاكم والطبراني والبيهقي بإسناد حسن.

واعلم أنَّ التشبُّه بالكفَّار يكون بمجرَّد عَمَل ما يعملون، قَصَد المشابهَة أو لا، قال الشيخ تقيُّ الدين ابن تيمية – رحمه الله –: "وقد نهى النبي ρ عن الصلاة عند طلوعِ الشمس وعندَ غروبها، معلِّلاً ذلك النهيَ بأنَّها تطلع وتغرب بين قَرْنَيْ شيطان، وحينئذٍ يسجُد لها الكُفَّار، ومعلومٌ أنَّ المؤمن لا يَقصد السُّجودَ إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون أنَّ طلوعَها وغروبها بين قَرْنَيْ شيطان، ولا أنَّ الكفار يسجُدون لها، ثم إنَّ النبي ρ نهى عنِ الصلاة في ذلك؛ حَسْمًا لمادَّة المشابهة من كلِّ طريق.

ولنذكرْ بعضَ أمور ارتكبها بعضُ المسلمين واستحسنوها واعتادوها، وهي من زِيِّ الكفَّار وعاداتهم.

فمن ذلك: حَلْق اللِّحى وإعْفاء الشارب، ولا شكَّ في قُبْح ذلك وتحريمه، وإنَّما يستحسِنه مَنْكُوسُ القلْب، فاسدُ الفطرة، قليلُ المبالاة بأوامر الدِّين ونواهيه، وهذا مِن تسويل الشيطان، وتحسينه القبيح؛ ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

والأدلَّة – كما قلنا – قد صرَّحتْ بتحريم ذلك بعلَّة أنَّه تَشَبُّه باليهود والمجوس، فمَنْ فعَل ذلك فقد اختار زِيَّ اليهود والمجوس على زيِّ محمَّد بن عبدالله ρ وأصحابه – رضوان الله عليهم – وقد ذكر ابنُ حزم أنَّ إعفاء اللِّحى وقصَّ الشارب فَرْضٌ؛ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعًا: «خالِفوا المشركين، وفِّروا اللِّحى، وأحفوا الشَّوارب»؛ متفق عليه، وعن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال:

«أَحْفُوا الشَّوارب، وأَعْفُوا اللِّحى، ولا تَشَبَّهوا بالمجوس»؛ وعن زيْد بن أرقَمَ: أنَّ النبي ρ قال: «مَنْ لم يأخذْ مِن شاربه فليس منَّا»؛ رواه ابن ماجه.

ومن ذلك أيضًا: حَلْقُ بعضِ الرأس وترْك بعضه، وما يفعله بعضُ السَّفِلَة مما يُسَمُّونه "التواليت"؛ فعن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أنَّ رسول الله ρ نَهَى عن القَزَع، وقال: «احلِقْه كلَّه، أو دعْه كلَّه»؛ رواه أبو داود.

وقال في "شرح الإقناع": فيدخل في القَزَع حلقُ مواضعَ من جوانب الرأس، وأن يَحلق وسَطه ويترك جوانبه - كما تفعله شَمامِسَةُ النصارى - وحلْق جوانبه وترْك وسطه - كما يفعله كثيرٌ من السَّفِلَة - وأن يحلق مُقدَّمه ويترك مُؤَخَّره، وسُئِل أحمدُ عن حلْق القفا، فقال: هو مِن فِعْل المجوس، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم، وقال: لا بأسَ أن يحلق في الحجامة.

ومِن ذلك استعمالُ الآلات التي تحمِل الصَّلِيب؛ لِمَا فيه من التَّشبُّه بالنصارى، وكذلك الملابس التي رُقِم عليها الصليب، فقد صرَّحتِ الأحاديثُ بالنهي عن ذلك؛ فَرَوى أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان رسول الله ρ لا يترُك شيئًا في بيتِه فيه تصليبٌ إلا قضبه"، قولها: قضبه، القضب: القطْع، والتَّصليب: ما كان على صورة الصَّليب، قال في "الإنصاف" بعد ذكْر أنَّه يُكرَه: ويُحتَمَل تحريمُه وهو ظاهرُ نقلِ صالحٍ، قلت: وهو الصواب. اهـ.

ومِن ذلك: شَدُّ الوَسَط بما يُشبِه الزُّنَّار، أو ما يُشْبِه شَدَّ الزُّنَّار؛ لما فيه من التَّشَبُّه بأهل الكتاب، والزُّنَّار خيطٌ غليظٌ تشدُّه النَّصارى على أوساطهم.

ومن ذلك: اعتيادُ تعطيل وتغيير الزِّيِّ في أعيادهم أو زياراتهم، أو زيارة محلِّ أعيادهم، والحال أنَّك تجد أكثرَ الناس في أيام أعياد الكفَّار يفعلون كلَّ ما يفعله الكفَّار، وقد صرَّحتِ الأدلَّة بالنهي عن ذلك وتحريمه؛ قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: 72]، قال بعض المفسِّرين: أي: أعياد الكفَّار؛ قال النبيُّ ρ في حديث ثابت بن الضَّحَّاك الذي رواه أبو داود: «هل كان فيها وَثَنٌ من أوثان الجاهلية يُعبَد؟» قالوا: لا، قال: «فهلْ كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟»».

وقال بعضُ السلف: مَنْ ذَبَح بطْريقةً يوم عيدِ الكفَّار، فكأنَّما ذَبَح خنزيرًا، وقال الشيخ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة: أمَّا إذا فَعَل المسلمون معهم في أعيادهم مثلَ صبغ البَيْض، وتحمير دوابِّهم بمغرة، وتوسيع النَّفقات، فهذا أظهرُ مِن أن يحتاج إلى سؤال، فقد نَصَّ طائفةٌ من العلماء مِنْ أصحاب أبي حنيفة ومالك على كُفرِ مَنْ فعل ذلك.

وقال البيهقيُّ – بإسناد صحيح – عن عمر τ قال: "لا تَعَلَّمُوا رَطانَةَ العَجَم، ولا تدخلوا على المشركِين في كنائسهم يومَ عِيدهم؛ فإنَّ السُّخطةَ تنزل عليهم".

قال الشَّيْخ: وهذا من باب التَّنبيه على المنْع من أن يفعل كفِعلهم، قال: وكذلك لا ندعهم يُشرِكونا في عيدنا؛ يعني: لاختصاص كلِّ قوم بعيدهم.

ومِن المؤسِف حقًّا ما نراه مِن بعض الشباب مِن إقبالهم على مُطالِعة كُتبهم ومجلاَّتهم، بل شوْقُهم إلى ذلك ولهفهم إليها بغاية التعطُّش، ولا شكَّ أنَّ هذه بذْرَة شرٍّ، وعنوان نحْس، مؤذِن بعاقبة سيِّئة وخيمة، جديرة بوجوب الاهتمام بها، وحسْمها قبلَ استفحالها، ولو فكَّر المسؤولون في عِظَم ضررِها وخطرها على المجتمع، وما تعمل في كِيانه مِن تفكيك عُراه، وإشاعة الرُّعب فيه – لَتَحَتَّمَ منعُها سياسةً.

وكم في هذه المجلاَّت مِن دسٍّ على الأمَّة، وتحبيذ الانقلابات الضارَّة باسم يقظَة الشُّعوب وحريَّتها! وهذا عدا ما فيها وما اشتملتْ عليه من إلحادٍ وزندقة، وتشكيك في الدِّين، وما في بعضها مِن صور خليعة، الشيءُ الذي أعتقدُ – ويعتقد كلُّ عاقل – أنَّه لا يعود على الأمَّة منه إلا الشَّر، وقد جاء في الحديث: أنَّ النبي ρ رأى مع عمر بن الخطَّاب ورقةً من التوراة، فغَضِبَ رسولُ الله ρ .

وذكَر بعضُ المفسِّرين في تفسير قوله – تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: 6] الآية: أنَّ رجلاً من قريش كان يأتي بأخبار فارس والرُّوم ويقرؤها على الناس، ويقول: هذا خيرٌ ممَّا جاء به محمدٌ.

وقد صرَّح العلماءُ بوجوب إحراق كُتُب الزندقة والمبتدِعة والملاحدة، فكيف بهذه الكتب التي كلُّها إلحادٌ وزَنْدَقةٌ وتَشْكِيكٌ في الدِّين؟!

فما رأيُك في حالة هذا الشباب الأَغْزَل الذي لم يتدرَّع بالسلاح، ولم يستعدَّ للنِّضال؛ بل ذهنُه فارغ، وقلبه مُقْبِل عليها غايةَ الإقبال؟! لا شكَّ أنها ستكون سببًا لهلاكه وزيْغه.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى = فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

ولا شكَّ أنَّ مَنْ أقبل على تلك التُّرَّهات في صِغَره ومبدأ عُمُره، وصارتَ هي دَيْدَنه وهِجِّيراه وسميرَه، وأَلِفتْها نفسه، وشَغُف بها قلبه – أنَّه يصعُب إزاحته عنها، وإخراجها من قلْبه، ولقد لاحَظ الشارعُ ρ ذلك بقوله: «اقتلوا شيوخَ المشركين، واستَبْقُوا شَرْخَهم»[618].

618 رواه أبو داود وصحَّحه، والترمذي.

فالواجبُ أن يُحْمَى هذا الشباب كما يُحْمَى المريض، ويُحْجَر عليهم في أفهامهم وعقولهم، فكما أنَّه يُحْجَر على الإنسان إذا فَسَد تَصرُّفه في ماله، فالحَجْر عليه إذا فسد تَصرُّفُه في دِينه أَوْلَى؛ لأنَّ الدِّين لا عِوَض له.

وأمَّا لُبْس السترة والبنطلون، فإنْ كان ذلك من لباس الكفَّار وزيِّهم الخاص فهو ممنوع؛ بعلَّة التشبُّه بهم، وقد تَقَدَّم الكلامُ على ذلك، وإنْ لم يكن مِن زيِّهم الخاص فلا بأس بذلك؛ إذ الأصلُ في اللِّباس الإباحة، إلا ما ورد الدليلُ بالنهي عنه.

وأما الجواب على السؤال الثاني وهو: هل يجوز للإنسان أن يُصَدِّق أو يتشاءم: في عدد أو يوم، أو شهر أو نحو ذلك... إلى آخره؟

فالجواب:

هذا لا يجوز؛ بل هو مِن عادات أهل الجاهلية الشِّرْكِيَّة التي جاء الإسلامُ بنَفْيِها وإبطالها، وقد صَرَّحَت الأدلةُ بتحريم ذلك، وأنَّه من الشِّرك، وأنَّه لا تأثيرَ له في جلْب نَفْع أو دَفْع ضرر؛ إذ لا مُعطيَ ولا مانع، ولا نافعَ ولا ضارَّ إلا الله - سبحانه وتعالى - قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107].

وفي حديث ابن عبَّاس - رضي الله عنهما -: أنَّ النبي ρ قال: «لو اجتمعتِ الأُمَّة على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله لك، وإنِ اجتمعوا على أن يَضُرُّوك بشيء، لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجَفَّت الصُّحف»، وعن أبي هريرة: أنَّ النبي ρ قال: «لا عَدْوَى ولا طِيَرَة، ولا هامَةَ ولا صَفَر»؛ رواه البخاري ومسلم، وفي رواية: «ولا نَوْء ولا غُول»؛ رواه مسلم.

فنفى الشَّارِع ρ الطِّيَرة وما ذكر في الحديث، وأخبر أنَّه لا وجودَ له ولا تأثير، وإنما يقع في القلْب تَوَهُّماتٌ وخَيَالاتٌ فاسدة، وقوله: ((ولا صَفَر)): نفيٌ لِمَا كان عليه أهلُ الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر، ويقولون: هو شهر الدَّوَاهي، فنفى ذلك ρ وأَبْطَلَه، وأخْبَرَ أنَّ شهر صَفَر كغيره من الشُّهور، لا تأثيرَ له في جلْب نفع، ولا دفْع ضرر، وكذلك الأيَّام والليالي والسَّاعات لا فَرْق بينها، وكان أهلُ الجاهلية يتشاءَمون بيوم الأربعاء، ويتشاءمون بشهر شوَّال - في النِّكاح فيه خاصَّة - وكانتْ عائشة - رضي الله عنها - تقول: "تزوَّجني رسولُ الله ρ في شهر شوَّال، فمَن كان عنده أحظى مني؟!".

وهذا كتشاؤم الرافضة باسم العَشَرة وكراهتهم له؛ لبُغْضهم وعداوتهم للعشرة المبَشَّرين بالجنة مِن أصحاب رسولِ الله ρ وهذا مِن جهلِهم وسخافةِ عقولهم، والكلام على هذه المسألة استوفاه شيخُ الإسلام في "المنهاج" في الرَّدِّ على الرَّافِضي.

وكذلك أهلُ التَّنْجِيم يُقَسِّمون الأوقات إلى ساعة نَحْس وشُؤْم، وساعة سَعْد وخَيْر، ولا يخفى حُكم التنجيم وتحريمه، وأنَّه من أقسام السِّحْر، والكلام عليه مستوفًى في موضعه، وكلُّ هذه الأمور مِن العادات الجاهليَّة التي جاء الشَّرْع بنفيها وإبطالها؛ قال ابن القيِّم - رحمه الله -: "التَّطَيُّر: هو التَّشاؤم بمرئيٍّ أو مسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجَع بها مِن سَفر، وامتنع بها عن ما عَزَم عليه، فقد قرع باب الشِّرْك، بل وَلَجه، وبرئ مِن التوكل على الله - سبحانه - وفتَح على نفسه بابَ الخَوْف والتَّعَلُّق بغير الله، والتَّطَيُّر مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطعٌ عن مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10].

فيصير قلبُه مُتَعَلِّقًا بغير الله عبادةً وتَوَكُّلاً؛ فيفسد عليه قلبُه وإيمانُه وحالُه، ويبقى هدفًا لسِهام الطِّيَرة، ويُسَاق إليها مِن كلِّ أوب، ويُقَيِّض له الشيطان مَن يُفسِد عليه دِينه ودنياه، وكَمْ هَلَك بسبب ذلك وخَسِر الدنيا والآخرة، فالأدلَّةُ على تحريم التَّطَيُّر والتَّشَاؤم معروفةٌ موجودةٌ في مَظَانِّها، فلنكتفِ بما تقدَّم.

وأمَّا الجواب عن السؤال الثالث: ما هي أسماءُ وأصحاب الكتب الشرعيَّة النافعة... إلخ؟

فالجواب:

هذه المسألة قد كفانا الإجابةَ عنها شيخُ الإسلام تقيُّ الدين ابن تيمية، وهذا نصُّ إجابته - رحمه الله - قال: "وأمَّا ما يُعتَمد عليه مِن الكتب، فهذا بابٌ واسعٌ يختلف باختلاف نشْءِ الإنسان في البلاد، لكن جِمَاع الخير أن يستعينَ الإنسان بالله في تَلَقِّي العِلم الموروث عنه ρ فإنَّه الذي يُسمَّى علمًا، وما سواه: إمَّا أنه يكون عِلمًا فلا يكون نافعًا، وإما ألاَّ يكون علمًا وإنْ سُمِّي به، ولئنْ كان علمًا، فلا بُدَّ أن يكون في ميراث محمَّد ρ ما يُغني عنه ممَّا هو مثلُه أو خير منه، ولتكن هِمَّته فَهْمَ مقاصدِ الرسول في أمْره ونهيه، وسائر كلامه، فإنِ اطمأنَّ قلبُه إلى أنَّ هذا أمرُ الرسول ρ فلا يَعدِل عنه فيما بينه وبين الله، ولا معَ الناس إنْ أمكنه ذلك".. إلى أنْ قال: وما في الكتب المصنَّفة النبويَّة كتابٌ أنفع من "صحيح محمَّد بن إسماعيل البخاري"، لكن هو وحْده لا يقوم بأصول العِلم بتمامِ المقصود للمُتَبَحِّر في أبواب العلم؛ إذ لا بدَّ مِن معرفة أحاديث أُخَر، وكلام أهل العلم في الأمور التي يختصُّ بعِلمها بعضُ العلماء، فمَنْ نَوَّر الله قلبَه هداه بما يُبلِّغه ذلك، ومَنْ أَعْماه لم تَزِده كثرةُ الكتب إلا حَيْرة وضلالاً؛ كما قال النبيُّ ρ لأبي لبيد الأنصاري: «أوَ لَيست التوراة والإنجيل عند اليهود؟ فماذا تُغْني عنهم؟!»[619] ا.هـ.

619 انظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (1/ 664).

وحَصْر الكتب النافعة لا يُمكن؛ لكثرتها، ولا بأسَ من الإشارة إلى بعضها مِن الكتب النافعة المشهورة، فمِنها في التفسير: "تفسير ابن جرير"، و"ابن كثير"، و"البغوي"، ونحو هذه من تفاسير السَّلَف النافعة المفيدة الموثوق بها، ومِن كتب الحديث: "صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم"، و"مسند أحمد"، و"سنن أبي داود"، و"الترمذي"، و"النسائي"، و"موطأ مالك"، وغير ذلك من كتب الحديث المشهورة المعروفة، وأمَّا في التوحيد والاعتقاد فهي كثيرةٌ، كمصنَّفات أئمَّة السلف؛ كالإمام أحمد، وغيره من الأئمة؛ ككتب مَن اشتهر بنصْر السُّنَّة والقيام بها؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه؛ كشمس الدين ابن القيِّم - رحمهم الله - وغيرهم، ككتب أئمَّة الدعوة النَّجدية كالشيخ محمَّد بن عبدالوهَّاب - رحمه الله - والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبداللَّطيف، وغيرهم من أئمَّة الدعوة وعلمائها ممَّن اشتهر بنصْر السُّنَّة والمناضلة عنها، والله الموَفِّق، وصلَّى الله على عبده ورسوله محمَّد وآله وصحْبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

حُرِّر في 1375/5/12 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: 1/3626

التاريخ: 1388/11/21 هـ

163- من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

مِن محمَّد بن إبراهيم إلى المكرَّم عبدالكريم السحلي - سلَّمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، بالإشارة إلى كتابك الذي تسأل فيه عن سبعة أسئلة:

1- الأول: ما حُكم دخول المسجد بالأحذية؟

والجواب: يجوز دخولُ المسجد بالأحذية إذا لم يَكُن فيها نجاسة، فإنْ كان فيها نجاسةٌ مَسَحها بالأرض حتى تزولَ، فإذا زالتْ فلا مانعَ مِن الدخول بها؛ والأصل في هذا ما رواه أبو داود في "سننه"، والدَّارِمي في "مسنده" بسندَيهما عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسولُ الله ρ يُصلِّي بأصحابه إذْ خلع نعلَيْه فوضعهما عن يساره، فلمَّا رأى ذلك القومُ، خلعوا نعالهم، فلمَّا قضى رسولُ الله ρ صلاته قال: «ما حملكم على إلْقاء نِعالكم؟»، قالوا: رأيناك ألقيتَ نَعلَيْك فألقينا نِعالَنا»، فقال رسول الله ρ: «إنَّ جبريل أتاني فأخبرني أنَّ فيهما قَذَرًا، إذا جاء أحدُكم المسجد فلينظرْ، فإنْ رأى في نعلَيه قذرًا فليَمْسَحْه، وليُصَلِّ فيهما».

2- الثاني: هل يجوز المسحُ على الشَّراب الذي يصف البشَرة؟

الجواب: لا يجوز المسحُ على الشراب إذا كان يَصِف البشرة؛ لمفهومِ ما رواه الإمام أحمد والترمذي وصحَّحه، عن النبي ρ: أنَّه مَسَح على الجوربَين والنَّعلَين، وثبت بطريق التواتر أنَّه مسَح على الخُفِّ، والجَوْرَب: هو ما يُلبس في الرِّجْل على هيئة الخُفِّ من غير الجلْد، ويكون ساترًا للمفروض قدرًا، وصفه: ألاَّ يصف البشَرة لكونه رهيفًا، والأصل في العبادات المنع، والمسح مِن باب العبادات، فيُقتصر على ما ورد، والباقي يَبْقى على الأصل.

ومِن وجه آخر: أنَّ الأصل في الترخيص في المسْح على الخُفَّين وما في معناهما؛ مِن أجْل دفْع المشقَّة الحاصلة بالبَرد، وإذا كان خفيفًا تُرى البشرةُ من خلاله وُجِدَت المشقَّة.

3- الثالث: هل يجوز الدُّعاء بما نصُّه: (اللهمَّ إني أعوذ بك من نفسك)؟

والجواب: لا نعلم دليلاً يدلُّ على جواز ذلك[620].

4- الرابع: رجل فاتَتْه صلاةُ العصر، ولما قَرُب وقتُ المغرب بحيث إنَّه لا بُدَّ أن يفعل بعضَها، فهل يُصلِّيها، أو يُؤخِّرها حتى تَغْرُب الشمس؟

الجواب: يُصَلِّيها ولو وَقَع بعضُها قبل الغروب وبعضها بعدَه، والأصل في ذلك: ما رواه البخاري ومسلم وغيرُهما بالسَّنَد إلى أبي هريرة τ عن رسول الله ρ أنَّه قال: «مَنْ أدْرَك ركعةً مِن الصُّبح قبلَ أن تَطلُع الشمس، فقد أدرك الفجْر، ومَنْ أدرك ركعةً من العصر قبلَ أن تغرُبَ الشمس، فقد أدرك العصر».

أمَّا إنْ كان التَّأخِيرُ بسبب نَوْم أو نِسيان فلا إثمَ عليه؛ لِمَا رواه مالك في "الموطأ" بسنده إلى النبي ρ أنَّه قال: «مَنْ نام عن صلاةٍ أو نَسِيها فليُصَلِّها إذا ذَكَرها، لا كَفَّارة لها إلا ذلك».

فإنْ كان التأخير عمدًا، فهذا مُتَلاعِب، وعليه إثم التأخير، وهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفَا عنه، وإن شاء عذَّبه، والواجب عليه ألاّ يعود إلى مِثْل ذلك، وأن يستغفرَ ويتوب إلى الله.

الخامس: ما حُكْم الأغاني التي تَصدُر في الإذاعات والحَفَلات؟

والجواب: هي منقسمةٌ إلى قسمين: **الأول**: ما اشتمل على حِكَم ومواعظَ وحماس، ونحو ذلك ممَّا لا غَرام فيه، ولا يشتمل على صوتِ مِزْمار ونحوه، فهذا لا محذورَ فيه؛ لِمَا فيه من المصلحة.

الثاني: ما فيه غَرام، ويشتمل على صوتِ مزمار، وما أشبهَ ذلك، فهو حرام؛ والأصْل في ذلك الكتاب والسُّنة، أما أدلَّة الكتاب فأربعة:

1- قال - تعالى -: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: 64]، فسَّره ابن عباس وغيره بالغناء، وجه الدلالة: أنَّ الله - جلَّ وعلا - بَيَّن في هذه الآية أنَّ الغِناء طريقٌ من الطرق التي يسلكها إبليس لإغواء الأمَّة، وقد تسلَّط بهذا وبغيره؛ بدليل قوله - تعالى -: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: 62]، وهذا القليل هو المذكورُ في قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83].

وقد بيَّن - تعالى - أنه ظَفِر بهم بقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 20]، وقد وقع في هذا كثيرٌ من أهل الزمان، فنعوذ بالله من زَيْغ القلوب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: 8].

---

620 مما يقارب هذا المعنى ما روى عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ρ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برِضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»؛ رواه أحمد وأهل السنن.

2- قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72].
قال محمَّد بن الحنفيَّة ومجاهد: الزور هنا الغناء.

وجه الدلالة: أنَّ الله - تعالى - بيَّن من أوصاف المؤمنين أنهم إذا مَرُّوا بالزُّور - وهو الغناء - مَرُّوا مرَّ الكرام، ومفهوم ذلك: أنَّ استعماله ليس من أوصاف المؤمنين، فيكون حرامًا.

3- قال - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: 6]، قال الواحديُّ: أكثر المفسِّرين على أنَّ المراد بلهو الحديث الغناءُ، قاله ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومِقْسَم عنه، وقاله عبدالله بن مسعود في رواية أبي الصَّهباء عنه، وهو قول مجاهد وعكرمة.

وجه الدَّلالة: أنَّ الله - جل وعلا - بيَّن أنَّ بعضًا من الناس يشتري لَهْو الحديث - وهو الغناء - من أجْل إضلال الناس، وإذا كان الغناء سببًا من أسباب الضلالة فلا شكَّ في تحريمه.

4- قال - تعالى -: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: 59 - 61]، قال عِكْرِمة عن ابن عباس: السُّمود: الغناء في لغة حِمْيَر، يُقَال: أَسْمِدِي لنا؛ أي: غَنِّي لنا، قال عكرمة: كانوا إذا سمعوا القرآن غَنَّوا، فنَزلتْ.

وجه الدلالة: أنَّ الله - تعالى - استفهم منهم استفهامَ إنكار، وتوبيخ وتقريع، وذكر في سياق هذا أنَّ من أوصافِهِمُ الذميمةِ السُّمودَ - وهو الغناء - فهذا يدلُّ على أنه مُحَرَّم؛ إذ لو كان مشروعًا أو باقيًا على البراءة الأصليَّة لَمَا ذَمَّهم على فعْله.

وأما السُّنة، فنقتصر على دليل واحد، وهو ما رواه البخاريُّ في "الصحيح" مُعلَّقًا بصِيغة الجَزْم، ورواه أبو داود، وابن ماجه في "السنن"، وأبو بكر الإسماعيليُّ في "الصحيح" عن النبي ρ أنه قال: ((لَيَكوننَّ مِن أُمَّتي قومٌ يَسْتَحِلُّون الحِرَ والحرير، والخمر والمعازِف)).

وتقرير الاستدلال من ثلاثة أوجه:

1- أنَّ الحديث سِيقَ لذمِّ هذا الصِّنف من الناس الذين يتجاوزون حدودَ الله، ومنها هذه الأمور التي منها المعازف، وأكَّد ذلك باللاَّم في صدْر الكلام وبالنون المؤكِّدة، ولو كان مباحًا لما ذمَّهم.

2- أنه قال: (يستحلون)، ففُهِم من هذا الحديث أن حرمتَه مُتَقَرِّرَةٌ، والمعازِف هي آلات الملاهي على اختلاف أنواعها، قاله غيرُ واحد من أئمة اللغة؛ كابن منظورٍ، وصاحب القاموس.

3- أنَّ الله - تعالى - قَرَن المعازِف بما ذكره معها وهي مُحَرَّمة، فتكون المعازِفُ مساويةً لها في أصْل الحُكم الذي هو التَّحريم مِن باب دلالة الاقتِرَان.

وأما أقوال الأئمة، فقد قال عبدالله ابن الإمام أحمد: سألتُ أبِي عن الغناء فقال: الغناء يُنبِتُ النِّفاق في القلب، لا يعجبني، وأمَّا الشافعي فقد صَرَّح أصحابُه العارِفون بمذهبه أنه يقول بتحريمه، وأمَّا الإمام مالك فلما سُئِل عنه قال: إنما يفعله عندَنا الفُسَّاق.

وأمَّا الإمام أبو حنيفة، فقال مالك: وأما أبو حنيفة فإنه يكرهه، ويجعله من الذُّنوب، قلت: والمراد بالكراهة هنا كراهةُ التَّحريم، يدلُّ عليه أنه يجعله مِن الذنوب، ولا يكون من الذنوب إلاَّ إذا كان حرامًا.

6 – السادس: ما حكم اللُّعْبات الشعبية؟

والجواب: اللُّعبات الشعبية إنْ كانت بالشِّطْرَنْج والنَّرْد ونحوهما من أنواع الميْسِر، فهذا غير جائز مطلقًا.

وقد ورد سؤال مثل هذا، وهذا جوابه:

اللَّعِب بالشِّطرَنج وسائر أنواع الميْسر لا يجوز مطلقًا، سواءٌ كان على مالٍ من اللاَّعبين، أم مِن أحدهما، أم من غيرهما، أم لم يكن على مال.

ويدلُّ على ذلك الكتابُ والسنَّة، والإجماع والأثر، والقياس والنظر:

أما الكتاب: فقوله – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 90 - 92].

وتقرير الاستدلال مِن الآيات مِن اثني عَشَر وجهًا:

الأول: الحَصْر في قوله: (إنما)، وتقريرُه: أن أداة الحصر تشتمل على أداة نفي وإثبات، والمعنى: ليس هذه المذكوراتُ إلا رِجْسًا فلا خير فيها، وما انتفت الخيريةُ عنه فهو حرامٌ، يؤيِّد هذا الوجهَ قولُه – تعالى –: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: 32].

الثاني: دلالة الاقتران وتقريرُها: أن الله – جل وعلا – ذَكَر الميسر واسطةً بين الخمر المفسِد للعقل، وبين الأنصاب والأزلام التي هي أعمالُ الوثنية، وخرافاتُ الشرك، فاقترانه بها دليلٌ على مساواته لها في أصْل الحُكم الذي هو التحريم، والميْسِر هو القمار وهو مشتق من (يَسَر) إذا وجب، أو من (اليُسْر) بمعنى السهولة، وقد ذكر القُرْطُبِيُّ والجَصَّاص والسُّيُوطي في تفاسيرهم عن علي بن أبي طالب τ ومجاهد والحسن البصري، ومحمَّد بن سِيرينَ وسعيدِ بن المسيب، وقتادة وطاوس: أنَّ الشِّطرنج نوع من أنواع الميسر.

الثالث: قوله: ﴿رِجْسٌ﴾ وتقريره: أنَّ الله - تعالى - وصَف هذه المنكَرات - ومنها الميسِرُ - بأنها رِجس، وهذه الكلمة في اللِّسان العربي تدلُّ على القَذَر، قال ابن فارس في "معجمه": أصله الاختلاط، والرجس: الشيء القَذِر، ويقال: رجل رجس، ورجال أرجاس؛ قال - تعالى -: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90]، والرِّجس يكون على أربعة أوجه: إمَّا مِن حيث الطبعُ، وإمَّا من جهة العقل، وإمَّا من جهة الشَّرْع، وإمَّا من كل ذلك؛ كالميتة تُعَافُ طبعًا وعقلاً وشرعًا، والرِّجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وعلى ذلك نبَّه - تعالى - بقوله: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]؛ لأنَّ كل ما يُوفِي إثمُه على نفعه، فالعقل يقتضي تجنُّبه، انتهى المقصود من كلام الراغب في "مفرداته".

وإذا تقرَّر أنه مُسْتَقْذَر، فيلزم من ذلك قبحُه، وإذا كان قبيحًا فهو حرام، والله - تعالى - ما خصَّ نوعًا مِن أنواعه، فدلَّ ذلك على أنَّ اللعب به لا يجوز في أيِّ حال من الحالات.

الرابع: قوله: ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، وتقريره: أنه جعل مِن أوصاف الميسر أنَّه من عمل الشيطان، وما كان من عمل الشيطان فهو مُسْخِطٌ لله، وما أسخَطَه لا بدَّ أن يكون حرامًا، فالشطرنج - الذي هو نوعٌ من أنواع الميسِر - حرامٌ في جميع حالاته.

الخامس: قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوْهُ﴾، وتقريره من وجهين:

الأول: أنه - تعالى - أمَر باجتناب ما ذكره - ومنه الميسِر - والأمر يقتضي وجوبَ اجتناب اللعب بالشطرنج على أيِّ وجه كان.

الثاني: أنه جعل الأمر بالترك من مادَّة الاجتناب وهو أبلغ مِن التَّرك؛ لأنَّه يُفيد الأمرَ بالتَّرك مع البُعْد عن المتروك، بأن يكون التاركُ في جانب بعيدٍ عن جانب المتروك.

السادس: قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وتقريره: أنَّ الله - جل وعلا - علَّق الفَلاَح على الاجتناب، ومفهوم المخالفة لذلك: أنَّ ارتكاب ذلك خُسرانٌ مبين، وما كان خسرانًا فهو حرام.

السابع: قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، وتقريره: أنَّ الله - تعالى - بيَّن أن قصد الشيطان مِن دَفْع الناس إلى شرب الخمر واللعب بالميسر - هو إيقاعُ العداوة والبغضاء، وما أَوْقع العداوةَ والبغضاء بين الناس بغير قصد شرعي فهو حرام، ولا شكَّ أنَّه لا يوجد هنا قصدٌ شرعي، فيكون اللعب بالشطرنج حرامًا على اختلاف أنواعه.

الثامن: قوله: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وتقريره: أنَّ مِن الآثار المترتبة على اللعب به مفسدةً دِينيَّة، وهي الصَّدُّ عن ذكْر الله وعن الصلاة، وما صَدَّ عنهما فهو حرام، فيكون اللَّعِب به حرامًا.

التاسع: قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، وتقريره: أنَّ الله – جل وعلا – يَسْتَفْهِم من عباده استفهامًا بمعنى النهي المؤكِّد لِمَا قبله، فهو إيذان من الله – تعالى – بأنَّ الأمر في الزَّجر والتحذير، وكشْف ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية – قد بَلَغ غايتَه، وأنَّ الأعذار قد انقطعت، فلا بُدَّ من الانتهاء.

العاشر: قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وتقريره: أنَّ الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ρ بعدَ ما مضى مِن المؤكِّدات الدالَّة على تحريم الخمْر والميسر وما ذكر معهما، والأمر يقتضي الوجوب، فلا يَتَحقَّق الامتثالُ إلا بترك هذه المذكورات – ومنها الميسر – فلا يجوز اللعب به على أيِّ حال من الأحوال.

الحادي عشر: قوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾، وتقريره: أنَّ الله – تعالى – حذَّر عبادَه على سبيل الأمر مِن مخالفة أمره، وذلك بارتكاب ما نهى عنه في هذه الآيات – ومنه الميسر – وهو – تعالى – لا يُحَذِّر إلا على المخالفة بترك واجب أو فعل حرام؛ كما قال – تعالى –: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

الثاني عشر: قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92]، وتقريره: أنَّ الله – عز وجل – يقول: فإنْ خالفتم ما أَمَرْناكم به فإن رسولنا بَلَّغكم البلاغ الذي تقوم به الحُجَّة، فقامتْ عليكم، وعلينا حسابكم.

وأقول: هذا في غاية التَّحْذير، وموضوع التَّحذير ترْك الواجب أو فعْل المحَرَّم، فمَن لعِب بالمَيْسِر فقد ضادَّ الله في أمره، وارتكب ما نهاه عنه وحرَّمه عليه.

وأما السُّنَّة، فقد ورد في هذا الباب أحاديثُ كثيرةٌ، ولكن لا تَخْلُو من مقال، وهي بجملتها يشُدُّ بَعضُها بعضًا، فتكون حُجةً، وهي دالَّة على تحريم الميسر، وأن الشطرنج نوع منه.

وأمَّا الإجماع، فقد نقله شيخُ الإسلام ابنُ تيمِيَّةَ في "الفتاوى المِصرية"، وابنُ القيِّم في "الفروسية"، والجَصَّاصُ في كتابه "أحكام القرآن".

وأمَّا الأثر، فقد روى ابن أبي الدُّنيا في "ذم الملاهي"، وابنُ أبي شيبة في "المصنَّف" بأسانيدهم إلى علي بن أبي طالب τ أنه مَرَّ بقومٍ يلعبُون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، لَأَنْ يَمَسَّ أحدُكم جمرًا حتى يُطْفَأ خيرٌ له من أن يمسَّها، وروى ابن أبي شيبة في "المصَنَّف"، وابن المنذر وابن أبي حاتم في "التفسير"، وابن ماجه في "السنن" بأسانيدهم إلى علي بن أبي طالب τ أنه قال: النرد والشطرنج من الميسر، قال القرطبي في "تفسيره": "وسُئِل ابن عمر عن الشطرنج فقال: هي شرٌّ من النرد، وقال أبو موسى الأشعري: لا يَلعب بالشِّطْرنج إلا خاطئٌ"، انتهى كلامُ القرطبي.

وأما القياس، فالقاعدة المتَّفق عليها بيْن العلماء: أنَّ العِلَّة في تحريم كل حرام هي المضَرَّة في الدِّين، أو النفس، أو العقل، أو العِرْض، أو المال، فما لا ضررَ فيه لا يحرُم، وما هو ضررٌ، أو ضرره راجِحٌ فهو حرام، وأما ما استوى جانباه في الضَّرر، فالصحيح أنه يحرم؛ سدًّا للباب، فإذا نظرْنا إلى اللعب بالشطرنج، وجدْنا أنَّ ضرره أرجح من نفعه، فالقياس يقضي بإلحاقه بهذه القاعدة مِن جهة التحريم بجامع رجحان الضَّرر.

وأما النَّظر، فإننا إذا نظرنا إلى ما يشتمل عليه اللعب بالشطرنج، فإنَّا نجده ينشأ عنه مضارُّ ومنافعُ، وهذا موجَزها:

أما المضارُّ فهي ما يلي:

1- يُوقِع العداوةَ والبغضاء بين الناس.

2- يصُدُّ عن ذِكْر الله، وعن الصلاة.

3- إفساده للتربية؛ لتعويده للناس الكسلَ وانتظار الرزق مِن الأسباب الوهمية.

4- إضْعاف القُوَى العقلية بترك الأعمال المفيدة في طرُق الكسب الطبيعية.

5- أكل المال بالباطل، وهذا لا يعني أنه لا يكون حرامًا إلا إذا كان على مال، فما سبق في الدلالة ليس فيه تفصيل، فيكون عامًّا.

6- تخريب البيوت فجأةً بالانتقال مِن الغِنى إلى الفقر بساعة واحدة.

وأما منافعه فهي ما يلي:

1- السُّرور النفسي الذي يحصُل عندَ اللاعب في حالة الغَلَبة.

2- الكسْب المادي الذي يأخذه وهو مرتاح.

وإذا رجعتَ إلى هذه المضارِّ وهذه المنافع وقارنتَ بينهما، وجدتَ أنَّ العقل لا يشكُّ في تحريمه؛ لكثرة مضارِّه، وقلَّة منافعه، ومن أراد زيادةً على ما ذكرناه فعليه بمراجعة "الفتاوى المصرية"؛ لشيخ الإسلام، المجلد الرابع ص: 26.

وإن كانتِ اللعبة الشعبية بالكرة على اختلاف أنواعها فلا يجوز؛ والأصْل في هذا أنَّ الشريعة مبنيةٌ على جَلْب المصالح، ودَرْء المفاسد، ومِن ذلك: "الذرائع لها حكم غايتها"، واللَّعِب بالكرة يترتَّب عليه مفاسدُ، هذا مُوجَزُها:

1- أنها تَصُدُّ اللاعب بها والمشاهِدَ لمن يلعب بها عن ذِكْر الله وعن الصلاة مطلقًا حتى ينساها، إذا كَثُر ذلك أصبحَ صِفةً ثابتة، فيستمر على ترْكها، أو أنه يترك فعلَها في جماعة؛ لقوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91]، فيكون حرامًا، فاللعب بالكرة يشترك مع هذه المذكورات بالصَّدِّ عن ذِكْر الله وعن الصلاة، ومعلوم أنَّ الصلاة رُكْن مِن أركان الإسلام، وأنَّ فعلها في وقتها جماعةً واجبٌ، ولا يُعذَر إلا مَن اتَّصف بعذر شرعي.

2- ما يترتَّب على اللعب بها من المفاسد الاجتماعية كالعداوة والبغضاء، وما ينشأ عنها، وهذا مُحرَّم؛ لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91].

3- ما ينشأ على اللاعبين مِن الأضرار البدنية الناشئة عن التَّصادُم والتَّلاكُم، وقد ثبَت عن النبيِّ ρ أنه قال: ((لا ضررَ ولا ضِرار))، وإذا نُهِي عن الضِّرار ابتداءً، فكذلك ما يؤدِّي إليه، وإنْ كان اللعب يُفضي إلى ما هو محبوبٌ مَرْضيٌّ لله ورسوله مع نيَّة على تحصيل محابِّه، ودفْع ما يغضبه، كالسِّباق بالخيل والإبل، والرمي النُّشَّاب، فهذا لا شكَّ في مشروعيته؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، وقد فسَّر النبيُّ ρ القوةَ بأنها الرمي، والوسائلُ لها حُكم الغايات، ولا فرْقَ بين ما كان على مال وغيره؛ لأنَّ المال تابع غير مقصود، ولكن بشرطه.

وإن كان اللعب لا يترتَّب عليه مفسدةٌ راجحةٌ أو مساوية، كالسباحة، والسِّباق على الأقدام - فيُباح بنفسه بدون عِوَض؛ لأنَّه إعانة وإجمام، وراحة للنفوس، وأمَّا مع المال فلا يجوز؛ لأنَّ أكل المال به ذريعةٌ إلى اشتغال النفوس به، واتخاذه مكسبًا، وهو مِن اللهو واللعب الخفيف على النفوس، فتعظم رغبتُها إليه.

السابع: إذا أَقْسَم شخصٌ على أن يترك عادة سيئة خلال مُدَّة معيَّنة، ولكنَّ هذا الشخص لم يستطعْ أن يُكمِل هذه المدَّة إهمالاً منه، كما إذا حلف على ترك عادة التدخين، فما الحُكم؟

الجواب: لا يجوز فعلُ ما يُغضِب اللهَ - تعالى - ويتأكَّد ذلك إذا حَلَف الشخصُ على ترْكه؛ لأنَّه طاعة من وجهين: أحدهما: من جهة أمر الشارع بتركه، والثاني: من جهة كَوْنه حلَف على هذا التَّرْك، فهذا الشَّخص الذي حلَف على ترْك عادة التدخين مُدَّة معينة، ثم شربه قبل تمام المدة المعيَّنة، قد عصَى الله في شرْبه، وحنَث في يمينه، فإنَّه خبيث، واللهُ حرَّم الخبائثَ، ويجب على هذا الشخص التوبةُ والرجوع إلى الله، وترْكُ هذه العادة السيئة، ويندم على فعْله، ويعترف بذنبه.

وأما مِن جهة الحنث، فإنه يُكفِّر عنه، فيُطْعِم عشَرة مساكين، لكلِّ مسكينٍ مُدُّ بُرٍّ، أو كسوتُه، أو تحرير رقبة، فإنْ لم يجد، فإنَّه يصوم ثلاثة أيام متتابعات؛ قال - تعالى -: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ

أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89]، وفي قراءة ابن مسعود: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾، والسلام عليكم.

مفتي الديار السعودية.

164- من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء

فتوى رقم 2927 وتاريخ 1400/4/8 هـ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.

وبعدُ، فقد اطّلَعَتِ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الأسئلة المقَدَّمة من عبدالرحمن بن محمد المصري إلى سماحة الرَّئيس العام، والمحالةِ إليها من الأمانة العامَّة برقْم 2/14 في 1400/1/1 هـ.

وأجابت عنها فيما يلي:

س1: ما حُكمُ زيارة النساء والرجال للقبور، وبُكاء النساء على القبور، ولطمِهنّ خدودَهن، وشقِّهن ثيابَهن؟

ج1: أوّلاً: من السُّنة زيارةُ الرجال للقبور؛ لفعل النبي ρ ذلك، وأمرِه به، ولعمل الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة - رضي الله عنهم - وأئمَّة المسلمين دون مُخالفٍ، فكان إجماعًا، ولقوله ρ: ((كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها...)) الحديثَ.

أما النِّساء فلا يجوز لهنَّ زيارةُ القبور على الصحيح مِن قولَي العلماء؛ لقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: ((لَعَن رسولُ الله ρ زائرات القبور، والمتَّخذين عليها المساجدَ والسُّرُجَ))؛ رواه أصحاب السُّنن، وله شاهدٌ مِن حديث أبي هريرة، وحسَّان بن ثابت - رضي الله عنهما - ولا تَعارُض بينه وبين حديث الإذن في الزيارة المتقدِّم؛ فإنَّ هذا خاصٌّ بالنِّساء؛ لمجيئه بصِيغة جمْع المؤنث، وحديث الإذْنِ المتقدِّمَ عامٌّ شاملٌ للنِّساء والرِّجال؛ بتغليب صيغة الرجال، فحديث لَعْن زائرات القبور يُخَصِّصُه، فيُخرج النساءَ من الإذن في زيارة القبور.

ثانيًا: بكاءُ النساء بصوتٍ نوعٌ مِن النِّيَاحة، وهي من كبائر الذُّنوب، سواءٌ كان ذلك على القبور أم لا، وكذلك لَطْمُهنَّ خدودَهنَّ، وشقُّهن ثيابَهن من كبائر الذنوب؛ لما ثبت عن النبي ρ أنه قال: ((النَّائحة إذا لم تَتُب قبل موتها تُقَام يومَ القيامة وعليها سِربَالٌ من قَطِرَانٍ ودِرْعٌ من جَرَب))؛ رواه مسلم، ولما ثبت عنه ρ أيضًا أنه قال: ((ليس منَّا من لَطَم الخدود، وشَقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))؛ رواه البخاري ومسلم.

س2: ما حُكم البناء على القبور، وتزيينها بالرخام، وغير ذلك من كتابة آية أو آيات على القبور؟

ج2: يَحرُم بِناءُ المساجد على القبور، ورفْع القِبَاب عليها؛ لما رَوَتْه عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ρ أنَّه قال: ((لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى؛ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد))؛ متفق عليه، ولما

في "صحيح مسلم" عن جُندُب بن عبدالله τ أنه قال: قال رسولُ الله ρ: ((ألا إنَّ مَنْ كان قبلكم يَتَّخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجدَ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد))، ولِمَا في ذلك من الغُلُوِّ في من دُفِن بها، ولا يجوز رفعُها إلا بقدْر ما يُعرَف أنَّ هنا قبرًا؛ حتى يُحافَظ عليه من المشي فوقَه، أو قضاء الحاجة عليه، فقد ثبَت عن علي τ أنه قال لأبي الهيَّاج الأَسَدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ ((ألاَّ تَدَع صورةً إلا طَمَسْتَها، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلا سوَّيْتَه))؛ رواه مسلم.

وكذلك يحرُم تزيينُها بالرخام ونحوه؛ لما ثبت في "صحيح مسلم" عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما –: "أنَّ رسول الله ρ نهى أن يُجَصَّص القبرُ، وأن يُقعَد عليه، وأن يُبْنَى عليه"، ولما في ذلك من الغُلُوِّ في تعظيم من دُفِن بها، وذلك ذريعةٌ إلى الشِّرك على الأقل، وتَحْرُم كتابةُ آيةٍ أو آيات من القرآن أو جملة منه على جدران القبور؛ لما في ذلك من امْتِهان القرآن، وانتهاك حُرْمته، واستعماله في غير ما أُنزِل من أجله من التعبُّد بتلاوته وتدبُّره، واستنباط الأحكام منه، والتَّحاكُم إليه، كما تحرُم الكتابةُ على القبور مطلقًا ولو غيْرَ القرآن؛ لعموم نهي النبي ρ عن الكتابة عليها؛ رواه الترمذي وغيرُه بإسناد صحيح .

* * *

س3: ما حكم سُكْنَى أقارب الميِّت – مثلاً – جانبَ القبور عِدَّة أيام وأسابيع، وزيارةِ النِّساء والرجال القبورَ كل خميس، والبكاءِ ولطْمِ الخدود على الميت؟

ج3: ليس السَّكن إلى جانب القبور عِدَّة أيام أو أسابيع من أجل الميت إيناسًا له – في زعمهم – أو تعلُّقًا به وحبًّا له مثلاً – من هدْي رسول الله ρ ولا من هدْي الخلفاء الراشدين، ولا سائر الصحابة – رضي الله عنهم – ولا عُرِف عن أئمة أهل العلم، والخيرُ كلُّ الخير في اتِّباعهم، وترك المبيت عند القبور لِما ذُكر؛ اقتداء برسول الله ρ وخلفائه وسائر أصحابه، ومَن تبعهم بإحسان – رضي الله عنهم.

أمَّا تخصيص يوم الخميس بزيارة القبور: فهو ابتداع في الدِّين؛ وقد ثبت عن النبي ρ أنه قال: ((مَن أحْدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ))؛ رواه البخاري ومسلم.

وأمَّا حُكْم زيارةِ النِّساء القبورَ، وبكائِهن ولطمِهن الخدودَ على الميت – فمِن كبائر الذنوب؛ لما تقدَّم في جواب السؤال الأول.

س4: ما حُكم ذبْحِ ذبيحة أو أكثر في البيْت على رُوح الميت عند مُضِيِّ أربعين يومًا على وفاته، وإطعامِها الناسَ؛ بقصد التقرُّب إلى الله ليغفرَ لميتهم ويرحمَه، ويسمُّونها الرحمة أو عَشاء الميِّت؟

ج4: ما ذكرتَ من الذَّبحِ على رُوح الميِّت عند مضيِّ أربعين يومًا عليه من تاريخ وفاته وإطعامِها الناس؛ تقرُّبًا إلى الله رجاءَ المغفرة والرحمة - بدعةٌ منكرة، فإنَّ النبي ρ لم يفعل ذلك، ولم يفعلْه الخلفاء الراشدون، ولا سائرُ الصحابة - رضي الله عنهم - ولا أئِمَّةُ أهل العلم، فكان إجماعًا على عدم مشروعيَّتِه، وقد ثبت عن النبي ρ أنه قال: ((مَنْ عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ))، ومِن قوله: ((مَنْ أحْدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ)).

س5: ما حُكْم زيارةِ النساءِ القبورَ يوم الخمس، وتوزيعِ الخبْزِ والتَّمر واللحم عندها؟

ج5: أوَّلاً: الصَّدَقة عن الميت مشروعةٌ؛ للأحاديث الثابتة في ذلك، لكنْ لا يكون توزيعها عندَ القبور؛ لأنَّه لم يُعْهَد ذلك في زمن النبي ρ ولا زمن الصحابة - رضي الله عنهم - فكان بدعةً منكرة؛ لما ثبَت من قول النبي ρ: ((مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ))، وكذا تخصيص يومٍ للصدقة.

ثانيًا: زيارة النِّساء القبور يوم الخميس أو غيره لا يجوز؛ لما تقدَّم في الجواب عن السؤال الأول.

س 6، 7: ما حُكْم قراءة القرآن على القبور، وما حُكْم قراءة القرآن ثلاثةَ أيام على الأقلِّ في بيت الميت؟

ج6، 7: أوَّلاً: قراءةُ القرآن على القُبور حرامٌ، والصحيح من قولَي العلماء أنَّ ثواب القراءة لا يَصِل إلى الميِّت، بل هو بدعة، وقد صَدَر في ذلك فتوى عن سؤالٍ مماثل، هذا نصُّها: "قراءة القرآن عبادةٌ مِن العبادات البدنية المحضة، لا يجوز أخْذ الأجرة على قراءته للميت، ولا يجوز دفعُها لمن يقرأ، وليس فيها ثوابٌ والحالةُ هذه، ويأثم آخذُ الأُجرةِ ودافعُها"، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة: لا يصِحُّ الاستئجارُ على القراءة وإهداؤُها إلى الميت؛ لأنَّه لم يُنْقَل عن أحدٍ من الأئمة، وقد قال العلماء: إنَّ القارئَ لأجل المال لا ثواب له، فأيُّ شيءٍ يُهدِي إلى الميت؟! انتهى.

والأصل في ذلك: أنَّ العباداتِ مبنيةٌ على الحَظْر، فلا تُفعَل عبادةٌ إلا إذا دَلَّ الدليل الشرعي على مشروعيَّتِها؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: 92]، وقال ρ: ((مَنْ عَمِل عملاً ليس عليه أمرُنا، فهو رَدٌّ))، وفي رواية: ((مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ))؛ أي: مردود على صاحبه، وهذا العمل الذي يَسأل عنه السائلُ لا نعلم أنَّه فعله النبي ρ أو أحدٌ من أصحابه، وخيرُ الهدْيِ هدْيُ محمد ρ وشرُّ الأمور محْدَثاتها، والخير كله في اتِّباع ما جاء به رسولُ الله ρ مع حُسْن القصْد؛ قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: 22]، وقال - تعالى -: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]، والشَّر كله بمخالفةِ ما جاء به رسول الله ρ وصَرْفِ القصد بالعمل لغير وجه الله.

ثانيًا: الجلوس في بيْت الميت أو غيره ثلاثةَ أيام أو أكثر للتعزية، وقراءة القرآن على الميت - لا يجوز.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الرئيس	نائب رئيس اللجنة
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز	عبدالرزاق عفيفي
عضو	عضو
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان

165- الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات، والحمدُ لله الذي وفَّق المسلمين للإسلام والإيمان، والتقوى والعمل الصالح، فهنيئًا لِمَن وَفَّقه الله لطاعته وتقواه، والعمل بكتابه وسنة نبيِّه، وهنيئًا لِمَن عَرَف الحق فاتَّبعه، والباطل فاجتنبه، هنيئًا لمن تَخَلَّق بأخلاق الإسلام، وتأدَّب بآدابه، هنيئًا لِمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه، هنيئًا لمن امتثل ما أَمَر الله به ورسولُه، وانتهى عمَّا نهى الله عنه ورسولُه.

هنيئًا لمن عمل بالواجبات وتَرَك المحرَّمات، هنيئًا لمن خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى، هنيئًا لمن تقبَّل الله قولَه وعملَه، هنيئًا لمن قال: سمعْنا وأطعْنا، هنيئًا له بمغفرة الله ورحمته وجَنَّته ورِضْوانه، هنيئًا له بالتَّمَتُّع فيما تشتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين، هنيئًا له بالخلود في النعيم المقيم في جِوَار الرَّبِّ الكريم، لِمِثْل هذا فليعملِ العاملون، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون، وذلك فضْل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والويل والشَّقاء، والخيبة والخسران، والحسرة والندامة لِمَن عرَف الحق فتركه، والباطل فأتَّبعه، الويل لِمَن قال: سمعْنا وعصيْنا، الويل له مِن الشقاء الأَبَدي، والعذاب الشديد السَّرمدي، الويل له من عذاب جهنم، الويل له من زَقُّومِها وضَرِيعها، وحَمِيمها وزَمْهَرِيرها، الويل له مِن غضب الله وسَخَطه، الويل له مِن سوء ما قَدَّمت يداه، الويل له من ذلك إن لم يَتُبْ، ومَن تاب قبل أن يموتَ، تاب الله عليه.

أخي المسلم، إذا أردتَ أن يتقبَّل الله منك، فاتَّق الله وأَطِعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بالواجبات وترك المحرَّمات؛ لأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، وهم المطيعون لله بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، فاحذر المعاصي؛ فإنها تُزيل النِّعَم، وتوجب النِّقَم، وهي سبب هلاك الأمم.

أيها المسلم الكريم، إن كنتَ مستقيمًا على طاعة الله، فاحمد الله على ذلك، واسأله الثبات عليه إلى الممات، وإن كنت مُقَصِّرًا في فِعْل الواجبات، أو مُرْتَكِبًا لبعض المحرَّمات، فتُبْ إلى الله واستغفره؛ فإنه يتوب على مَنْ تاب، ويغفر لمن استغفر، ويَفْرَح بتوبة التائب، والتائب مِن الذنب كمَنْ لا ذنب له: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: 8].

اللهم تُبْ علينا؛ إنك أنت التَّوَّاب الرحيم، اللهم ثَبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم ثَبِّتْنا على الإسلام حتى نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، اللهم أَحسِن عاقبتَنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا

من خِزْيِ الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم رحمتَك نرجو، فلا تَكِلْنا إلى أنفسنا طَرْفَة عين، وأصْلِح لنا شأننا كُلَّه، لا إله إلا أنت، اللهمَّ اختم لنا بخاتمة السعادة يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلال والإكرام، ربَّنا آتنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة، وقِنَا عذاب النار، ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، وهَبْ لنا من لدنك رحمة؛ إنَّك أنت الوهَّاب، ربَّنا تقبَّل منا؛ إنك أنت السميع العليم، آمين يا رب العالمين، يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا مالكَ المِلْك، يا قادرًا على كل شيءٍ، يا مجيبَ دعوة المضطر إذا دعاك.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلوات الله وسلامه على خير خَلقه وأنبيائه نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدِّين.

166- اختبر معلوماتك

أسئلة ينبغي أن يعرف جوابَها كلُّ مسلم، وخصوصًا طلاب العلم.

1- ما هي أسباب فَهم الدروس؟ وما هو مِفتاح العلم؟

2- ما هو حق المسلم على أخيه المسلم؟

3- ما هي شروط تحصيل العلم؟

4- ما هي مراتب العلم والعمل؟

5- ما هي ثمرة العلم وزكاته؟

6- ما هي الأحكام التكليفية؟ ومثِّل لها.

7- ما هي آداب طالب العلم؟

8- ما هو حق المدرِّس على الطالب؟

9- ما هو حق الطالب على المدرس؟

10- ما هو حق الوالدين على الولد؟

11- ما هو حق الأولاد على الوالدين؟

12- ما هو حق الزَّوْج على زوجته؟

13- ما هو حق الزَّوْجة على زَوْجها؟

14- ما هو حق الجار على جاره؟

15- ما هو التوحيد؟ وكم أقسامه؟ وما هي، مع التعريف لكلِّ قسمٍ منها؟

16- كم أركان الإسلام؟ وما هي؟

17- كم أركان الإيمان؟ وما هي؟

18- ما معنى لا إله إلا الله؟

19- ما هي شروط لا إله إلا الله؟

20- ما معنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله؟

21- على مَن تجب الصلوات الخمس؟ وما هي شروط وجوبها؟

22- على مَن تجب الزكاة؟ وما هي شروط وجوبها؟

23- على مَن يجب الصيام؟ وما هي شروط وجوبه؟

24- ما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة؟

25- على مَن يجب الحج؟ وما هي شروط وجوبه؟

26- يشرع لسامع المؤذِّن خمسةُ أشياء فما هي؟
27- ما كيفية الصلاة على الميّت؟
28- ما هو سيِّد الاستغفار؟
29- ما هي كفَّارة المجلس؟
30- ما هي كفَّارة اليمين؟ ومتى تجب؟
31- ما هي كفَّارة قتْل الخطأ؟
32- ما هي الحدود التي شُرِعت لحِفْظ الدِّين والنفس، والعقل والمال، والنَّسَب والعِرْض؟
33- كم شُعب الإيمان؟ وما أعلاها وأدناها وضابطها؟
34- ما عملُ أهل الجنة؟ وما عمل أهل النار؟
35- ما هي نواقضُ الإسلام؟
36- عرِّف الشرك، واذكر أنواعه.
37- عرِّف الكفر، واذكر أنواعه.
38- عرف النِّفاق، واذكر أنواعه.
39- ما هي سُنن الفِطْرة؟
40- ما هي علامات قيام الساعة الكُبرى؟
41- مَن هم السَّبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه؟
42- ما هي السَّبْع المهلكات؟
43- ما هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتُها؟
44- ما هي أسباب سجود السهو؟
45- ما هو أعظمُ ما أمر الله به؟ وأعظم ما نهى الله عنه؟
46- ما هي الأسئلة التي يُسْأل عنها الإنسان في قبْره؟ وما هي أسباب الإجابة فيها؟
47- كم السُّنن الرواتب؟ وما هي؟
48- ما هو الصراط المستقيم؟
49- بأي شيءٍ نَعرف ربَّنا؟ وما الدليل؟
50- ما هي الحنيفية مِلَّة إبراهيم؟
51- ما هي أعظمُ سورة في القرآن وأعظم آية فيه؟ ولماذا؟
52- مَن هم أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان؟

53- ما هي أسباب الإرْث وشروطه؟

54- ما هي موانع الإرث؟

55- ما هي الأعمال التي يَجري للإنسان ثوابُها بعد موته؟

56- كيف يُصلِّي المريض؟

57- ما هي رُخَص السَّفَر؟ وما سببها؟

58- ما هي خصائصُ يوم الجمعة؟

59- مَن هو الجليس الصالح، والجليس السوء؟

60- ما هي فروض الوضوء؟

61- ما هي نواقض الوضوء؟

62- ما هي مُبطِلات الصلاة؟

63- ما هو الإحسان، وكم أنواعه؟

64- ما الفرْق بين الإسلام والإيمان؟

65- ما هي الأوقات التي نُهِي عن الصلاة فيها؟ وأيُّ صلاةٍ نُهي عنها فيها؟ ولماذا؟

66- ما هي الأوقات والأحوال التي يُستجاب الدعاء فيها؟

67- ما هي أسباب المغفرة، وأسباب العذاب؟

68- ما هو حق الله على العِباد؟ وما حق العِباد على الله؟

69- ما هي آدابُ الأكل والشرب؟

70- ما هي آداب اللباس؟

71- ما هي علامةُ محبَّة العبد لربِّه؟ وما الدليل؟

72- ما حكم صلاة الوتر؟ وما أقلها وأكثرها، وأدنى الكمال فيها؟ ومتى وقتها؟ وما أفضله؟

73- ما هي الحِكمة من خَلْق الجن والإنس؟ وما الدليل؟

74- كم فِرَق هذه الأمة؟ ومَن هي الفِرْقة الناجية منها؟

75- ما هي تقوى الله؟ وما الذي ينتج عنها؟

76- مَن هم العَشَرة المبشَّرون بالجنة وهم أحياء؟

77- كم جلس النبيُّ ρ في مكة قبل فرْض الصلاة وبعدها؟ وما مهمَّتُه في تلك المدة؟

78- مَن هم الخلفاء الراشدون؟

79- مَن هم الأئمة الأربعة؟

80- ما هي مصادرُ التشريع الإسلامي؟

81- ما هي الوسائل المفيدة للحياة السعيدة؟

82- ما هي الأسئلة التي يُسأل عنها الأوَّلون والآخرون يومَ القيامة؟ وما هي أسباب الإجابة فيها؟

83- ما هي العبادة؟ وما أنواعها؟

84- ما هي الأيام التي يُسنُّ صيامُها؟

85- ما هي الأيام التي يحرم صيامها؟

86- ما قِيمة الوقت في نظرك؟ وما أهم ما يُشغَل به الوقت؟

87- كم آيات القرآن الكريم؟

88- كم أجزاؤه وأحزابه وأرباعه، وكلماته وحروفه؟

89- ما هو ثواب قراءة كلِّ حَرْف من حروف القرآن الكريم؟

90- كم سُور القرآن الكريم؟

91- ما هو مِفتاح حياة القلْب؟

92- ما هو مِفتاح كل خير، ومِفتاح كل شرٍّ؟

93- ما هي أهمُّ كُتب التفسير وأقربها؟

94- ما هي أهمُّ كتب الحديث وأقربها؟

95- ما أهمُّ كتب التوحيد والعقيدة؟

96- ما أهمُّ كتب الفقه وأقربها؟

97- ما هي المجلاَّت الإسلامية المفضَّلة؟

98- ما هي شروط قَبول العمل؟

99- ما أهمُّ كتب التاريخ والسِّيرة النبوية؟

100- مَن هم المؤلِّفون الذين يُنصح باقتناء مؤلفاتهم؟

101- ما أوثق عُرى الإيمان وأحب الأعمال إلى الله؟

102- مَن هو الفائز حقيقة؟ وما الدليل؟

103- ما هي أسبابُ إجابة الدعاء، وموانع الإجابة؟

104- ما كيفية الصلاة على النبي ρ ؟ وما مواطنها وفوائدها؟

105- ما هو أحبُّ الكلام إلى الله؟

106- ما هي آداب النوم؟
107- ما هو العملُ المشروع للمسلم في اليوم والليلة من حين يستيقظ الإنسان حتى ينام؟
108- ما هي أذكار الصباح والمساء؟
109- ما هي آداب وأذكار النوم والانتباه؟
110- ما هي آداب وأذكار الأكْل والشُّرْب واللباس؟
111- ما هي آداب وأذكار الدخول والخروج بالنسبة للمسجد والبيت والحمَّام؟
112- ما هي الأشياء التي يَعتصِم بها العبدُ من الشيطان؟
113- ما هي الأذكار المشروعة بعدَ السلام من الصلاة؟
114- مَن هم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؟
115- ما هو دَوْر الشباب المسلِم في الحياة؟
116- ما هي أسبابُ شرْح الصدر؟
117- ما هي الخِصال المكَفِّرة للذنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة؟
118- كم مراتبُ الجهاد؟ وما هي؟
119- كم مراتبُ المكلَّفين في الدار والآخرة؟ وما هي؟
120- ما هي علاماتُ صحَّة القلْب؟
121- ما هو الطريق إلى العِلم بأنه لا إلا الله؟
122- ما هي فوائدُ النكاح؟
123- ما هي أضرارُ الزنا؟
124- ما هي الأسباب التي تزول بها عقوبات الذنوب؟
125- ما هي أسبابُ المغفرة، وأسباب العذاب؟
126- ما هي أسبابُ السعادة، وأسباب الشقاوة؟
127- ما هو دواء القلب؟
128- ما هي الأشياء التي يَزيد بها الإيمان؟
129- ما هي أسبابُ الرِّزق؟
130- ما هي أسباب النجاة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

167- ترجمة المؤلف

الاسم: عبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، من قبيلة النواصر، من بني تميم.

ولد في مدينة المذنب في عام 1354هـ من مُدن القصيم.

حياته العلمية:

درَس في معهد إمام الدعوة العِلْمي بالرياض، وتخرَّج فيه عام 1379هـ، ثم درَس في كلية الشريعة بالرياض، وتخرَّج فيها عام 1383هـ - 1384هـ.

ودرَس في المعهد العالي للقضاء، ونال منه درجة الماجستير عام 1399هـ في الفقه المقارن.

أما حياته العملية: فهي أنه يدرِّس في المرحلة المتوسطة في وزارة المعارف منذ تخرُّجه، ولا يزال فيها حتى كتابة هذه النُّبذة، ثم انتقل إلى القسم الثاني.

مؤلفاته:

1- رسالة رمضان.

2- كلمات مختارة.

3- مصارف الزكاة.

4- الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد.

5- الكواكب النيِّرات في المنجيات والمهلكات.

6- من علوم القرآن وفضائله.

7 - المجموع المفيد، ويشمل إحدى عشرة رسالة.

8- رسالة المرأة المسلِمة.

9- خلاصة الكلام في أحكام الصيام.

10- بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، وهو هذا.

11- رسالة إلى المرضَى.

12- حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

13- مِن أضرار المسكِرات والمخدِّرات.

14- مُعجزة الإسْراء والمِعراج، وحُكم الاحتفال بها.

15- توجيهات لأصحاب التسجيلات.

16- خلاصة الكلام في أحكام الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام.

17- الهداية لأسباب السعادة.

18- زاد المسلِم اليومي.

والله ولي التوفيق.

1/7/ 1402هـ.

تقريظ

بقلم: محمد بن إبراهيم الحقيل

عضو الدعوة برئاسة إدارات البحوث العِلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الحمد لله القائل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحْده لا شريكَ له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فحقيقةُ الأمر الواقع في هذه الحياة الدنيا: أنَّ الصراع الدائم الذي لا ينفك مع مرِّ السنون والأيام هو الصِّراع القائم بين الحق والباطل.

ولكن الله - سبحانه وتعالى - يهيِّئ في كلِّ زمانٍ من يُنوِّرُ للناس طريقَهم ومنهاج حياتهم، ويجلِّي عقائدهم، ويدلهم على العقيدة الصافية التي رَضِيَها الخالق لعباده الصالحين، تلك هي عقيدةُ الحق والإيمان، التي أقضَّت مضاجع الكفر والإلحاد في عُقر دارهم، وإنَّ كتاب "بهجة الناظرين فيما يُصلح الدنيا والدين" لمؤلِّفه فضيلة الشيخ عبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله - لكتابٌ عظيم القَدْر، جامع وشامل؛ فقد بدأ المؤلف - وفقه الله - بأعظم شيءٍ في حياة البشرية، وهو معرفة التوحيد الذي من أَجْله بُعِثَ الأنبياء والرُّسل إلى أُممِهم؛ ليخرجوهم من ظلمات الشِّرْك والجهالة إلى نور التوحيد والمعرفة.

كما أوضح فيه لِمَن استقام على العقيدة السليمة التعليماتِ الشافيةَ والنافعة لمصادمة المصائب بعلاجها الذي يحقِّق سبيل النجاة، ويرفع شأن الصابرين؛ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وتطرَّق إلى الكلام عن أركان الإسلام الخمسة، والأخلاق والآداب الفاضلة، وجمع في هذا الكتاب القَيِّم ما تفرَّق في غيره.

ولقد تطرَّق المؤلِّف إلى مواضيع عديدة، منها ما يكون عِلاجًا شافيًا للجيل المعاصِر، والذي انجرف في تيارات الغزو الفكري ضد الإسلام ودُعاته، والاستهزاء بمحاسن الإسلام وتعليماته.

وإنَّ مرارة الغزو الحاقد على الإسلام تدسُّ في خضاب الدم تضليلاتِها الباطلةَ، ودسائسها المتوالية؛ لكي لا يشعر شبابُ الأمة الإسلامية عندما يُراد منهم الدخول فيه، فتُلَفَّق لهم الدعايات، وتُفسَح لهم المجالات؛ حتى يَظنَّ أولئك الأغصان الغضة أنَّ هذه الدسائس الرهيبة حقيقةُ الواقع، والتي ينال مِن ورائها التقدُّم والرُّقي، فعندما يقع في شِراك الشبكة لا ينفع الندم آنَ ذاك، وقد لطخ ثيابه بدم الخضاب.

ونصحًا مني، لمن تناولتْ يدُه هذا الكتاب القَيِّم أن يطلعَ على جميع ما دُوِّن بين دفتيه؛ لكي يستقيَ مِن مَعِينه الصافي العذْب، فعناوينه دسمة وكلماته معاصرة، جامع لعلوم الدنيا والدين.

نفَع الله به شبابَ المسلمين، وشكر الله لمؤلِّفه، ولمن قام بطبعه حتى صار في متناول أيدي المسلمين، وفَّق الله العاملين المخلصين.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين.

تنبيه: مَن كان له ملاحظات على هذا الكتاب أو غيره من مؤلَّفاتي، أو له رغبة في طباعة شيء منها، فليتصلْ بي على العنوان التالي: الرياض ص.ب 5582 - شاكرًا له ذلك.

والله يوفِّق الجميع لما يحبُّه ويرضاه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلوات الله وسلامه على خاتم المرسلين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس كتاب "بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين"

الموضوع	الصفحة
الإهداء	2
المقدمة	3
قسم "التوحيد"	
من هدي النبوة	5
عقيدة الفرقة الناجية	6
توحيد الأنبياء والمرسلين؛ للشيخ عبدالرحمن بن سعدي	12
الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله	26
شروط لا إله إلا الله	27
محبة الله: أسبابها، علاماتها، نتائجها	28
أسماء الله الحسنى	36
صفة الإيمان بالله على وجه التفصيل	37
شهادة الحق	39
العبودية في الإسلام: حقيقتها وشمولها	40
عقيدة أهل السنة؛ لأبي الخطاب الكلوذاني	44
عقيدة الإمام ابن أبي داود	46
الحب في الله والبغض في الله	48
الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا	53

الموضوع	الصفحة
نداء للإيمان بالله والرجوع؛ إليه للشيخ عبدالرحمن العمر	54
الإيمان بالقدر	56
من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله	57
أصول نافعة جامعة في مسائل المصائب والمحن	61
الطهارة والصلاة	
فضل الوضوء	62
فوائد السواك ومنافعه "قصيدة"	63
رسالة في الوضوء والغُسل والصلاة؛ للشيخ محمد بن صالح العثيمين	66
الصلاة؛ للشيخ عبدالله الجلالي	72
كيفية صلاة النبي ρ للشيخ عبدالعزيز بن باز	73
نصيحة أخوية: نصيحة لمن يتخلف عن أداء الصلاة مع الجماعة	78
الخشوع في الصلاة	79
الصلاة والطهارة لأهل الأعذار؛ للشيخ محمد العثيمين	83
مزايا الصلاة على سائر العبادات	86
الأذكار الواردة بعد السلام من الصلاة	87
صلاة الجمعة وخطبتها	88
خصائص يوم الجمعة	89
تغسيل الميت وتكفينه؛ للشيخ صالح الفوزان	91
أحكام الصلاة على الميت؛ للشيخ صالح الفوزان	94
رسالة المسجد	96

الموضوع	الصفحة
من آداب المساجد	99
الزكاة	
الزكاة؛ للشيخ عبدالله الجلالي	102
نصيحة في الزكاة؛ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	103
بحوث هامة حول الزكاة؛ للشيخ عبدالعزيز بن باز	106
الصيام	
فضل شهر رمضان	110
نُبَذ في الصيام؛ للشيخ محمد العثيمين	113
فضل صيام رمضان وقيامه؛ للشيخ عبدالعزيز بن باز	116
من فوائد الصيام	121
فضل تلاوة القرآن الكريم في رمضان وغيره	123
متى نزل القرآن؟ ولماذا نزل؟	126
من آداب الصائم	127
صيام يوم عاشوراء	128
الحج	
كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة؛ للشيخ محمد العثيمين؟	131
أسئلة وأجوبة في الحج والعمرة	134
أحكام تتعلق بالهدي والذبح والنحر	141
من فضائل عشر ذي الحجة وفضل العمل الصالح فيها	143
الجهاد	

الموضوع	الصفحة
الجهاد في سبيل الله وعوامل النصر على الأعداء 1-2-3	148
مراتب الجهاد	155
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	
المعروف والمنكر	158
فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	158
أساليب الدعوة إلى الله	160
نصيحة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ للشيخ محمد بن إبراهيم	161
النهي والتحذير عن كثير من المحرَّمات التي وقع فيها أكثر الناس	164
نصيحة في التحذير من المعاصي؛ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	167
العلم والتربية والتعليم	
العلم والعمل (1)	170
العلم والعمل (2)	173
طريق التعلم وأسباب فَهم الدروس	176
تربية الأبناء كما يجب أن تكون	178
مسؤولية المدرس	181
ملاحظة	182
واجب الآباء نحو الأبناء	184
مسؤولية الطالب	186
الجليس الصالح وكيف نختاره؟	189
بر الوالدين	192

الموضوع	الصفحة
دور الشباب المسلم في الحياة	194
السيرة النبوية	
لمحات من حياة الرسول ρ .	199
من خصائص النبي ρ .	200
ذكر شيء من معجزات النبي ρ .	202
معجزة الإسراء والمعراج	205
وجوب الصلاة على النبي ρ . – ومواطنها وفوائدها	210
حكم الاحتفال بالمولد النبوي	215
المعاملات	
من أحكام الفقه الإسلامي	220
الاقتصاد في النفقات	221
نصيحة أخوية	223
طرق الكسب الحرام	224
فائدة	227
التحذير من المعاملات الربوية؛ للشيخ عبدالعزيز بن باز	228
نصيحة في النهي عن الربا؛ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	230
من أحكام الفقه الإسلامي "المداينة"؛ للشيخ ابن عثيمين	233
الأسباب التي تزول بها عقوبات الذنوب	243
من أوصاف المؤمنين (1)	246
أسباب السعادة	249

الصفحة	الموضوع
251	أوصاف المؤمنين الجامعة (2)؛ للشيخ ابن سعدي
256	وجوب شكر النعم والحذر من صرفها في غير مصارفها؛ للشيخ ابن باز
257	الأوامر والنواهي
259	سماحة الإسلام ويسر تعاليمه
260	شكر النعم ومحاسبة النفس
261	الإسلام دين الكمال والشمول
263	أمثلة من سماحة الإسلام ويسر تعاليمه
264	من مقاصد الإسلام
265	من محاسن الإسلام (1)؛ للشيخ عبدالله بن حميد
268	من محاسن الإسلام (2)
273	المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث
275	قاعدة مهمة
275	ما ينجي من عذاب الله - تعالى
277	آداب الأكل والشرب؛ لأبي بكر الجزائري
281	آداب اللباس؛ لأبي بكر الجزائري
283	حكم إسبال الثياب للرجال
285	مَن لعنه الله ورسوله
288	الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان
289	أسباب شرح الصدر
291	قاعدة "أحكام النساء على النصف من أحكام الرجال في مواضع"

الموضوع	الصفحة
تحريم تبرُّج النساء واختلاطهن بالرجال والأمر بالحجاب	293
خطورة الاختلاط؛ للشيخ عبدالله الجلالي	294
من أضرار الزنا	297
أهم الطرق لمكافحة الزنا؛ للشيخ يوسف المطلق	299
﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ من فوائد غض البصر	301
من ترك شيئا لله عوضه الله خيرًا منه "قاعدة"	304
المسائل التي انفرد بها شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأئمة الأربعة	306
أمراض القلوب وشفاؤها	307
طب الأبدان	308
الوصايا الطبية النافعة	309
محاسن الصدق ومساوئ الكذب	310
الكبائر (1)	313
الكبائر لابن القيم (2)	320
من أحكام الملاهي في الشريعة الإسلامية؛ للشيخ عبدالله بن حميد	325
حكم الإسلام في الغناء	328
عمل اليوم والليلة	332
الدعوات المستجابة	335
أذكار وأدعية جامعة	339
دعاء الاستخارة الشرعية	343
دعاء السفر	343

الموضوع	الصفحة
الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة	344
منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة؛ لابن سعدي	346
حكم التصوير	347
خلاصة في علم الفرائض	352
غربة الإسلام (1)	354
غربة الإسلام (2)	356
مشكلة التسوُّل والحلول المناسبة لها	359
تحية الإسلام الخالدة	362
ما جاء في فصل الشتاء	364
ما جاء في فصل الصيف	367
الزواج وفوائده وآثاره	369
التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج	373
فوائد	376
أحكام المغالبات	381
كُليَّات الأحكام	382
علامات صحة اللب	382
أقسام المشهود عليه	383
إعلان عن الدخان وغيره	383
كيف تترك التدخين؟	388
رسالة إلى القضاة	390

الموضوع	الصفحة
التقوى وفضائلها وبواعثها ودرجاتها	394
محاضرة كبيرة الفائدة؛ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي	398
وجوب إعفاء اللحية وتحريم حلقها ووجوب قص الشارب	411
وصايا إسلامية	415
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	420
مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها	426
من أسباب المغفرة	438
أسباب العذاب	440
تنبيه	440
من أسباب النجاة	441
أسباب الرزق	443
موجبات الشكر	445
موعظة وذكرى	447
التحذير من الافتتان والاغترار بالدنيا الفانية والإعراض عن الآخرة الباقية	452
ما يلقاه الإنسان بعد موته	456
من أهوال القيامة	460
من مشاهد القيامة	463
وصف جنات النعيم وأهلها	468
شعر في وصف الجنة	470
الفتاوى	

الموضوع	الصفحة
الفتوى اللاذقية؛ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	474
من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	485
من فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء	494
الخاتمة	498
اختبر معلوماتك	500
ترجمة المؤلف	505
تقريظ لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الحقيل	506
فهرس	517-508